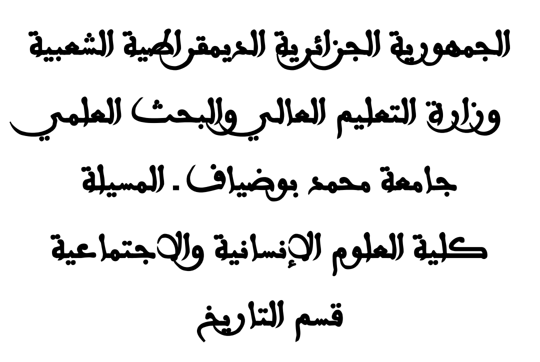



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف . المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



رقم التسجيل: ....

الرقم التسلسلي: ....

النورمان ودول الغرب الإسلامي

(بحث في العلاقات السياسية والحضارية 5.6هـ / 11.12م)

أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط

لجنة المناقشة

د. طارق بن زاوي	رئيسًا	جامعة محمد بوضياف . المسيلة
أ.د. مفتاح خلفات	مشرفًا ومقررًا	جامعة محمد بوضياف . المسيلة
د. ميلود بلحاج	عضوًا مناقشًا	جامعة زيان عاشور الجلفة
د. عبد الحليم سرحان	عضوًا مناقشًا	جامعة محمد بوضياف . المسيلة
د. خالد حموم	عضوًا مناقشًا	جامعة فرحات عباس سطيف
د. مراد لكحل	عضوًا مناقشًا	جامعة محمد بوضياف . المسيلة

إعداد الطالب:
العيد بكري

إشراف:
أ.د مفتاح خلفات

السنة الجامعية: 1441 . 1442هـ / 2020 . 2021م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والدي الكريمين أطال الله في عمرهما وبرًا

بهما جزاء ما قدّما لي من رعاية واهتمام

إلى سندي في الحياة زوجتي الكريمة

إلى ولدي قرة عيني محمد مرتضى أملاً في مُضيه

قُدمًا في طلب العلم

إلى أخي وأخواتي كل باسمه

إلى كل أساتذتي في جميع الأطوار

إلى كل طالب علم ومعرفة

أهدي ثمرة هذا العمل

بكري العيد

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله على جميل إنعامه وتوفيقه

شكري الخالص وتقديري الكبير إلى أستاذي الفاضل: الدكتور مفتاح خلفات على تكرمه وقبوله الإشراف على هذا العمل

إحترامي إلى اللجنة العلمية المناقشة الموقرة على تصويباتهم وتصحيحاتهم

شكري موصول إلى كل العاملين بالمكتبات داخل الوطن

وإلى كل الذين ساهموا في إخراج هذا العمل

بكري العيد

مقدمة

أهمية الموضوع:

تشير المصادر التاريخية أن القرن 5هـ / 11م عرف تغير في موازين القوى الدولية التي تحكم ضفتي المتوسط الشرقية والغربية؛ بتقلص نفوذ البيزنطيين لصالح النورمان واستيلائهم على أجزاء واسعة من أملاكهم في جنوب إيطاليا، وتراجع قوة المسلمين البحرية في كل من صقلية وبلاد المغرب والأندلس بعد رحيل الفاطميين إلى مصر سنة 361هـ / 972م، وظهور الامتداد البحري للمدن الإيطالية والنورمانية في الجزء الغربي من البحر المتوسط، بالمقابل ترتب عنه انحسار سيادة المسلمين على صقلية قبل فقدانها سنة 484هـ / 1091م، مما أدى إلى تغير في العلاقات بين ضفتي المتوسط، خاصة مع دول الغرب الإسلامي التي كشفت عن أهم التطورات السياسية والعسكرية التي وقعت في الحوض المتوسطي، والأبعاد الحضارية لجزئه الشرقي حيث تباينت أشكاله ومظاهره.

يعتبر قيام مملكة النورمان سنة 484هـ / 1091م بصقلية منعرجًا حاسمًا في دراسة العلاقات بين ضفتي المتوسط ودول الغرب الإسلامي، وكان استقرارهم بها المحفّز لانسيابهم نحو سواحل بلاد المغرب نظرًا لتنوع ثرواته ودوره في تنشيط حركة التجارة مع بلاد السودان وأوروبا والأندلس، خاصة مع إفريقية الزيرية، وهو ما حرّك أطماع النورمان على الغزو، مستغلين في ذلك اضطراب حكم بني زيري بدخولهم في مواجهة القبائل البربرية من جهة، ومواجهة بني هلال وبني حماد من جهة أخرى، ينضاف إلى ذلك تردّي الوضع الإقتصادي الذي خلفته الهجرة الهلالية، وأثر التقلبات المناخية التي أدت إلى تتابع سنوات القحط والجفاف، وتحكم النورمان في الطرق التجارية البرية والبحرية بعد سيطرتهم على الساحل الإفريقي.

واللاّفت أن ظهور المرابطين في النصف الثاني من القرن 5هـ / 11م، كقوة بحرية بالجزء الغربي للمتوسط سعوا بدورهم للهيمنة على الجزء الشرقي لحماية بني زيري بتهديد أملاك النورمان في صقلية، مما عطّل مشروعهم التوسعي على حساب بلاد المغرب إلى حين، الأمر الذي دفعهم إلى الدخول في الاصطفاف مع القوى المسيحية بتوجيه حملات على جزر البليار والأندلس، ثم توجيه هجماتهم على مدن المغرب الأوسط الساحلية مع مطلع القرن 6هـ / 12م، حيث تركزت هذه الهجمات على الجهة الشرقية لقربها من الساحل الإفريقي خط المواجهة المباشر.

وموضوع النورمان ودول الغرب الإسلامي ما بين القرنين (5 ــ 6هـ / 11 ــ 12م) كونه يؤرخ لمرحلة مهمة من تاريخ الغرب الإسلامي في جانبه السياسي والعسكري، يكشف عن تطورات تتمثل أساسًا في أثر الغزو النورماني الذي تزامن ودخول العرب الهلالية رغم الضرر الذي صاحب دخولهم بلاد المغرب بعد توتر العلاقات بين الزيريين والفاطميين، والموادعة والسلم مع الحماديين، وفي اضطراب دولة بني زيري وتردي وضعها الإقتصادي، والدفاع عن بلاد المغرب من هجمات القوى المسيحية هذا من جهة.

ومن جهة أخرى عن مرحلة مهمة من تاريخ الحروب الصليبية بالغرب الإسلامي في بداياتها، فبعد أن عجز الصليبيون عن تحقيق أهدافهم في السيطرة على بلاد المشرق، نجحوا في أخذ أطراف من الأندلس، وكان النورمان قد نجحوا في انتزاع صقلية من المسلمين، مما أجبر مسلمي الأندلس وبني زيزي بإفريقية إلى الاستنجاد بالمرابطين، وهنا يبرز دور صنهاجة بفرعيها صنهاجة الشمال التي أسست دولة بني زيري في إفريقية والمغرب الأوسط، وكانت ساعِد الفاطميين في السيادة على بلاد المغرب، ثم استقلال الحماديين عن بني عمومتهم من بني زيري بالمغرب الأوسط، وصنهاجة الجنوب المستقرين جنوب المغرب الأقصى.

وقد لعبت فروع صنهاجة دورًا في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط خاصة صنهاجة الجنوب (المرابطون) بعد أن اقتحمت بلاد المغرب والأندلس وناصبت الفرنجة العداء ومنهم النورمان، ونازعتهم السيادة في البر والبحر، وشاركت في معركة الجهاد والدفاع عن بلاد المغرب في وقت ضعفت فيه دولة المرابطين خلال النصف الأول من القرن 6هـ / 12م، التي كانت تهدد النورمان في أملاكهم بصقلية وتدافع عن بلاد المغرب، حيث تمكن النورمان من غزو واحتلال الساحل المغربي من طرابلس إلى بونة، وامتداد ذلك إلى مدن المغرب الأوسط والأقصى دون أن تحقق أهدافًا مرجوة.

وبظهور الإنتفاضات ببلاد المغرب، طلب ساكنة بلاد المغرب النصرة من الموحدين الذين تحركوا لتحريرها، بعد أن فرضوا حصارًا بريًا وبحريًا عجز النورمان عن صدهم، وانتهت المواجهات بتحرير بلاد المغرب وخضوعها لسلطة الموحدين.

دون أن نضاعف من عدد الأمثلة حول المواجهات والصدامات التي عرفتها دول الغرب الإسلامي والنورمان وحلفائهم من النصارى، فإن حالات التعايش بين شعوب المنطقتين لم تنعدم بالمرة، بل إن الصراعات التي تأججت أحيانًا لم تَحِل دون سعي المنطقتين إلى تغليب مصالحهما المشتركة بتقارب وتواصل حضاري برز فيه تأثر النورمان بنظم الحكم والإدارة والعلوم والعمران أبدوا فيه ارتياحًا كبيرًا لثقافة الآخر.

والموضوع يبرز جوانب اقتصادية وحضارية جديرة بالبحث، ذلك أن بعض الدراسات الجادة ركزت على تحركات النورمان في غرب أوروبا وبلاد الأندلس[1] وجنوب إيطاليا وصقلية[2]، أما علاقاتهم بدول الغرب الإسلامي لم تُفرد دراسة بعينها،خاصة ما يتعلق بالتقارب والتواصل الحضاري الذي حدث

---

[1] ميلود بلحاج: **الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (206 ــ 232هـ / 822 ــ**

[2] رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا مابين 1017 ــ 1154م**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987م. **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان منذ وفاة الملك روجر الثاني إلى سقوط المملكة 1154 ــ 1194م**، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2006م.

بين ساكنة بلاد الغرب الإسلامي والشعوب الإسكندنافية، باستثناء ما أفادت به بعض المقالات المنشورة في المجلات العلمية المتعلقة بالغزو النورماني[1].

وهو ما دفعني إلى البحث في الموضوع بتقديم صورة شاملة عن أوضاع بلاد الغرب الإسلامي خلال تلك الفترة، بالكشف عن الأوضاع السياسية والإقتصادية، والعلاقات الخارجية التي سهّلت وقوع بلاد المغرب تحت الغزو النورماني، وإظهار مدى تحقق أهدافهم، وهو ما أمكن لمسه بعد تنفيذ الاحتلال، ومظاهر ذلك بربط صقلية اقتصاديًا ببلاد المغرب، والسيطرة على طرق التجارة البرية والبحرية، وتشجيع الاستيطان النورماني، وللتأكيد على حقيقة مفادها أن بلاد المغرب الإسلامي كانت ولا زالت محط أطماع الغزاة المتربصين لثرواتها وموقعها الاستراتيجي، وبحكم مجاورتها لأوروبا تتأثر بمجريات الأحداث العالمية.

إشكاليات الموضوع:

عمل النورمان بعد استقرارهم في صقلية وانتزاعها من المسلمين على إعادة رسم الخريطة التي تحكم العلاقات الدولية في الحوض المتوسطي وفق منظورهم وما يحقق مصالحهم وأهدافهم، وبحكم القرب الجغرافي لصقلية وبلاد المغرب والأندلس، وما عرفوا به من مباشرة الغزو تعرضت بلاد الغرب الإسلامي لهجماتهم.

وهو ما دفعني إلى البحث والتساؤل عن مظاهر العدوان النورماني على بلاد الغرب الإسلامي؟ وعن ردود الأفعال المختلفة تجاهه سلطة وساكنة؟

مما يعني البحث عن أصل النورمان؟ وصفاتهم وخصائصهم؟ والأسباب التي دفعتهم إلى التوسع؟ والمناطق التي تعرضت لهجماتهم في غرب أوروبا وجنوبها؟ والظروف التي أحاطت بقيام دولتهم في صقلية؟ وعن مشاريعهم المستقبلية؟.

---

[1] من هذه المقالات التي تتناول الموضوع بشكل رئيس: مصطفى الجندي جمعة محمد: **علاقة نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال إفريقية خلال القرن 5هـ / 11م**، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، كلية التربية، جامعة عين شمس، الحولية الثالثة والعشرون، 2002. سليم فراس يحياوي: **الغزو النورماني للساحل الإفريقي (تونس وليبيا) في القرن السادس الهجري**، منشورات كلية التربية الأساسية، ع3، جامعة بابل، حزيران 2010. المعموري محمد عبد الله: **الدولة النورماندية في صقلية دراسة في تاريخها السياسي وعلاقاتها الخارجية**، مج1، ع8، منشورات مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، ديسمبر 2011. رياض أحمد عبيد الغاني: **هجومات النورمانيين على الأندلس**، منشورات كلية العلوم، المجلد 7، العدد 23السنة السابعة، الجامعة الإسلامية، بغداد، تشرين الأول، 2011.علي محمد الزهراني: **الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان بين التسامح والاضطهاد (44 ــ 591هـ / 1052 ــ 1194م)**، ع19، منشورات كلية الشريعة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية. د.ت. الدوري تقي الدين عارف، **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، العدد8، مجلة آداب المستنصرية، منشورات كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 1984.

وكذا التساؤل عن أسباب تطلعهم نحو بلاد المغرب؟ والعوامل التي ساهمت في تسهيل الغزو ثم الاحتلال؟ وعن امتداد المواجهة إلى الأندلس والمغرب الأوسط التي تعرضت للغزو؟ وتداعيات ظهور التقارب المرابطي الزيري لمواجهة النورمان؟ وتأزم العلاقات النورمانية المرابطية؟ وردود فعل ساكنة بلاد المغرب حول الاحتلال؟ وموقف القوى الإسلامية الناشئة من العدوان الحاصل؟

وإذا كان تواجدهم في صقلية، ثم استقرارهم ببلاد المغرب فترة، ألا يحتم ذلك حصول تقارب حضاري بين الشعبين؟

خطة الموضوع:

انتظمت هذه الدراسة بمقدمة للبحث استعرضت فيها أهمية الموضوع وإشكاليته، وعن أسباب اختياري لفترة موضوع الدراسة، ثم أتبعته بالمنهج الذي سلكته، وبالموازاة مع ذلك تم التطرق لأهم المصادر التي اعتمدتها، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى خمسة فصول.

الفصل الأول بعنوان « **النورمان وتوسعاتهم في أوروبا والأندلس** » كان بمثابة مدخل للموضوع، تعرضت فيه إلى إعطاء لمحة عامة عن النورمان؛ بتبيان أصلهم وقبائلهم وموطنهم، وأسباب تحركهم باتجاه أوروبا وبلاد الأندلس،وحصر الأسباب التي دفعتهم إلى التحرك وشن الغارات على هذه المناطق.

أما الفصل الثاني « **احتلال النورمان لصقلية** »، فقد تم التطرق فيه إلى أهمية الجزيرة وموقعها الاستراتيجي وإدراك النورمان لذلك، والأسباب التي أدت إلى سقوطها في يد النورمان، ومن ذلك استغلالهم للانقسام والخلاف القائم بين حكامها المسلمين، وبعد تنفيذ الغزو حصل وأن استقر النورمان ولأول مرة في تاريخهم، وأصبحت بمثابة قاعدة لملكهم ومقرًا لحكمهم ومركزًا لانطلاق وتحرك جيوشهم، وكان مقصدهم بلاد المغرب وسواحلها.

وعنونت الفصل الثالث « **الغزو النورماني للساحل الإفريقي وموقف الدولة الزيرية** »، وتم حصرها في الدافع الإستراتيجي والدافع الديني والدافع الإقتصادي، وكان هذا الأخير هو محرك النورمان الرئيس للقيام بعمليات الغزو والاحتلال، وما ساعدهم في تحقيق ذلك اضطراب الوضع السياسي لبلاد المغرب بعد إرسال الفاطميين لقبائل بني هلال كإجراء تأديبي بعد إعلان الانفصال، وما ترتب عنه من انشغال بني زيري في محاولة يائسة لصدهم، وظهور حركات الانفصال والاستقلال عن الدولة الزيرية تحت حكم زعماء القبائل الهلالية، واضطرب الوضع الإقتصادي لإفساد السابلة على يد القبائل الهلالية، وتحول طرق التجارة وانحسارها من الداخل إلى الساحل الشرقي، وقد مرت عليها سنون وأمراض وأوبئة، ونقص الغذاء وارتفاع الأسعار، وأصبح بنو زيري رهن غذائهم للنورمان وفي حاجة إلى القمح الصقلي.

وكذا موقف الدولة الزيرية من غزو الساحل الإفريقي بعرض مظاهر العدوان النورماني باحتلال مدن الساحل الإفريقي، وغزو جزيرة الأحاسي ومدينة جربة وطرابلس، والاستيلاء على قابس، ثم سقوط

المهدية عاصمة الدولة الزيرية، وكان حرص النورمان شديدًا على غزو المهدية لإدراكهم لأهميتها الاستراتجية في المنطقة وحصانتها ومناعتها باعتبارهاعاصمة الدولة المدافعة، وباحتلالها سيطر النومان على بلاد المغرب، وأقاموا بها حاميات عسكرية وأخذوا رهائن لضمان الاستقرار وتثبيت وجودهم في سياسة تعوّد النورمان على نهجها واللجوء إليها.

كما بحثت في هذا الفصل ردود الفعل المختلفة تجاه العدوان الحاصل الذي كان على شكل انتفاضات وثورات بالبحث في الأسباب التي أدت إلى اندلاعها، والتي كانت بدايتها بجربة ثم سفاقص وطرابلس، ثم نهاية الوجود النورماني ببلاد المغرب بتحرير المهدية، وقد ساعد في نجاحها اضطراب وضع صقلية، وتغير الظروف بدول المغرب الإسلامي بعد ظهور الموحدين كقوة ناشئة، مما دفع بحكام المدن إلى الاستنجاد بهم.

أما الفصل الرابع الذي جاء بعنوان « **موقف دول صنهاجة من الغزو النورماني لبلاد الأندلس والمغرب وردود الفعل** »، فقد عالج موقف الدولة المرابطية من الغزو النورماني لسواحل المغرب والهجمات على بلاد الأندلس، وبحثت فيه أسباب تأزم العلاقات المرابطية النورمانية، والتي كانت بسبب المنافسة حول السيادة المتوسطية، وامتداد نفوذ المرابطين إلى جزر البليار ونصرة بني زيري، وأشرت إلى أن قوة المرابطين وفرت الحماية للمغرب والأندلس، وبتراجعهم ثم بسقوطهم تعرضت جميع مدن الساحل المغربي للغزو والاحتلال.

وأخيرًا موقف الدولة الحمادية من الغارات النورمانية لسواحل ومدن المغرب الأوسط مع مطلع القرن 6هـ / 12م، كما أشرت إلى مظاهر العدوان، وإلى استراتجية الدفاع التي تبناها الحماديون في مواجهة الاعتداء ورده خاصة في الجهة الوسطى والغربية للدولة.

وخصصت للفصل الخامس الذي عنوانه « **التواصل الثقافي والحضاري بين القطرين** »، عرضت فيه أشكال التواصل بين النورمان وسكانة بلاد المغرب، فقد ترك استقرار النورمان بصقلية ثم احتلالهم لبلاد المغرب ــ مع قصر المدة التي قضوها ــ ونتيجة الاحتكاك الحضاري، حصل تبادل ثقافي، تمثّل في حركة انتقال العلماء والأدباء والتآليف، وآخر حضاري تمثل في نُظم الحكم والإدارة، وسك العملة والمحاكاة العمرانية، تعكس بُعد التواصل بين الشعبين النورماني والمغربي، فحاولت جاهدًا جمعها وإبرازها.

وخلصت في الخاتمة إلى ذكر النتائج التي توصلت إليها، خاصة ما يتعلق بصور التقارب الثقافي والحضاري.

وفي الأخير أنهيت الدراسة بمجموعة من الملاحق تضمنت ورسائل ونصوص وخرائط موضحة لمضمونها، ومدعمة لما تم التطرق إليه.

المنهج:

اعتمدت في دراستي هذه على مجموعة من المناهج منهاالمنهج التاريخي؛ وذلك بعرض الوقائع والأحداث والإشارة إلى المميزات والخصائص للحدث المراد دراسته، مع مراعاة السياق التاريخي، وضبط الإطار الزمكاني، محاولاً نقل تصوّر القارئ إلى فترة محل الدراسة وكأنه جزءًا منهامع الاعتماد على التحليل، مثل تحليل أهم الأسباب التي دفعت بالنورمان لهجرة أراضيهم، والبحث عن وطن جديد، والظروف التي ساعدت النورمان في احتلال بلاد المغرب، ثم الربط والتفسير للوصول إلى نتائج سليمة، ومن ذلك وصف أحوال بلاد المغرب قبل أن يطرقها النورمان، ثم وصف الموجات الغازية وحالة الأهالي من هذه الغارات، وردود أفعالهم، والنتائج المترتبة عن هذا الغزو.

ووظفت هذا المنهج في قسم خاص بالتواصل الحضاري التي تقل فيه المادة التاريخية بجمع المعلومات وتحليلها ووصفها، وذلك عند عرض رحلات العلماء بين القطرين ومظاهر التأثير والتأثر في جزئيات منفصلة، مما حتم علينا الاستقراء والاستنباط، ثم تركيب تلك الجزئيات لنقف على معنى تاريخي متماسك وتفسيرات مقنعة.

إضافة إلى المنهج الاستقرائي؛ القائم على تتبع الجزئيات المشتركة في معنى معين لا تختلف عنه، حيث تم استقراء الأحداث التاريخية من مصادرها، وتتبع جزئياتها المشتركة لإحداث ربط بينها، وذلك بتحديد الأهداف الدافعة إلى الغزو عند تنفيذه، والكشف عن طبيعة العلاقات النورمانية المرابطية والحمادية، وأشرت في نهاية كل فصل إلى عرض النتائج بشكل متسلسل وفق ترتيب للأحداث التاريخية.

مصادر أساسية (عرض وتحليل):

تنوعت بين مصادر تاريخية وجغرافية، ومراجع أجنبية، وموسوعات، ودوريات، ورسائل علمية، وهي مرتبة حسب الأهمية بالنسبة للموضوع، وفيما يأتي عرض وتحليل لأهم هذه المصادر:

أولاً: كتب الحوليات التاريخية

1 .« تاريخ افتتاح الأندلس » لمؤلفه ابن القوطية أبي بكر محمد القرطبي (ت 368هـ/977م)[1]:

تناول فيه صاحبه مجموعة من الأخبار عن أمراء الأندلس منذ الفتح وحتى وفاة الأمير عبد الله بن محمد، حيث حصلت الاستفادة منه في تعداد أوصاف المجوس وغزوهم للبلاد الأندلسية.

---

[1] تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989.

2 . « المقتبس في أنباء الأندلس » لمؤلفه ابن حيان القرطبي (ت 469هـ /1076م)[1]:

من أشهر مؤلفات التاريخ الأندلسي، تناول فيه الفترة الزمنية منذ الفتح حتى القرن الرابع الهجري، حيث اقتبس فصولاً كاملة عمن سبقه أخذًا مباشرًا، ومن أمثالهم أحمد بن محمد الرازي (ت 344هـ / 955م)، وعيسى بن أحمد الرازي (ت 379هـ / 989م) الذي أسماه بصاحب التاريخ، وامتاز بدقة الروايات التي ينقلها وعمقها.

وانتفعت به في معرفة أصل النورمان وغاراتهم على الأندلس في عهدي عبد الرحمن الأوسط (206 ــ 238هـ /822 ــ 853م)، والحكم المستنصر (350 ــ 366هـ / 961 ــ 976م)

3 . « الكامل في التاريخ » لمؤلفه ابن الأثير عز الدين أبو الحسن الشيباني الجزري المتوفى (ت 630هـ /1280م)[2]:

يعتبر كتابه ذو أهمية كبيرة بالنسبة للبحث، ومصدرًا لا غنى عنه في إيراد تفاصيل غزيرة وبيانات واضحة لم ترد عند غيره، وما غلب عليه من الصفة العلمية والاتزان، فهو يتضمن أدق التفاصيل، وينفرد بالكثير من الحقائق عن غيره، وأورد الأحداث والوقائع التاريخية بشيء من الإيجاز وبأسلوب سهل ومشوق، رغم اقتصاره على التاريخ السياسي دون التعرض للمظاهر الحضارية، وهي سمة غلبت على تأريخه كله.

وقد اعتمدت على أجزائه السابع والثامن والتاسع منه، حيث أفادني في معرفة وضع صقلية المضطرب خاصة في عهد وليام الأول (548 ــ 560هـ / 1154 ــ 1166م) ووزيره مايوني بن باريMaio Ma Jone، وعرض أحداث غزو النورمان لبلاد المغرب.

4 .« البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » لمؤلفه ابن عذاري المراكشي (ت 712هـ/1312م)[3]:

مؤلفه من المؤرخين المغاربة الذين عاصروا الحكم الموحدي، والمؤلف يتكون من أربعة أجزاء راعى فيه صاحبه التسلسل الزمني في إيراد الأحداث مع إيجاز في القول،وقد زوّد الباحث بمعلومات قيمة عن الأحداث السياسية والإقتصادية، خاصة في جزئيه الأول والثاني عند دراسته للفصل الأول المتعلق بتحديد أصل النومان وغزوهم للسواحل الأندلسية، والفصل الثالث الذي تناول دور الموحدين في تحرير بلاد المغرب.

---

[1] تحقيق: محمود علي المكي، وزارة الأوقاف،القاهرة، 1994.

[2] مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 2003..

[3] تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، 1983.

5 .« نهاية الأرب في فنون الأدب » لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ /1333م)[1]:

مؤلف موسوعي ذو قيمة أدبية وتاريخية، يمتاز بالإيجاز والإختصار والسلاسة في عرض الأحداث والوقائع، ينقل عن ابن الأثير، إلاّ أنه انفرد عن غيره في بعض من الحقائق التاريخية.

وقد اعتمدت على الجزء الرابع والعشرين منه؛ الذي تناول تاريخ صقلية في عهد الأسرة الكلبية، والصراع الفاطمي الزيري بعد القطيعة المذهبية والسياسية، وفي عرض أوضاع بني زيري إثر الهجرة الهلالية، ومجريات غزو النورمان لمدن الساحل الإفريقي، وامتداد الموحدين على بلاد المغرب وتحريرها.

6 .« المعجب في تلخيص أخبار المغرب » لمؤلفه عبد الواحد المراكشي (ت في النصف الثاني من القرن7هـ / 13م)[2]:

عاش صاحب المؤلّف في كنف الدولة الموحدية وعاصر بعضًا من أحداثها، ورغم ما يعاب عنه من إشارات سطحية في تأريخه للأحداث السياسية بالمغرب والأندلس، إلاّ أنه يعد من أهم المصادر التي ساعدت الباحث وبخاصة في الفصل الثالث من الوقوف على ما تعلق بالإعتداءات النورمانية على مدينة سبتة زمن الحكم المرابطي، ودور الموحدين في تحرير مدن المغرب من السيطرة النورمانية، وفي رسم بعض صور علاقاتهم الإقتصادية مع النورمان.

7 .« كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر »لمؤلفه ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م)[3]:

يطابق ابن الأثير في النصوص مع بعض التغيير في التعبير، ويفهم من هذا أنهم استقوا معلوماتهم من إحدى الكتب المفقودة، وقد استفدت من جزئيه الرابع والسادس في تتبع وعرض الأحداث المتعلقة بالهجرة الهلالية لبلاد المغرب وأثرها على الوضع السياسي والإقتصادي، وبتاريخ دولة بني زيري حيث أشار إلى صراعهم مع النورمان، وفي علاقاتهم ببني حماد، وفي التعريف بالقبائل البربرية والعربية، وأخيرًا إبراز مظاهر التواصل الحضاري.

بيد أنه ينفرد بمعلومات تتعلق بالإشارة إلى التنظيمات المالية التي أقرها النورمان في حكمهم لبلاد المغرب نص عليه بمصطلح « الجزية » كثيرًا ما أهملتها باقي المصادر.

---

(1) تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، د.ت.

(2) تحقيق: محمد سعيد العريان، الكتاب الثالث، د.ت.

(3) ضبط المتن والحواشي: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان، 2000.

ثانيًا: كتب الرحلة والجغرافيا:

وهي مجموع ما شاهده أو سمعه الرحالة الجغرافيون وقيّدوه في مصنفاتهم، وأفادت الدراسة في التعريف بالمدن والأمصار التي تناولتها، ومعرفة الأوضاع السياسية والإقتصادية وأهمها:

1 .« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » لمؤلفه أبي عبد الله محمد الشريف الإدريسي (ت 548هـ/1154م)[1]:

يعتبر مصنفه مصدرًا جغرافيًا مهمًا في العصور الوسطى حيث يتعرض فيه للمدن، ويسرد التفاصيل المتعلقة بها بتحديد موقعها وطبيعة أهلها، ويعطي شذرات عن الأحداث التاريخية.

وقد أفادني كون صاحبه شاهد عصره في التعريف بمدن صقلية وبلاد المغرب، وفي معرفة الأوضاع الإقتصادية والحضارية، وفي جوانب عن الأحداث السياسية بتتبع غزوات النورمان لبلاد المغرب، وإن كانت مختصرة، وإلى ميل أصحابها إلى مدح صاحب وولي نعمته روجار الثاني (495 ـ 548هـ / 1101 ـ 1154م)، كما استفدت منه في وصف بعض المدن والتعريف بها.

2 . « معجم البلدان» لمؤلفه ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ/1229م)[2]:

تناول فيه صاحبه التعريف بالبلدان والمدن والتضاريس، قسمه إلى خمسة أجزاءمرتبة على أساس الحروف الهجائية، وقد أفادني في التعريف بالمدن ووصفهاسواءًكانت أندلسية أو مغربية، ويتعدى في كثير من الأحيان الإشارة إلى الأحداث التاريخية المهمة.

3 .« رحلة التجاني» التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد(ت 721هـ / 1321م)[3]:

من أهم كتب الرحلات التي استفدت منها خاصة فيما تعلق بعرض أحداث صقليةوعلاقة بين النورمان بالزيريين، وتفاصيل الغزو النورماني لبلاد المغرب، والسياسة التي انتهجها النورمان في الحكم، وعن عمليات وتفاصيل تحرير عبد المؤمن بن علي للمهدية وموقفه اتجاه النورمان اللذين طلبوا الأمان بعد إطالة الحصار وانفرد عن غيره بالكثير من الروايات والتفاصيل للأحداث والوقائع.

---

[1] مطبعة بريل، ليدن، 1866.

[2] دار صادر، بيروت، 1977.

[3] تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.

4 .« كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار » لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 866هـ/ 1461م)[1]:

وهو معجم جغرافي لمدن المغرب والأندلس، يتضمن أخبار جغرافية وتاريخية تتعلق بتاريخ المدن، أمدنا بمعلومات هامة حول التعريف بالمدن، وأخذ لمحة عن تفاصيل بعض الأحداث السياسية في الإشارة إليها وبمصادرها.

5 .« كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار» لمؤلف مجهول من القرن السادس الهجري[2]:

أسعفتنا النصوص الواردة به على كشف النقاب حول الحياة الإقتصادية والإجتماعية لأقطار المغرب الإسلامي، وعلى وجه الخصوص التعريف بمدنه بوصف أحوالها ومميزاتها الطبيعية والجغرافية وخيراتها ونتف من الأحداث السياسية.

ثالثًا: المصادر الأدبية

تميزت كتابات مؤلفيها بالسلاسة والإيجاز وإحكام الربط والإمتاع، كون مؤلفيها شاهدوا عصرهم في الفترة محل الدراسة، وحصل وأن تنقلوا بين أقطار المغرب والأندلس.

وقد تم الوقوف على العديد من الإفادات التي أكدت على نجاعة مادتها في وصفها لمدن المغرب وخصائصها الطبيعية والبشرية، وفي التعرف على عادات النورمان وأخلاقهم ودياناتهم وفي إشارتها إلى مجريات الأحداث السياسية الحاصلة، ومن تلك هجمات النورمان على بلاد الأندلس وغزوهم واحتلالهم لبلاد المغرب، وفي الكشف عن الحياة الثقافية والعلمية بين القطرين، وبترجمتهم لعدد من الشخصيات التاريخية، وكذا تنقلات العلماء والأدباء.

كان من أهمها « **ديوان ابن حمديس** »[3] لمؤلفه ابن حمديس عبد الجبار الصقلي (ت547هـ / 1153م)، و« **المطرب من أشعار أهل المغرب** »[4] لمؤلفه ابن دحيةعمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الفرج البلنسي (ت 633هــ/1235م)، و« **المغرب في حلى المغرب** »[5] لمؤلفه ابن سعيد المغربي أبو

---

(1) تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت ــ لبنان، 1984.

(2) نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986.

(3) تصحيح وتقديم: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

(4) تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، مراجعة: طه حسين، دار العلم للجميع للنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، 1955.

(5) تحقيق: شوقي ضيف، ج1، ط4، دار المعارف، القاهرة،1993.

الحسن علي بن موسى بن عبد الملك (ت 685هـ / 1286م)، و« **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** »[1] لمؤلفه المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ / 1631م).

رابعًا: الدراسات الحديثة

حظي تاريخ الغرب الإسلامي عناية بعض الدراسات في محاولة منها استثارة مختلف نصوص مصادره بإسعاف جوانب من قضاياه السياسية والإجتماعية، إلا أنها لم تتمكن من رسم صورة متكاملة عن الأبعاد الثقافية والحضارية في علاقة النورمان بدوله، لتكون وثائق تاريخية هامة يمكن الإستفادة منها، أهمها:

1 .« تاريخ صقلية الإسلامي » لمؤلفه أحمد عزيز[2]:

يستعرض فيه صاحبه التاريخ السياسي والحضاري للعرب في صقلية التي تقارب قرنين ونصف القرن من الزمن، حيث أفادني المؤلف في معرفة أوضاع صقلية زمن الولاة الكلبيين، وعند سقوطها في يد النورمان، وفي معرفة حضارة صقلية النورمانية وفي علاقاتها مع دولة بني زيري.

2 .« الدولة الصنهاجية »لمؤلفه الهاديروجي إدريس[3]:

تناول فيه تاريخ دولة بني زيري في جزئين، معتمدًا على جملة من المصادر أهمها ابن الأثير وابن خلدون وابن عذارى ورحلة التجاني، وقد تميز منهجه بذكر الروايات على اختلاقها إلى درجة نقلها في أحيان حرفيا، ثم .بمقارنة هذه الروايات ببعضها وإبراز ما بينها من تناقضات وتجاذبات، وهو ينم عن إلمامه بالموضوع المطروق وتشبعه بروح نقدية عالية، وحرص على العلمية والتحري فيما ينقل.

وقد اعتمدت على الجزء الأول من كتابه في تتبع أحداث سقوط صقلية ومراحل الغزو النورماني لبلاد المغرب، ورغم مبالغاته في وصف أثر الهجرة الهلالية، إلا أني استفدت من آرائه واستحسنت تدخلاته وتعليقاته مبرزًا إياها في بعض الأحيان.

3 . علاقة نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال إفريقيا خلال القرن6هـ / 12م، لمؤلفه مصطفى الجندي جمعة محمد[4]:

نظرًا لاعتمادها على مصادر أجنبيةأصيلة، تم الإعتماد عليها في رسم الإطار العام للموضوع، فقد تنوعت مادتها المصدرية بين التوظيف والتحليل، مما جعلتها محيطة بعناصر البحث، خاصة ما تعلق بالمظاهر الحضارية والعمرانية.

---

[1] تحقيق: عباس إحسان، دار صادر، بيروت، 1988.

[2] ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1980.

[3] ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـــ لبنان، 1992.

[4] حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، كلية التربية، جامعة عين شمس، الحولية الثالثة والعشرون، 1423ه /2002م.

4. « تاريخ أوربا في العصور الوسطى » لمؤلفه سعيد عبد الفتاح عاشور[1]:

كتاب يتناول فيه صاحبه أوضاع أوروبا خلال العصور الوسطى، ويبدأ فيه بقيام الإمبراطورية الرومانية وسقوطها على يد القبائل البربرية ودخول الإسلام، وغزو النورمان لغرب أوروبا وجنوبها، ويفصل في صراع الإمبراطورية البيزنطية والبابوية.

واستفدت منه في الفصل الأول في التعريف بالنورمان وبقبائلهم، وغزوهم لإنجلترا وفرنسا وسواحل الأندلس، وفي الأسباب التي دفعتهم إلى التوسع، وعرض الجوانب المتعلقة بحضارتهم.

خامسًا: الدراسات الأجنبية

حصلت الإستفادة منها خاصة في الفصل الأول والثاني من الدراسة، فيما تعلق بإعطاء تعريف عام بالنورمان وتحديد موطنهم وأقسامهم وأبرز خصائصهم وصفاتهم، ونظامهم الإجتماعي ومعتقداتهم، ثم في غزواتهم لسواحل أوروبا والأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، وهجماتهم على بلاد الأندلس، وفي معرفة حركتهم التوسعية في جنوب إيطاليا وتأسيس دوقية إيطاليا، واحتلال صقلية وتأسيس دولتهم بها، وفي الكشف عن صور العلاقات التي جمعتهم مع بني زيري قبل الغزو والاحتلال.

ومن هذه المؤلفات نذكر:

1 ـــ « **تاريخ الدول الاسكندنافية** »[2] لمؤلفه Auguste Geffroy.

2 ـــ « **مدنية النورمان في صقلية** »[3] لمؤلفه Christian Marquant.

3 ـــ « **النورمان في صقلية** »[4] لمؤلفه Tommas Indelli.

4 ـــ « **تاريخ العصور الوسطى** »[5] لمؤلفه Contor Norman.

5 ـــ « **أبحاث في التاريخ الإسباني خلال العصور الوسطى** »[6] لمؤلفه Dozya Reinhart.

6 ـــ « **تاريخ الحكم النورماني في إيطاليا وصقلية** » لمؤلفه شالندن فرديناند Fedrinand chalondon[7].

---

[1] مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959.

[2] **Histoire des Etats Scandinavie**, librairie Hachette, Paris, 1851.

[3] **La civilisation normande de Sicile**, voyagesculturelles Février 1990.

[4] I Normanni in Italia.

[5] **Medieval Hisotry**, The Macmillan Company, New York, 1964.

[6] **recherche sur L'Histoire et littérature de L Espagne**, pendant le moyeenage leyden, 18 Gotome.

[7] **Histoire de la domination normande en Italie et en sicile**, 2volumes, Paris,1907.

الدراسات السابقة:

1 . العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان منذ وفاة الملك روجر الثاني إلى سقوط المملكة 1154 . 1194م، للباحث رشيد تومي[1]:

استفدت منها في الفصل الأول المتعلق بالتواجد النورماني في جنوب إيطاليا وصقلية والنتائج المترتبة عن ذلك، وفي الفصل الثالث باحتلال النورمان لبلاد المغرب والانتفاضات التي حدثت وتدخل الموحدين.

2 . العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا مابين (1017 . 1154م) للباحث رشيد تومي[2]:

نظرًا لاعتمادها على الدراسات الأجنبية باللغة الإيطالية، ولتقاطعها مع موضوع الدراسة، فقد أفادتني في التعريف بالنورمان ودوافع تحركهم ومراحل احتلالهم اتجاه بلاد المغرب، والانتفاضات التي حدثت من طرف مدن الساحل المغربي.

3 . الغزو النورماني لفرنسا وإسبانيا للباحث العيفة عبد الوهاب[3]:

حصلت الإستفادة منها في الفصل الأول المتعلق بالتعريف بالنورمان وقبائلهم ودوافع تحركاتهم وغاراتهم على بلاد الفرنجة وشبه الجزيرة الأيبيرية والنتائج المترتبة عن هذا الغزو.

4 . مقاربة اجتماعية وثقافية للعالم النورماني للباحث Fernández Perals Álvaro[4]:

أشارت الدراسة إلى صفات النورمان وخصائصهم وإلى نظمهم الإجتماعية، وأهم نشاطاتهم ومناطق تحركاتهم في أوروبا وبلاد الأندلس، كما تضمنت معلومات قيمة في عرض تفاصيل رحلة يحيى بن الحكم المعروف بالغزال إلى البلاط النورماني.

---

(1) أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2006م.

(2) رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987م.

(3) رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة باتنة، 2013 ــ 2014م.

(4) Fernández Perals, Álvaro **:Los VikingosUniversidaddeAlmeria**, Trabajo Fin de Grado, La recepción del mundo vikingo, una aproximación sociocultural, Convocatoria, Septiembre, Tutora - García Pardo, Manuela.

4 . الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (206 . 232هـ / 822 . 854م)، للباحث ميلود بلحاج[1]:

نظرًا لتغطيتها حقل الدراسات الأندلسية في فترة مهمة من تاريخ الأندلس زمن تعرضها للغزو النورماني، فقد أفادتني في الفصل الأول المتعلق بالتعريف بالنورمان وتاريخهم وقبائلهم وطبائعهم وغاراتهم على أوروبا وبلاد الأندلس، ومواجهة المسلمين لهم زمن الإمارة في عهد عبد الرحمن الأوسط(206 ــ 238هـ /822 ــ 853م).

صعوبات الموضوع:

لعل من أهم الصعوبات التي واجهت الباحث نلخصها فيما يلي:

ــ الإيجاز في عرض الأحداث والوقائع واقتضابها مما يصعب الإحاطة بالموضوع، وترتيبه وفق النسق التاريخي العام وتحليلها واستخلاص النتائج على ضوئها وأذكر على سبيل المثال النصوص التي أوردها ابن القوطية في مؤلفه « **افتتاح الأندلس** »، وابن خلدون في « **كتاب العبر** »، والتي لا تتعدى بعض الأحيان عددًا من الأسطر، وحاولت الرجوع إلى آراء الباحثين وتعليقاتهم والاعتماد كذلك على المراجع الأجنبية والدراسات الحديثة المنشورة في شكل مقالات.

ــ التركيز على الأحداث السياسية والعسكرية وإهمال الجوانب الأخرى، وهو ما حتم علينا وحسب طبيعة الموضوع البحث عن صور العلاقات المختلفة.

ــ صعوبة قراءة واستخلاص ما ترتب عن الاحتكاك الحاصل بين الشعبين النورماني والمغربي في بُعده الثقافي والحضاري، وفي محاولة لتخطي طابع الصدام والمواجهة العسكرية الذي أخذ جانبًا كبيرًا من الموضوع، لكن المادة التاريخية المتاحة لا تسمح لرسم صورة كاملة عن العلاقات النورمانية المغربية، فهي في مجملها شحيحة ومقتضبة، وقد حاولت جاهدا الكشف عن ذلك التقارب الإيجابي، ولعل هذه الإشارات بإمكانها أن تنير الدرب، وتفتح الطريق، لدراسة الموضوع أكثر.

ولكن رغم ذلك حاولت وفق المادة العلمية المتوفرة مراعاة الترتيب الزمني للإحداث وإبراز علاقة النورمان بالكيانات السياسية الحاكمة لدول الغرب الإسلامي تقاربًا وصدامًا، حيث يتسع مجال البحث وفق ما يقتضيه العنوان العام للدارسة.

هذا وقد حاولت جاهدًا إيجاد نسق للموضوع المعالج، مراعيًا ترتيب الأحداث والوقائع زمنيًا، وربط عناصره بين أفكاره وفصوله.

---

[1] رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2007 ــ 2008م.

ورغم ما قيل في هذه الدراسة، فالموضوع لايزال يحتاج إلى مزيد من البحث والإثراء، وما هو إلا بمثابة خطوة متواضعة للإجابة على بعض التساؤلات المثارة حول النورمان وعلاقاتهم بدول الغرب الإسلامي.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور مفتاح خلفات، الذي تكرم بتأطيره هذا العمل بنفس طويل، وعلى جميل صبره وتحمله في استقراء مادته وترتيبها على أسس منهجية صحيحة.

كما لا يفوتني أن أعترف بالشكر والتقدير الجزيل للجنة العلمية الموقرة على قبولها وتكرمها لمناقشة هذا العمل، وعلى جميل تصويباتها وتصحيحاتها.

الفصل الأول

النورمان توسعاتهم
في أوروبا والأندلس

المبحث الأول:أصل التسمية والموطن الجغرافي

المبحث الثاني : الأسباب الدافعة للتوسع

المبحث الثالث: توسعاتهم في أوروبا

المبحث الرابع: توسعاتهم في الأندلس

المبحث الأول: أصل التسمية والموطن الجغرافي

النورمان لفظة محرفة عن اللفظة اللاتينية « Northmen »، وهي كلمة مؤلفة من اسمين؛ « Nord »، أي: شمال، و« Manni »، أي: رجل، و« Mann North »، وتعني: رجال الشمال[1]، وكما تعني سكان الشمال، والواقع أن هذا الاسم يطلق على مجموعة الشعوب التي سكنت شبه جزيرة « اسكندنافية Scandinavie »[2]، وحوض بحر البلطيق، وهم من الجنس النوردي الذي ظل محافظًا على عاداته بحكم تطرف موطنهم في أقصى الشمال الغربي من أوروبا، و لم يتأثروا بالمؤثرات اللاتينية[3].

لقد أطلق عليهم المؤرخون والجغرافيون المسلمون، وخاصة الأندلسيون اسم « الإردمانيين »، وأحيانًا « المجوس »، والتسمية الأولى محرفة من لفظة « النورمانديين » وفقًا لعادة الأندلسيين في قلب النون إلى همزة، أما الثانية فقد أطلقها المسلمون عليهم لأنهم كانوا يشعلون النار في كل موضع يمرون به، أو في غزواتهم وفي البلاد التي يحلون بها[4].

وكان استعمالهم للنار بغرض التدفئة، أو الاستئناس بها في معسكراتهم ليلاً، ولإثارة الرعب في قلوب من يغيرون عليهم، أوعن حرق زعمائهم الموتى بسفنهم، فغلب على ظن المسلمين أنهم من عبدة النار

---

(1) أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص348، 349.

(2) أطلقها المؤرخ الروماني بيليني على أرض السودين باسم « سكنديا Scandia »، ثم عمم على شبه الجزيرة ومصطلح « إسكندينوة » يضم فروع النورمان، وهي النرويج والسويد والدنمارك وفنلندا، و لم تكن هذه الجزيرة بمعزل، فقد كانت مناطقها على اتصال، فالسويد تتصل عبر بحر البلطيق بالشاطئ الشرقي لهذا البحر، وبفضل الخلجان ومصبات الأنهار تنفتح على السهل الروسي، أما الدنمارك لموقعها الجغرافي فقد لعبت دورًا وسيطا بين البلطيق وبحر الشمال، وفتحت شواطئ النرويج الشرقية والغربية الباب لتقبل المؤثرات الخارجية. لمزيد من التوسع، لمزيد من التوسع ينظر: ويل ديورانت: **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968، ج2، ص308. نور الدين حاطوم: **تاريخ العصر الوسيط في أوربة**، ط1، دار الفكر، لبنان، 1986م، ج1، ص383.

ـ Hubert Houben**:** DIENormannen Verlag C.H Beck München, 2012, Normannische Ritter auf dem Teppich Centre Guillaume le Conquérant, Bayeux, P: 8.

(3) Norman Contor: **Medieval Hisotry**, The Macmillan Company, New York, 1964, P: 121.

(4) ابن القوطية: المصدر السابق، ص78.ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص87.

وابن الآبارأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م):**الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج2، ص372.عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، 1969، ص152.عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ط2، دار القلم، دمشق ــ سوريا، 2008، ص241، 242.

كالزرادشتية[1] والمجوس، فأطلقوا عليهم اسم المجوس[2]، ولا يستبعد أن يكونوا حقًا من عبدة النارلأنهم آنذاك لم يكونوا على دين النصرانية، وكانوا أقوامًا وثنيين وعبادتهم لقوى الطبيعة المختلفة[3].

وأورد ابن دحية (ت 633هـ / 1235م) نصًا صريحًا في عبادتهم للنار أثناء سفارة يحي بن الحكم المعروف بالغزال إلى النورمان، وتخليهم عنها إلى اعتناق النصرانية بقوله: « وهم اليوم على دين النصرانية، وقد تركوا عبادة النار، ودينهم الذي كانوا عليه »[4]، وهو ما يبدوا أن النورمان قد أفرطوا من إضرام النار، ولذا أجمعت المصادر الإسلامية تسميتهم بالمجوس، وأنهم من عبدة النار.

ولعل ما يؤكد ذلك أن الجيوش والغزاة في استعمالهم للنار بصورة تكررت كثيرًا في التاريخ، وأصبحت من الأدوات الشائعة والمتعارف عليها، لكن لم تطلق على تلك الأمم مجوسًا[5]، ونعتتهم المصادر الإسلامية بالكفار والمشركين[6].

ويجمل الباحث فيرنانديز بارز Fernández Perals في إطار ما أشارت إليه المصادر، أن ديانة النورمان وثنية مرتبطة بالقسوة والوحشية، لكنهم اعتنقوا المسيحية في الأخير، وكان زعماؤهم أول من

---

[1] أصحاب زرادشت بن بورشسب، الذي ظهر في زمان كشتاسف ابن لهراسب الملك، وأبوه كان من أذربيجان، وأمه من الري، وزعموا أنّ لهم أنبياء وملوكا، لهم مزاعم عديدة منها؛ أن موسىعليه السلام ظهر في زمانه، وظهر في زمانه زراديشت الحكيم، كما زعموا أن الله تعالى خلق ما قبل الصحف الأولى وغيرها. ينظر: الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ / 1154م): **الملل والنحل**، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، 1992، ج2، ص265، 266.

[2] ابن فضلان أحمد بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي (ت 309هـ / 921م): **رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلد الترك والخزر والروس والصقالبة (309هـ / 921م)**، تحقيق: سامي الدهان، دار صادر بيروت، د.ت، ص155.عبد المجيد نعنيعي: **تاريخ الخلافة الإسلامية في الأندلس التاريخ السياسي**، دار النهضة العربية، بيروت ـــ لبنان، د.ت، ص221، 222. أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص 138.

[3] عبد الله عنان محمد: **دولة الإسلام في الأندلس**، ط4،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ج1، ص259. إبراهيم بيوض: **الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة**، ط3،دار النهضة العربية، 1986، ص246.

[4] ابن دحية،المصدر السابق، ص140.

[5] فاطمة بنت حادي بن يحي الحجي السفياني: **غارات النورمان الدانيين على أراضي دولة الفرنجة وبلاد الأندلس في عصري الإمارة والخلافة**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2002، ص40.

[6] ابن الدلائي أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري الأندلسي (ت 478هـ / 1085م): **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، معهد الإسلامية، مدريد، د.ت، ص119. ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص132.

اعتنقوها لأسباب سياسية تتعلق بالحصول على السلطة في أوروبا وامتزجت مع الرغبة في القطاعات الشعبية الواسعة التي فضلت الحفاظ على دينهم لفترة طويلة[1].

أما الدراسات الحديثة فقد أوردتها بأسماء متعددة منها « النورمان » أو « النرمانيون »[2]، أو « الفيكنغVikingos »، وأصبحت تتداول منذ القرن التاسع والعاشر الميلاديين، وهي مشتقة من الكلمة النرويجية « فيك Vike »، والتي تعني الخليج أو « الفيرود Fiord »، أي سكان الفيرودات أو الخلجان الصغيرة، وقد أطلقت عليهم هذه التسميات لأنهم يسكنون شبه جزيرة إسكندناوة المليئة بالخلجان،والتي تميزت بها شواطئ الجهات الغربية لأوروبا.

وهم ينقسمون إلى ثلاث مجموعات وهم؛ السويديون « Swardes »[3] والنرويجيون « Norvegien »[4] والدانيون «Danees »[5]، ويعودون إلى أصل جرماني، وهذا التقسيم لا يحتم وجود فوارق بينهم، وإنما يطلق على الجماعات التي سكنت الأجزاء الغربية، أو الشرقية من جزيرة اسكندناوة، أو شبه جزيرة الدنمارك، والأوربيون أنفسهم لم يميزوا بسهولة بين فرورع النورمان التي سكنت هذه المناطق منذ أزمان موغلة في القدم [6].

---

[1] Fernández Perals, Álvaro: Op.cit, P: 37.

[2] حسين مؤنس: **موسوعة تاريخ الأندلس**، ط3، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996، ج1، ص342.

[3] مواطنهم في السويد الوسطى في المنطقة التي يتألف وسطها من بحيرة ميلار. ينظر: نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج1، ص382.

[4] مواطنهم على طول الشاطئ الغربي لشبه الجزيرة الإسكندنافية، شمل نشاطهم جزر شتلاندوأوركني، وجزيرة مان، واسكتلندا وإنجلترا وايرلندا، وتعرضت هذه المناطق لغزوهم ابتداءً من نهاية القرن 8م. ينظر:

ـ Salvador Alaimo: **Vikingos Boietin del Centro Navaal**, Numero 821, jul, SEP de 2008, P: 291 ـ 301.

[5] مواطنهم الجزر الواقعة غرب البلطيق وجوتلاند وجنوب السويد الحالية (هاللاند، سكانيا، بليكنغ)، ويرجع أصل التسميةالتي أطلقها أهلها عليها Deun Maerk، وتعني الأرض المنخفضة،وهناك من أرجعها إلى الملك الذي حكمها خلال القرن الثالث الميلادي دان ماكيلاتي Dan Makillati. ينظر: نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج1، ص382.

[6] أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص138. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ج2، ص174 ــ 176. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص2، 3.انتصار محمد الدليمي صالح: المرجع السابق، ص99.

ومحمود سعيد عمران: **معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، مصر، د.ت، ص231.

1. مميزات النورمان:

ظل النورمان بعيدين عن المؤثرات اللاتينية رغم أصولهم الجرمانية، وذلك لتطرف وضعهم الجغرافي في أقصى المناطق الشمالية لأوروبا، وقد خلق نوعًا من العزلة لزمن طويل[1]، وكانوا بدائيين برابرة محافظين على أوضاعهم[2].

وعرف النورمان بإسرافهم في القتل والدموية، وتعدد الزوجات، وارتكاب الرذائل، وكانت إغاراتهم مصحوبة بالعنف والسلب والنهب، ولم يتورعوا في نهب الكنائس والأكليروس[3]، فأشاعوا الفوضى، ودنسوا الأماكن المقدسة ودمروا العمران،وأخذوا ما وجدوه من كنوز داخل الكنائس، وكانت الأديرة غير محمية حيث تعرض الكهنة للقتل، واقتاد بعضهم في سلاسل،كما شنوا هجمات عنيفة وسريعة على العديد من المستضعفين[4].

وقد ظهر النورمان في القرن 2هـــ / 8م، كقوة من حيث البنية التنظيمية والمادية وبرزوا في حروبهم بمظهر القوي المتسلط، واتسمت معاركهم بالقسوة والوحشية، وانتهكوا المحارم وأظهروا الهمجية عند التغلب، ووصل بهم الأمر إلى بقر بطون الراهبات، والتنكيل بالرجال والأطفال، فأثاروا كراهية جميع الشعوب التي حاربتهم[5].

ولأنهم كانوا وثنيين يعبدون قوى الطبيعة كالشمس، وكانت حرفتهم ممارسة القرصنة[6] ولصوصية البحر معتمدين على عنصر المفاجأة في إغاراتهم[7]، وعرفوا طوال حياتهم بحب المغنم والانتهازية[8]، وهذا من أجل الحصول على الثروة والمال التي حولتهم إلى نبلاء محترمين في بلادهم، وتحركوا في مجموعات صغيرة

---

(1) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص15.

(2) Geffray, A: **Histoire des Etats Scandinavaiem librairie Hachette**, Paris, 1951, P: 38.

(3)سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 174.محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص231.

(4) FernándezPerals, Álvaro: op.cit, P: 6.

(5) Haskins, CH: **the Norman in Eurpsent History**, am bridge Mass, 1915, P: 14, 15.
Alheydis Plassmann, Die Normannen, Erobern – Herrschen – Integrieren, Stuttgart, 2008, P: 1.

(6) تعتبر شكلا من أشكال الاحتجاج الإجتماعي خروجًا من مجتمع قائم على الظلم، إلى مجتمع تنظمه علاقات تعسفية وتتحكم فيه مؤسسات جائرة، أوهي السعي لتحقيق نظام اجتماعي جديد. لمزيد من التوسعة ينظر: ياتسيكماوفسكي،**تاريخ القرصنة في العالم**، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008، ص8.

(7) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 174.محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص231.

(8) نور الدين حاطوم: المرجع السابق،ج1، ص 383، 384. فشر هربرت: المرجع السابق، ص119.

العدد تخضع للعديد من الزعماء يتنازعون السلطة، ويتميز المحارب المقاتل منهم بالفتوة وسِمتهم العليا تتمثل في الشجاعة والدهاء[1].

وكان العسكري فيهم قويًا الذي لا يقهر، هو ما سمح للنورمان لتمييز أنفسهم من المعارضين من الإغريق والبيزنطيين، ورغم عددهم الصغيروكثرةخصومهم، والسهولة التي كانوا يجدونها في إغارتهم، وما يميزهم الإعتراف بالهوية العرقية، والتي تعد تصور طبيعيًا للخلافة من شخص لآخر للسيطرة على المنطقة أو البلد[2].

لقد اعتمد النورمان على الغارات الخاطفة السريعة المفاجئة، وقد سميت بغارات البرق ويلجأون إليها بناء على هدفهم ولا يتركون للسكان المحليين الوقت الكافي للرد وذلك لخلق جو من الرعب والخوف ويسعى النورمان إلى الحصول على مزيد من كسب المال بأي شكل من الأشكال من خلال السيطرة والنهب، وكان الرجل النورماني المحارب يحمل مآثر حربية ومآثر تجارية وإدارية[3].

وكان الاقتصاد الاسكندينافي قائم على أساس الزراعة وتربية الحيوان، ونشاط الصيد واستخراج المعادن من الأنشطة التكميلية التي تقتضيها الحياة الفردية، وقد انظموا فيما بعد في مجموعات صغيرة مكرسة بهدف القرصنة، ومع مرور الوقت نظموا جيوشًا حقيقية، وقاموا بدور كبير ومفاجئ في الاقتصاد الغربي، وفي الاتصال مع إنجلترا وفرنسا وشبه الجزيرة الأيبيرية IberianP eninsula، وفي الجهة الشرقية مع روسيا وبيزنطة والخلافة العباسية لأنهم انتقلوا من منطقة كونها معزولة إلى نطاق دولي مفتوح قويًا اقتصاديًا[4].

كما تميز النورمان بالمكر والشغف إلى الكسب والسيادة، وأعمال أخرى توارثوها عن الأجداد من زراعة وصيد، وجمعوا بين متناقضين اثنين هما حب المغنم والسخاء، والتوفيق بينهما، وكانوا إلى جانب ذلك يجيدون التملق واصطناع الرجال، واستخدام المبرزين في كل علم وفن، والإذعان للقانون إذا أمسكتهم يد حازمة[5].

---

(1) Iván Curto Adrados : **las invasiones Vikingas deinglaterra una PersPectiva Historiografica**, Graduado en Historia por la Universidad Complutense de Madrid (UCM), P: 4.

(2) Guèret-Lafertè**: L'Identité normande dans l'histoire de liNormantd'Aimé du Mont-Cassin** Michèle Université de Rouen Cèrèdl, P: 8.

(3) Régis Boyer**:Pour présenterles Vikings**, Clio voyages culturelles, 2016 Novembre 1999, P: 2 ـ 5.

(4) FernándezPerals, Álvaro: op.cit, P: 7 ـ 25.

(5) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ط2، مكتبة مدولبي، 1986، ص180.

ولكثرة غاراتهم على شواطئ أوروبا الأطلسية وصلوا إلى البحر المتوسط ومجاري الأنهار التي نشروا فيها الدمار والخراب، وأقاموا لأنفسهم أكثر من قاعدة عند مصاب الأنهار الكبيرة التي تقيم فيها جموعهم بصفة دائمة[1].

وكانت استراتيجيتهم في الإغارة تقسيم وحداتهم إلى مجموعات متعددة، والهجوم على أماكن مختلفة، لذا كانوا يغيرون في وقت واحد، وفي أماكن متفرقة أو متقاربة، ومهاجمة السواحل المكشوفة، والابتعاد عن الأماكن المحصنة، التي لا تسهل لهم عمليات السلب والنهب[2].

وأفضل طريقة لديهم للحصول على الثروة دون قتال هي فرض الضرائب على السكان الخائفين، ووفقوا في المجال العسكري لسببين؛ الأول يتعلق بالاعتماد على الحرب النفسية وفرض الإرهاب، والثاني يتعلق بقدرتهم على الإستيعاب، واستغلال الفرص ثم التنفيذ، وكان هدفهم مشترك يتمثل في الحصول على الأرض والثروة وهذا حسب الظروف،وقد يلجأون إلى التفاوض أو المساومة، ومن الصعوبة فصل الإسكندنافية البحتة عن الشعوبالجرمانية والسلافية[3].

2 . النورمان والمجال البحري:

كان لتأثير البيئة والطبيعة الطبوغرافية لموطن النورمان أثره الكبير في تحديد صفاتهم وطبيعتهم الفيزيولوجبة، فقد تميزت بالطابع الجبلي والأحراش الكثيفة وكثرة المستنقعات، مما كان لها دور في تشكيل نظمهم وعاداتهم، وأسلوب حياتهم ودفعتهم للعمل في البحر[4].

فكانوا أمة بحرية لهم خبرة كبيرة في التعامل معكبار الملاحين الذين ورثوا هذا الفن بعد تطويره على مر الأجيال، فأسلافهم سكنوا جغرافية مجزأة للغاية والعديد من الأنهار والبحيرات والجزر والمضايق، واشتهروا بشجاعتهم وصلابتهم، وبمهارتهم في ركوب البحر، ومقارعة أهواله وبرعوا في مغالبة قسوة الجليد والعواصف، وفي التعرف على الطرق البحرية والتيارات المائية[5].

وكان لهم معرفة بالبحر وأحواله، فطبيعتهم الجغرافية المعروفة بكثرة خلجانها، وساعدتهم على إقامة موانئ وصناعة السفن الصغيرة المكشوفة، وهي سفن حربية اتّصفت بطولها وقلة عرضها، وذات مقدمة مقوسة، وعلى جوانبها أتراس مستديرة من الخشب، والكثيفة المجاديف القليلة العمق القادرة على الإبحار

---

(1) عبد المجيدنعنيعي: المرجع السابق، ص222.

(2) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص139.

(3) Fernández Perals, Álvaro: Op.cit, P: 7 ـ 25.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص175.

(5) عبد الله عنان: المرجع السابق، ج1، ص261، 262. عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص222.

ـ Geffray, A: Op.cit, P: 38.Salvador Alaimo: Op.cit, P: 291 ـ301.

لمسافة طويلة[1]، وذات أشرعة سوداء، صالحة لعمليات الإغارة المفاجئة، وهذه السفن بإمكانها أن تدخل مجاري الأنهار، والرسُو داخل البلاد، والإغارة على مدنها[2].

كما امتلكوا سفنًا كبيرة سريعة وفعالة عرفت بالقراقير (الضفادع)[3]، وهي مراكب بحرية هائلة، وذات قلاع مربعة ذات أشرعة تتحرك من الأمام إلى الخلف[4]، وقادرة على مواجهة العواصف وتسير بسرعة كبيرة، وقد أضاف النورمان تعديلات عليها، و لم يتفوق أحد فيها، هذا إلى جانب إتقانهم لفن الملاحة، وتمرسهم، وتمكنوا من الإبحار في المحيط، خاصة بعد تحسن الأحوال المناخية[5].

وهو ما يفسر بأنّ النورمان انتقلوا من صناعة السفن الصغيرة في تحركاتهم الأولى، إلى صناعة السفن الكبيرة القادرة على الإبحار في أعالي البحار، والتي جابوا بها بحر البلطيق والمحيط الأطلسي شمالاً، والبحر المتوسط جنوبًا، واستعملوها في غاراتهم المتكررة.

كما أبحروا بهذه السفن شواطئ أوروبا من مجال بحر البلطيق حتى البحر المتوسط، وعرفوا بمهارتهم في القتال وطول باعهم في المجال البحري وشدة تسلحهم، فكان كل محارب منهم مزود بفأس ودرع من حديد وخوذة فولاذية وحربة طويلة[6]، وزرعوا الرعب في خصومهم، وكان السيف هو الأفضل بين جميع الأسلحة، وكان عندهم موضع تقدير كبير لقوته القتالية، واعتبر رمز الموقف الإجتماعي، وكلما كانت رتبة المحارب أعلى كان سيفه غنيًا بالزخرفة[7].

---

(1) نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص386. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص175.

(2) حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأعمال الفكرية دار الرشاد، 2004، ص323، 324.

(3) سفينة تحمل الزاد والكراع للأسطول، وأصل اسمها بالإسبانية كاراكا، ومنها ما هو بثلاثة ظهور طبقات، ولها ثلاثةقلاع تسير بها في الريح العاصف. ينظر: محمد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص110.

(4) الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (كان حيا سنة 541هــ/1154م):**الجغرافيا**، تحقيق: محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، بور سعيد، د.ت، ص92. موريس كين: **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 1994، ص39.إبراهيم القادري بوتشيش: **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، ط1،دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، 2006، ص161.

(5) حسن عبد الوهاب حسن: **معالم التاريخ الأوربي الوسيط**، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص123.

(6) يرى فرنانديز بيرالز ألفار أنّ الفيكنغ Vikingos ربما سوف يتخيل الكثير من المحارب شبه الوحشية من كبير القامة، مع شعر أشقر طويل وخوذة مع قرون، هذه الصورة مشوهة تمامًا وبعيدة عن الواقع التاريخي، فهو ليس اختراع الأخيرة، ولكن الأبحاث الأنثروبولوجية تفند تلك الصورة المشوهة عن المحارب النورماني، وظلت مشوهة لعدة قرون. لمزيد من التوسع ينظر:

ـــ Fernández Perals, Álvaro: Op.cit, P: 4.

(7) Salvador Alaimo: Op.cit, P: 7.

وكان من طبيعتهم حب المغامرة وركوب البحار بحثًا عن الأماكن الضعيفة غير المحصنة، واجتناب الأماكن المحصنة بوسائل الدفاع والحراسة والإغارة على السواحل المكشوفة، فكانوا دومًا أقرب إلى القراصنة منهم إلى المهاجرين المقاتلين أضفى على حياتهم نوعا من القسوة[1].

المبحث الثاني: أسباب التوسع

اختلفت تفاسير المؤرخين بشأن خروج النورمان من موطنهم شبه جزيرة اسكندناوة، وقيامهم بحركة توسعية كبيرة بإغاراتهم على أوروبا خلال القرن 8م، وقد وصِف تحركهم بالحدث الكبير والمفاجئ، وأثارت إغارتاهم إيضاحات مختلفة بشأن الأسباب الدافعة إلى خروجهم، فقد تباينت بين عوامل سياسية ممثلة في قيام المَلَكية بينهم، وتأثير العوامل الاقتصادية التي ارتبطت بممارسة النشاط، وجوانب اجتماعية بتزايد عدد سكانهم.

واختلاف هذه التفسيرات يعود إلى تباين مناطق وأقاليم شبه الجزيرة (الدنمارك، السويد، النرويج) والبيئة الجزرية الخلجانية الصعبة، وطبيعتهم النفسية وما عرفوا به، وما كان سائدًا بينهم من موروث ثقافي وعادات، وهذه التبريرات من شأنها تحديد سبب أو أسباب تحركهم، أو القول بتفاعل هذه الأسباب.

1. السبب السياسي:

جُبل النورمان على حب الحرية والإنعتاق، لم يألفوا الخضوع للقانون، وأدى نشوء الملكية بينهم في النرويج، وتركز السلطة في يد أسرة هارولد الأشقر، مما دفع بالزعماء إلى الهجرة بدل الخضوع إلى نظام لم يعتادوا عليه[2]، وجعلهم يفضلون التحرك للتخلص من الحكم المركزي للملك وتفضيل الحياة التي لا يضبطها قانون والعيش في مجتمع يبيح تتعدد النساء، وقد كان الأبناء يقاتلون مع آبائهم وأجدادهم بعنف من أجل حيازة الأرض، وهذا ما قلل من فرص الكسب وفقًا للعرف القديم[3].

ومع نهاية القرن 3هـ / 9م، عرفت الدنمارك ظهور الملكية، وقد قاوم النبلاء بشدة الملك جورم العجوزGorm le vieux، الذي عمل على توحيد الدنمارك التي كانت مقسمة إلى ستة دويلات، وقد تمكن من هزم النبلاء هزيمة ساحقة دفعت بهم إلى الاتجاه نحو البحر، وممارسة القرصنة والبحث عن مواطن جديد[4].

---

(1) ابن فضلان: المصدر السابق، ص155. عبد المجيدنعنيعي: المرجع السابق، ص 222.

وخليل إبراهيم السامرائي وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط1،دار المدار الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 2004، ص131.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص176.

(3) Alheydis Plassmann: Op.cit, P: 10, 11.

(4) ويلديورانت: المصدر السابق، ج2، ص313.

كما أن زوال سلطة الفريزيين Freesia أكبر قوة بحرية في شمال غرب أوروبا، والتي كانت تقف عقبة كؤود أمام التوسع النورماني، وقد زالت على يد شارل مارتل Martel Charlesسنة 115هـ/734م[1]، ثم شارلمان Charlemagne سنة 168هـ /785م[2]، وظهرت نواياهم في التوسع جنوبًا وغزوا أوروبا[3]، وخاصة بعد إدراك النورمان للخطر المحدق بهم، وبعد الحملات التي شنها شارلمان على السكسون Saxonny[4]، وقدموا المساعدة للسكسون في بعض مراحل الحرب، وزُج بهم وسط الصراع، وحتم عليهم الاستعداد لمواجهة الفرنجة Franks، وخشيتهم من توسعهم على حساب أراضيهم بحكم متاخمتها لأراضي الدولة الكارولنجية[5].

كما أن النورمان لم يجدوا مقاومة من طرف الغربيين للحالة السياسية الناجمة عن الصراع الدائر بين الممالك الغربية وحكم ملوك أقل كفاءة، مما دفعهم إلى البحث عن المزيد من الغنائم[6]، يضاف إلى ذلك تطور صناعة السفن، وتقدم علم الفلك لدى النورمان، وهو ما دفعهم إلى خوض غمار المغامرة في أعالي البحار[7].

---

[1] ابن بيبن بليكترود، من الأسرة الميروفنجية، تولى الحكم سنة 719م في ظل الصراع داخل الأسرة بين الحاجب والملك، وكاد الانقسام أن يعصف بمملكة الفرنجة، ووطد الحكم فقام بخمس حروب ضد الألمان والبافاريين والسكسون والفريزين، وحشد النبلاء واستعان باللمبارديين واستولى على أراضي الكنسية، وبعد توغل الجيوش الإسلامية الفاتحة بقيادة عبد الرحمان الغافقي ووصولهم إلى أبواب بواتيه في تشرين الأول عام 114هـ / 732م، وزحفهم على فرنسا وتور، استنجد أمير أكيتانيابشارل والتحم الجيشان، ووقعت المعركة وأستشهد عبد الرحمن واضطر المسلمون إلى التراجع، وأضفى عليه هذا النصر لقب ماتل Martel، أي: المطرقة. ينظر ترجمته في: نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج1، ص87. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص148.

[2] ولد سنة: 742م، من مؤسسي الدولة الكارولنجية، ومن أعماله فتح ساكس وثغور إسبانيا، وقاد عمليات حربية في بريتوريا ودوقية بينيفن، وعمليات ضد السلاف والدنمارك والمسلمون في البحر المتوسط، وفرض سيطرته على أجزاء كبيرة كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية، ونشر المسيحية في مناطق لم تصل إليها، وأقام علائق ودية مع هارون الرشيد حاكم الدولة العباسية. ينظر ترجمته في: نورالدين حاطوم: المرجع السابق،ج1، ص150 وما بعدها. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص160.

[3] سعيد ع الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص176. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا مابين 1017 ــ 1154م**، ص5.

[4] مجموعة القبائل الجرمانية التي كانت تتوغل في ماوراء الراين مشتركة الحدود مع الفرنجة، وكانت بينهم وبين الفرنجة حروب، أبرزها الحرب في عهد شارلمان Charlemagne والتي استمرت أزيد من ثلاثين سنة من 772 إلى 804م. ينظر:

ــ Depping: Op.cit, P: 63.

[5] رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا مابين 1017 ــ 1154م**، ص4.

[6] نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج1، ص 390. فاطمة بنت حادي بن يحي الحجي السفياني: المرجع السابق، ص58.

[7]رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا مابين 1017 ــ 1154م**، ص5.

وربما تبقى قراءات المؤرخين من زوايا مختلفة في محاولات الإجابة عن أسباب ترك النورمان من موطنهم، وإغارتهم المتكررة على سواحل المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، فهناك من يرد أسباب هذا التوسع إلى السبب الإقتصادي.

2. السبب الإقتصادي:

مارس النورمان في بلادهم عدة أنشطة اقتصادية ارتبطت بالبيئة الجغرافية، ومنها تربية الحيوانات وزراعة القمح والصيد البحري، إلاّ أن هذا النشاط كان تحت رحمة الظروف الجغرافية[1]، وأقاموا علاقات تجارية مع كبريات الدول، كالدولة البيزنطية، وسكان جرينلاند Groenland، وإيسلاندا Islande، فقد كانوا عملاء تجاريين للفريزيين، وعندما غزا الفرنجة Franks[2] فريزيا Freesia[3] وسكسونيا Saxonny، شل نشاطهم التجاري، وانسداد أحد المنافذ الحساسة للنورمان، أدى ذلك إلى الركود والتدهور، دفعهم إلى البحث عن مناطق جديدة، فكان غزوهم لبلاد الفرنجة والأندلس تحقيقًا لذلك[4]، وقيامهم بعمليات النهب والسلب كان يتوافق مع طباعهم أكثر من القيام بدور الوسيط التجاري، واستفادوا من احتكاكهم بالعالم ما كانوا يحصلون عليه من أرباح في معاملاتهم التجارية مع الدول الأوربية الشرقية والغربية[5].

وقد شهد القرن 2هـ / 8م زيادة التجارة حول بحر البلطيق وبحر الشمال، مما أدى إلى تطوير وانتشار مراكز التسوق في الشمال، وما حازوه من موارد، وقد دفعهم إلى المغامرة والمشاركة في الحملات البعيدة في سبيل النهب والسلب وأعمال القرصنة[6]، وخاصة بعد إطلاعهم بوجود كنائس وأديرة وأنّ

---

(1) نور الدين حاطوم: المرجع السابق ص385.

ـ Alheydis Plassmann: Op.cit, P: 12, 13.

(2) من الشعوب الجرمانية ظهروا على مسر الأحداث التاريخية بعد القرن 3م، وهم ينقسمون إلى الفرنجة « الساليون »، أي: البحريون، و« الريبوير »، أي: البريون و« الشاماف »، وقد احتلوا أواخر القرن الثالث الأراضي الواقعة بين نهر الراين الأدنى ونهر الماين، وأقدم ملوكهم كاوديون الذي جرت بينه وبين القائد الروماني أئسيوس الواقعة التي دحر فيها، إلا أنه أعاد الكرة وسيطر على منطقة كامبريه وسيطر على نهر السوم. ينظر: نورالدين حاطوم: المرجع السابق، ص75، 76.

(3) تقع في شمال غرب فرنساعلى الساحل الجنوبي لبحر الشمال، وكانت تسكنها قبائل الفريز من السكسون، وخضعت للملكة الفرنجة خلال القرن 8م، وتواصل مقاومة الفرزيين للنفوذ الفرنجي حتى السنوات الأولى من حكم شارلمان Charlemagne. ينظر: نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص56.

ونعيم فرح: **تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى**، منشورات جامعة دمشق، 1995، ص56.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص175 ـــ 203.

(5) Jeannin Pierre, **Histoire des pays scadinaves Que sais je** ,ed, PUF, Paris, 1956, P: 12.

(6) Iván Curto Adrados: Op.cit, P: 4.

فرنسا وإنجلتراوايرلندا تفيض بالثروات كالذهب والأحجار الكريمة، وبينما في بلادهم لم يكن ليكفي حاجتهم[1]، وهو ما يؤكد أن الباعث في تحركهم إنما هو البحث عن الغنائم، فبعد استيلائهم على المدينة، يتجهون مباشرة إلى الأماكن الدينية، لعلمهم بوجود الأموال والغنائم بها[2].

ويعدّ السبب الإقتصادي السب الرئيسي لتحركهم نحو بلاد الأندلس[3]، فكانت حملات النرويجيين Norvegien في القرن 1هـ / 7م على السواحل الأوروبية، والهجومات على السواحل الانجليزية والايرلندية، ثم كانت هجومات الدنماركيين Danees على سواحل غرب أوروبا وجنوبها، وعلى السواحل الإفريقية، وإلى مراسي الأندلس الحصينة[4]، ويرى فشر أن السبب الإقتصادي هو محرك النورمان في إغارتهم، وليس هناك حاجة للبحث في الأسباب أخرى[5].

3. السبب الإجتماعي:

كان النورمان خلال القرن الثامن الميلادي قليلي العدد، ونموهم بطيء، يقطنون المدن والبلدات مستقرين في جميع أنحاء شبه الجزيرة الاسكنديනافيةScandinavia، مما جعل من الصعب هجرتهم لإحساسهم العميق بالجماعة والانتماء إليها، مما خلق بينهم شعور الوحدة الذي يفرض نظام المجتمع،والطريقة الوحيدة لمعالجة ندرة الموارد لصعوبة البيئة وحالة الطقس[6].

ولكن مع بداية القرن 2هـ / 8م، شرع النورمان في النزوح عن أوطانهم بعد أن تزايد عددهم[7]، وأدى ازدياد عددهم مع قلة الأراضي الزراعية لطبيعة بيئتهم الجبلية الصعبة ذات المناخ القاسي، وتعرضها

---

(1) العربيي الباز:**تاريخ أوربا العصور الوسطى**، دار النهضة، بيروت، 1986، ص358.

(2) نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص383.

(3) الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية، وهي جزيرة واسعة بين البحر الرومي والبحر المحيط، وسميت بجزيرة الأندلس لأنها شكل مثلث، وقد تسميت باسم أول من توطنها، وهم أندلسن بن يافث بن نوح، وقيل أن التسميةاشتقها العرب من « واندلوس » نسبة إلى قبائل القوط الوندالية ذات الأصول الجرمانية التي اجتاحت جنوب أوروبا خلال القرن 5م، في بادئ الأمر كان يشمل جميع مناطق شبه الجزيرة الأيبيرية، ثم أصبح يطلق على جنوب إسبانية. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص125وما بعدها.

وابن خردانبه أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 282هـ / 885م): **المسالك والممالك**، مطبعة ليدن، 1889، ص222 ـ 224.

(4) إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق ص162.

(5) فشر هربرت: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة: محمد مصفى زيادة والسيد الباز العريني، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص116.

(6) FernándezPerals, Álvaro: Op.cit, P: 4.

(7) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص152.

للرياح الشديدة، وتغطي مساحتها الغابات والأحراش الكثيفة، والمستنقعات الكثيرة الخلجان وصغر المساحة الزراعية أصبح لا يكفي لتغذيتهم وحاجاتهم الحيوية، ومع تضاؤل الموارد وضيق مساحة العيش والسكن، ووجود الأشرطة الساحلية، دفعهم إلى الهجرة والبحث عن أراض جديدة، والإغارة على البلاد القريبة منهم، يضاف إلى ذلك طموحُ الأبناء الصغار في شق طريقهم بأنفسهم، مما دفعهم إلى البحث عن طرق جديدة يتسنى لهم من خلالها تحقيق حياة أفضل[1].

وكان من عادة النورمان أن يورثوا ملكية الأرض للابن الأكبر في الأسرة فقط، ولقلة الأراضي الصالحة للزراعة، والحفاظ على إرث العائلة، وتقسيم الأرض يولد مشاكل، وهذا ما تطلب من الأبناء البحث على مصادر أخرى للعيش والكسب، وهو ما دفعهم إلى العمل على ظهر السفينة، والتي تدر عليهم الأموال الكثيرة، و لم يجد ملوك البحار أو القراصنة أي مشكل في تجنيدهم[2].

ويرى الباحث رشيد تومي أنه ليس هناك دليل قوي يؤكد أن منطقتهم شبه جزيرة إسكنديناوة، كانت تعاني من ضيق سكاني في هذه الفترة الزمنية[3].

ويضيف البعض إلى ذلك العامل الديني والمتمثل في الديانة الوثنية التي اعتنقها النورمان، مما جعلت شغفهم إلى الجنة كبير، خاصة المقاتلين منهم الذين يسقطون في ساحات المعركة، حسب اعتقادهم، حيث تقوم الإلهات بإجراء اختبار هو أشد بأسا وقوة، ثم تنقل أرواحهم إلى الجنة السماوية أين تعيش في نعيم وسلام تخدمهم الإلهات[4].

وكذا العامل النفسي المتمثل في الشعور بالحسد اتجاه الشعوب التي سكنت أراضي أحسن وأخصب، وتفوقهم حضارة، مما دفعهم إلى الإغارة عليها ونهب ثرواتها والمشاركة في حضارتها[5]، و لم يكن لهذه الشعوب هدف أو سياسة مرسومة من تحركهم في المراحل الأولى، ولكن تغيرت بعد ذلك باقترابهم من حدود الإمبراطورية الرومانية، فانبهروا من التقدم الحاصل، وطيب العيش للمناخ الملائم، فأصبحوا يبحثون عن مأوى للاستقرار[6].

---

(1) Tacite: **La Germani Traduite par Panckoucke**, Pari, 1982, P: 17, 18.

(2) Capefigue ,B:**Essai sur des invaisions maritimes des Normands dans les Gaules**, Paris,1823, P: 92. Hubert Houben: Op.cit, P: 11.

(3) رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا مابين 1017 ــ 1154م**، ص4.

(4) Ricard, S: **Précis de la mythologie scandinave**, Hagerup libraire, Copenhague, 1863, P: 11. Geffroy Auguste: **Histoire des Etats Scandinavie**, librairie Hachette, Paris, 1851, P: 45.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص175.

(6) محمد الحويري محمود: **رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية**، دار المعارف، 1981، ص82.

وهذا القول ينطبق على المراحل الأخيرة في إغارهم على الشعوب، واتضح ذلك عند سيطرهم على صقلية sicile التي كانت تحت حكم المسلمين، كما تأثروا بالمسلمين في جميع الميادين والنواحي عند سيطرهم على مدن بلاد المغرب[1]، وكذا ميلهم إلى القتال، وحب المغامرة والتعلق بالقرصنة، وما انطبعوا عليه منذ القدم[2]، وهناك من أرجع أسباب تحركهم إلى عامل المناخ خاصة في نهاية القرن 7 موإلى بداية القرن 10م، يبدو أنه يتوافق مع مرحلة دافئة لشمال وغرب أوروبا، وتزامن خروجهم بظهور الصقيع.

ولا شك أن هذه الفترة الزمنية الأخيرة تتزامن مع مرحلة حاسمة في توسعاتهم شمالاً، ولكن معظم الباحثين لا يجزمون بأن هذه الدورات الباردة يمكن أن تكون مرتبطة مباشرة بصحوة الفيكنغ Vikingos[3].

ومن بين الأسباب التي دفعت النورمان لمغادرة موطنهم الأصلي، والتعرض لأوروبا والأندلس وسواحل المغرب الإسلامي بغارات خلفت وراءها الدمار ،كما سبقت الإشارة إليه[4].

وعلى ضوء ذكر هذه الأسباب والعوامل، لا يمكن رد غزوات النورمان إلى عامل واحد بمعزل عن العوامل الأخرى، وإنما نتيجة تداخل هذه العوامل كلها، ولكنها تبقى محل نظر وجدل، وحقيقة تنامي قوة عددهم وعتادهم وتفوقهم على الآخرين.

المبحث الثالث: توسعاتهم في أوروبا

لعبت الظروف الجغرافية وغيرها دورًا في الوجهة التي قصدها النورمان في نشاطهم التجاري والبحري[5]، فتحركاتهم تباينت حسب الطبيعة الجغرافية، فالسويديون Swardes اتخذوا من الظروف الطبيعية التي تميزت بها وديان الأنهار للوصول إلى سهول شرق أوروبا والبحر الأسود، ودخلوا روسيا[6]،

---

(1) ذكر الأصطخري أن المغرب يمتد على طول بحر الروم، ويقسمه إلى قسمين شرقي وغربي، فالجزء الشرقي يضم برقة وإفريقية وتيهرت وطنجة والسوس وزويلة، أما الجزء الغربي فيضم الأندلس. ينظر: الأصطخري أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي (ت 346هـ / 957م): **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1970، ص36.

أماابن حوقل فيقسم المغرب إلى قسمين، شرقي وغربي، فالشرقي يمتد من حدود مصر إلى برقة بإفريقية، والغربي من إفريقية إلى بلاد السوس الأقصى. ينظر: ابن حوقل محمد بن علي أبو القاسم النصيبي (ت 350هـ/961م): **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ـــ لبنان، 1992، ص64، 65.

(2) فاطمة بنت حادي بن يحي الحجي السفياني: المرجع السابق، ص62.

(3) Iván Curto Adrados: Op.cit, P: 4.

(4) انتصار محمد صالح الدليمي: المرجع السابق، ص101.

(5) عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص241.

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص198، 199. فشر هربرت: المرجع السابق، ص119.

_ Musset Lucien: **Les peuples scandinaves au moyen age**, PUF,Paris,1951, P: 53.

ونسب إليهم مدينة كييف Kiev التي أقاموا أسسها، وعدت فيما بعد مهد الأمة الروسية Rus، وعرف السويديون Swardes بممارسة التجارة وتغلغلهم السلمي على خلاف ما عرف عن الدانيين والنرويجيين Norvegien[1].

واتسعت مدينة كييف Kiev حتى صارت مركزا كبيرا للفايكينغ في شرق أوروبا، وأنشأ السويديون إلى جانبها قواعد عسكرية ومحطات تجارية لحمايتها، وعينوا لها أمراء يتمتعون بسلطات ويعملون على جمع الضرائب، واستطاعت مدينة كييف Kiev أن تفرض سيطرتها على باقي المناطق[2].

كما اتجه النرويجيون غربًا إلى سواحل انجلترا وإيرلندا والجزر الشمالية منذ أوائل القرن 1هـــ / 7م[3] ومنها جزيرة مان Man[4]وجزيرة سكاي skye[5] وجزيرة ايسلاندا Islande، ووصلوا إلى جزيرة جرينلاند Groenland[6]، وهي مناطق غير قادرة على المواجهة وهذا بترويع سكانها، ودفعهم التفاوض وقبول شروطهم، فتمكنوا من إقامة ملكيات ذات نظم حاكمة وأحدثوا تغييرات لغوية[7].

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص197. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا مابين 1017 ــ 1154م**، ص13.

وهادريل: **أوروبا في صدر العصور الوسطى،** ترجمة: حياة ناصر الحجي، ط1، مؤسسة الصباح، الكويت، 1979 ص357.

ــ Henziwheatan: **Histoire des peuples du Nord**, Pris, 1844, P: 86.

(2) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي:المرجع السابق، ص152، 153.

(3) ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 776هـــ / 1374م): **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص20. فشر هربرت: المرجع السابق ص119. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص197. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص153، 154. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص10 ــ 12.

(4) تقع بين ايرلندا وإنجلترا تعرضت للغزو النورماني سنة: 798م، وهي تابعة لايرلندا. لمزيد من التفصيل ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص193.

(5) تقع في الشاطئ الغربي لاسكتلندا، تعرضت للغزو النورماني سنة: 795م. لمزيد من التفصيل ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص193.

(6) تابعة لايرلندا، وتقع في الشواطئ الشمالية الغربية لأمريكا، وصل إليها النورمان في حوالي 1000م، واستوطنوها. ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 196.

(7) Olga Trofimova: i normanni in inghilterra e in sicilla, un caPitolo della storla linguistica euroPea, anno conseguimento titolo, 2016 / 2017, P:13.

أما الدانيون Danees فقادوا عمليات استكشافية اتجهوا بها نحو الجنوب والغرب، لقربهم من بحر المانش وجزيرة فريزيا Freesi، وهددوا شواطئ الإمبراطورية الكارولنجية، في ألمانيا وفرنسا وانجلترا وايرلندا، وقد عرف الدانيون بقوة التنظيم بالمقارنة مع بقية العناصر الأخرى[1].

وكانت مملكة الفرنجة Franks إلى جانب انجلترا قد عانت أكثر من غيرها من هجمات النورمان، وبدايتها باقتحام مجموعات صغيرة منهم، واستولوا على عدد من النقاط، مستغلين الوضع السياسي غير المستقربسبب الصراع بين الأشقاء، فتمكنوا من الاستقرار في نهر السين Seine[2].

وقد نمت تجمعاتهم التي أقاموها عند نهر السين، وأقاموا في بلاد أفرنجة الذين عجزوا عن ردهم، حيث أصبحت تلك الأراضي تعرف باسم نورمنديا Normandie شمال فرنسا، ومنطلقًا لهم في الإغارة على بلدان غرب أوروبا، دون الرجوع إلى مواطنهم الأصلية، في إعداد الهجوم[3].

وحدث نتيجة استقرارهم في منطقة نورماندي أن تخلوا عن لغتهم الاسكنديناڤية لتعلم اللغة الفرنسية والطقوس الوثنية القديمة، وتحولوا بعد ذلك إلى المسيحية بعد عملية استيعاب سريعة وعميقة مست جوانب أخرى كالجيش والقانون والدين، وفي سنة: 298هـ / 911م، حصل رئيس نورمان رولون Norman Rolann[4] على لقب دوق ملك لملك فرنسا في القرن 10م، وكان النورمان من بين الشعوب الأكثر طليعة وتقدمية في كل أوروبا خاصة دوقية نورماندي جيبًا حقيقيًا في أرض حرة[5].

ثم القيام بهجمات خاطفة على سواحل الأندلس والمغرب ودفعهم إلى التفاوض وقبول شروطهم، وقد أشارت المصادر إلى أن على رأس كل سنة أو سبعة أعوام في أسطول قوامه من أربعين إلى مائة مركب، مع إطلالة كل ربيع بإغارتهم على الشواطئ والمدن، ثم يعودون إلى مواطنهم قبل حلول فصل الشتاء[6].

---

[1] فشر هربرت: المرجع السابق، ص119.سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص198، 199.

[2] FernándezPerals, Álvaro: op.cit, P: 8.

[3] أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ط1، دار إقرا للطباعة والترجمة والنشر، طرابلس، 1990، ص19. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**،ص6 ــ 15. ميلود بلحاج: المرجع السابق، ص58.

[4] قائد نورماني استطاع أن يوطد نفوذ النورماني في منطقة نورماني (شمال فرنسا)، ويعلن تأسيس دوقية نورمنديا بعد توقيعه معادة سان كلير Saint Clir سنة 911م، ومما جاء في معاهد الصلح بينه وبين شارل الثالث المعروف بالساذج من سلالة الأسرة الكارولنجية، أن يتنازل عن الأراضي ليمتلكها رولون وان يتخلى على بريتوريا لمحاربيه لعيثوا فيها، وأن يتم تعميد رولون وأن يتم زواجه بابنة شارل الثالث وقد أدرك رولون خصب المنطقة وألزم محاربيه الاستقرار بها. لمزيد من التوسع ينظر: نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج1، ص474 ــ 476. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص184.

[5] Olga Trofimova, Op.cit, P: 13.

[6] عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص222.

وأدت غزواتهم وتوسعاتهم خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين إلى تغيير الخريطة السياسية والثقافية لأوروبا، وأثبتوا قدرتهم على الائتلاف والتكيف مع البيئات الجغرافية والسياسية والثقافية للاندماج،وذلك بعد عبورهم الحدود بين الغرب والشرق(1).

ويعنينا من بين هذه المجموعات الثلاث الدانيون Danees أو الدانماركيون، الذين هاجموا بلاد الفرنجة Franks وإنجلترا، ثم سواحل الأندلس والمغرب أيام عبد الرحمن الأوسط (206 ــ 238هــ /822 ــ 853م)(2)، وعبد الرحمن الناصر (300 ــ 350هــ /912 ــ 961م)(3)، والحكم المستنصر (350 ــ 366هــ / 961 ــ 976م)(4).

المبحث الرابع: توسعاتهم في الأندلس

تعرضت بلاد الأندلس خلال حكم الدولة الأمويه إلى ثلاث هجمات منفصلة شنها النورمان، بعضها تتابع والآخر أخذ زمنًا طويلاً على الشواطئ الغربية والجنوبية للأندلس، حققوا في بدايتها أهدافهم، ونظرًا للإحتياطات والإستعدادات البحرية والبرية التي اتخذها حكامها، جعلتهم يحجمون عن إغاراتهم على الأندلس وتغيير وجهتهم نحو جنوب إيطاليا وصقلية.

---

(1) Hubert Houben: op.cit, P: 105.

(2) أبو مطرف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الحكم، تولى الحكم خلفًا لأبيه في 27 ذي الحجة 206هــ / 822م، وظل في الحكم إلى غاية 238هــ / 852م، أي ما يزيد عن الثلاثين سنة، قضى على الفتن الداخلية، وأرسل الجيوش لمهاجمة الفرنجة على الحدود، واستعد لخطر النورمان وأبعدهم عن بلاد الأندلس، تمتعت البلاد في عهده برخاءٍ كبير، اتخذ من الرجال المخلصين وزراء يجتمعون لأخذ القرار في المسائل الكبرى. ينظر ترجمته في: ابن القوطية: المصدر السابق، ص75 وما بعدها. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص18، 19. ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص197.

(3) أبو مطرف عبد الرحمن بن الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، ولد سنة: 277هــ/ 987م، من أمراء بني أمية بايعه أمراء بني أمية، ثم كبار الموظفين في الدولة ووجوه القوم في قرطبة سنة: 300هــ/ 912م، اتخذ سمة الخلافة وتسمّى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، أعلن سياسته القائمة على مبدأ التسامح وإسقاط جميع الجرائم والوعيد باجتثاث معاقل المتمردين والعابثين بأمن الدولة، فاستطاع توحيد بلاد الأندلس بعد أن فتح الكثير من الحصون، ودخول الكثير من المدن وقضى على الخارجين عن الدولة، توفي سنة: 350هــ / 961م. ينظر ترجمته في: ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص272. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص156. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص28، 29.

(4) أبو مطرف الحكم بن عبد الرحمن، تولى الخلافة بعد وفاة الناصر، بويع سنة: 350هــ / 961م، استتبت له الأمور لسياسية أبيه، غزى بلاد الروم، افتتح مدن عديدة، في عهد ظهر خطر المجوس على بلاد الأندلس فتحرك إليهم، قال عنه ابن الخطيب « كان عالمًا فقيهًا بالمذاهب، إمامًا في معرفة الأنساب، حافظًا للتاريخ، جمّاعًا للكتب... »، توفي سنة: 366هــ / 976م، وبوفاته ينتهي حكم بني أمية للأندلس ليبدأ عصر جديد هو عصر الدولة العامرية. ينظر ترجمته في: ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص233 ــ 235. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص41، 42. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص185.

1 . المرحلة الأولى (229 . 245هـ / 844 . 859م):

لقد أشارت المصادر الإسلاميةإلى أن سفنهم بدأت تجوب أقاصي الأندلس الواقعة تحت حكم المسلمين سنة 229هــ/ 844م في عهد عبد الرحمن الأوسط (206 ــ 238هــ /822 ــ 853م)، وكان أول ظهورهم على ساحل إشبونة Lisbonne[1] من نفس العام[2].

وكانت بلاد الأندلس غنية بثرواتها الطبيعية لذا كانت هدفًا لتوسعاتهم العسكرية من أجل تحصيل الكثير من الغنائم والأسلاب والثروات لما كان يصل إليهم من أخبارها[3]، ولم تكد سفن النورمان تظهر عند ساحل هذه المدينة، حتى راسل واليها وهب بن منبه بن حزم[4]، الأمير عبد الرحمن الأوسط يعلمه بذلك، ومدهم بأربعة وخمسين مركبا، ومعها أربعة وخمسون قاربًا، وذكر ابن عذارى (كان حيا سنة 712هــ / 1312م) بثمانين مركبًا، ولما علم عبد الرحمن بالخبر، أصدر أمره إلى عمال السواحل بالتحفظ والاحتراس واتخاذ الحيطة[5]، وقد أصاب المسلمين الخوف والذعر بعد رؤيتهم لأسطول النورمان، ووصف ابن عذارى الموقف بقوله: « فخرج المجوس في نحو ثمانين مركبًا قائمًا، ملأت البحر طيرًا حوتًا، كما ملأت القلوب شجوا وشجونا»[6]، وكان بقاءهم بساحل الإشبونة مدة ثلاثة عشر يومًا، حيث وقعت بينهم وبين المسلمين وقائع، وعاثوا بأهلها قتلاً ونهبا[7].

---

(1) من مدن الأندلس وتسمى أيضًا لشبونة، وهي متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط، من كور باجة المختلطة بهاتقع غربيها نحو البحر المظلم, وهي مدينة قديمة على حافة البحرحسنة، تحتوي على معادن ثمينة محصنة بسور عظيم، وأبواب وقصبة منيعة. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص182.الحموي: المصدر السابق، ج1، ص195.

و القزويني أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هــ / 1283م): **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، لبنان،د.ت، ص555. الحميري محمد عبد المنعم السبتي (توفي أواخر القرن 9هــ / 15م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1984، ص61.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص83. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص20. حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص324.

(3) عبد الله عنان: المرجع السابق، ج1، ص262. عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص222، 223.

(4) لم نجد له ترجمة ضمن المصادر المعتمدة، بينما ذكر ابن الدلائي أنه كان حاكم مدينة أشبونة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط. ينظر: ابن الدلائي: المصدر السابق، ص99. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص87.

(5) ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص87.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص87.

(7) ابن الدلائي، المصدر السابق، ص98. ابن الأثير: المصدر السابق،ج6، ص83.

وقد سار النورمان بمحاذاة الساحل نحو الجنوب، إلى أن رَسَت سفنهم عند مصب الوادي الكبير، فسار جزء منها إلى إقليم شذونة Sidona[(1)]، والآخر إلى ميناء قادس Cadiz[(2)] وأوغلت معظم وحدات الأسطول في الوادي الكبيرباتجاه اشبيلية Seville[(3)]، وهي التي كانت مقصدهم[(4)].

وفي طريقهم احتلوا جزيرة القبطيل Cobtel[(5)]، وهي جزيرة صغيرة، ثم ساروا إلى قرية صغيرة تدعى قورة Coria[(6)]، ونزلوا بها، بعد معارك مع حاميتها، ثم تقدموا نحو طلياطة Tablata[(7)]، وهي يوم ذاك من مدن اشبيلية، فخرج الناس لمواجهتهم لكنهم انهزموا، وأثخن فيهم النورمان قتلاً وأسرًا[(8)].

ووصف ابن الدلائي (ت 478هـ / 1085م) الواقعة بقوله: « فكان في المسلمين من القتل والسبي ما لا يوصف، ولم يرفعوا السيف عن كل ذي روح، ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان والدواب والأنعام والطيور، وكل ما تناولته سيوفهم وسهامهم »[(9)].

---

(1) كورة متصلة بكورة مورورو، وتقع إلى الغرب من العاصمة قرطبة، جامعة لخيرات البر والبحر، كريمة البقعة جيدة التربة شريفة جامعة للخير، وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس سنة ستة وثلاثين ومائة، وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام. ينظر:الحميري: المصدر السابق، ص339. ابن الكردبوس أبي مروان عبد الملك بن محمد التوزري (كان حيًا 575هـ / 1179م)، **تاريخ الأندلس**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلاميةن مدريدن 1971، ص135.

(2) جزيرة بالأندلس من مدن اشبيلية، وهي تقع في جنوبها طولها اثنا عشر ميلاً وعرضها ميل، وصفت بأنها كثيرة المزارع والمواشي والخيرات، وبها أبار ذات مياه عذبة حوت أثار قديمة غيرها الزمان، وفي شرقي المدينة يجري النهر الأعظم المسمى بواد لكة. ينظر: الزهري: المصدر السابق، ص89. الحميري: المصدر السابق، ص448. القزويني: المصدر السابق، ص550.

(3) من أعظم مدن الأندلس وأكبرها، تسمى حِمص جليلة بينها وبين قرطبة ثلاثة أيام، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كانوا بنو عباد، أزلية كبيرة عامرة كثيرو الخيرات، ومنها الزيت يتجهز به إلى الأقطار، سوّرها عبد الرحمن بن الحكم بعد ان دخلها المجوس. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج1، ص195.

والحميري: **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت،1988، ص18 ـــ 20.

(4) ابن الدلائي: المصدر السابق، ص98. ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص83.

(5) قريبة من اشبيلية أقام بها المجوس 3 أيام أثناء إغارتهم على بلاد الأندلس، وحفروا خندقا سمي بالمعسكر. ينظر: ابن الدلائي: المصدر السابق، ص98. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص87. الحميري: **الروض المعطار**، ص454.

(6) قرية من قرى اشبيلية، تقع على نهر الوادي الكبير جنوب اشبيلية. ينظر: ابن الدلائي: المصدر السابق، ص174. الحموي: المصدر السابق، ج2، ص412.

(7) وردت في المصادر باسم « طلياطة »، وتقع هذه المدينة على نهر صغير غربي الوادي الكبير على بعد اثني عشر ميلا شمالي اشبيلية. ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص87. الحميري: **الروض المعطار**، ص395.

(8) ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص88. ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص83.

(9) ابن الدلائي: المصدر السابق، ص99.

ويعلل ابن القوطية (ت 367هـ /977م) أن سبب الانهزام يعود إلى الذعر الذي أصاب المسلمين وإخلائهم للمدينة بقوله:« فذعر الناس وفروا بين أيديهم، وأخلى أهل اشبيلية، وفروا منها إلى قرمونية Carmona[1] وإلى جبال اشبيلية، و لم يتعاط أحد أهل الغرب مقاتلتهم »[2].

والواقع أن السكان ما هربوا جبنًا أوخوفًا وتمنعًا عن المواجهة، وإنما لكون المدينة تفتقر إلى التحصينات الدفاعية لصد المغيرين، وهو ما جعل ابن سعيد يصفها بأنها عورة (بلا سور)[3]، يضاف إلى ذلك ما عرف به النورمان من السرعة الخاطفة في التحرك واستعمال الأسهم النارية، وإغارتهم على مناطق وأماكن متفرقة في مجموعات وفي وقت واحد[4].

وفي قراءة لواقعة دخول النورمان اشبيلية، تورد إحدى الأبحاث[5]الأسباب التي سهلت دخول النورمان إليها، مثل عدم توقع أهلها طَرق النورمان مدينتهم بسرعة، لبعدها عن الساحل وتوغلهم إليها عن طريق نهر الوادي الكبير، إضافة إلى كثرة عددهم وخلو المدينة من الأسوار والتحصينات.

ونهبوا مدينة اشبيلية وأحرقوا ديارهاوالمسجد الجامع، ومكثوا بها 7 أيام، وقيل: 13 يوما، فاستنفر الناس بقرطبة Gordoba[6]، وبأهل الثغر الأعلى[7]، وبلغ الخبر عبد الرحمن الأوسط (206 ــ

[1] يقال لها قرمونة، كورة بالأندلس تقع غربي قرطبة وشرقي اشبيلية يتصل عملها بعمل اشبيلية، وهي مدينة محصنة بسور، ويتصل بها السور خندق عميق ممتنعة عن المحاربين، تم إنشاء دار بها للصناعة ومخزن للسلاح، تم بناؤه بعد غزو النورمان الأول للأندلس، وضمت أثار للأولين وفحوص ضمت قرى ومياه وأبار، وهي كثيرة الزراعات خاصة الحنطة والشعير. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص206. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص330.الحميري: **الروض المعطار**، ص461.

[2] ابن القوطية: المصدر السابق، ص78، 79.

[3] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج1، ص49. عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص224.

[4] Dozy Reinhart: **Recherche sur l'histoire et la litterature de l'espagne pendant le moyenage**, leyde, 1860, Tome II, P: 297.

[5] انتصار محمد الصالح الدليمي: المرجع السابق، ص102.

[6] قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الإسلامية وملك بني أمية، وتقع على الوادي الكبير، ذات منعة وحصانة، ولشساعتها وفسحة أسواقها وكثرة عمارتهافهي تحاكي بغداد، ولا توجد ببلاد المغرب من يضاهيها وعدة مسجدها الجامع، أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية الذي أهتم حكام بنو أمية بالزيادة فيه. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص107، 108. القزويني: المصدر السابق، ص552. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص324. الأصطخري: المصدر السابق، ص41.

[7] عاصمته سرقسطة، والمواجه لبرشلونة ومملكة نافار، ومن مناطقه لاردة وطرطوشة وتطيلة وأرنيط وبرجة، ومدينة سالم المتاخمة لحدود النصارى والفرنجة، ومن أشهر قادته، موسى بن موسى بن فرتون بن قسي المعروف بموسى الثاني، وأكثرهم قوة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، ساهم في الدفاع عنها هو وأباؤه. ينظر: ابن الدلائي: المصدر السابق، ص 41. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص164. ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص 14. كمال السيد أبو مصطفى: **بحوث وتاريخ حضارة الأندلس في العصر الإسلامي**، مركز إسكندرية للكتاب، مصر، 1997، ص47.

238هـ / 822 ـ 853م)، فاستنجد بعماله وولاته وأمراء المقاطعات البعيدة، فقدّم على الخيل عيسى بن شهيد الحاجب[1]، وتوجه بالخيل عبد الله بن كُليب[2]وابن رستم[3]، وكتب إلى الكور في استنفار الناس ونفر بهم نصر الفتى[4]، ونزل قواده بموضع بشرقي اشبيلية يقال له « مشدوم » فبادرهم النورمان بالهجوم، فثبت المسلمون وقتلوا منهم سبعين رجلاً، وأرغموهم على ركوب مراكبهم و لم يلاحقهم المسلمون[5].

وتوالت الإمدادات في الاستنفار وتقاطرت على اشبيلية أجناد محمد بن سعيد بن رستم، وموسى بن قيس[6]صاحب الثغروالمتطوعة، ونزلوا اشبيلية وقاتلوا النورمان، ولما جن الليل تنحى المسلمون إلى كورتش بقبلى المدينة اشبيلية وتواصل القتال، ولما أدرك النورمان عزم المسلمين انسحبوا نحو طلياطة Tablata، فتبعهم ابن رستم ونصب المجانيق[7].

---

[1] أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الوضاح الأشجعي، كان جده مولى لمعاوية بن مروان بن الحكم أم والده، دخل الأندلس زمن عبد الرحمان الداخل، واشتهر بالعلم والفقه والحصافة، تقلد في عبد الرحمن الأوسط عدة مناصب، فولاّه خطة الخيل وقضاء المظالم وتنفيذ الأحكام ثم الحجابة إلى أن توفي الأمير، واستمر في الحجابة زمن ابنه محمد، لكنه توفي بعد ذلك بخمس سنوات. ينظر ترجمته في: ابن حيان: المصدر السابق، ص166، 167. ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص238، 239.

[2] عبد الرحمن بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي من أسرة ذات رياسة ونباهة، وجده ثعلبة كان من وجوه أهل شذونة والجزيرة الخضراء، كان له دور في تأييد عبد الرحمن الداخل وارتفعت مكانته لديه، وعهد إليه للقيام بمهام عسكرية واشتهر من هذا البيت عبد الرحمن بن كليب المذكور. ينظر ترجمته في: ابن حيان: المصدر السابق، ص236.

[3] محمد بن سعيد بن محمد عبد الرحمن بن رستم الفارسي، كان أديبًا وجد والده هو مؤسس الدولة الرستمية في تيهرت بالمغرب، دخل أبوه الأندلس، واصطنعه عبد بن الحكم على إمارة شذونة من قبل أبوه الحكم، وكان يأنس إليه ولما ألت الخلافة إلى عبد الرحمن عمل على استقدامه، وصرف إليه الحجابة ثم الوزارة ثم القواد الذين وجههم عبد الرحمن إلى اشبيلية بعد أن غزاها المجوس. ينظر ترجمته في: ابن حيان: المصدر السابق، ص166.ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص372، 373.

[4] ابن القوطية: المصدر السابق، ص80. ابن عذارى:المصدر السابق، ج2، ص88. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص131. حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص 424.

[5] ابن الدلائي: المصدر السابق، ص99. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص156.

[6] موسى بن فرتون بن قسي، أشهر أفراد هذه الأسرة التي ملكت الثغر الأعلى منذ القرن الثاني حتى القرن الرابع، تعاقب بنوه على الثغر الأعلى، ولما استلم موسى ذلك الثغر ظل على ولائه للأمير عبد الرحمن بن الحكم مع تقلبات بين الولاء والعصيان إلى خلفه في حكم الثغر ابنه فرتون. ينظر ترجمته في: ابن القوطية: المصدر السابق، ص111. ابن الدلائي: المصدر السابق، ص29 ـــ 31.

[7] ابن الدلائي: المصدر السابق، ص99.

وبقدوم نصر الفتى تحركت مشاعر الناس للنهوض ضد النورمان، وأتى المدد من كل جهة ووقع القتال، وكادت الهزيمة تلحق بالمسلمين لولا ترجل ابن رستم، ولحاق الناس به، وأدخل الرجال بين العدو والنهر الأعظم فحالوا بينهم وبين النورمان[1].

وقد تعوّد النورمان على بعث السرايا إلى جهات منها كوتش Cuartos[2]ولقنت Lecanto[3] وقرطبة، وانتظر المسلمون خروجهم حتى ابتعدوا عن المدينة، فكانت الدائرة عليهم باجتماع المسلمين عليهم من كل جهة، ومع وصول الإمدادات[4] هزم النورمان في هذه الواقعة، وأحرق من مراكبهم ثلاثين مركبًا، وأسر الكثير وقتل منهم خلق كبير وصُلبوا على جذوع النخل أمام مرأى من نجا من المراكب القليلة، وقد طالت غزوة النورمان لاشبيلية إلى غاية تحريرها ثلاثة وأربعين يومًا، لقى فيها سكانها والمدن المجاورة ألوان المحن والرزايا[5].

وتعتبر جل المصادر هذه الحادثة من المعارك الفاصلة، حيث خرجت كتب النصر إلى الأقطار، وخرجت كتب عبد الرحمن إلى مَن بطنجة[6] يزف بشائر النصر، ويعلمهم باندحار المجوس (النورمان)، وبعث إليهم برأس أميرهم، وبمائتي رأس من أنجادهم الذين حالفوهم[7].

وأورد ابن سعيد سبب انتصار المسلمين في هذه الواقعة، بقدوم نصر الفتى بعد أن عاث في مراكبهم إفسادًا، وإشادة بهذا النصر ذكر بيتًا شعريًا لعثمان بن المثنى يقول فيه: [الطويل]

يقولون إنّ الإردمانيين أقبلوا   فقلت إذا جاؤوا بعثنا لهم نصرا[8]

---

[1] ابن الدلائي: المصدر السابق، ص99. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص88.

[2] قرية على بعد أربعة أميال من اشبيلية. ينظر: ابن الدلائي: المصدر السابق، ص99.

[3] من أعمال لاردة بالأندلس لقنت الكبرى ولقنت الصغرى، وهي مدينة صغيرة عامرة تقع على الساحل، بينها وبين دانية سبعون ميلا، بها سوق ومسجد جامع، ولها قصبة منيعة عالية، ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر.ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص192. الحموي: المصدر السابق، ج5، ص21. الحميري: **الروض المعطار**، ص511.

[4] أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هـ / 1332م): **المختصر في أخبار البشر**، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت، ج 2، ص36.

[5] ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص88.

[6] مدينة قديمة بالمغرب الأقصى في الإقليم الرابع، طولها من جهة المغرب ثمانون درجة، وعرضها خمسة وثلاثون درجة ونصف من جهة الجنوب، تقع على ساحل جبل طارق، وتعرف بالبربرية « وليلي »، وهي مكان يحيط به البربر، افتتحها عقبة بن نافع وبها أثار وقصور وقباء. ينظر: ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج1، ص104، 105. 396. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص43، 44. الحميري: **الروض المعطار**، ص395.

[7] ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص88.

[8] ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص49.

وتسلل النورمان جهة النهر إلى لبلة Nibla[1]، وظفروا منها بأسرى وأمتعة، وتعرض لهم هناك المشرف على الخيل عبدوس بن مقبل[2]، وأمير الجيش عبد الله بن كليب، ودون أن يحدث أي قتال، وانصرف كل إلى حاميته[3]، ثم تراجع النورمان إلى جزيرة قنب قوريس[4]، واقتسموا الأموال التي غنموها، وحمل عليهم المسلمون، فاضطرهم إلى دخول مراكبهم[5].

ثم دخلوا قبطيل بين أودية، ومنعهم المسلمون من النزول، وانتقلوا إلى شذونة، ونالوا بها غنائمًا وسبيًا، ووصل الإمداد من عبد الرحمن في أربعة عشر مركبا بالمقاتلة والعدد، فلما علم النورمان بقدومها، تراجعوا إلى لبلة وأغاروا عليها، ثم إلى جزيرة شلطين Saltes[6]، ثم انتقلوا إلى أكشونية Oxonodan[7]، ثم إلى باجة Beja[8]، ثم إلى مدينة المعدن، وانتهى بهم الأمر إلى الإشبونة، حيث ركبوا سفنهم وانقطع

---

[1] مدينة في غربي الأندلس تعرف بالحمراء، بينها وبين البحر المحيط ستة أميال، برية بحرية، فيها أثار الأولين، وهي مدينة أزلية محصنة بسور منيع، وصفت بأنها مدينة حسنة كثيرة الخيرات والمياه. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص507، 508. ابن حوقل: المصدر السابق، ص110.

[2] من القادة الذين اشتركوا في قيادة الجيوش الأندلسية التي تصدت للنورمان في غزوهم لبلاد الأندلس زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ينظر: ابن الدلائي: المصدر السابق، ص99. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص88.

[3] ابن الدلائي: المصدر السابق، ص100.

[4] وردت عند ابن الدلائي « قنب قيس »، وفي سياق كلامه عن البيرة أشار على أنها من أقاليمها، ولم يشر إلى المصادر التي تم الإعتماد عليها، والظاهر أن باقي المصادر تشير إلى قورية، وهو ما يدل على أن الإسم الثاني هو الأصح. ينظر: ابن الدلائي: المصدر السابق، ص90. ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص252.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص83.

[6] جزيرة بالقرب من لبلة، يحيط بها البحر من جهاتها، تغلب عليها المجوس مرات لقلة حصانتها، فلا سور ولا حظيرة وإنما بنيان متصل بعضه ببعض بها دار لصناعة المراسي التي ترسوا فيها السفن ودار لصناعة الحديد التي يعجز أهل البلاد عن صناعته، وبها أرباض واسعة وآبار عذبة. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص179. الحميري: **الروض المعطار**، ص343، 344.

[7] تكتب أكشنبة وأكشونية وأكشونبة، والأصح أكشونبة مدينة بالأندلس غربي قرطبة يتصل عملها بعمل أشبونة، كانت تضم حصونًا ومدنًا أكبرها شلب واشتهرت بصناعة السفن، وصفت بأنها كثيرة الخيرات. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج1، ص240. ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص203.

[8] من أقدم مدن الأندلس، تقع إلى الغرب من قرطبة، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ، تسمى بباجة الأندلس أو باجة الزيت تمييزا لها عن باجة إفريقية (تونس)، ومعنى باجة في لغة العجم الصلح، وهي من أقدم مدن الأندلس، بناها القياصرة الرومان لها من معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة، نزلها العرب مع طارق بن زياد، وهي أرض كثيرة الزرع الحيوان ومن خيراتها العسل. ينظر: اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (ت 284هـ / 897م): **البلدان**، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ص 71. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ /1418م):**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج5، ص223.

خبرهم[1]، ويبدوا أن انسحاب النورمان من اشبيلية، لم يتم إلا بعد وصول وحدات الأسطول الأندلسي إلى مكان المعركة[2].

وقد فوجئ أهل الأندلس بظهور النورمان في وقت كانت البحرية الأندلسية لم تصل إلى مرحلة القوة بعد، و لم تكن تملك إلا بعض السفن القليلة العدد المتمركزة في المرية Almeria[3] على السواحل الشرقية[4].

وقد عمل عبد الرحمن الأوسط (206 ــ 238هــ /822 ــ 853م) بعد ذلك على إصلاح ما خربه النورمان، فضاعف من عدد الجند، وكثف من الحاميات والتحصينات، كما اهتم بالبحرية وإقامة التحصينات[5]، يقول ابن القوطية: « واستعد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فأمر بإقامة دار صناعة باشبيلية، وأنشأ المراكب، واستعد برجال البحرمن سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم، فاستعد بالآلات والنفط »[6]، وأنشأ دار للصناعة في كل من اشبيلية والمرية وبلنسية Valancia[7] ومالقة Malaga[8]، وأصبح للأندلس أسطولان؛ الأول في المحيط الأطلسي وقاعدته الإشبونة، والثاني في البحر المتوسط وقاعدته مالقة؛

---

[1] ابن الدلائي: المصدر السابق، ص100.ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص83.

[2] أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص139.

[3] أصل تسميتها مرأى من طبيعة وظيفتها كمحرس بحري لمدينة بجانة القريبة منها، وهي من المدن الإسلامية التي أنشئت بالأندلس على شاطئ واسع محمي من الرياح يعرف بخليج المرية، مدينة كبيرة مستطيلة فيها مرفأ ومرسى للسفن الكبيرة، يحدها من الغرب الركائز الأخيرة من جبال المرية، وتؤلف فرعين من سلسلة جبال جادور المتفرعة بدورها إلى جبال شلير، وتحيط الجبال بالمرية من جميع الجهات ما عدا الفحص الشرقي، وهي من ثغور الأندلس المهمة، ومن أعظم قواعد الأسطول الأندلسي في عهد الخلافة والإمارة، ومركزًا صناعيًا وتجاريًا هامًا مطلاً على البحر المتوسط، سقطت بيد القشتاليين سنة: 895هــ /1490م. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص173.الحموي: المصدر السابق، ج5، ص119. عبد العزيز سالم: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، مصر، 1984، ص15.

[4] ابن الدلائي: المصدر السابق، ص100. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص131.

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص166. المقري: المصدر السابق، ج2، ص346.

[6] ابن القوطية: المصدر السابق، ص82، 83.

[7] من أهم قواعد شرق الأندلس، بينها وبين البحر ثلاثة أميال، تقع شرقي مرسية وغربي طرطوشة، قريبة من قرطبة وهي مدينة سهلية قريبة من الشاطئ محفوفة بالأنهار والجنان، كثيرة التجارات والبنايات ولأهلها حسن الزي وكرم الطباع. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص191. الحميري: **الروض المعطار**، ص98. القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص231.

[8] مدينة بالأندلس من أعمال رية بين الجزيرة الخضراء والمرية، وهي على ساحل البحر، أسسها الفينقيون وأطلقوا عليها مالكو Malako، ومعنها المملح، وتعني مستودعات الأسماك المملحة التي كانت تجفف وتحفظ، بها الفنادق والحمامات وهي أهلة عامرة كثيرة الديار في غاية المنعة والتحصين، تشتهر بأشجار التين المنسوب إليها. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص204. الحموي: المصدر السابق، ج5، ص43.الحميري: **الروض المعطار**، ص517.

فضم مئات المراكب فازدادت قوتهم البحرية[1]، وهو ما يؤكد أن البحرية الأندلسية قد أدركت العجز الحاصل بعد الغزو النورماني لسواحل الأندلس، فتم تداركه في وقت قصير.

كما تنبه إلى ضرورة تحصين السواحل التي تعود النورمان أن يطرقوها في جهة الغرب والجنوب الغربي، فأمر بتسوير اشبيلية بإشارة وزيره عبد الملك بن حبيب[2]، فأمر رجلا من الموالي الشاميين يدعى عبد الله بن سنان ببناء سور للمدينة، وبه أصبحت اشبيلية محاطة بسور من الحجارةيقول ابن القوطية: « وأشار الوزراء ببناء سور اشبيلية، فوجه لذلك عبد الله بن سنان رجل من الموالي الشامين، وكان قريب الخاصة بعبد الرحمن الأوسط...، فأخرج لبنيان السور باشبيلية واسْمُه على أبوابها »[3].

وقد تزامن بناء السور زيادة الأمير عبد الرحمن في توسعة المسجد الجامع، فواصل فكرة بناء السور، إلى الفقيه المشهور عبد الملك بن حبيب الفقيه الأندلسي، فأفتى بأولوية بناء السور على إتمام الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة، فعمل عبد الرحمان برأيه من بنيان سور مدينة اشبيلية[4].

وقد أنشأ عبد الرحمن الأوسط الرباطات على السواحل الغربية للثغر الأعلى المطل على المحيط الأطلسي، وجعلها مركزا للجهاد، وكانت الحراسة في مراقب عالية ملحقة بالرباط تكشف سفن العدو من مسافة بعيدة، وزودت بالمنائر أو المنارات التي عرفت باسم الطوالع[5].

ويرى الباحثان عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي أن هذا العمل لا يسجل ميلاد البحرية الإسلامية كما يزعم جمهور المؤرخين، لأن البحرية الإسلامية ولدت بالفعل أيام الأمير الحكم الربضي (

---

(1) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 82.حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص324.

ورياض أحمد عبيد الغاني: **هجومات النورمانيين على الأندلس**، منشورات كلية العلوم المجلد7، العدد 23، السنة السابعة، الجامعة الإسلامية، بغداد، تشرين الأول، 2011، ص142.

(2) أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن عباس بن مرداس السلمي، فقيه أهل الأندلس،تفقّه على يد يحي بن يحي، وعيسى بن دينار، وحسين بن عاصم، رحل إلى المدينة ثم عاد إلى الأندلس، تولى الفتوى زمن عبد الرحمن الناصر، وكان مكرمًا عند الأمراء متعففاً عن الولايات، توفي في رمضان سنة: 238هــ / 853م. ينظر ترجمته في: الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 476هــ / 1083م): **طبقات الفقهاء**، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص162. القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هــ / 1149م): **ترتيب المدارك**، تعليق: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الشؤون المغربية والأوقاف، الرباط، د.ت، ص19. ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي المالكي (ت 799هــ / 1397م): **الديباج المذهب**، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص252، 253.

(3) ابن القوطية: المصدر السابق، ص82، 83.

(4) البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هــ / 1094م): **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، د.ت، ص112.

(5) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص140. رياض أحمد عبيد الغاني: المرجع السابق، ص142.

180 ــ 206هــ / 796 ــ 822م)[1]، لكن ما يسجل في عهد عبد الرحمن الأوسط أنها أصبحت أكثر تنظيما عددًا وعدّة[2]، ثم أن الإحتياطات والترتيبات التي اتخذها عبد الرحمن، كان لها أثرها الايجابي في رد النورمان عندما أعادوا هجوماتهم على الأندلس في عهد محمد بن عبد الرحمن سنة: 244هــ/ 258م، حيث هزموا عند مدخل نهر اشبيلية، وأحرقت مراكبهم وولوا منهزمين[3].

وعقب الانهزام الذي مني به النورمان في اشبيلية وهو ما لم يكونوا يتوقعونه، أرسل حاكمهم وفدًا لطلب الصلح والسلام، بعد خروجهم من اشبيلية، فوافق الأمير عبد الرحمن على مشروع السلم والأمان لإبعادهم عن بلاده، وأرسل سفارة جوابية تولى رئاستها الشاعر الأندلسي يحي بن حكم البكري الجياني المعروف بالغزال[4].

لم يبد من الحماس شيئًا عندما عهد إليه أمير قرطبة عبد الرحمن مسؤولية قيادة بعثة دبلوماسية في أراضي النورمان، لأنه أثبت قبل هذا مقدرةً حيث قاد سِفارة ناجحة إلى القسطنطينية[5]، ووصف ابن دحية (ت 633هــ / 1235م) سبب هذا الاختيار بقوله: « لما عُرف عليه من حدة الخاطر وبديهة الرأي، وحسن الجواب والنجدة والإقدام والدخول والخروج من كل باب »[6].

وكان ملك النورمان من طلب الصلح وقَبِل عبد الرحمن ذلك، وقد انفرد ابن دحية بذكرها في مؤلفه « المطرب من أشعار أهل المغرب »[7]، واضطرب في ذكر تفاصيلها، مما أثار الشك والالتباس في

---

[1] أبو العاصي الحكم بن هشام ثالث أمراء الدولة الأموية بالأندلس، حكم بعد وفاة أبية هشام بن عبد الرحمن (180 ــ 206هــ / 796 ــ 822م)، سمي بالربضي للوقيعة الشهيرة بينه وبين أهل الربض الذين ثاروا ضده، وتمكن من الإيقاع بهم، عرف باصطناع الحيلة والاستكثار من المماليك، باشر الأمور بنفسه واستفحل ملكه، وافتتح القلاع والحصون، وأرسل الجيوش إلى بلاد الفرنج ففتح المدن، ويعتبر أول من جند الأجناد واتخذ العدة، ووصف بأنه أحرص بني أمية بالأندلس. ينظر ترجمته في: المقري: المصدر السابق، ج1، ص338 ــ 340. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص14.

[2] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص160.

[3] ابن القوطية: المصدر السابق، ص83.

[4] المقري: المصدر السابق، ج2، ص254. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص158. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص132. عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص258.

[5] FernándezPerals, Álvaro: Op.cit, P: 11 — 13.

والقسطنطينية بينها وبين المسلمين البحر المالح،كانت دار مملكة الروم، نزلها من ملوكها تسع وعشرين ملكًا، ثم ملك بها قسطنطين الأكبر، ثم انتقل إلى بيزنطة وبنى عليها سورًا وسماها القسطنطينية، لها أبواب كثيرة تزيد عن مائة باب، وقد كان اسمها طوانة ثم نسبت إلى قسطنطين. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج4، ص347، 348.الحميري: **الروض المعطار**، ص481.

[6] ابن دحية: المصدر السابق، ص139.

[7] المصدر نفسه، ص140 ــ 146.

حقيقة هذه السفارة بين الحقيقة والخيال، وقد رد حسين مؤنس على حقيقة هذه السفارة، وفند رأي بروفنسال الذي عدها في إطار الأسطورة[1].

وقد سار الغزال والوفد المرافق له حتى وصلوا إلى الدنمارك، ووصف ابن دحية (ت 633هـ /1235م) طريق الرحلة بالأهوال والمتاعب والأخطار التي لاقوها وجهود يحيى الغزال والوفد في الاجتماع بالنورمان والاتصال بهم إلى أن حصل اللقاء حيث يقول: « وكانت للغزال معهم مجالس مذكورة ومقامات مشهورة، في بعضها جادل علماؤهم فبكتهم، وفي بعضها ناضل شجعانَهم فأثبتهم »[2].

وعاد يحي بن الحكم الغزال والوفد المرافق لهبعد أن قضى في هذه الرحلة ما يزيد عن السنة والنصف، فمكث عند ملكِهم ما يزيد عن الشهرين، وتم الاتفاق بين الغزال والنورمان على الحفاظ على العلاقات الحميمة وجاء بكتاب من ملك النورمان[3]، يقول ابن دحية:« ثم انفصل الغزال عنهم، وصحبه الرسل إلى شنت يعقوب Santiago de Composela[4] بكتاب ملك المجوس إلى صاحبها، فأقام عنده مكرمًا شهرين حتى انقضى حجهم، وصدر إلى قشتاله Malaga[5]، مع الصادرين ومنها خرج إلى طليطلة Toledo[6]، حتى لحق بحضرة السلطان عبد الرحمن بعد انقضاء شهر »[7].

---

(1) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص158، 159. رياض أحمد عبيد الغاني: المرجع السابق، ص142.

(2) ابن دحية: المصدر السابق، ص140، 141. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص158. عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص247. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص132.

(3) عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص247.

(4) من ثغورماردة، وهي مبنية على جسد يعقوب الحواري، مدفون تحت تلك الكنيسة، مدينة مقدسة لدى الإسبان يقصدها كل نصارى روما والقسطنطينية، غزا شنت ياقوب عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر سنة:337هـ / 948م، وأوسع أهلها قتلاً وأسرًا وقراها هدمًا وإحراقًا. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص173. الحميري: **الروض المعطار**، ص348.

(5) من أعمال الأندلس قاعدته قشتالة، وهي أعظم الممالك المسيحية في الأندلس. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص483.

(6) مدينة أزلية من بناء العمالقة بالأندلس يتصل عملها بعمل وداي الحجارة من أعمال الأندلس، وهي غربي ثغرالروم وكانت قاعدة ملك القوطيين، وعُدّت مركزًا لجميع بلاد الأندلس منها إلى قرطبة وبلنسية والمرية تسع مراحل، وموقعها حسن عظيمة القطر وبنيان شامخ كثيرة البشر حصينة لها أسوارحسنة، وكانت دار الملك حين دخلها طارق بن زياد. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص106. الإدريسي المصدر السابق، ج1، ص189. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص39، 40.

(7) لا تزال الاختلافات سائدة حول خط سير الرحلة والأحداث التي تخللتها والاختلافات الزمنية، وقصة الغزال ليست معفاة من التحريفات، ويشير حسين مؤنس أن السفارة حقيقة وليست مجرد أسطورة كما ذكر ليفي بروفنسال، ومما يؤكد ذلك مثلا النص الذي أشار إلى التنصير في بلد الفيكنج Vikingos، أو لحق المرأة في الطلاق في ذلك الوقت بدأت الدنمارك في اعتناق المسيحية، كما أن المرأة الاسكندينافية يمكن أن تنفصل عن زوجها وعن التفاصيل المتعلقة بحياة وعادات ودين المجوس. ينظر: ابن دحية: المصدر السابق، ص146. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 160.

ويرى خليل إبراهيم السامرائي أن هذا الاتفاق كان اتفاقًا مؤقتًا، لأن النورمان أعادوا هجوماتهم على الأندلس، و لم تكن نهاية لإغارتهم وذلك بين سنتي (245 ــ 247هــ / 859 ــ 861 م)[1].

2 . المرحلة الثانية (245 . 247هـ /859 . 861م):

انتهى غزو النورمان الأول لبلاد الأندلس بانهزام وبتوقيع معاهدة للصلح بين هوريك Horic[2] والأمير عبد الرحمن، لكن بعد وفاة هوريك أعاد النورمان هجوماتهم على بلاد الأندلس، في عهد ابنه محمد المعروف بالأمين[3] بداية من سنة 245هــ / 859م[4].

ولما طرق النورمان الأندلس في المرة الثانية، كانت حالتها تختلف عن سابقاتها، فقد عمل عبد الرحمن على إقامة المحارس والمراقب على طول الساحل الغربي، وبنى دارًا للصناعة، وأخذ ابنه بعد توليه على إعداد الوحدات البحرية المقاتلة التي كانت تتحرك من سواحل إفرنجة المطلة على المحيط إلى سواحل جليقية Galicia[5]، وبلغت سفنه سبعمائة غراب[6] ووصل جيشه إلى مائة ألف فارس[7].

---

(1) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص132.

(2) ابن جود فريد الأول، حكم النرومان بين 813 ــ 854م، وفي عهده اشتدت غارات النورمان على بلاد الفرنجة وعلى بلاد الأندلس، استقبل سفارة يحي الغزال من بلاد الأندلس لعقد الصلح بين المسلمين والنورمان. ينظر:

ــ Dozy Reinhart: Op. cit: P: 298.

(3) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الملقب بالأمين، خامس أمراء بني أمية بالأندلس، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الرحمن سنة: 238هــ/ 852 م،وهو ابن الثلاثين، عرف بسيرته العادلة في الحكم بين الرعية، حيث عرف بالبلاغة والرجاحة ذا بديهة وروية، أتم عمل جامع قرطبه، واعترف به حكام بلاد المغرب في كل من تيهرت وسجلماسة، وهادنه وهاداه ملوك إفرنجة، وكان يستنفر للغزو في الصوائف لمدن الأندلس وكورها، وأوغل لمدة تزيد عن ستة أشهر، توفي سنة: 273هــ / 886م. ينظر ترجمته في: ابن الآبار: المصدر السابق، ج1، ص119. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص20 ــ 22. النويري: المصدر السابق، ج23، ص227.

(4) عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص249.

(5) ناحية قرب ساحل البحر المحيط، من ناحية شمالي الأندلس، في أقصاه من جهة الغرب، وصل إليه موسى بن نصير لما فتح الأندلس، وهي بلاد لا يطيب سكناها لغير أهلها. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج2، ص157.

(6) من أقدم أنواع السفن الحربية، واسمها مأخوذ من طائر الغراب، حيث كان رأس السفينة يأخذ شكل الغراب، وتحمل ما يقارب مائة مقاتل، والأغربة ليست متساوية الحجم، ففيها الكبير والصغير. ينظر: عبد الفتاح عبادة: **سفن الأسطول الإسلامي أنواعها ومعداتها**،مطبعة الهلال، مصر 1913، ص94. رفيق المايني: **الأسطول العربي منذ فجر الإسلام حتى أواخر عهد المماليك**، رسالة قدمت إلى دائرة التاريخ العربي في كلية العلوم والآداب بجامعة بيروت الأمريكية لنيل شهادة أستاذ في العلوم 6 آذار 1942، ص33.

(7) ابن حيان: المصدر السابق، ص2.

خرج النورمان بداية سنة: 245هـ / 859م، من ساحل الغرب في 80 مركبًا، وتغلبوا على الحاضرة (اشبيلية)، وأحرقوا المسجد الجامع وركزوا فيه راياتهم، ثم انتقلوا إلى العدوة[1]، ثم حلوا بمدينة نكور[2] فتغلبوا عليها، وتعرض أهلها للنهب والسبي إلا من نجا بالفرار، وكان ممن وقع تحت السبي أمة الرحمن وخنعولة ابنتا وافق بن المعتصم بن صالح ففداهن الإمام محمد بن عبد الرحمن، وكانت مدة إقامة النورمان بهذه المدينة ثمانية أيام[3].

والظاهرأن النورمان قد قوبلوا بمقاومة شديدة دفعتهم إلى التراجع والانسحاب واصطنعوا الحيلة فتظاهروا بتولية وجههم نحو بلاد العدوة، حتى لا يطاردهم المسلمون أويستعدوا لمواجهتهم، وتتهيأ لهم الفرصة في أخذ السواحل الأندلسية على حين غرة[4].

وبعد أن استباحوا مدينة نكور عادوا إلى الأندلس بمهاجمة السواحل الشرقية للأندلس، وتمكنوا من إلحاق الهزيمة المسلمين في ساحل تدمير Tudmir[5] لاعتمادهم على عنصر المفاجأة، ثم واصلوا زحفهم باتجاه حصن أوريولة Orihuela[6]، ثم تقدموا إلى حائط أفرنجة وقضوا فصل الشتاء وأصابوا الذراري والأموال[7].

---

(1) ابن الدلائي: المصدر السابق، ص118، 119. النويري: المصدر السابق، ج23، ص228. الحميري: **الروض المعطار**، ص223.

(2) سميت بهذا الاسم للنهر القريب منها، مدينة كبيرة بالمغرب من مدن مليلة بينها وبين البحر عشرة أميال، وقيل خمسة يحيط بها سورمن اللبن، وهي ذات أربعة أبواب وأسواقها عامرة، غزاها المجوس ونهبوها وأقاموا بها 8 أيام. ينظر: البكري:المصدر السابق، ص90.الحميري: **الروض المعطار**، ص576.

(3) البكري: المصدر السابق، ص92.

(4) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص164.

(5) (بالضم ثم بالسكون وكسر الميم وياء ساكنة) كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ومنها، مرسيةوأريولةوقرطاجنة ولورقة ومولة وجنحالة، بينها وبين قرطبة سبعة أيام، وتسير العساكر أربعة عشر يوما، وتجاور تدمير الجزيرتان، وجزيرة يابسة. ينظر: الإدريسي:المصدر السابق، ص175. الحموي: المصدر السابق، ج2، ص19.

(6) مدينة أزلية قديمة على ضفة النهر الأبيض، من كورة تدمير بينها وبين مرسية اثنا عشر ميلاً وبينها وبين قرطاجنة خمسة وأربعون ميلاً، لها قصبة في غاية الامتناع، ولها بساتين وجنات وضياع فيها فواكه كثيرة وأسواق عامرة. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص192.الحميري: **الروض المعطار**، ص67.

(7) ابن الدلائي: المصدر السابق، ص119. النويري: المصدر السابق، ج23، ص228. ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص132.

وفي وقت كانت سفن المسلمين قد استدارت من الساحل الأندلسي قادمة من السواحل الغربية إلى الساحل الشرقي، لقيتهم مراكب محمد بن عبد الرحمن بقيادة سبش بن كشوح وخشخاش البحري، وكان لقاؤهم بسفن النورمان بريف شذونة، فأصابوا مركبين للنورمان، وفيهما الأموال العظيمة والأمتعة الواسعة نفلها الله للمسلمين: « ثم صدهم ابن كشوح وخشخاش...، وقاتلاهم حتى غلباهم على مركبين آخرين فأحرقهما بجميع ما كان فيهما، وحمل المجوس عند ذلك على خشخاش، فأحدقوا به وصار بهم في صدر مركبه دركا حتى استشهد رحمه الله»[1].

وكان اتجاه مراكب النورمان شمالاً إلى مدينة بنبلونة Pamplona[2]، ولم يستطع حاكمها جرثية Garcia Inguez التي تسميه المصادر العربية « غرسيه ابن ونقه، أو غرسيه الفرنجي » أن يدفع النورمان فانهزم ووقع أسيرًا، فافتدي منهم بسبعين ألف دينار[3]، وفي رواية ابن الأثيربتسعين ألف دينار[4]، وزاد ابن الدلائي (ت 478هــ / 1085م) بقوله: « وأرتهن في بعضها أولاده »[5]، ووقع تحت أسرى النورمان في ناحية باجة عبد الله وعبد الملك ابنا محمد بن مسلمة، وأطلقوا عبد الله وساروا بعبد الملك، وأسَروا عند مهاجمتهم للساحل الغربي سعدون (السرنباقي) الذي ثار في عهد الأمير عبد الله وفداه تجار اليهود[6].

3 . المرحلة الثالثة (247 . 361هـ /861 . 971م):

استمرت غارات النورمان بظهور مراكبهم من جديد في سنة: 247هــ/861م في البحر عند الجزيرة الخضراء IberianPeninsula[7]، فكتب الأمير محمد بن عبد الرحمن إلى عماله بالاحتراس والتحفظ[8]، وفي ذلك يقول ابن الدلائي: « وفي سنة سبعٍ وأربعين ومائتين، ظهرت مراكب المجوس في البحر، فكتب إلى عمال الساحل بالاحتراس والتحفظ، فعطب بعضها في ناحية البحيرة من الجزيرة ... ونجا باقي المراكب إلى جهة أفرنجة »[9].

---

(1) ابن الدلائي: المصدر السابق، ص118، 119. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص97.

(2) مدينة بالأندلس بينها وبين سرقوسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً، ذات تضاريس جبلية صعبة، قليلة الخيرات يعاني أهلها الفقر وامتهنوا اللصوصية، ولغتهم البشقية لا تفهم. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص104.

(3) ابن الدلائي: المصدر السابق، ص119.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص132.النويري: المصدر السابق،ج23، ص228.

(5) **نصوص عن الأندلس**، ص119.

(6) المصدر نفسه، ص119.

(7) تقع على طرف المجاز المسمى بالزقاق من جهة المشرق. الإدريسي:المصدر السابق، ص 126.

(8) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي:المرجع السابق، ص 166.

(9) **نصوص عن الأندلس**، ص 119.

والظاهر أن النورمان لم يحققوا من هجومهم الثالث أي هدف يذكرمن الحصول على الغنائم أو الإضرار بأهلها، أو السيطرة على البحر، إلا بالقدر الذي خسروا من المراكب، وذلك ما أورده ابن حيان (ت 467هـ / 1067م) بقوله: « فيما كان خروج المجوس إلى الأندلس فلم يكن لهم هذه الكرة من الانبساط في البحر والإضرار بأهل السواحل، ماجرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطعما لشدة طبعها، ولا قوة مع ذلك من البحر هولا، عطبت له من مراكبهم أربعة عشر مركبا بناحية البحيرة من الجزيرة، فنكبوا عن حائط الأندلس واعتلوا إلى جهة الفرنجة »[1].

وبعرض هذا الحال، يمكن القول، أن خطر النورمان على الأندلس قد زال بعد سنة: 245هـ / 859م، ولم يعودوا يهددون شواطئ الأندلس، ولم يستطيعوا اقتحام الأشبونة واشبيلية، لأن شواطئها أصبحت محروسة، وأساطيلها معدّة ورجالها منتبهون[2].

وتفوقت البحرية الأندلسية هذه المرة، وردت هجوم النورمان على البحيرة من الجزيرة، وعطبوا أربعة عشر مركبة لهم، ولم يلقوا ظفرًا وعادوا إلى بلدهم يجرون الخيبة[3]، وبعد هذه الغارة زاد اهتمام الأمير محمد بن عبد الرحمن بالبحرية، فبادر إلى إنشاء دار للصناعة في قرطبة، وحصّن ما يمكن تحصِينه وفي ذلك يقول ابن عذارى (كان حيًا سنة 712هـ / 1312م): « وأمرالأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة، ليتوجه بها إلى البحر المحيط، عبد الحميد الرعيطي المعروف بابن مغيث، وكان قد رفع إليه رافع أن جليقية من ناحية البحر المحيط لا سور لها، وأن أهلها لا يمتنعون من جيش إن غشيهم من تلك الناحية، فلما كملت المراكب بالإنشاء قدم عبد الحميد بن مغيث عليها »[4].

وازداد خطر النورمان على بلاد الأندلس مع مطلع النصف الثاني من القرن 4هـ / 10م، بعد أن أوجدوا موطن قدم لهم، وحصولهم على منطقة نورمندنيا، بموجب معاهدة سانت كلير Saint Clir بين زعيمهم رولون Rolann وشارل الثالث سنة: 299هـ / 911م، وأصبحوا يهددون الثغور الشمالية للأندلس[5]، وهو ما صار يقلق الحكم المستنصر، ويروي دوزي أن دوق نورمنديا Normandie ريكاردوا الأول Ricardo أمر حفيده رولون بالتحرك إلى إسبانيا[6].

---

(1) ابن حيان: المصدر السابق، ج 2، ص 309.

(2) حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص 246.

(3) ابن حيان: المصدر السابق، ج2، ص311.

(4) **البيان المغرب**، ج2، ص103، 104.

(5) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص187.

(6) Dozya Reinhart: Op. cit, P: 311.

غير أن الأندلس قبل هذه الفترة، ومنذ الغزوات الأولى للنورمان، قد أخذ حكامها في الاستعداد للمواجهة، والتي تعود جذورها إلى عبد الرحمن الأوسط، الذي اهتم ببناء القوة البحريةوإنشائه دارًا للصناعة[1].

ويعتبر عبد الرحمن الناصر المؤسس الحقيقي للأساطيل الأندلسية، فقد قام بإنشاء دور للإنشاء في الكثير من مدن الأندلس[2]، وضم مدن المغرب مليلة[3] وطنجة، وصارت بمثابة حزام أمان للسواحل الأندلسية، وكانت المرية Almeria قاعدة الأسطول البحري[4].

واهتم الحكم المستنصر (350 ــ 366هــ / 961 ــ 976م) هوالآخربالأسطول البحري، وأورد لنا ابن الخطيب في الإحاطة[5]عند تحركه إلى المرية وعددها بثلاثمائة قطعة، وفي إطار استعداده لمواجهة النورمان عدد ستمائة جفن بين غزوي وغيره بقوله:« وأنشأ الأسطول لغزوهم، فكان عدده ستمائة جفن، بين غزوي وغيره»[6].

وفي إطار أخذ الاحتياطات اللازمةعمل الحكم المستنصر على إرسال الجواسيس لتتبع أخبار النورمان، وتحالف مع بعض الحكام الإسبان في غرب جليقية، ليكون له عونا على النورمانيين، وعمل على إرسال الصوائف البرية والبحريةالتي تتجه إلى الساحل الغربي الأندلسي، والتي تتبع تحركات النورمان، وأوكل مهام قيادة العمليات البحرية والبرية إلى قواد مهرة أمثال الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن، وأمير البحر عبد الرحمن بن رماحس، وصاحب الخيل زياد بن أفلح[7].

---

(1) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص172، 173. عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص403.

(2) عبد العزيز سالم: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**،مؤسسة شباب الجامعة للنشر والطباعة والتوزيع، الإسكندرية، 1984، ص36، 37.

(3) مدينة بالمغرب قريبة من سبتة ونهر ملوية على ساحل البحر، مدينة كبيرة أهلة عامرة كثيرة الخصب رخيصة السعر،كثيرة الأسواق والمتاجر، وهي مسورة من بناء الأولين، بها قصبة مانعة.ينظر:مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص166.الحموي: المصدر السابق، ج5، ص197.الحميري: **الروض المعطار**، ص545.

(4) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص 172، 173.

(5) ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 776هــ / 1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974، ج1، ص478، 479.

(6) **أعمال الأعلام**، ج2، ص41، 42.

(7) ابن الدلائي: المصدر السابق، ص99.ابن حيان: المصدر السابق، ج2، ص27، 28.

ورغم هذه الاستعدادات في إعداد الأساطيل البحرية لم يثن عزم النورمان في مهاجمة سواحل الأندلس الغربية، وكان ذلك سنة: 355هـ / 966م، بداية بقصر أبي دانس Alcacer do sal[1] في جنوب البرتغال، ووقع معهم الاشتباك في سهول أشبونة، في معارك عنيفة خلفت قتلى من الطرفين، وتمكن الأسطول المرابط باشبيلية من تتبع النورمان، واللحاق بهم وتحطيم عدد من مراكبهم وإنقاذ الأسرى المسلمين واستردادهم عدة الأسطول النورماني، في هذه الغارة ثمانية وعشرين مركبًا، بها ثمانون محاربًا بمجموع ألفين ومائتين وأربعون محاربًا[2].

وعاد الأسطول الأندلسي بعد تحركه إلى قاعدته اشبيلية بعد أن حقق انتصار، وولى النورمان منهزمين مخذولين[3]، وظلت أخبارهم تتوارد إلى قرطبة حتى قتل معظمهم، وأسر أعداد أخرى منهم، ومن بقي منهم على قيد الحياة ولوا إلى قواعدهم[4].

وحرصًا من الحكم المستنصر في أخذ الأهبة والاستعداد من جديد، أصدر أمرًا إلى ابن فطيس بصنع مراكب على هيئة مراكب النورمان، ووضعها في نهر الوادي الكبير[5]، وهذا قناعة منه بقوة فعالية مراكِبهم، التي امتازت بالسرعة والخفة، وتوقع عودتهم وإغارتهم من جديد[6].

و لم يكتف بنقاط المراقبة في قرطبة التي ترصد تحركات النورمان، وإنما عمل على إرسال الجواسيس والرسل إلى شواطئ جليقية تتقصى أخبارهم، كما أقام اتصالات مع بعض أمراء النصارى، من أجل مده وتزويده بتحركات النورمان[7]، فقد ذكر ابن حيان (ت 467هـ / 1067م) أن الحكم المستنصر وفدت إليه سفارةفي 25 رمضان، تخبره بتحرك النورمان بالساحل الغربي من بعض حكامها وهو غند شلب بقوله: « وفي يوم السبت لخمس بقين منه دخل قرطبة سلس رسول القوميس، غند شلب بن مسرة بكتابه من مدينة لسترة، من أداني جليقية، بتاريخ يوم الأحد لاثني عشر خلت من شهر رمضان يذكر دخول المجوس يوم السبت قبله وادي دويرة »[8].

---

[1] ثغر بغرب الأندلس يقع شرق مدينة أشبونة.ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص475.

[2] ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص238، 239. ابن خلدون:المصدر السابق، ج4، ص186. المقري: المصدر السابق، ج2، ص383، 384. شاكرمصطفى: **الأندلس في التاريخ**، دار الاشبيلية، سوريا، 2002، ص51.

[3] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص182.

[4] خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص188.

[5] ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص239.

[6] انتصار محمد الدليمي: المرجع السابق، ص108.

[7] عبد الرحمان علي الحجي: المرجع السابق، ص331.عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص404.

[8] **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، ج2، ص27.

و لم تمض إلا سنوات حتى عادت مراكب النورمان في الظهور في المياه الغربية، وهي من المناطق الغنية[1]، في بداية رمضان من سنة: 360هـ /971 م، وفي ذلك يقول ابن حيان: « ووقع الإرجاف بتحرك المجوس الإردمانيين، وظهورهم في البحر، ورموهم بسواحل الأندلس الغربية على عادتهم »[2].

وبظهور النورمان على سواحل الغرب، توالت رسل أهالي الغرب إلى الخليفة الحكم المستنصر (350 ــ 366هــ /961 ــ 976م) وهو بقرطبة فزعًا وطلبًا للنجدة واضطرب هو الآخر، وأخذ في اتخاذ التدابير اللازمة، ورسم مع غالب بن عبد الرحمن الخطة الحربية التي نظم فيها جميع قواته وأخذ في الاستعداد، فعهد إلى أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس بتسيير الأسطول من المرية Almeria إلى اشبيلية، واجتمعت قوى الأندلس للمواجهة، وعهد إلى القائد غالب بن عبد الرحمن بالإشراف على جميع القوات، وأمر صاحب الخيل زيادة بن أفلح بإخراج العدة والسلاح التي يحتاجها الجيش، وأرسل الفتيان مبارك ومبشر إلى كورة رية Raiyo[3] وشذونة، للإشراف على الأطعمة والأغذية والسلاح المجهز للغرب[4].

ويبدو أن الاستعداد البحري والبري قد جعل النورمان يحجمون عن النزول في الشواطئ الأندلسيةو لم تقع أية معارك، وأغلب الظن أنهم تراجعوالما رأوا من تفوق الأساطيل الأندلسية[5].

في حين يرى الباحث عبد الوهاب لعيفةأن سبب هذا الإحجام عن النزول يعود إلى أن النورمان قدعلموا باستعدادات المسلمين لمواجهتهم عن طريق جواسيسهم، ومعرفتهم بأحوال البلاد قبل أن يطرقوها لذا ولوا مدبرين[6]، وبينما ذكر شاكر مصطفى تولي النورمان وتراجعهم إنما يعود إلى خروج أسطول المسلمين لملاقاتهم وأخذهم زمام المبادرة[7].

بينما يرى كل من عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، أن سبب توليهم تعود إلى الإحتياطات الكبيرة التي اتخذها الحكم المستنصر، ومنها تعيين أجهزة لمراقبة تحركاتهم في قرطبة، ثم إرسال العيون التي تتقصى أخبارهم، وقد أوفد العيون بخبر تحركهم قبل أن تصله السفارة الوافدة إليه من أقاصي جليقية[8].

---

(1) عبد الله عنان: المرجع السابق، ج2، ص489.

(2) **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، ج2، ص24. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص241.

(3) تسميها المصادر العربية رية، كورة من الأندلس تقع شمال قرطبة نزل بها جند الأردن عند بداية الفتح، كثيرة الخيرات وافرة المياه. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص106. الحميري: **الروض المعطار**، ص279، 280.

(4) ابن حيان: المصدر السابق، ج2، ص24 ــ 28. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص241.

(5) عبد الله عنان: المرجع السابق، ج2، ص489. عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص406.

(6) عبد الوهاب لعيفة: المرجع السابق، ص96.

(7) المرجع نفسه، ص96.

(8) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص184.

ومن خلال ما أوردته المصادر وتعليقات الباحثين، نرى أن سبب توليهم يعود إلى الاستعداد البحري الكبير بتجميع الأسطول وتوجيهه نحو الغرب وإعداد الجيوش البريةمع شحن الأطعمة والسلاح وإيكال القيادة إلى قادة أكفاء مشهورين.

وعقب تولي النورمان وتراجعهم أشاد الشعراء بالانتصارات التي حققها الحكم المستنصر وقواده، فقدمدح الشاعر المعاصر محمد بن شخصين الخليفة، وقائده غالب بن عبد الرحمن بقوله: [الطويل]:

أَنتَ وَلِيُّ الشكرِ فِي كلّ مَا أَبلى   بسعدِكَ يبلى غالب لا ييأسف

بتَحصِينِكَ التَّقوَى وَتَأْمِينِكَ السُّبْلاَ   رَمَيتَ بِهِ جَيشَ الَمجوسِ عِنَايَةً

فَلَم تَبقَ من شَطَّيهِ عُلوّا وَلَا سَفلاَ[1].   وَلَمَّا أَحَاطَت بِالمحِيطِ جُنودُه

ورجع غالب بن عبد الرحمن قافلاً عن غزاته من ساحل الغرب إلى قاعدته المرية Almeria دون أن يخوضوا معركة، ووفى الخليفة المستنصر بكل تفاصيل تحركه، وفي ذلك يقول ابن حيان: « وفي ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها، احتل الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن، بمحله فحص السراديق قافلاً من غزاته إلى ساحل الغرب، التي تجول فيها، وأشرف على المجوس الإردمانيين الجائشين...، فاستدركت إليه الجيوش يوم السبت بعده من قصر قرطبة يومئذ مقيم به فتوصل إليه، وقعد بين يديه مليا، مفاوضا، ومسائلاعن تحركاته وتقلبه في غزاته »[2].

والظاهر من خلال نص ابن حيان أن الأسطول الذي تولاّه غالب بن عبد الرحمن لم يصطدم بالنورمان، و لم تكن هناك مواجهة حتى في المناطق التي ظهر فيها النورمان وأثناء عودته.

ولكن النورمان بعد مرور عام أعادوا هجوماتهم على السواحل الغربية للأندلس علّهم يحققوا بعض المكاسب التي تعودوا عليها[3].

ففي شهررمضان من سنة: 361هـــ / 971م، استدعى الخليفة الحكم المستنصرإلى مجلسه الخاص مع قائد صاحب الخيل زيادة بن أفلح، وصاحب الشرطة هشام بن محمد، وأمرهما بالتوجه في صائفة إلى جهة الغرب، التي يخشى منها ظهور النورمان، بعد أن اتخذوا الأهبة والاستعداد بجيش مكتمل العدة والعتاد، وعند خروجها من قرطبةفي إحدى عشر رمضان دعاهما لمقابلته، وأوصاهما بالمبادرة وعدم التواني، واستشارة أولي الرأي وخلع عليهما[4].

---

(1) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص221.

(2) **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، ج2، ص66،

(3) انتصار محمد الصالح الدليمي: المرجع السابق، ص108.

(4) ابن حيان: المصدر السابق، ج2، ص92. عبد المجيد نعنيعي: المرجع السابق، ص406. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص187.

ومضت الحملة التي وجهها الحكم المستنصر (350 ــ 366هــ / 961 ــ 976م)، ووصلت إلى شنترين Santarem[1]، قاصية ذلك الصقع، وتجولت في مدنها وقراها، وتبين لدى القائدين أن النورمان قد ولوا الأدبار، وتم التأكد من صحة الأخبار الواردة عن طريق الجواسيس الذين تم إرسالهم عن طريق أراضي الاسبان، ووصلوا حتى مدينة شنت ياقوب وأكدوا ذلك[2].

وفي ذلك يقول ابن حيان: « وانتهيا إلى مدينة شنترين قاصية ذلك الصقع، وتظاهرت لديهما الأنباء الصحيحة بأن الأردمانيين لعنهم الله نكصوا على الأقدام...، وأن الجواسيس الذين أرسلوا لامتهان أخبارهم عادوا إليها بعد بلوغهم شنب ياقب من قاصية بلد العدو، و لم يختلف عليهم في فرارهم... »[3].

ويمكن القول أن سبب ارتداد النورمان وتراجعهم، يعود إلى إرسال الحكم المستنصر للحملات البحرية والبرية، وإلى القادة المشهورين وهم غالب بن عبد الرحمن، وأمير البحر عبد الرحمن بن رماحس، وزيادة بن أفلح، فإن قواتهما تمكنت من دحر النورمان الذين لطالما اعتمدوا على عنصر المفاجأة في الإغارة[4].

وقصارى القول أنه رغم الاختلاف الحاصل بين المصادر الإسلامية والأوربية بين النورمان والأردمانيين والفيكنغ، موطنهم شمال أوروبا أو ما يعرف جزيرة إسكندينافوة، وهم ينقسمون إلى عدة فروع؛ السويديين والنرويجيين والدانيين والفلنديين، وهم من الجنس الأري، عرفوا بأنهم أمة بحرية اشتهرت بركوب البحر وصناعة السفن، وممارسة الغزو والنهب والسلب.

وقد تميزوا عن غيرهم بالإغارة السريعة والمفاجئة، والابتعاد عن الأماكن المحصنة المكشوفة، وتباينت تفسيرات الباحثين عن الأسباب التي دفعتهم للتحرك باتجاه أوروبا وبلاد الأندلس فهناك من رد ذلك إلى ظهور الملكية بينهم، وهناك من أرجعها إلى ارتفاع عدد السكان، وثالث إلى البيئة الجزرية الخلجانية الصعبة، فساعدهم ذلك على الاستقرار في مقاطعة نورماندي شمال فرنسا في تكوين إمارة خاصة بهم، وكانت منطلقا لهجماتهم على بلاد الأندلس.

كما تفيد المصادر التاريخية أن هجماتهم تركزت على الجهات الجنوبية والغربية منها، حيث كانت السواحل الأندلسية تفتقد للتحصين والحراسة، وهو على حد وصف ابن سعيد لاشبيلية بأنها عورة، وكان

---

(1) مدينة بالأندلس، من كورة باجة بنيت على حافة جبل عال غير مسورة وأسفها أرباض، وهي من ثغور المنطقة، تتنوع العيون بها، ذات بساتين وفواكه وخيرات كثيرة. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص189.الحميري: **الروض المعطار**، ص346، 347.

(2) ابن حيان: المصدر السابق، ج2، ص92.

(3) **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، ج2، ص93.

(4) انتصار محمد الصالح الدليمي: المرجع السابق، ص108.

غزوهم لمدنها مفاجأة للمسلمين، لكن الأمير عبد الرحمن استدرك ذلك وأثبت مقدرة عالية في إدارة الأزمات ومجابهة الشدائد، بتحصين منطقة الثغر الأدنى الساحلية، وتسوير مدينة اشبيلية، وإقامة الرباطات على السواحل الغربية وتزويدها بالمنارات التي تعرف بالطوالع، وتقسيم وتوزيع المهام على جيشه لدفع خطرهم على اشبيلية.

وأخذت البحرية الأندلسية بما سبق تنظيمًا جديدًا، وازدادت في عهد عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر،وأثبتت فعاليتها فتمكنت من صد غارات النورمان المتكررة، وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم خاصة، بعد تدعيم الأسطول البحري وإقامة الرباطات وتحصين المدن وبعث العيون، وتعتبر سنة: 361هـ / 1068م، آخر غارة على بلاد الأندلس زمن الخلافة، لتتجدد مع مطلع القرن 6هـ / 12م، وهو ما سيتم التطرق إليه.

الفصل الثاني

احتلال النورمان لصقلية

المبحث الأول: جزيرة صقلية من خلال المصادر الجغرافية

المبحث الثاني: الوضع السياسي في صقلية أواخر القرن 5هـ / 11م

المبحث الثالث: أسباب سقوط صقلية في يد النورمان

المبحث الرابع: تطلع النورمان لاحتلال بلاد المغرب

المبحث الأول: جزيرة صقلية من خلال المصادر الجغرافية

وصف الجغرافيون العرب جزيرة صقلية sicile[1] ومنهم ابن حوقل تضاريسها وبناياتها، وأشهر مدنها بقوله: « والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون، وجميع أراضيها مسكونة مزروعة، وليس لها مدينة مشهورة معروفة غير المدينة المعروفة ببلرم [Palermo][2] وهي قصبة صقلية »[3].

وعدد الإدريسي الذي عاش في ظلها محاسنها وفضائلها في مؤلفه « نزهة المشتاق » بقوله: « فردية الزمان فضلاً ومحاسنًا، ووحيدة البلدان طيبًا ومساكنًا، وقديمًا دخل إليها المتجولون من سائر الأقطار، والمترددون بين المدن والأمصار، وكلهم أجمعوا على تفضيلها، وشرف مقدارها وأعجبوا بزاهر حسنها، ونطقوا بفضائل ما بها، وما جمعته من مفترق المحاسن، وضمته من خيرات سائر المواطن »[4].

والجزيرة مع صغر مساحتها تتميز بكثرة مدنها وهذا على وصف المقدسي لها بقوله: « وصقلية جزيرة واسعة جليلة، ليس للمسلمين جزيرة أجل ولا أعمر ولا أكثر مدنا منها »[5]، فبرزت بلرم بخاصية وقوعها على ساحل البحر، والخالصة لأهميتها العسكرية.

ولاعتبارها قاعدةً لصناعة السفن ومركز الحكم، أكد ذلك ابن أبي دينار بقوله: « وجزيرة صقلية من أجمل الجزر في البحر وبها مدن عظيمة، وأفخر مدنها بلرم وهي المدينة العظمى على ساحل البحر...، وبها المدينة الخالصة التي كانت مستقرًا للسلطات...، ودار الصناعة لإنشاء المراكب »[6].

---

[1] من جزر أهل المغرب، وهي في البحر الشامي، موازية لبعض بلاد افريقية وتوازي من الجهة الأخرى أرض الروم الكبيرة وهي قريبة منها، وصقلية اسم لإحدى مدنها فنسبت الجزيرة كلها إليها، وهي أكبر جزر البحر المتوسط، تبعد عن شمال إفريقيا بحوالي 165 ميلاً، وتقدر مساحتها بـــ 25815 كم^2، بينهما وبين ساحل افريقية مائة وأربعون ميلاً، وأقرب المدن إليها اقليبية يفصلها عن إيطاليا، مضيق ميسني وهي جزيرة عظيمة. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص113 ــ 121. الحموي: المصدر السابق، ج3، ص416. القزويني: المصدر السابق، ص215.

[2] بلرم أو بليرمو، من أكبر مدن جزيرة صقلية وقاعدتها ومدينتها العظمى، تلقب بقصبة صقلية، تقع على الشاطئ الشمالي الغربي،وهي على قسمين قصر وربض، فالقصر هو القصر القديم المشهور ببناياته، والربض فمدينة أخرى تحيط بالمدينة، حسنة المباني، كثيرة المساجد، وبها المسجد الأعظم والحمامات والصنائع، ومنها تخرج الأساطيل للغزو، وصفها ابن جبير بقوله: « هي بهذه الجزائر أم الحضارة والجامعة بين الحسنين، عجيبة الشأن قرطبية البنيان ». ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج1، ص483.ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي (ت 614هـــ / 1217م): **الرحلة**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001، ص250.

[3] ابن حوقل: المصدر السابق، ص82.

[4] **نزهة المشتاق**، ص148.

[5] **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدولبي، القاهرة، ط1، 1991، ص 332.

[6] ابن أبي دينارأبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت 1110هـــ / 1698م): **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1286، ص87.

ويقدم ابن جبير (ت 614هـ / 1217م) وصفًا دقيقًا لمدينة مسينا Miseno[1] التي تعتبر من أهم مدن الجزيرة بقوله: « وهذه المدينة كثيرة الإرفاق برخاء الأسعار...، أسواقها نافقة حفيلةٌ، وأرزاقها واسعةٌ، بإرغاد العيش كفيلة... وهي كثيرة المدنوالعمائر »[2].

وقد اشتهرت صقلية ببعض مدنها التي جمعت بين الحصانة والقلاع والحصون، وتنوع الثروات من مواشٍ كالأبقار والأغنام والخيل والبغال، والمعادن كالذهب والفضة والنحاس والرصاص[3]، فذكرت المصادر أهمية حصن طبرمين Taomina[4]، ومدينة سرقوسة Syracuse[5]، ومدينة مازر Mazara[6].

مارست صقلية دورًا اقتصاديًا مهمًا في إنتاج الحبوب وتزويد بلاد المغرب بالقمح خاصة حين ضربت المجاعة بلاد إفريقية، وفي تجارة الذهب والسلع الفاخرة الشرقية (وخاصة الأقمشة القيمة)، كما تحكمت في تجارة القوافل بين المغرب ومصر، وفي إقامة علاقات تجارية مع أوروبا وشمال إفريقيا والمدن الإيطالية ومصر[7].

---

(1) بليدة على ساحل صقلية مما يلي الروم مقابل ريو، وهو بلد في بر القسطنطينية، الواقف في مسيني يرى من في ريو، تحيط بها الجبال من الجهة الغربية، أرضها خصبة طيبة، وبها معدن الحديد ومنه يتجهز إلى جميع الأقطار، كثيرة العمائر، والناس عنها قاصدون وراحلون، لها مرسى مشهور، ومحط السفن الرومية والإسلامية، موسم تجار الكفار، ومقصد جواري البحر من جميع الأقطار، أسواقها نافقة حفيلة. ينظر:الإدريسي: المصدر السابق، 149. ابن جبير: المصدر السابق، ص243. الحموي: المصدر السابق، ج5، ص130.

(2) ابن جبير: المصدر السابق، ص243، 244.

(3) الحموي: المصدر السابق، ج3، ص216 ــ 218. القزويني: المصدر السابق، ص215.

(4) وصفه الإدريسي بقوله: « حصن منيع وبلد شامخ رفيع من عيون الحصون الأزلية وأشرف البلاد الأولية، وهو على جبل مطل على البحر، وله مرسى حسن والسفر إليه من كل الجهات، ويحمل منه الكثير من الغلات، وبه منازل وأسواق، وهو مجتمع القوافل والرفاق الواصلة إلى مسيني، وبها ضياع صالحة ومزارع زاكية طيبة ». ينظر: **نزهة المشتاق**، ص148.

وذكره الحميري بقوله: « حصن بصقلية منيع، بينه وبين مسينا Miseno مرحلة، وهو بلد شامخ رفيع، أزلي من أشرف البلاد، وهو على جبل مطل على البحر، وبه مرسى حسن، والسفر إليه من كل الجهات، ويحمل منه الكثير من الغلات وفيه منازل وأسواق ». ينظر: **الروض المعطار**، ص385.

(5) ذكرها اليعقوبي بقوله: « وهي من أعظم مدائن ثغر الأندلس، على نهر يقال له أبره». ينظر: **البلدان**، ص71.

ووصفها الإدريسي بقوله: « قاعدة من قواعد مدن الأندلس كبيرة القطرآهلة ممتدة الأطناب، واسعة الشوارع والطرقات حسنة الديار والمساكن، متصلة الجنات والمساكن، ولها سور مبني من الحجارة حصين ». ينظر: **نزهة المشتاق**، ص190 .

(6) تقع إلى الشرق من صقلية، فتحها الأغالبة في الفترة الممتدة بين (224 ــ 227هـ / 838 ــ 841م)، وأقاموا بها مستوطناتهم الأولى، ونقلوا الرقيق للعمل بمزارعهم، وكان معظم السكان يتركزون في هذه المدينة. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص148، 149. الحموي: المصدرالسابق، ج5، ص40.

(7) Hubert Houben: Op.cit, P: 88.

إضافة إلى غناهاوتنوع ثرواتها، فصقلية احتلت موقعًا استراتيجيًا، فهي تمثل صلة الوصل بين شمال افريقية وايطاليا، وبين الشعوب ذات الحضارة على شواطئ البحر المتوسط[1]، التي تقع في قلب هذا البحر، وتشكل همزة وصل بين الشرق والغرب، الأمر الذي أهلها أن تلعب دورًا كبيرًا في عملية التواصل الحضاري بين العالمين المسيحي والإسلامي في العصور الوسطى[2].

وهذا الموقع المهم جعلها محطة أنظار الدول، في التسابق إلى امتلاكها والسيطرة[3] عليها، فكان الصراع في هذا البحر في فترات عديدة من التاريخ الإنساني، ابتداءً من تاريخ الفنيقيين والإغريق والرومان والقوط والبيزنطيين ثم المسلمين[4]، ولما فتحها المسلمون كان هدفهم اتخاذها قاعدة للتوسع نحو ايطاليا، والاستحواذ على القسم الأوسط من البحر المتوسط، والسيطرة على مواصلاته، وحماية بلاد المغرب، وهنا تظهر الأهمية السياسية والعسكرية لصقلية[5].

المبحث الثاني: الوضع السياسي في صقلية أواخر القرن 5هـ / 11م

تم فتح صقلية في عهد زيادة الله الأول (201 ــ 223هـــ / 816 ــ 837م) سنة: 212هـــ / 827م، على يد أسد بن الفرات (ت 213هـــ / 826م)[6] أمير وقاضي القيروان، بجيش مؤلف من المغاربة والعرب والأندلسيين قوامه عشرة آلاف فارس[7]، وتم الاستيلاء على مدن وحصون، ثم

---

(1) شوقي أبو خليل: **فتح صقلية**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1980، ص59.

(2) رشيد تومي: **النورمان والمسلمون في جزيرة صقلية في عهد الكونت روجر**، مجلة الاتحاد العام العرب، ع12، ص73.

(3) علي محمد الزهراني: **الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان بين التسامح والإضطهاد (44 ــ 591هـــ / 1052 ــ 1194م)**، منشورات كلية الشريعة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص3.

(4) إحسان عباس: **الوجود الإسلامي في صقلية دراسة في التاريخ والأدب**، ط1، بيروت ـــ لبنان، 1975، ص24.

(5) تقي الدين عارف الدوري: **صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط من الفتح الإسلامي من الغزو النورميدي**، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، ص37.

(6) أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم، أصله من خراسان، ولد سنة: 213هـــ / 759م، أمير وقاضي القيروان وأحد القادة الفاتحين، انتقل مع أبيه إلى القيروان ثم إلى المدينة، وقرأ على مالك بن أنس، ورحل بعد ذلك إلى العراق ثم إلى مصر، وفي سنة: 184هـــ /800م، عاد إلى القيروان، وكانت له شهرة في الفقه، فأسند إليه زيادة الله قضاء القيروان، ثم استعمله في أسطوله وجيشه لفتح صقلية، فدخلها فاتحًا، ومات متأثرًا بجراحه، وقيل: بالطاعون سنة 213هـــ / 226م. ينظر ترجمته في: أبو العرب التميمي محمد بن أحمد (ت 333هـــ / 944م) : **كتاب طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص81. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 453هـــ / 1061م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق: البكوش بشير، مراجعة: المطوي محمد العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ج1، ص254، 255.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص271.

تهاوت مدن الجزيرة على مراحل، كان منها بلرمو وسرقوسة Syracuse وقطانيه، وكانت صقلية تابعة لدولة الأغالبة (184 ــ 296هــ / 800 ــ 908م) بالقيروان، وبعد سقوطها أصبحت تابعة للفاطميين في إفريقية[1].

وعند انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر سنة: 361هــ /972م، انقطعت التدخلات المغربية في شؤون صقلية، وناب عنهم ولاة من الأسرة الكلبية لطالما لمحوا بالاستقلال، وفي ذلك يقول ابن الأثير (ت 630هــ / 1280م): « وناب عن الدولة الفاطمية في حكم صقلية ولاة من الأسرة الكلبية وتمتعوا بقسط كبير من الاستقلال الذاتي، ولمحوا في مرات بالخروج عنهم والطاعة لأمويي الأندلس »[2].

وكان أول من تولى حكمها من أسرة الكلبيين الحسن بن علي بن أبي الحسين (336 ــ 341هــ / 947 ــ 952م)[3] بأمر من الخليفة المنصور الفاطمي، التي لم ينقطع وصلها بالفاطميين[4]، حيث عملت الأسرة الكلبية منذ توليه الحكم إلى غاية حكم أبو الفتوح يوسف بن عبد الله الملقب بثقة الدولة (379 ــ 388هــ / 989 ــ 998م)[5]، على توطيد الأمن وتحقيق الاستقرارومجابهة الروم[6].

---

(1) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص85 ــ 87 وما بعدها.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص371.

(3) ولاه المنصور الفاطمي صقلية سنة: 336هــ / 947م، مكافأة على الخدمة التي أسداها للدولة الفاطمية بفتحه طبرمين وقلعة بنعش في رجب سنة: 352هــ / 963م، وقد أدت ولايته إلى تأسيس أسرةشبه مستقلة من أمراء الكلبيين حكمت الجزيرة أكثر من 90 سنة، فكان مُلكًا وميراثًا يتداولونه خلف عن سلف، وبرحيل المعز إلى القاهرة أصبحت الأسرة الكلبية عمليًا تتوارث حكم صقلية، حيث ساد في عهدهم الهدوء النسبي، وظلوا على ولائهم التام للفاطميين، واستمر حكم الأسرة إلى سنة: 437هــ / 1053م، وهي السنة التي انقسمت فيها الجزيرة إلى دول وطوائف متناحرة فيما بينها، وهو ماسهل على النورمان غزو الجزيرة. ينظر ترجمته في: ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص264. ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص222 ــ 225.

والصنهاجي أبو عبد الله محمد (ت 628هــ / 1230م): **أخبار ملوك بنو عبيدوسيرهم**، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة ، مصر، د.ت، ص80. ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيطالقسم الثالثمن كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق: أحمد مختار العبادي محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص122، 123.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص269. ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، ص 122 ــ 129.

(5) أبوالفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن حسن الكلبي، عهد له أبوه يوسف بالولاية قبل وفاته بإقرار من الخليفة الفاطمي العزيز الذي أنعم عليه بلقب ثقة الدولة، كان كفئًا وعهده عهد سلم، اشتهر بعلو الهمة والعدل، تولى أمر الجزيزة فضبط أمرها وأحسن إلى الرعايا،قام بشن الغارات على الأراضي البيزنطية وجنوب إيطاليا. ينظر ترجمته في: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص371. النويري: المصدر السابق، ج24، ص205، 206. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 264.

(6) ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 264. إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ط1، دار الثقافة، لبنان، 1975، ص43.

وقد عرفت صقلية في نهاية حكم هذه الأسرة، فوضى وانقسام واختلاف أفرادها على الإمارة، بعد أن أصيب أبو الفتوح يوسف بمرض الفالج (شلل نصفه الأيسر)، وإنابته لابنه جعفر (388هـ / 998م) الملقب بتاج الدولة، الذي حاول ضبط أمور الدولة لكن لم تستقم له الأمور، حيث ثار عليه أخوه علي بمساعدة بربر كتامة، واستطاع القضاء على الثورة، وكانت هذه المحنة أول الفتن بالجزيرة[1].

وما إن فرغ جعفر من القضاء على الثورة التي اندلعت حتى واجهته ثورة أهل صقلية، وذلك بإسناده أمر دولته إلى كاتبه حسن بن الباغاني الذي أحدث المظالم فاجتمع أهل صقلية، وتمكنوا من حصاره، وعندها تدخل أبوه المشلول أبو الفتوح يوسف وهدأ الثائرون، وعزل جعفر واستبدله بابنه الأخر أحمد الأكحل (حكم سنة 409هـ /1019م)[2]، وفي ذلك يقول ابن خلدون (ت 808هـ / 1405م): « ثم أن جعفر الملقب بتاج الدولة، أحدث مظالم كثيرة فخرج الصقليون وحاصروه ليقتلوه، فثبطهم أبوه ثم عزله وجعل أخاه تأييد الدولة أحمد الملقب الأكحل »[3].

ولما ولي ابن الأكحل الملقب بتأييد الدولة أخذ أمره بالحزم والاجتهاد في بعث السرايا للجهاد في بلاد الروم، وخضعت له جميع القلاع والمدن التي كانت للمسلمين في صقلية لكنه أساء السيرة بأن أثار مشكلة التفرقة بين الإفريقيين والصقليين حيث تقرب من الإفريقيين وحمى أملاكهم، وأخذ الخراج على أهل صقلية، مما أثار حفيظة الصقليين، فسار جماعة من أهل صقلية إلى المعز، وشكوه بأن نكون في طاعتك أو نسلم البلد للروم[4].

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص472.

ويرى حسين مؤنس أن من أسباب سقوط صقلية وضياعها تعود بالدرجة الأولى إلى السياسة التي اتبعها الفاطميون تجاه الجزيرة، وذلك بفصلها عن القاعدة الإسلامية الأساسية الوحيدة القريبة التي كان يمكن الدفاع عنها منها وهي إفريقية، وإلحاقها بهم، وكان من واجبهم الدفاع عنها، ونتج عن ذلك أنه لما اضطربت أحوالها كانوا عاجزين عن الدفاع عنها، وكل ما فعلوه مكاتبات الاستنكار لحاكم صقلية روجار الأول، مثل المراسلة التي جرت بين المعز الفاطمي وروجار الثاني بعد استيلاء هذا الأخير على جربة (529 ــ 530هـ / 1134 ــ 1135م). ينظر: حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص178، 179.

[2] أحمد الأكحل ابن يوسف بن عبد الله الملقب بالأكحل، عينه أبوه بعد ثورة بلرم سنة: 409هـ / 1019م، بعد عزل ابنه جعفر في محاولة منه لتهدئة الثائرين، كان أبوه يعاني من المرض الشلل، أنعم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله على أحمد الأكحل لدى توليه الحكم بلقب تأييد الدولة. ينظر ترجمته في: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص471. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص267، 268.

[3] **كتاب العبر**، ج4، ص267.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص472.

وتعود أسباب الفتنة إلى ضعف الحكام الذين تولوا أمر الجزيرة بعد أبو الفتوح يوسف، وسوء سيرتهم وإثارتهم للفتنة بين العرب والبربر من جهة، ومن جهة أخرى سوء معاملة الرعايا وإرهاقهم بالضرائب، التي كانت من بين الأسباب الدافعة إلى الثورة واضطرب الأمر بصقلية وساءت أحوالها[1].

المبحث الثالث: أسباب سقوط صقلية في يد النورمان

اجتمعت عدة عوامل أدت إلى سقوط صقلية في يد النورمان، ارتبطت أساسًا بالظروف والأوضاع التي كانت تمر بها البلاد الإسلامية مشرقًا ومغربًا، تزامن هذا وتحرك النورمان باتجاه جنوب إيطاليا بعد صراع ضد البيزنطيين والبابوية، وتطلعهم نحو صقلية مستغلين اضطراب وضعها الداخلي بتولي أسرة الكلبيين مقاليد الحكم، وتخلي الفاطميين والزيريين عنها.

1 . انقطاع المدد عن صقلية:

يستفاد مما ذكرته المصادر التاريخية أن أسباب سقوط صقلية تعددت، فذكرت انشغال عمل السلطة الحاكمة في البلاد الإسلامية بالفتن والاضطرابات الداخلية، سلطة الزيريين[2] في بلاد المغرب، والفاطميين في بلاد المشرق، والأمويين في بلاد الأندلس وانقطاع المدد عن الجزيرة[3]، مما أدى إلى حدوث اضطراب وانقسام سياسي بداخلها.

وصف ابن الخطيب (ت 776هـ / 1374م) الوضع بقوله: « تم تداول على ولاية صقلية أمراء من هذا البيت، إلى أن انقطع عنهم إمداد المسلمين، لاشتغال كل جبهة بما يخصها من الفتن فكان استخلاص العدو لها »[4]، وهو ما أكده ابن خلدون الذي ربط فقدان صقلية بالضعف الذي أصاب العالم

---

[1] إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص43 ــ 45. مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص21.

[2] يعودون إلى مناد بن منفوس بن صنهاج، وهم أهم ممثلوا صنهاجة في إفريقية في أواخر القرن الثالث الهجري، وعلى يدهم ظهرت الشهرة الصنهاجية، وكانوا يقطنون القسم الأوسط من المغرب الأوسط، مظهرين التبعية والولاء للفاطميين، ولما عزم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي إلى الانتقال إلى مصر، ولحرصه على إبقاء المغرب تابعًا له، عيّن بلكين بن زيري أحد زعماء قبائلهم حاكمًا على إفريقية، غير أن الظروف أثبت أنه من غير السهل أن يحكم هذه المناطق الشاسعة حاكم واحد، وحدث نوع من التقسيم في عهد حفيده باديس، حيث آلت المناطق الغربية إلى بني حماد أحد فروع أسرة بني زيري، الذين اتخذوا من قلعة بني حماد عاصمة لهم، بينما احتفظ الفرع الأساسي من بني زيري بولاية إفريقية وعاصمتها القيروان. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص202 ــ 203.

وعبد الحميدسعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي**، مطبعة أطلس، الإسكندرية، 1990، ج3، ص292، 293.

مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص90.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص471. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص267.

[4] **تاريخ المغرب في العصر الوسيط**، ص129.

الإسلامي[1] في هذه الفترة بقوله: « حتى إذا أدرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والوهن، فطرقها الاحتلال، ومدّ النصارى أيديهم إلى جزائر البحر الشرقية، مثل صقلية واقريطش[2] ومالطة فملكوها »[3].

والظاهر من قول ابن خلدون أن السلطات الحاكمة كانت تمد صقلية إلى أن أصابها الضعف، فتخلت عنها، لكن هذا القول لا يمكن إطلاقه على سبيل التعميم، ذلك أنّ الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر عملوا على فصلها عن قاعدة بلاد إفريقية ومنحوا نوعًا من الاستقلال الذاتي تحت حكم حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي (336 ــ 341هــ / 949 ــ 952م)، وكانوا عاجزين عن تأييده وفي ظل الاضطراب الذي حصل بها عندما طرقها النورمان، اكتفوا بالتنديد والإستنكار[4].

وكانت تربطهم بالنورمان اتفاقيات تعاون اقتصادية وتجارية، وتمثيل دبلوماسي في شكل رسل وخطابات خلال حكم روجار الثاني، كما أدرك الفاطميون في مصر قوة الأسطول النورماني لذا تحاشوا الاصطدام به[5]، خاصة بعد إغارته على كل من تنيس وذمياط ورشيد والإسكندرية، في فترة حكم وليام الأول[6]، وهو ما يفسر ربما تخليهم عن صقلية، فضلاً عن انشغالهم بأوضاعهم الداخلية، ومنافسة الدولة العباسية على سيادة العالم الإسلامي وشعار الخلافة، ولإدراكهم حقيقة النهاية المحتومة للجزيرة بعد الانقسام الذي حصل بها، كما أن بعد المسافة قد قزم من حجم الاتصال.

---

(1) كانت بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 5هــ / 11م تمر بمرحلة تراجع، فجنوة Génes وبيزة Pisa كانتا تشن الحملات على صقلية وإفريقية الزيرية بمنعها وصول الإمدادات أندلسية، وتصدع الخلافة الأموية بوفاة الحكم المستنصر سنة: 366هــ / 976م، ثم بسقوطها سنة: 422هــ / 1031م، بعزل هشام الثالث آخر خلفائها، حيث استقل أمراء الأطراف وأصبحوا يدّعون بملوك الطوائف، وبلاد المغرب إضافة إلى ما كانت تعاني منه من هجمات البيزيين والجنويين تحت حكم الزيريين، فغارات العرب الهلالية قد ولّدت تصدعًا سياسيًا وانكماشًا اقتصاديًا، تسبب في قطع صقلية عن مركز الخلافة الفاطمية. يراجع: تقي الدين عارف الدوري، **سقوط صقلية**، ص352 ــ 354. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص192.

ومحمد العروسي المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، 1982، ص17 ــ 19.

(2) تقع في البحر الشامي، وهي جزيرة عامرة كثيرة الخصب، بها مدن عامرة، ودورها خمسة عشر يومًا، بينها وبين ساحل البحر يوم وليلة، وبينها وبين جزيرة صقلية مسيرة تسعمائة ميل. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص51.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص315.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 371. حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص175.

(5) سيمينوفا: **تاريخ مصر الفاطمية**، ترجمة وتحقيق: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001، ص152. ممدوح محمد مغازي: **غارات نورمان صقلية على مدينة تنيس المصرية 548 ــ 573هــ / 1154 ــ 1177م**، ع21، منشورات مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، 2009، ص1049.

(6) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص71.

أما عن دور بلاد المغرب ممثلة في سلطة الزيريين، فتؤكد المصادر[1] أنهم حاولوا نجدة صقلية في فترة حكم المعز بن باديس[2]، وتميم بن المعز[3]، بينما تخلوا عنها بعد أن دبّت النزاعات بين أهلها، واشتغالهم بحرب العرب الهلالية[4]، وحرب أبناء عمومتهم من بني حماد في القلعة وبجاية[5].

لكن حسين مؤنس يرى أن الزيريين لم يحركوا ساكنًا، و لم يبدوا أي مقاومة للنورمان عند غزوهم لصقلية، لأن صقلية لم تكن جزءًا من ولايتهم، وإنما هي ولاية كانت تابعة للفاطميين في مصر[6].

---

(1) **كتاب العبر**، ج4، ص269. **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص87. **الكامل في التاريخ**، ج8، ص472، 473.

(2) المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، رابع أمراء الدولة الزيرية، ولد سنة: 398هـ/1007م، لقبه شرف الدولة، قطع الخطبة للمستنصر الفاطمي، وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وألزم جميع أهل المغرب على التمسك بالمذهب المالكي، ووصفته المصادر بأنه كان ملكًا مهيبًا سريًا شجاعًا علي الهمة، محبا للعلم كثير البذل، أطرى الشعراء في مدحه، ووصف المؤرخون عصره بالذهبي في إفريقية رغم ما مرت به إفريقية من هجومات زناتية ومجاعات وهجومات العرب الهلالية، توفي سنة: 453هـ / 1061م. ينظر ترجمته في: الذهبي: المصدر السابق، ج18، ص140.

وابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ / 1283م): **وفياة الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994، ج5، ص233، 234.

(3) أبو يحي تميم بن المعز بن باديس بن المنصور الحميري الصنهاجي صاحب إفريقية، ولد بالمنصورة في منتصف رجب سنة: 422هـ/1130م، تولى بعد أبيه في صفر سنة: 445هـ / 1154م، كان مهيبًا سائسًا، عالمًا شاعرًا ممدحًا، حسن السيرة محمود الآثار، ولاه أبوه المهدية سنة خمسة وأربعين، توفي سنة: 501هـ / 1107م. ينظر ترجمته في: ابن الأبار: المصدر السابق،ج2، ص 22. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص304. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص303.

(4) غلب مصطلح العرب الهلالية على بني هلال وبنو سليم (عرب الشمال العدنانية)، وكان موطن بنو هلال شبه الجزيرة، أما بنو سليم أحواز المدينة، وانتقل جزء منهم إلى البحرين وعمان،وقد عرفوا ببداوتهم وعدم استقرارهم، وممارسة أعمال السلب والنهب والإغارة، وبذلك لم يعيشوا على هامش الإحداث، فقد دخلوا في صراع مع من جاورهم بسبب البحث عن الكلأ لماشيتهم ومصادر المياه، ثم اندمجوا في صفوف المعارضة والثورة ضد السلطة الحاكمة ممثلة في الدولة العباسية، وبعد ظهور الدولة الفاطمية في مصر لجأوا إليهم، وتمذهبوا بالمذهب الشيعي طمعًا في النصرة وتقويض دعائم الدولة العباسية، ورغم دخولهم إلى جانب الفاطميين كحلفاء، لم ينسوا طبائعهم من إثارة الفوضى داخل الدولة، الأمر الذي دفع بالفاطميين إلى تجميعهم في صحراء الصعيد الشرقية، وفرضت عليهم ما يعرف بالإقامة الجبرية، و لم يسمح لهم بالرحيل وإجازة النيل.ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 28 ــ 30. القلقشندي: المصدر السابق، ص437 ــ 443.

وألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1987، ص151 وما بعدها. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، 1985، ج2، ص543، 544.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 473. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص87.

(6) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص177.

وربما نحن نوافقه الطرح؛ ذلك أن انتقال بني زيري خلال فترة المعز بن باديس وابنه تميم، كانت تأتي دائمًا عقب الاضطراب والانقسام الحاصل بين المسلمين داخل الجزيرة، وانتقالهم كان بهدف رأب الصدع القائم أو الميل إلى أحد الأطراف المتصارعة، بيد أنّ الزيريين تخلوا عن الجزيرة فالأحداث التي تمت الإشارة إليها تؤكد أن الزيريين كانوا يعتبرون أنفسهم الوصي الشرعي عنها لكن المصادر لا تشير إلى وقوع نزاع مسلح بينهم وبين النورمان بشأن الجزيرة عدا حادثة واحدة .

وفيما يبدو أن مظاهر الوهن السياسي ينطبق إلى حد بعيد على بلاد الأندلس تحت حكم الدولة الأموية، التي فقدت وحدتها السياسية بسقوط الخلافة الأموية سنة: 422هـ / 1031م، وانقسام بلاد الأندلس بعدها إلى دويلات صغيرة تعرف بملوك الطوائف[1].

2 . تحرك النورمان من جنوب إيطاليا:

حرّك النورمان لغزو جنوب إيطاليا عدة أسباب منها؛ البحث عن ظروف معيشية أفضل، وخاصة العائدين منهم من الأماكن المقدسةالذين اطلعوا على خصب المنطقة وغناها، وسرعان ما تبعتها مجموعات أخرى من المقاتلين، وأخذ انتقالهم إلى جنوب إيطاليا شكلاً تدريجيًا لأقلية محاربة استقرت في مجموعات صغيرة في الإقليم مشكلين طبقة أرستقراطية عسكرية وظهرت هذه الطبقة كأقلية محاربة ماهرة[2].

ثم انضم إلى النورمان في هجرتهم لجنوب إيطاليا مهاجرون فرنسيون وأوكيتانيون، وتم التعاقد معهم كمرتزقة من قبل البيزنطيين واللومبارد[3]، وكانت دوقيةنورماندي غارقة في النمو السكاني الذي فشل في توفير التنمية الكافية لموارد الإنتاج المتاحة، ووجود خلل بين النمو السكاني والموارد إضافة إلى محاولة التحرر من النظم الإقطاعية، حيث دفع بالعديد من الدعاة المتدربين من سلالات نورمان النبيلة للتخلي عن إقطاعاتهم لإيجاد فرص أفضل وظروف معيشية في مكان آخر[4].

وحركت النورمان لغزو صقلية عدة أهداف ساعدهم الظروف التي كانت تمر بها البلاد الإسلامية ومنطقة حوض المتوسط في هذه الفترة، وقد أدركوا أهمية موقعها الاستراتيجي المتحكم في تجارة الشعوب التي تقع على ساحل هذا البحر[5]، فضلاً عن خصب وتنوع ثرواتها عن منطقة جنوب إيطاليا، وهو ما انتبه إليه النورمان، كما أن احتلالها حلم لطالما راودهم[6].

---

[1] خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص224.

[2] TommasoIndelli: I Normanni in Italia, P: 2.

[3] Olga Trofimova, Op.cit, P: 98.

[4] TommasoIndelli: Op.cit, P: 2.

[5] مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص18.

[6] رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط3، دار الهدى ــ عين مليلة، الجزائر، 2000، ص161.

ليضاف إلى ذلك تطلع روجار الأول Rodgar[1] وأخيه روبرت جيسكارد Robert Giscard المتوفي سنة: 1085م[2] إلى تأسيس دولة قوية، خاصة بعد أن وطّدواأقدامهم في جنوب إيطاليا، وهذا لا يكون إلا بالاستيلاء على صقلية، فهي قريبة من أملاكهم، وتشكل خطرًا دائمًا على ممتلكاتهم التي استحوذوا عليها حديثًا[3].

وعُرف روبرت جيسكارد بالذكاء والقوة في مواجهة الشدائد، واستطاع أن يهزم قوات البابا ليو التاسع، ويشكل مصدر قلق يؤرق الولايات الكنيسة الجنوبية، وبعد مرور خمس سنوات تمكن من جمع الميراث الكنسي، وبموجب معاهدة بينه وبين البابا التي قبلها هذا الأخير على مضض وكان روبرت جيسكارديسعى إلى التوسع خارج القارة وخارج البحر الادرياتيكي[4]، وبوصول شقيقه الأصغر روجار الأول الذي لم يتعد عمره عشرون عامًا، استطاع أن يفتح مناطق جديدة في صقلية[5].

---

[1] روجار بن تانكريد أخو روبارت جيسكارد الذي سماه كونت صقلية، امتاز هو وإخوته بالشجاعة والمهارة وقوة البدن، تمكن إلى جانب أخيه من غزو جنوب إيطاليا، وطرد البزنطيين من مدينة برنديزى وتارنتو وريو، وكان ذلك سنة: 451هـ / 1060م، ثم وجه اهتمامه لغزو صقلية لغناها وخصبها، وبمساعدة وطلب من ابن الثمنة من تنفيذ الغزو سنة: 452هـ / 1061م، وتعززت مكانته بعد وفاة أخيه سنة: 477هـ / 1085م، وكوّن جيشًا من المسلمين، ساعده في توطيد الأمن والاستقرار في الجزيرة. ينظر ترجمته في: أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص19 ــ 22. رشيد تومي: المرجع السابق، ص33 ــ 39.

[2] روبارت جيسكارد ابن تانكريد دي هوتفيل، ومعناه روبارت الحكيم أو الفطن، ولد حوالي سنة: 1016م، مؤسس ولاية النورمان في صقلية، منحه أبوه دروغن كنتًا حصنًا على الحدود الأبوليةالقلورية، وكلفه بفتح قلورية وطرد البزنطيين، واستطاعوا بالاتفاق مع وكونت أبوليا كسر التحالف الذين دعا إليه البابا ليو التاسع مع القوات الألمانية والإيطالية واللمباردية، وتوقيع اتفاقية مع النورمان والبابا، باعتراف هذا الأخير على ما يفتحه النورمان في إيطاليا وصقلية، مقابل دفاعهم عن أملاك الكنسية دوق بوليا وكالابريا، توفي في17يوليو 1085م، ينظر ترجمته في: رشيد تومي: المرجع السابق، ص36، 37.

- Pattou Etienne: **Italie Méridionale Sicile, Royaume de Naples, Pouilles, Calabre Terre Sainte**, Maison de Hauteville, 2005, P: 1.

[3] أحمد عزير: المرجع السابق، ص 58.

[4] بحر البنادقيين أو البنادقة، يقع جنوب إيطاليا، من أهم المدن المطلة عليه برنديزى ومدينة إستريا وجزيرة كريسته وأنكونا، غزى المسلون هذه المناطق سنة: 329هـ / 840م، وقد أمكن للبندقية التي تقع على رأس هذا البحر خلال النصف الأول من القرن 4هـ / 10م، بعد طرد المسلمين من أبوليا وسواحل دلماشيا من أن تجعل منه بحيرة خاصة لها. ينظر: أحمد عزير: المرجع السابق، ص25.

ولويس ارشيبالد: **القوى البحرية في حوض البحر المتوسط 500 ــ 1100م**، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 318 ــ 323.

[5] Pierre Aubé **:Les Normands en Méditerranéedu XI eau XIIIe siècle**, Clio voyages culturelles, Janvier 2002, P: 2.

وبرزت تطلعات روجار أكثر من أخيه، فهو كان يهدف في توسعاته إلى تحقيق شهرة، وإقامة دولة يكون هو زعيمها، فهو لم يرض بالإقطاعات التي كان يقدمها له أخوه روبرت، ورأى أن صقلية مجال رحب للغزو[1].

وإذا كانت هذه المغريات هي التي حفزت النورمان على الغزو، فإن الانقسام السياسي في صقلية وتوالي هجمات البيزنطيين عليها سنة: 430هـ / 1038م، قد سهل من عمل النورمان في تنفيذ الغزو والاحتلال[2]، كما رحب سكان إيطاليا الجنوبيين بالنورمان قبل البيزنطيين، لأن نظامهم الضريبي أرهق السكان، وأفسح المجال أمام المؤامرات التي دبرها البيزنطيون ضدهم[3].

وتوالى صراع البابوية مع البيزنطيين في ميل البابوية إلى الاتفاق مع النورمان ضد البيزنطيين، فقد حصل الاتفاق سنة: 451هـ / 1059م، حيث أقطعت البابوية النورمان دوقية أبولية Apulia[4] وكلابريا Calabria، وذلك بهدف تخليص ايطاليا من البيزنطيين، وإعادة صقلية إلى النصرانية، مما جعل روبرت جيسكارد Robert Giscard يقسم على غزو صقلية، وعهد إلى أخيه روجار تنفيذ عملية الغزو[5].

وإذا كانت هذه الأهداف هي القريبة للنورمان في تنفيذ عملية الغزو، فإن أهدافهم البعيدة كانت ترمي إلى السيطرة كذلك البحر الادرياتيكي، وعلى البحر المتوسط، والتوسع على حساب المسلمين والبيزنطيين على حد السواء[6]، مستغلين في ذلك تفرق كلمة المسلمين وانشغالهم بأنفسهم، وغفلتهم عما يجري في العدوة الايطالية، وكذا ضعف الدولة البيزنطيةوصراعها مع البابوية[7].

---

[1] تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص351.

[2] حسين ممدوح: **الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري**، ط1، دار عمار، عمان ــ الأردن، 1998، ص134.

[3]Max Trimurti **:L'arrivo Dei Normanni in sicilla e la Risonquista**, P: 6.

[4] مقاطعة في جنوب إيطالية، إضافة إلى قلورية Calabria، كانت تابعة للبيزنطيين قبل أن يسيطر عليها النورمان بقيادة روبارت جيسكارد سنة: 1060م. ينظر: أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص19، 20.

[5] تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص350، 351.

[6] أميرة مصطفى أمين يوسف: **العداء بين النورمان والبيزنطيين، وأثره على موقف الأميرين النورمانيين بوهيمند وتانكريد من إمبراطور القسطنطينية أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى عام 1097م**، قسم التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، ص850.

[7] حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص134.

3. اضطراب الوضع الداخلي وسقوط الجزيرة:

بدأ تطلع النورمان نحو بلاد صقلية بعد قيام الفوضى والاضطراب أو ما يشبه الحرب الأهلية في صقلية[1]، عقب تولي أحمد الأكحل (409هـ / 1019م)، فقد وصف الباحثون فترة ولايته ببداية النهاية ليس لأسرة الكلبيين، وإنما لبقاء الجزيرة إسلامية أم لا[2].

فرغم ما عُرف به من الجرأة والحزم وبث السرايا والجهاد ضد الكفار[3] فقد أساء السيرة بإسناده الأمر إلى ابنه جعفر، الذي تحامل على الصقليين على حساب الإفريقيين، وفي ذلك يقول ابن خلدون: « وفوض الأمور إلى ابنه جعفر، وجعل مقاليد الأمور بيده فأساء ابنه جعفر السيرة، وتحامل على أهل صقلية، ومال إلى أهل افريقية، وضج الناس منه »[4]، وأخفق بذلك ابن الأكحل في تحقيق العدل والمساواة بين الجماعات المستقرة بين الصقليين الذين فرض عليهم الخراج على الأملاك وأعفى الإفريقيين من ذلك وتذمر الصقليون من هذا التصرف[5].

والظاهر أن ابن الأكحل تحامل على الصقليين ليحد من شوكة أعيانهم، واتبع في ذلك سياسة فرق تسد للتحقيق مراده، ونتيجة لتصرفه انتقل وفد من صقلية إلى المعز باديس (406 ـ 454هـ /1015 ـ 1062م)، الذي استقبل وفدهم سنة: 434هـ / 1036م، واستجاب المعزلطلبهم، وأرسل أسطولاً مكونًا من ثلاثمائة فارس ومعه ولداه عبد الله وأيوب، واستطاع دخول مدينة بلرم، وانتهت الحرب بين الطرفين بمقتل ابن الأكحل، ثم إن أهل صقلية ندموا على ما قاموا به، وأجمعوا رايتهم على قتال جند المعز فزحفوا إليه ودارت الحرب، وانهزم جند المعزورجعت مراكبه إلى افريقية، وولّى أهل الجزيرة عليهم الحسن الصمصام فازدادت الأمور اضطرابا فأخرجوه[6].

ووصف ابن خلدون (ت 808هـ / 1405م) الوضع بقوله: « وولوا الصمصام واضطربت الأمور وغلبة السفلة على الأشراف، ثم ثار أهل بلرم على الصمصام وأخرجوه، وقدموا عليهم ابن الثمنة من رؤوس الأجناد »[7].

---

[1] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص58.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص472. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص269.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص472.

[4] **كتاب العبر**، ج4، ص269.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص472.

[6] المصدر نفسه، ج8، ص472.

[7] **كتاب العبر**: ج4، ص269 .

يضاف إلى ذلك بروز ظاهرة التنافر بين سكان البلاد والفاتحين من عرب وبربر، وضعف السلطة المركزية، وظهرت بقوة أواخر القرن 5هـ / 11م[1]، وأدى واستفحال هذه الظاهرة إلى المنافسة والاقتتال بين سكان مدن صقلية ثم الانقسام[2].

ووصف ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م) حال صقلية بعد مقتل أحمد الأكحل، وتعيين أخيه الحسن صمصام الدولة (429 ــ 435هـ /1038 ــ 1044م)، وانقسام صقلية إلى دويلاتمتصارعة بقوله: « ولي أهل صقلية عليهم أخاه الأكحل اسمه الصمصام ابن يوسف، واضطربت أحوال صقلية عند ذلك، واستولى الأراذل، ثم أخرجوا الصمصام وغيرهما، وانفرد القائد بن نعمة المعروف بابن الحواس[3] بقصريانه[4]، وجرجنت Girgenti[5]، وانفرد محمد بن إبراهيم المعروف بابن الثمنة (ت 454هـ / 1062م)[6]، بمدينةسرقوسةوقطانية Aquitaine[7]، وانفرد ابن عبد الله بن منكود بمازر Mazara وأطرابنش ومرسى علي[8]، وتربص كل واحد بالآخر »[9].

---

(1) حامد زيان: **العلاقات بين صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1973، ص57.

(2) عبد العظيم رمضان: **الصراع بين العرب وأوروبا منذ ظهور الإسلام حتى انتهاء الحروب الصليبية**، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص307.

(3) علي بن نعمة المعروف بابن الحوس، قائد عسكري استولى على قصريانة وجرجنت والقصر الجديد. ينظر: أحمد عزيز: المرجع السابق، ص43.

(4) اسم لمدينة كبيرة بجزية صقليةعلى سن جبل، يشتمل سورها على زروع وبساتين وعيون ومياه. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج4، ص365.

(5) أهم مدن جزيرة صقلية، ساهم البربر بدور هام في فتح الجزيرة في العهد الأغلبي، فكانت مركز لاستقرارهم. ينظر: أحمد عزيز: المرجع السابق، ص25.

(6) محمد بن إبراهيم المعروف في المصادر الإسلامية بابن الثمنة، قائد عسكري صاحب سرقوسة، قتل سنة: 454هـ / 1062م، في كمين وضع له أثناء مساعدته للنورمان في السيطرة على مدن صقلية. ينظر ترجمته في: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص473. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص269.

وتقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص360، 361.

(7) مدينة كبيرة في جزيرة صقلية، وهي مدينة أولية، وعليها نهر يسقي أولها، ويقال أن مدينة قطانية كانت في القديم سبع مدن بأسوارها. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص465

(8) من جزيرة صقلية، وفيها مرسى البوالص، ومرسى علي كانت مدينة قديمة، من أشرف مدينة صقلية، وكانت قد خربت ودثرت، وعمرها القومس روجار الأول، وسور عليها سور، فصارت ذات عمارة وأسواق وجبايات. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص538، 539.

(9) **الكامل في التاريخ**، ج8، ص 473.

واستشرى الخلاف وتعمقت جذوره بين الزعامات المتعددة في الجزيرة، وسعى كل زعيم إلى تحقيق مآربه ونزواته في تحقيق شيء من السلطة والاستقلال، و لم يتورعوا في ذلك في طلب العون على بعضهم البعض من العدو[1].

وقد استعان القادر بالله محمد بن إبراهيم المعروف بابن الثمنة (ت 454هــ / 1062م) بعد الخصام العائلي الذي وقع بينه وبين زوجته ميمونة أخت حاكم قصريانة بابن الحواس[2] سنة: 444هــ / 1052م، وتبعه ابن الحواس حتى مدينة قطانية Aquitaine، وقامت بينهما الفتن انتهت بهزيمة ابن الثمنة الذي لم يتقبل الهزيمة يقول ابن خلدون (ت 808هــ / 1405م): « وحشد ابن الثمنة فهزمه ابن الحواس فانتصر ابن الثمنة بالروم...، ووعدهم بملك صقلية »[3]، حيث سار إلى روجار وهو بمالطة وعرض عليه تمليك الجزيرة بتبينه مواطن ضعف المسلمين[4]، ووصف ابن الأثير (ت 630هــ / 1280م) الحال بقوله: « فوصل إليهم ابن الثمنة، وقال أنا أملككم الجزيرة، فقالوا: إن فيها جندًا كبيرًا ولا طاقة لنا بهم، فقال أنهم مختلفون وأكثرهم يسمعون قولي ولا يخالفون أمري، فساروا معه »[5].

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص473. إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص48.

وفارس نايف لكحل: **صقلية المنارة العربية الثالثة ــ دراسة تاريخية للجزيرة أبان الحكم العربي وإستيلاءالنورمان عليها**، دبلوم الدراسات العليا، قسم التاريخ، معهد الآداب الشرقية، الجامعة اليسوعية، ص66.

(2) الحادثة أن ابن الثمنة كان قد اعتدى على زوجته وهو في حالة سكر وقص ذراعها، لكنه اعتذر لها وتظاهرت بقبول اعتدائه ولما ذهبت عند أخيه وشكت زوجتها إلى أخيها ابن الحواس رفض ردها، فجهز ابن الثمنة جيشًا واتجه به إلى قصريانة وجرجنت لانتزاعها من ابن الحواس، فدارت عليه الدائرة وحلت به الهزيمة، وهذا ما جعل الكثير من الباحثين يصف أن سبب سقوط صقلية كان بشان امرأة. ينظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص473، 474. إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص49. أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص21.

- Daniel Jouen :**La Conquête de la SicilePériode, 1061-1064**, association normandie - sicile chronique, N°40, Copistes bibliothèque de l’Escurial Espagne, le 12 février 2017, P: 3.

(3) **كتاب العبر**، ج4، ص269.

(4) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص276. تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص355 ــ 359.

وعبد الجليل شلبي: **حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوروبية**، مجلة الأمة، ع27، ربيع الأول 1403هــ ص2. محمد عبد الله المعموري: **الدولة النورماندية في صقلية دراسة في تاريخها السياسي وعلاقاتها الخارجية**، منشوراتمجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، د.ت، ص154.

(5) **الكامل في التاريخ**، ج8، ص473.

وتختلف الروايات التاريخية في أن ابن الثمنة قد عرض الجزيرة كلها، أو جزء منها على النورمان لقاء المساعدة[1]، ولإظهار حسن نيته، ولإقناع النورمان وضع ابنه كرهينة عند روبرت جيسكارد أخو رُوجار الأكبر[2]، وكان أمله أن يسلموا له الجزيرة بعد احتلالها[3]، فلما استوثق النورمان من كلامه وكذا وجود ابنه كرهينة عندهم، هاجموا مدن صقلية وكانت بدايتها مسينا Miseno[4].

ولما دبّ الصراع والاقتتال واضطراب أمر الجزيرة، انتقل وفد من صقلية إلى إفريقية، ونقلوا إلى المعز بن باديس (406 ــ 454هــ / 1015 ــ 1062م)حال الجزيرة والخلافات القائمة بينهم، فأرسل المعز قوة بحرية، لكنها تبددت بفعل عاصفة قرب جزيرة قوصرة Cossyra[5].

وأكد النص الذي أورده ابن الأثير (ت 630هــ / 1280م) بقوله: « فعمر أسطولاً كبيرًا، وشحنه بالرجال والعدد، وكان الزمن شتاءً، فأرادوا التوجه إلى قوصرة فهاج عليهم البحر، فغرق أكثرهم، و لم ينج منهم إلا القليل »[6]، وقد تزامن ذلك مع غارات العرب الهلالية، فقللت من المساعدات المبذولة من طرف الزيريين، فكانوا أحوج ما يكونون لجمع مواردهم[7].

وقد أدرك روجار أن الزيرين الذين تعودوا على إرسال تعزيزات للدفاع عن صقلية من إفريقية ليسوا في نفس الوضع الذي يسمح لهم بذلك، فمعدات جيشهم ليست متطورة بما في ذلك خيامهم، التي كانت غير مكيفة بما فيه الكفاية لمقاومة البرد الشديد، كما أن المسلمين لا يستخدمون الكحول الذي له دور في خلق حرارة للجسم ودفئه لأنه يتعارض مع مذاهبهم الدينية، إضافة إلى إطلاع روجار على الخلافات الموجودة بينهم والاستفادة من الوضع الإقليمي لانعدام التعزيزات البشرية الكافية[8].

---

(1) أحمدعزيز: المرجع السابق، ص58.

(2) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص135.

(3) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص17.

(4) عباس إحسان: **العرب في صقلية**، ص128.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص473. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص277.

وقوصرة: اسم يوناني ومعناه السلة أو السفط أ الزنبيل، وقد أطلق على الجزيرة لتشابه الجزيرة والأداة، وهي جزيرة في بحر الروم بين المهدية، وجزيرة صقلية فتحها المسلمون أيام معاوية وبقيت في أيديهم إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم ربت. ينظر:الحموي: المصدر السابق، ج4، ص413.

وعبد الوهاب حسن حسني: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، ط2،مكتبة المنار، تونس، 1981، ج1، ص282.

(6) **الكامل في التاريخ**، ج8، ص 473.

(7) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص373.

(8) Daniel Jouen: Op.cit, P: 4.

وقد استغل النورمان هذه الظروف التي كانت تمر بها صقلية، فأخذوا يعدون العدة لاحتلالها، وحصل في هذه الفترة اتفاق وتعاون بين روجار وأخيه روبرت جيسكار، عند الشروع في غزو مسينا Miseno حيث زوّدجيسكارد روجار بالفرسان والبحارة[1]، وعندما تحرك النورمان اتجاه مدينة مسينا، بمساعدة ابن الثمنة الذي جاء إلى كلابريا Calabria، وبعد زيارة روجار تقرر غزو صقلية وتقدم ابن الثمنة ليكون بمثابة الدليل، وتمكنوا في طريقهم من الاستيلاء على مدينة رمطة Rametta[2]، لكنهم فشلوا في احتلال مدينة قطانيه لمقاومة السكان[3]، وعند وصول روجار إلى المدينة، شن هجومًا و لم يفلح إلا في المحاولة الثالثة، وتمكن من دخولها من منطقة الجنوب سنة: 453هـ / 1068م[4].

ووصف الحميري (توفي أواخر القرن 9هـ / 15م) في زمان احتلال مسينا وسقوط بقية المدن في يد روجار بقوله: « وتغلب عليها النصارى في سنة أربعمائة وثلاثة وخمسين »[5].

وعند دخول روجار المدينة سبى النساء والأطفال، وظفر بغنائم كبيرة، واتخذها النورمان مركزًا للعمليات، وتمكنوا بعدها من احتلال بطرتو في مقاطعة قطانيه، وكذا تروينا Traina، وسانت ماركو San Marco، وجوبهوا بمقاومة عنيفة عند محاولتهم دخول قصريانةمن طرف ابن الحواس[6].

وتفيد إحدى الرويات أن نصارى مسينا قد خرجوا متخفين إلى مليطوا، والتقوا بالبابا وبروجار وعرضوا عليه دخول المدينة وقدموا له المساعدة عند محاولته اقتحامها[7] وتعتبر هذه المساعدة من العوامل التي ساهمت في سقوط المدينة وسواحلها، وقيامه بأعمال السلب والنهب بعد أن عرض على روجار

---

(1) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص101. تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص359.

(2) (بفتح أوله وسكون ثانيه)، اسم أعجمي لقلعة حصينة بجزيرة صقلية بينهما ثمانية أيام، وهي بعيدة من البحرفوق جبل، فيها آثارالماء، كان فتحها الحسن في سنة: 354هـ/ 965م، وسكنها المسلمون وأقام محاصرا لها أحد وعشرون شهرًا. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج4، ص68.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص269. أماري مخائيل: المصدر السابق، ص276. تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص360.

-Ernest Mercier: **Histoire de l’Afrique septentrionale (berbère) depuis les temps les plus reculés jusqu’à la conquête Française (1830) tome I**, Paris Ernest Leroux Éditeur28, Rue Bonaparte, 28, 1888, P: 31.

(4) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص 59. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص155، 156.

(5) **الروض المعطار**، ص367.

(6) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص276. أحمد عزيز: المرجع السابق، ص59. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص155، 156. تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص360.

(7) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص59.

المساعدة، لكن روجار رفض رغم حاجته لها، وهذه الإغارة ساهمت في إضعاف حصانة المدينة فسقطت بيد النورمان[1].

وبعد هجوم روجار وروبرت جيسكارد ونجاحهما إلى جانب غارات بيزة Pisa[2] على بلرم، التي كانت قد أزعجت المسلمين بالجزيرة فأرسلوا في طلب العون من المهدية[3]، فأرسل تميم بن المعز بعد توليه الحكم سنة: 454هـ / 1052م، حملة بقيادة ابنيه أيوب وعلي ونزل أيوب مدينة بلرم، ونزل علي جرجنت ثم انتقل أيوب إلى جرجنت، فأحبه الناس وتعلقت قلوبهم به، فملكت ابن الحواس الغيرة مما أدى ذلك إلى قيام حروب قتل فيها ابن الحواس[4].

والحقيقة أن روجار استطاع أن يهزم أيوب بن تميم سنة: 461هـ / 1068م، في معركة مسلمري Misilmeri قرب بلرم، وأدى قيام الفتنة بين أهل المدينة وعبيد تميم، فاجتمع الأخوان وقررا العودة إلى إفريقية[5].

وبعد عودة ابني تميم، أخذ النورمان في الاستعداد لدخول بلرم، فاستعانوا هذه المرة بأسطول من بيزة Pisa، وأعدوا خمسين سفينة من باري ومدن أبوليه[6]، قادها روبرت جيسكارد، وجيشًا بريًا قوامه

---

[1] ممدوح حسين علي حسين: المرجع السابق، ص137.

ـ Max Trimurti : Op.cit, P: 6.

[2] تسميها المصادر العربية « بيشة »، من قواعد بلاد الروم، تقع على ضفة نهر أورنوOrno وعلى بعد 80كلم إلى الغرب من مدينة فلورنسا وتبعد عن البحر 11 كلم، وقد تبعت الدولة البيزنطية منذ سنة: 476هـ / 1083م في عهد الإمبراطور هنري الرابع، فتحولت إلى مقاطعة مستقلة حل فيها القناصلة محل الإقطاعيين. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص120.

وعلي عشي: **التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2 ـ 8هـ / 10 ـ 16م)**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة باتنة، 2016 ـ 2017، ص55.

[3] من مدن إفريقية منسوبة إلى المهدي أبي عبيد الله الشيعي، بينها وبين القيروان مرحلتان، بقيت دار ملك العبيديين إلى أن انتقل المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة، وكانت للمهدي مدينتين، المهدية يسكنها السلطان وجنوده، وزويلة يسكنها الناس، استولى عليها النورمان سنة: 543هـ / 1150م، إلى أن حررها عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب الإسلامي. ينظر: مؤلف مجهول، **الاستبصار**، ص117، 118. الحموي: المصدر السابق، ج5، ص229.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص474، أحمد عزيز: المرجع السابق، ص60. عبد الحميد سعد زغلول: المرجع السابق، ج3، ص494. رابح بونار: المرجع السابق، ص161. لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص474.

ـ Max Trimurti : Op.cit, P: 6.

[5] إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص130. تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص362.

[6] Ernest Mercier: Op.cit, P: 24.

ثمانية عشر ألف فارسًا قاده روجار، وفي طريقهم استولوا على قطانيه، وشدوا الحصار على المدينة طيلة خمسة أشهر[1].

ونظرًا لقلة المؤن والمجاعة والوباء، وتواصل أعمال الشغب التي كان يثيرها البيزنطيون بالمدينة[2]، وامتناع المساعدات من شمال افريقية أذعنت المدينة المحاصرة للاستسلام، وطلب أهلها الأمان فأمنوا، وسقطت عاصمة المسلمين في يد النورمان، وحولوها إلى قاعدة حربية كبرى لهم[3].

وواصل روجار حصاره للجزيرة خاصة وأن الظروف كان مهيئة بعودة ابني تميم إلى إفريقية سنة 461هـ / 1069م[4]، والمسلك الذي انتهجه بنو زيري في التخلي عن الجزيرة بعد رفض الصقليين التدخل في شؤونهم وبناء علاقات سلمية مع النورمان[5].

ومما يدل تخلي بني زيري على الجزيرة بعد سنة: 468هـ / 1075م، والعيش بسلام مع النورمان، هو عقد تميم ابن المعز مع روجار معاهدة الصداقة وحسن الجوار سنة: 468هـ / 1075م[6]، وظل النورمان عشرين سنة، حتى تم الاستيلاء على الجزيرة بأكملها، و لم يكونوا قد ملكوا في هذه المرحلة إلا بلرمو ومازر Mazara وقطانيه، لكنهم باستيلائهم على هذه المنطقة أحاطوا بما تبقى لأمراء المسلمين في سرقوسة Syracuse وأطرابنش وجرجنت وقصريانة[7].

ففي سنة 470هـ / 1077م سقطت مدينة أطرابنش، وفي سنة 471هـ / 1078م وقعت في أيديهم[8]، وأثناء حصار روجار لطبرمين سنة: 473هـ / 1080م، لاحظ أربعة عشر سفينة تقترب من صقلية، فأرسل إلى قائد هذه السفن رسالة يسأله فيها عن الغرض الذي كان يرمي إليه من هذه الغزوة، فكان الجواب أنه ليس لديه أغراض حربية، وعاد الأسطول أدراجه[9].

---

(1) إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص131 .تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص 362.

(2) Articolidi Max Trimurti : Op.cit, P: 6.

(3) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص375. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص155، 156.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص474. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص278.

(5) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافيةوالجغرافيين في الأندلس**، ص179.

(6) Ernest Mercier: Op.cit, P: 24.

(7) إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص131.

(8) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص375.

(9) لم تشر المصادر الإسلامية إلى هذه الحادثة، وربما تأتي فيما أورده أرشيبالد لويس ببقاء الأسطول الذي أرسله تميم بقيادة ابنيه أربع سنوات بصقلية. ينظر: لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص374. مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص21.

أما سرقوسة Syracuse فقد قاد المقاومة ابن عباد (ت 479هـ / 1086م) التي تسميه المصادر الأوروبية بيفاريت Benarvet سنة: 477هـ / 1084م[1] في ولاية نوطس Noto[2] برًا وبحرًا، وقد عرف ابن عباد بالدهاء والجرأة والخداع في الحرب، واستطاع أن يلحق الهزائم بجيش روجار، ولم يكتف بالدفاع بل أغار على كلابريا Calabria جنوب إيطاليا ووصل ريو Reggio[3] ونوقطرة Nicotra.

واستطاع أن يشتري حاكم قطانيه بالمنح والوعود فسلمه قطانيه، فأدرك روجار خطورة الرجل، فَتجهز لهُ وتمكن من هزيمته عند سرقوسة، وأرسل جثته إلى تميم بن المعز[4].

وبعد قضاء روجار على مقاومة ابن عباد، فرض حصارًا على جرجنت Girgenti وقصريانة، حتى اضطر أهلها إلى أكل الميتة، الأمر الذي دفع بأهلها إلى الاستسلام سنة: 481هـ / 1088م، وتبعتها قصريانة بعد صمود تحت الحصار دام ثلاثة سنين واضطر أهلها إلى الإستسلام سنة: 484هـ / 1091م[5]، وفي ذلك يقول أبو الفداء: « ثم استولى الفرنج على غالب بلاد افريقية، وحصونها وليس لهم مانع، ولم يثبت بين أيديهم غير قصريانة وجرجنت، فحاصرهما وطال الحصار عليهما حتى أكلا أهلها الميتة، فسلم أهل جرجنت أولا وبقيت قصريانة بعدها ثلاث سنين ثم أذعنوا »[6].

وترتب عن سقوط قصريانة سقوط بتيرة Butera ونوطس Noto، وانتهت عمليات الغزو النورماني[7]، فاستكمل روجار استيلاؤه على الجزيرة بعد أن استغرق منه ثلاثين سنة[8] من سنة: 454هـ

---

(1) تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص365.

(2) مدينة في صقلية حصينة بها آثار أزلية وهي على البحر من نحو ثلاثة أميال، فتحها المسلمون سنة: 300هـ / 864م، ومنطقة خصيب غنية بمواردها الزراعية يسافر إليها من البحر من قلورية وإفريقية ومالطة، وعدد سكانها قليل. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص150.

(3) مدينة ببلاد قلورية على ضفاف المجاز في صقلية، وبين ريو ومدينة مسيني من صقلية سبعة أميال، وذلك لسعة المجاز بين المدينتين، وهي مدينة صغيرة فيها فواكه وهي متحضرة، ولها أسواق عامرة وحمامات، وسورها من حجر. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص280.

(4) إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص132.

(5) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص184. حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص137.
تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص365.
_ Hubert Houben: Op.cit, P: 78.

(6) أبو الفداء: المصدر السابق، ج2، ص201.

(7) إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص133. تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية**، ص365.

(8) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص414. حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص137.

/ 1061م، إلى سنة: 484هـ / 1091م، وبقيت تحت الحكم الإسلامي مائتين واثنين وسبعين سنة[1]، ووصف الحميري ضياع الجزيرة على مراحل، والمدة التي استغرقها روجار لاحتلالها بأكملها بقوله: « ومازال الطاغية روجار الفرنجي يفتحها قطرا قطرا، ويأخذها كفرا كفرا، إلى أن استولى على جميعها، وذلك في مدة ثلاثين عاما »[2]، وانتهت سيادة المسلمين بها على حد تعبير ابن خلدون: « وتملكها روجار، وانقطعت كلمة الإسلام بها »[3].

ويعود سبب انتصار النورمان في صقلية إلى الانقسامات داخل الجزيرة بين أفراد الأسرة الكلبية وبعدها، وانقطاع المدد الذي كان يصلها من شمال أفريقيا، رغم حصانة مدنها ومناعتها الطبيعية (الطابع الجبلي)، وتنظيم سكانها، وقلة عدد أفراد الجيش النورماني، وكان كل هذا من شأنه أن يصعب عملية الإحتلال، هذا إلى جانب وجود فئة مسيحية في بلرموساهمت في فتح أبواب المدينة أمام روجار فسهلت سقوط المدينة[4].

كما أن سيطرة النورمان على الجزيرة وإخضاعها، يعود إلى مجهودات الكونت رُوجار ومساعدة أخيه روبرت جيسكارد وسياساتهم التكتيكية القائمة على تجنب الاشتباكات في الميدان المفتوح، والاستفادة من الأطراف المعارضة التي تبحث عن المصالح، ومن خيانة بعض القادة المسلمين ومنهم ابن الثمنةللنورمان الذي كان حليفًا مخلصًا للنورمان، وكان على المسلمين أن يستفيدوا من انشغال النورمان بحروبهم في إيطاليا ضد البيزنطيين، وتفرق جيوشهم وقلة عددهم وعتادهم[5].

وبسقوط صقلية في يد النورمان أصبحت بمثابة قاعدة حربية كبرى لهم، واتجهت أنظارهم نحو السيطرة على مالطة التي يغلب الظن أن تكون صاحبة الحملة البحرية الإيطالية ضد المهدية الزيرية للقضاء على القوة الدفاعية سنة: 480هـ / 1087م، وسيطر الغرب بذلك على المضايق الحيوية بين افريقية وصقلية، وعلى مياه البحر المتوسط والتجارة البحرية، وضاعت السيادة الإسلامية على صقلية وتملكها المسيحيون[6].

---

(1) الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، ط2، مطبعة أنيبال وشركاؤه، تونس، 1323هـ، ص49.

(2) **الروض المعطار**، ص366، 367.

(3) **كتاب العبر**، ج4، ص269.

(4) Max Trimurti: Op.cit, P: 6.

(5) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص63. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص155، 156.

(6) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص376. زيان حامد: المرجع السابق، ص73، 74. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص155، 156.

وبسيطرة النورمان على صقلية ولإدراكهم بوجود غالبية مسلمة من السكان، ابتعدوا عن كل ما من شأنه أن يثير الاضطرابات داخل دولتهم الناشئة، وتوطين تواجدهم في مياه البحر المتوسط، وبناء علاقات دولية فعالة والمشاركة في الأحداث التي تزامنت وقيام مملكتهم ومنها المشاركة في الحروب الصليبية Les Croisades[1]، وإن كانت بتقديم المساعدات اللوجستية، وتوجيه أنظار دعاة الحرب الصليبية على شمال إفريقيا إلى الأرض المقدسة[2].

المبحث الرابع: تطلع النورمان لاحتلال بلاد المغرب

لم يكن سقوط صقلية في يد النورمان بالأمر الهين، فقد صمدت مدنها ومعاقلها لمدة تفوق الثلاثين عامًا، إلا أن النورمان تمكنوا في سنة: 484هـ / 1091م من فرض سيطرتهم عليها، وانتزعوها من يد العرب المسلمين[3]، وأنهوا بذلك الوجود العربي الإسلامي في هذه المنطقة، والذي استمر أكثر من قرنين من الزمن، وكانت تحركهم دوافع دينية وإستراتيجية واقتصادية، فضلا عن الأطماع التوسعية[4].

وقد أدى تكوين دولة نورمانية في إيطاليا وصقلية إلى سيطرة النورمان على مالطة، ثم التحكم في المضايق الحيوية الرابطة بين افريقية وصقلية[5]، وبذلك السيطرة على البحر المتوسط، الذي أصبح خلال في هذه الفترة أصبح بحيرة نورمانية[6].

ثم إن سقوط صقلية وزوال السيادة العربية عنها، فكك الرباط الكبير الذي كان يحمي الشواطئ الإفريقية من غزو الشماليين، وتضعضعت أحوال بني زيري، لانقسام جهودها بين الإعداد لمواجهة الأساطيل البحرية النورمانية، والإعداد البري للقضاء على الفتن التي يستغلها الطامعون والمغامرون بمعونة القبائل العربية[7]، مستغلين الظروف السياسية التي تهيمن على المنطقة، ومنها انشغال المرابطين في إخماد ثورة الموحدين، والخطر الصليبي الذي راح يهدد الأجزاء الشرقية للعالم الإسلامي[8].

---

[1] إطارها الزماني (488 ــ 690هــ / 1095 ــ 1291م)، وهي تلك الهجومات التي شنتها أوروبا المسيحية مجتمعة على البلاد الإسلامية مشرقًا ومغربًا في مراحل زمنية متفاوتة، تعددت وأسبابها وأهدافها أخذ الدافع الديني في ظاهرها، وفي باطنها تحقيق أهداف اقتصادية. لمزيد من التوسع ينظر: حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص6 ــ 10.

[2] Max Trimurti: Op.cit, P: 6.

[3] أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص20.

[4] سليم فراس يحياوي: المرجع السابق، ص90.

[5] تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص367.

[6] Christian Marquant: **La civilisation normande de Sicile**, voyagesculturelles Février 1990, P: 2.

[7] تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص368.

[8] صلاح البهنسي: **الآثار الإسلامية في صقلية**، بريزم 2004/11، ص34.

وقد غلب على حكم النورمان في الجزيرة سياسة التسامح حيث تمكن روجار بسياسته من أن يضمن تعايش الأديان المسيحية والإسلام واليهودية، ولم يظهر كرهه للمسلمين، وسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية[1].

وإذ كان المسلمون خسروا سيادتهم على الجزيرة، فإنهم لم يخسروا الأرض والأموال والعقار، ولم يصدر روجار ما يعيق حريتهم الدينية وما وقع للمسلمين في بعض نواحي صقلية كان سببه رجال المسيحية المتشبعين بالحقد الصليبي[2].

وفي الجانب الإداري أبقى روجار الثاني على المؤسسات الموجودة سابقا وإعاد تكييفها، رغم أنه تأثر بنظم بيزنطية، واستعان بالمسلمين وجعل منهم مستشارين[3].

واستطاعت دولة النورمان في صقلية تحت حكم روجار الثاني (495 ـــ 548هــ / 1101 ـــ 1154م) أن تفرض نفسها على العالم بجزيئه الغربي والشرقي، من خلال استحداث تنظيم روعي فيه اختلاف الساكنة بتعدد أعراقها ودياناتها ومستوياتها المعيشية، وعد هذا التنظيم نموذجًا في تحقيق العدالة، وفي مجال الإدارة والتسيير، وأصبحت تخضع لقواعد وقوانين صارمة بفرض الإتاوات على القبائل وعلى حقوق النقل والامتلاك[4].

وقد أراد النورمان أن يتخذوا من صقلية نقطة انطلاق إلى مواطن افريقية الخاضعة لحكم المسلمين، وهذا لا يتم إلا بموافقة المسلمين الموجودين في الجزيرة، وهو ما يعرف في علم السياسية اليوم بتأمين الجهة الداخلية ولو كانت بصفة مؤقتة[5].

وبذلك يكون النورمان قد حرصوا على أن تلعب صقلية دور الوسيط التجاري في الرحلات التجارية في حوض البحر المتوسط، وتكون محطة لشن المزيد من الهجمات والاستيلاء على مناطق جديدة في حوض المتوسط وشمال إفريقيا[6].

---

(1) Max Trimurti: Op.cit, P: 6.

- Cristina Montesi : **La dinastia normanna nell'Italia meridionale**, un esempio di convivialismo, di sviluppo economico, di innovazione istituzionale. Quaderni di Economia Sociale pubblicazione online di SRM Reg, Trib, di Napoli n°37 del 29 / 07 / 2015, P: 26.

(2) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص181.

(3) Max Trimurti: Op.cit, P: 6.

(4) Pierre Aubé: Op.cit, P: 2.

(5) علي محمد الزهراني: المرجع السابق، ص07.

(6) ممدوح محمد مغازي: المرجع السابق، ص1045.

غير خافٍ أن النورمان أدركوا منذ البداية خصوصية موقع صقلية وأهميتها الاستراتيجية في البحر المتوسط بعد سيطرتهم على جنوب إيطاليا، هذا الموقع مكنهم من التحكم في تجارة الشعوب التي تقع على ساحل البحر، وكذا دورها الإقتصادي في إنتاج الحبوب وتزويد بلاد المغرب بالقمح، وإنعاش تجارة القوافل بين المغرب ومصر، وربط أوروبا وشمال إفريقيا تجاريا، لذا سعوا إلى السيطرة عليها والظفر بهذه المكاسب.

وإذا كانت هذه الأهداف القريبة للنورمان في تنفيذ عملية الغزو، فإن أهدافهم البعيدة كانت ترمي إلى السيطرة على البحر الأدرياتيكي والبحر المتوسط، والتوسع على حساب المسلمين، والبيزنطيين على حد السواء مستغلين في ذلك الظروف التي كانت تمر بها صقلية والبلاد الإسلامية، ومنطقة حوض المتوسط في هذه الفترة.

وقد ساهمت مجموعة من العوامل في سقوط صقلية ومنها:

ــ ضعف الحكام الذين تولوا أمر الجزيرة بعد أبو الفتوح يوسف، وسوء سيرتهم وإثارتهم للفتنة بين العرب والبربر من جهة، وسوء معاملة الرعايا وإرهاقهم بالضرائب من جهة أخرى، ربما هذه كانت من بين الأسباب الدافعة إلى الثورة وتفرق كلمة المسلمين وانشغالهم بأنفسهم، وغفلتهم عما يجري في العُدْوَةِ الايطالية.

ــ خيانة بعض القادة المسلمين ومنهم ابن الثمنة الذي استطاع بتصرفاته أن يخفف عن النورمان إجراءتنفيذ الاحتلال، وتشجيع النورمان على دخولها،وكشفه حقيقة الوضع الداخلي المضطرب، وإظهار مواطن الضعف والتحصين.

ــ مجهودات روجاروروبرت جيسكارد التي كانت أبرزهاسياساتهم التكتيكية القائمة على تجنب الاشتباكات في الميدان المفتوح، والاستفادة من الأطراف المعارضة التي تبحث عن المصالح.

ـــانقطاع المدد عنهم من المسلمين، لاشتغال كلّ جبهة بما يخصّها من الفتن فكان سقوطها.

وبسقوط صقلية في يد النورمان أصبحت بمثابة قاعدة حربية لهم، فاتجهت أنظارهم نحو السيطرة على مالطة، واستفاد الغرب من سقوط صقلية وسيطروا على المضايق الحيوية بين افريقية وصقلية، وعلى التجارة البحرية، وتفكك الرباط الكبير الذي كان يحمي الشواطئ الإفريقية من غزو الشماليين، وتضعضعت أحوال بني زيري لانقسام جهودهم بين الإعداد لمواجهة الأساطيل البحرية النورمانية، والاستعداد البري للقضاء على الفتن التي يستغلها الطامعون والمغامرون بمعونة القبائل العربية،وحرص النورمان بعد تملكها اقتصاديا على أن تلعب دورَ الوسِيط التجاري في حوض البحر المتوسط، ثم نقطة انطلاق لشن المزيد من الهجمات والاستيلاء على مناطق جديدة في حوض المتوسط وشمال إفريقيا.

الفصل الثالث

الغزو النورماني للساحل الإفريقي وموقف الدولة الزيرية

المبحث الأول: دوافع الغزو النورماني لبلاد المغرب

المبحث الثاني: العوامل المساعدة على الغزو والإحتلال النورماني

المبحث الثالث: مظاهر العدوان النورماني على الساحل الافريقي

المبحث الرابع: ردود الفعل المختلفة على الغزو والإحتلال النورماني

المبحث الأول: دوافع الغزو النورماني لبلاد المغرب

بعد أن تمكن النورمان من احتلال صقلية، تطلعوا إلى مد النفوذ نحو مدن وسواحل المغرب، تحذوهم في ذلك تحقيق عدة أهداف،تباينت بين تحقيق أهداف إستراتيجية لتواجدهم بصقلية وعلى الحوض الشرقي للمتوسط، وأهداف دينية بتبنيهم للمسيحية، وأهداف اقتصادية للحصول على الثروة والسيطرة على التجارة العالمية، وسنحاول توضيح هذه الدوافع وقراءتها قبل الغزو والاحتلال وبعده، لتأكيد مدى تحقق هذه الأهداف من عدمها.

1 . الدافع الاستراتيجي:

ملك المسلمون بلاد الأندلس تحت حكم الأمويين، وفي بلاد المغرب تحت حكم الفاطميين أسطولاً ضخمًا بلغ عدد قطعه في كل دولة مائتي قطعة، تمكنوا من السيطرة على البحر المتوسط وعلى الجزر المترامية فيه[1]، وعظمت سلطتهم وسلطانهم فيه، وسارت أساطيلهم آتية وذاهبة، وضربت عليهم ضِراءالأسد بفريسته على حد تعبير ابن خلدون[2].

وتعود أسباب تراجع البحرية الإسلامية في بلاد المغرب خلال هذه الفترة إلى اكتشاف سواحل المغرب وفراغها من الأسطول البحري[3]، بعد نقل الفاطميين أسطولهم إلى مصر، وانشغال أمراء بني زيري بالفتن والمشاكل الداخلية، وما واكب ذلك من ضعف مسلمي الأندلس إثر انقضاء الدولة العامرية[4]، وانهيار الخلافة الأمويةوقيام ملوك الطوائف[5].

وخلف الزيريون في بلاد المغرب الفاطميون، فتنبهوا إلى ضرورة بناء أسطول بحري قوي، وخاصة أنهم وجدوا أنفسهم حكاما لمناطق ساحلية تلتقي فيها تجارة ما وراء البحار هذا من جهة، ومن جهة أخرى

---

(1) إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، ط3،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1993، ص212.

(2) **كتاب العبر**، ج1، ص315.

(3) لفظة يونانية Stolos وتعني مجموعة السفن أيا كان نوعها (حربية أو تجارية أو سفن النزهة)، وأطلقت على مجموعة المراكب الحربية. ينظر: عبد الفتاح عبادة: المرجع السابق، ص10.

(4) أسسها المنصور بن أبي عامر (368 ــ 399هــ /778 ــ 1009م) في قلب الخلافة الأموية، وحكمت بلاد الأندلس باسم الخلافة الأموية، عمل المنصور وابنه عبد الملك على توطيد السلطة المركزية وتحقيق الاستقرار، وإذكاء حركة الجهاد ضد الممالك الإسبانية، وكانت شغلهما الشاغل.ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص256. ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص59 وما بعدها. ابن خلدون: المصدر السابق،ج4، ص189.

ويراجع: علي عبد الله القحطاني: **الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية (368 ــ 399هــ / 978 ــ 1009م)**، رسالة ماجستير الماجستير، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، 1981م، ص2، 3.

(5) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص105.

مسؤولية الجهاد البحري في افريقية، لذلك أدركوا أهمية الأسطول للدفاع عن حياضهم[1]، فشرعوا في بناء دار لصناعة السفن[2]، وكان ذلك سنة: 1016مفي عهد المعز بن باديس (406 ــ 454هـــ / 1015 ــ 1062م)، لتكون مركزاللسفن وقاعدةً عسكرية[3].

غير أن هذه السيادة قد تحولت في النصف الأول من القرن 5هـــ /11م، بسيطرة البحرية البيزنطية على حساب البحرية الإسلامية[4]، واستمرهذا التراجع خلال النصف الثاني من القرن 5هـــ / 11م، في حين تفوقت أساطيل غرب أوروبا والمدن الإيطالية[5].

ومع مطلع القرن 6هـــ /12م سيطر الأوروبيون على معظم الشواطئ الإسلامية في إسبانياوإفريقيا، وعلى المسالك المؤدية بين شرق البحر المتوسط وغربه[6]، وقد سبق إحكام أساطيل مدن ايطاليا على الساحل الجنوبي والأوسط، وتطلعت هذه المدن إلى شن هجمات على السواحل الإفريقية المطلة على البحر المتوسط وحصّلوا قصرًا من حكام بلاد المغرب على امتيازات بموجب معاهدات اقتصادية أبرمت وتحولت هذه المدن إلى النشاط البحري[7].

وفي ظل هذه الظروف تنامت قوة النورمان بعد أن وضعوا أقدامهم في جنوب ايطاليا وصقلية ومالطة، وفي الوقت ذاته كان المرابطون يسيطرون على الحوض الغربي للمتوسط وعلى السواحل الشرقية الأندلسية، وترتب عن ذلك انفصال مسلمي الأندلس عن القوات الإسلامية الشرقية في مصر والشرق الأدنى[8].

---

(1) جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1999، ص247 .

(2) بمثابة مصنع للسفن أو ترسانة بحرية، تأوي إليها السفن للرسو، وتجهز بالسلاح والعتاد. ينظر: يحي شامي: **موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية**، ط1،دار الفكر العربي، بيروت ــ لبنان، 2005، ص36.

(3) لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص312.

وحسن السائح: **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2،دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدارالبيضاء، 1986، ص202.

(4) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص349.

(5) المرجع نفسه، ص361.

(6) المرجع نفسه، ص384 .

(7) صابر دياب: **دراسات في عالم البحرالمتوسط في العصور الوسطى**، آداب القاهرة بالخرطوم، د.ت، ص56.

(8) توفيق مزاري: **النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين**، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج1، ص 81. لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص384.

ولما أخذ خطر النورمان يقترب من صقلية بعد سيطرتهم على جنوب إيطاليا، كان من الطبيعي أن يقع التصادم بينهم وبين بني زيري، حيث دخل الأسطول الزيري في مناوشات مع النورمان بداية من سنة: 463هـ / 1071م، بعد أن وجه الزيريون أسطولاً لنجدة بلرموا التي حاصرها النورمان بقيادة روبرت جيسكارد، وتمكن أسطولهم من دخول الميناء، ثم الانسحاب بعد ذلك، وأنقذ أسطول تميم بن المعز (454 ـ 501هـ / 1062 ـ 1107م) بعد ذلك على نوقطرة Nicotra الواقعة في منطقة قلبرية، فغنم غنائم وافرة ورجع إلى المهدية[1].

وزاد عدد وحدات الأسطول الزيري في عهد يحي بن تميم الزيري (501 ـ 509هـ / 1107 ـ 1115م)[2]، وأصبح أكثر تنظيمًا، وقام بغارات خاطفة على السفن التجارية المسيحية وعلى المدن الايطالية وأساطيل الروم، حيث تمكن من نشر الرعب وتظليل العدو، وبلغت انتصارات الزيرين في البحر أوجّها، خاصة في عهد يحي بن تميم إلى حد القول: بأنه لم تهزم له راية في البر أوالبحر[3].

وبدا تفوق النورمان بحريًا بعد السيطرة على صقلية وجزيرة قوصرة Cossyra[4] ومالطة أواخر القرن 5هـ / 11م، وحرص النورمان على السيطرة على جزيرة قوصرة بهدف صد غارات المسلمين على سواحل صقلية، واتخاذها كقاعدة متقدمة قريبة للإغارة على سواحل إفريقية، وبها وقع التحالف بين المدن الإيطالية لضرب المهدية[5].

---

(1) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص234، 235. جورج مارسيه: المرجع السابق، ص251 .

(2) يحي بن تميم بن المعز ولد بالمهدية سنة: 457هـ / 1064م، وولي الحكم سنة: 501هـ / 1107م، وكان عمره ثلاثة وأربعين سنة، وكان عادلاً في رعيته ضابطًا لأمورها، مدبرا لجميع أحوالها، مقربًا لأهل العلم، كثير المطالعة لكتب السير والأخبار، أديبًا شاعرًا ذا حظ من اللغة، توفي مقتولا في قصر المهدية، بعد إنفراد نفر من المصامدة به وادعائهما بصناعة الكيمياء، الذي كان السلطان مولعًا بها حيث دخلوا عليه متنكرين بزي المغاربة، فهجموا على الوزير والحاجب وقتلوهما، سنة: 509هـ / 1115م، فكانت مدة ملكه ثماني سنين وستة أشهر. ينظر ترجمته في: ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص23.ابن خلكان: المصدر السابق، ج6، ص211. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص305، 306.

(3) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،ج1، ص364.

(4) لعبت جزيرة قوصرة دورًا في الصراع البحري بين بني زيري والنورمان في صقلية، حيث ذكر ابن الأثير أن النجدة التي أرسلها المعز لصقلية سنة: 444هـ / 1052م، قد اتجهت أولاً إلى قوصرة لكن معظم الأسطول غرق في البحر بسبب هيجان البحر، وأن البيشانيين والجنويين وحلفاؤهم النورمان أعدوا سنة: 481هـ / 1087م، بسبب تكرر غارات المسلمين على صقلية، أسطولاً تعداد أربعوا مئة قطعة، وكان اجتماعهم بجزيرة قوصرة، فكتب أهل الجزيرة إلى تميم يعلمون بذلك على جناح طائر وهو يبين أهمية الجزيرة ودورها. ينظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص473، 455.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص47.

حيث قوي نفوذ النورمان بحريًا بعد السيطرة على جزيرة صقلية التي أعادت تموقع المسيحية بالبحر المتوسط، وغاب وصف ابن خلدون للبحر المتوسط في فترة سابقة، حيث لم يعد بإمكان النصارى أن يطفوا لوحا واحدا من الخشب[1]، وهو ما ذكره بقوله: « وما زالت قوة الإسلام في البحر غالبة، وكلمته هي العليا، حتى خرجت صقلية من أيدي الإسلام »[2].

وتزامن مع تنامي قوة النورمان بحريًا انطلاق الحروب الصليبية التي أعلنت عن تراجع السلطتين التقليديتين، وظهور هيمنة المدن الايطالية البحرية، ودخول النورمان مالطة، كلها كانت عوامل ساهمت في سيادة النورمان على الحوض المتوسطي[3].

وقد أدرك النورمان أهمية صقلية وموقعها البحري، واتخذوا من بلرمواعاصمة لدولتهم ومركزًا لأسطولهم، ولتطوير سلاح الأسطول البحري استعان روجار الثاني Rojer II [4] بالخبرة العربية، وكان منصب الأمير أعلى المناصب في الدولة، وأول من تقلد هذا المنصب رجلاً عربيًا يدعى عبد الرحمن النصراني[5] الذي قاد الأسطول والمشاة أيام حكم والده روجار الأول (464 ــ 495هــ / 1070 ــ 1101م)، وبعده جورج الأنطاكي Georgius Antiochenus[6]، حيث عهد إليه روجار الثاني،

---

(1) تقي الدين عارف: المرجع السابق، ص367.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص314، 315.

(3) لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص372 ــ 376.

(4) قلد من طرف البابا روجار سنة: 525هــ / 1130م، وملك بعده إلى سنة: 548هــ / 1154م، ويعتبر أول ملوك النورمان بصقلية وأبرزهم، حيث تميزت سياسته بالتسامح النسبي مع مسلمي صقلية، وسعى إلى احتلال بلاد المغرب بتحالفه مع الكونت دي برشلونة، واعتمد في نشاطه البحري على جورجي الأنطاكي الذي عمل في بلاد المهدية ودخوله في خدمة البلاط الصقلي، واستغل تردي أوضاع بلاد المغرب فسيطر على جربة والمهدية وجيجل، واهتم بالعلم وقرب العلماء منه وحول بلاطه إلى مركز مشع للدراسات. ينظر ترجمته في: الإدريسي: المصدر السابق، ص4. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص391.

(5) كريستو دولوس Christodulus، أو ما يعرف في المصادر العربية باسم عبد الرحمن بن عبد العزيز النصراني، أوكل إليه روجار الثاني تدبير أشغال مملكة صقلية والنظر في أمورها، استقبل جورجي عند انتقاله بعد وفاة تميم بن المعز، وتولي ابنه يحي وأشار على روجار بإرساله في سفارة إلى مصر، وتولى إلى جانب جورج الأنطاكي عملية غزو المهدية. ينظر ترجمته في: التجاني: المصدر السابق، ص333 ــ 336. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص84.

(6) عرف في المصادر الإسلامية باسم جورجي بن ميخائيل الأنطاكيمن أصل يوناني، تمذهب بالمذهب الأرثوذكسي، تعلم العربية وبرع في الحساب في بلاد الشام، ثم انتقل من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب مع أبيه، والتحق بخدمة الأمير الزيري تميم بن المعزفأصبح من مقربيه وصرف الأمور كلها له، ولما توفي تميم سنة: 501هــ/1107م، تخوف من إبنه يحي لما آلت إليه، وأعمل الحيلة، ولحق ببلاط روجار الثاني، ولقي الحظوة لديه وتولى أمور المالية وأعمال الدبلوماسية بصقلية، ثم قائدا للأسطول الصقلي بعد أن أظهر خبرة في معرفته بالشؤون الإفريقية، وهو الذي كان عالما بعورات بلاد إفريقية. ينظر ترجمته في: التجاني: المصدر السابق، ص333. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص350. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص313.

قيادة سفن الأسطول، ولم يلبث فترة حتى أصبح أمير أمراء البحر وصار من المقربين إلى الملك، وناداه روجار الثاني بالشخصية الأولى في المملكة[1].

وبعد أن امتلك النورمان أسطولاً بحريًا قويًا، إلى جانب استعانتهم بالخبرة العربية في تطوير الأسطول، ومعرفتهم بجغرافيا بلاد المغرب، اختلّت الموازين وأصبحت السيادة للنورمان في الحوض المتوسطي، وتطلع النورمان بعد ذلك في مد نفوذهم إلى بلاد المغرب تحذوهم أبعاد إستراتيجية لتحقيق فكرة السيطرة[2]، خاصة في ظل نمو قوتهم البحرية، واضطراب الوضع السياسي ببلاد المغرب، بعد استنجاد حكام المغرب بهم، ومن ذلك استنجاد رافع بن مكمن[3]، بروجار الثاني بعد أن منعه علي بن يحي بن تميم الزيري[4] من إجراء وصناعة سفينة بهدف الاتجار في البحر وإضافة إلى العلاقة التي جمعتهما أرسل إليه روجار أسطولاً لنجدته[5].

وتعتبر هذه الحادثة الأولى التي سمحت للنورمان بالتدخل في شؤون المغرب مستغلين بداية تضعضع الدولة الزيرية وخروج المناطق عن سيطرتها، ومدى تفوق النورمان بحريًا وإدراك حكام بلاد المغرب لذلك التفوق، واستغلالهم أيضًا للصراع الذي حدث بين أبناء العمومة من بني زيري وبني حماد عندما قام الأمير الحمادي صاحب بجاية يحي بن عبد العزيز[6]، بحصار المهدية، مما دفع الحسن الزيري إلى طلب النجدة من روجار الثاني، فلبى نداء النجدة وأرسل أسطولاً لذلك.

---

[1] زيغريد هونكة: **شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة: مارون عيسى الخوري، دار الجيل، الطبعة الآمنة، بيروت، 1993، ص414. سلمان داود بن يوسف: المرجع السابق، ص43، 44.

[2] سليمان داود بن يوسف: **حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي**، مطبعة أبوداود، 1993،ص43.

[3] رافع بن مكي بن كامل بن جامع الرياحي،تولى حكم قابس زمن حكم تميم بن المعز، واستمر في حكم قابس إلى زمن تولي علي بن يحي، الذي أنف منه وحدثت بينهما الوحشة بعد أن استنجد بروجار الثاني. ينظر: التجاني: المصدر السابق، ص97 ــ 99. ابن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص213.

[4] الحسن بن علي يكنى بابي يحي، فوض إليه أبوه الحكم في حياته وهو ابن اثنتي عشر سنة وتسعة أشهر، وهو بسوسة تكفل بأمر دولته صندل الخادم لا لمعرفة ولا لسياسة، وبعد وفاة صندل الخادم فوض أمور دولته إلى أحد أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز فصلحت الأمور، وفي عهده غزى النورمان المهدية. ينظر ترجمته في: ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص207. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص308. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص213.

[5] التجاني: المصدر السابق، ص98 .

[6] يحي بن عبد العزيز بن المنصور بن حماد (515 ــ 547هــ / 1121 ــ 1152م)، تولى الحكم بعد وفاة والده في فترة الدولة قبل أفولها، وكان حكمه أخر الدولة الحمادية، ووصفه ابن خلدون: « أنه كان مستضعفًا مغلبًا للنساء، مولعًا بالصيد إلى على حين انقراض الأيام بصنهاجة ». ينظر ترجمته في: ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص309، 310. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص235، 236. التجاني: المصدر السابق، ص 342، 343.

ويعود سبب الحادثة أن يحي بن عبد العزيز صاحب بجاية فرض حصارًا على المهدية، ذلك أن الحسن قرب أحد أمراء العرب يدعى ميمون بن زياد، فاجتمع قادة العرب وتوجهوا إلى يحي بن عبد العزيز وجعلوا أنفسهم رهائن عنده وطلبوا من أن يمكنهم من المهدية، فاستجاب يحي لهم، وسير أسطولاً بحريًا وجيشًا بريًا بقيادة مطرف بن حمدون ووقع الاقتتال، مما دفع بالحسن صاحب المهدية إلى الاستعانة بروجار، الذي أرسل أسطول ورفع الحصار[1].

وبهذا استغل النورمان حالة الضعف والانقسام السياسي وحققوا أهداف استراتيجية بالسيطرة على الموقع الساحلي الهام، والقرب الجغرافي من صقلية وأوروباوالبلاد الإسلامية[2].

كما أن هذا الساحل يعتبر نقطة الوصول إلى خط المسالك البحرية العديدة في البحر المتوسط، التي تنطلق من إيطاليا مرورًا بجزر البليارإلى سواحل فرنسا وإسبانيا، وصولاً إلى ميورقة Mallorca[3] وسواحل المغرب، وخاصة بجاية التي كانت تقابل ميورقه، وزادت تطلعات النورمان بعد السيطرة على صقلية لمراقبة الملاحة لقربها من إفريقيةوبلاد المشرق، واستخدمت في تموين الحملات الصليبية[4]، وكان هدف النورمان من احتلال مدن المغرب هو تأمين صقلية من جهة الجنوب المقابل للبحر[5].

وقد كان هدفهم بعيدًا في السيطرة على بلاد المغرب باحتلال مدنها وموانئها التي كانت تجمع بين خاصيتين الحربية والتجارية، فميناء بونة[6] الذي غزاه النورمان كانت تتدفق إليه الخيرات النباتية وخاصة الأخشاب (خشب الزان) والثروات الحيوانية، كما أنه بمثابة قاعدة حربية للإغارة على سفن الروم[7].

---

(1) التجاني: المصدر السابق، ص339. توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص89. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص284.

(2) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص212.

(3) جزيرة في شرق الأندلس بالقرب من جزيرة منورقة، كانت قاعدة ملك مجاهد العمري. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج5، ص246. الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص188.

(4) الطاهر قدوري: **المسالك البحرية في المغرب الوسيط خلال القرنين 5 ــ 6هــ**، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ع11، عمان، 30 جوان 2005، ص2 ــ 6.

(5) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص179.

(6) مدينة من أعمال إفريقية، وموقعها على ساحل البحر المتوسط، كانت في القديم تسمى هيبون، عنها بناها الرومان شرق المكان الذي توجد عليه اليوم بمسافة فرسخ واحد على نهر يدوغ، وهي مدينة حصينة كثيرة الخيرات وبها معدن الحديد. ينظر: مارمول كربخال: **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1989، ج3، ص7.

وذكر البكري أن المدينة أولية وهي مدينة أقشتين العالم بدين النصرانية، وهي على ساحل البحر في نشر من الأرض منيع مطلع على مدينة سيبوس، وتسمى اليوم مدينة زاوي وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال ولها مساجد وأسواق وحمامات، وهي ذات ثمر وزروع وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين والأربعمائة. ينظر: البكري: المصدر السابق، ص54، 55.

(7) البكري: المصدر السابق، ص54، 55 .

أما ميناء المهدية فكان بمثابة مركز تجاري ومحط للسفن، يربط بين العدوة الإفريقية (بلاد المغرب) مع بلاد الشام من جهة، ومع صقلية والمدن الايطالية من جهة أخرى[1].

وإذا كان هدف النورمان في الاستيلاء على الموانئ المغربية ذات الأهمية الحربية والتجارية، فإن من أهدافهم الإستراتيجية التي رسموها كذلك، تمثلت في وضع حد لأعمال القرصنة في حوض المتوسط التي كانت تعيق حركة وحرية الانتقال والإبحار، والتي كانت تقوم بها جماعة المسلمين[2]، خاصة ما يقوم به الجرابة[3] في تلك الفترة من غزو بحري[4]، ووضع حدًا بصفة نهائية للاحتكار التجاري في الحوض المتوسطي الذي فرضه الزيريون على التجارة البحرية[5].

وأخذت الأطماع النورمانية التوسعية أكثر حدة في عهد أبو الحسن علي بن يحي بن تميم، الذي أحس بتدخلات روجار الثاني، وتدخلاته في شؤون المملكة خاصة، بعد أن أرسل إليه يريد ابتزازه لدوام السلم بينهما، وكان جواب أبو الحسن علي أن رد الرسول بغلظة، وهدد بالاستنجاد بالمرابطين، ووجه إليه الأميرالمرابطي علي بن يوسف بن تاشفين[6] كتابًا يقترح عليه غزو صقلية[7].

---

(1) الزهري: المصدر السابق، ص111.

(2) صابر دياب: المرجع السابق، ص62.

(3) نسبة إلى مدينة جربة، وهي جزيرة في بحر إفريقية أقرب بلادها إليها قابس، طولها ستون ميلاً من المغرب إلى المشرق، بينها وبين البر نحو ميل، ذات نخل وكروم، عامرة بقبائل البربر، والسمرة تغلب على ألوان أهلها، والشر والنفاق موجود في جبلتهم، وكلامهم بالبربرية خاصهم وعامهم، وهم أهل فتنة وخروج عن الطاعة، غزاها النورمان سنة: 529هـ / 1135م. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص127. الحميري، **الروض المعطار**، ص158.

(4) أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص130.

(5) عبد المالك بكاي: المرجع السابق، ص23.

(6) علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، ولد بسبتة سنة: 476هـ / 1083م، وبويع بمراكش بعد وفاة أبيه (500 ــ 537هـ / 1106 ــ 1155م)، وكان عمره ثلاثة وعشرين سنة، ووصفته المصادر بصفات جسمية حسنة، إضافة إلى ما عرف عنه من ذكاء وفهم، تلقب بأمير المسلمين وسمى أصحابه بالمرابطين، ودخلت بلاد المغرب تحت حكمه من بجاية إلى السوس الأقصى، وملك وبلاد الأندلس شرقًا وغربًا، كان نزيه النفس بعيدًا عن الظلم مقربًا لأهل الفقه والدين مشاورًا لهم، اهتم بإيثار الجهاد وتحصين الثغور وإقامة العدل. ينظر ترجمته في: المراكشي: المصدر السابق، ص235.

وابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972،ص157.سليمان الهرفي سلامة محمد: **دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية**، دار الندوة الجديدة، بيروت ــ لبنان،د.ت، ص60، 61.

(7) التجاني: المصدر السابق، ص335. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص308.

فلبوا نداء النجدة وأرسل علي بن يوسف أسطوله بقيادة عبد الله بن ميمون[1] إلى جزيرة صقلية سنة 516هـ / 1122م، فشن غارة على بعض نواحيها، وافتتح مدينة نوقطرة Nicotra[2]، وهذا ما جعل روجار، يرى أن العمل العدائي من قبل المرابطين على صقلية، كان بإملاء الحسن بن علي الزيري وحشد جنوده ومقاتليه وكتم ذلك، و لم يخف على الحسن ذاك الاستعداد فاستَعَدَّ هو الآخر للقتال ببناء الأسواروحشد الأعراب للجهاد[3].

وقد ارتأى بإدراكه أن يؤخر عملية الغزو إلى حين، ثم إن روجار بعد رفع شكوى إلى المرابطين، كان كافيًا لإقناعه على التراجع عن فكرة الغزو لعلمه بإمكانياتهم البحرية[4]، وما يلفت النظر أن استيلاء روجار الثاني على المهدية لم يتم إلا في سنة: 543هـ / 1148م، أي بعد سقوط دولة المرابطين بقليل.

2 . الدافع الديني:

اعتنقت الشعوب الاسكندينافية الديانةالوثنية وعبدت قوى الطبيعة، وعَبَدَ البعض منهم الأشجار والينابيع، وتقربت هذه الشعوب من آلهتها بتقديم الأضاحي البشرية التي يتولى زعماء القبائل تقديمها[5]، واعتنقت الديانة المسيحية منذ دخولها شبه الجزيرة حوالي القرن 2هـ / 8م[6].

وكان النورمان شديدي التعلق بدياناتهم، لكن لم يمنع اعتناقهم المسيحية والإخلاص لها، فقد توالت اعتداءاتهم على الأماكن المقدسة خاصة إذا تعلق الأمر بالغنائم[7] ويأتي تحرك النورمان من جنوب إيطاليا إلى صقلية تحت هذا الدافع، ودافع الغزو الصليبي الذي لعبت فيه البابوية دورًا كبيرًا.

---

[1] علي بن ميمون أبو عبد الله محمد بن ميمون، أمير البحر قائد علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، ضد سواحل قلريبة من جزيرة صقلية سنة: 516هـ / 1122م، من أعمال روجار، وافتتح نوقطرة وغنم وسبى وعاث في نواحيها، وكان هذا العمل من الأسباب التي دعت روجار للعزم على غزو المهدية. ينظر ترجمته في: ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص308. ابن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص214.الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،ج1، ص393.

[2] التجاني: المصدر السابق، ص335.

وأحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص226.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص214. التجاني: المصدر السابق، ص335.

[4] عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، مطابع فضالة، المحمدية، 1987،ج5، ص185.

[5] نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج1، ص 384.

[6] ل. ج. شيني: **تاريخ العالم الغربي**، ترجمة: مجد الدين حفني ناصف، مراجعة: علي أدهم، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص128، 129. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 202 ــ 204.

[7] نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ج1، ص384.

فبعد أن تمكن روجار من إحكام سيطرته على صقلية، انتهج طريقة تكريس وجود المسيحية بالجزيرة، حيث عمل على غرس العنصر المسيحي وهم أقلية في وسط إسلامي، وفي هذا الشأن يقول ابن الأثير(ت 630هـ / 1280م): « واسكنها أي الجزيرة الروم والفرنجة Franks مع المسلمين، و لم يترك لأحد من أهلها حمامًا ولادكانًا ولا طحونًا ولافرنًا »[1].

وليحصل على رضى البابوية منح مدينة قطانيه بعد أن فتحها هبة للكنيسة، وقوى نفوذ الكنيسة الكاثوليكية[2] على حساب المذهب الأرثوذكسي[3]، وضيق على المسلمين من خلال مؤسساتهم الدينية بتحويل العديد من المساجد إلى كنائس، وساهم في بعث مركز كنسي في وسط إسلامي[4].

ونتيجة لهذه المجهدات أصدر البابا قراراً في 9 مارس 1092م بمنحه نائبًا للمسيحية في صقلية[5]، وهو ما يطرح تساؤل عن سياسة التسامح التي ذكرتها المصادر، خاصة الدينية والعدالة الإجتماعية التي حضي بها المسلمون في الجزيرة تحت حكمه؟

وتزامن خضوع صقلية للحكم النورماني انبعاث الحركة الصليبية التي تولت البابوية قيادتها وتوفير الدعم المادي والمعنوي لها بتوجيه أنظار المسيحيين اتجاه المسلمين مشرقًا ومغربًا أوالاستيلاء على بلادهم[6].

---

(1) **الكامل في التاريخ**، ج8، ص474.

(2) اللاتينية أو البطرسية،وتعتقد هذه الفرقة روح القدس نشأ من الأب والابن معًا، وبالإعترف والبواح للقديس، وبالعشاء الرباني وغيرها من العقائد، قامت على مبادئ منها رفض إشراك العقل في الإيمان، والابتعاد عن الدرس العلمي في عقائد الإيمان، تهتم بالمسائل اللاهوتية النظرية، وجهت انتباهًا عظيمًا إلى جهة المسيحية الخارجية، أي إلى الطقوس، والنظام والإدارة، وعلاقة الكنيسة بالمملكة وبالجماعة، ربطتها بالكنسية الشرقية روابط الإيمان والأسرار والترتيب الكنسي. ينظر: سعد رستم: **دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية**، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2005، ص33. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ط2، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، 2003، ص464 وما بعدها. نهاد خياطة: **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**، الأوائل، د.ت، ص104.

(3) انفصل عن الكنسية الكاثولكية سنة: 1045م، عقائدهم أن روح القدس منبثق من الأب وحده، ترى أن المسيح من طبيعة إلهية وطبيعة بشرية،تسمح بإشراك العقل في الإيمان، فسرت أسس تعليم الإيمان المسيحي بالطرق العلمية، ظهرت بها آراء لاهوتية وعقائدية متعددة ومختلفة، واجهت ما كان ما يسمى بهرطقة لأجل المحافظة على الترتيبات الكنسية غير المتعلقة بالسلطة العلمانية. ينظر: سعد رستم: المرجع السابق، ص35. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: المرجع السابق، ص473، 474.

(4) سليم فراس يحياوي: المرجع السابق، ص94.

(5) أحمدعزيز: المرجع السابق، ص79.

- Chalondon Fedrinand, **Histoire de la domination normande en Italieet en sicile,** 2volumes, Paris,1907, P: 34.

(6) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص129.

وكانت أولى الخطوات التي قامت بها البابوية، هي تحريك المدن البحرية الايطالية لاحتلال المهدية من بلاد المغرب سنة: 480هـ / 1087م، ولمست إخفاقها في إيجاد مستقر لها في إفريقية، بعد قبولها في تحقيق أهداف اقتصادية وتجارية محضة، ولما كانت القوى الأوروبية قد وجهتها في حركتها اتجاه المشرق، فإنها أسندت مهمة غزو بلاد المغرب إلى النورمان[(1)]، الذين استقر بهم الحال في جنوب ايطاليا وصقلية، حيث كانت تُحركهم دوافع دينية أدت إلى الحرب الصليبية الأولى[(2)].

ويعود زمن انطلاق هجوم الصليبيين على البلاد الإسلامية إلى أواخر القرن 5هـ / 11م، على ثلاث جبهات الأندلس وصقلية وافريقيةفي آن واحد، حيث وزّعت القوى الأوروبية المهام فيما بينها، مع الاحتفاظ بقدر كبير من التنسيق والتعاون[(3)]، وقد مثّل العالم الإسلامي في هذه الفترة الدولة العباسية، التي كانت تعاني الضعف والانقسام، وحكمت دول باسمها حصل بذلك اتفاق وإجماع بين الشعوب الأوروبية في استغلال الظروف للقيام بحملات صليبية شرسة[(4)].

فملكوا بذلك طليطلة من بلاد الأندلس، ثم جزيرة صقلية وأطراف من بلاد افريقية، وواصلوا زحفهم نحو بلاد الشام[(5)]، و لم يكن النورمان في منأى وحياد عن المشاركة في الحروب الصليبيةالتي شرعت البابوية في تحضيرها والإعلان عنها وتحديد جبهاتها، وقد كانت لهم مشاركة في الحملة الصليبية الأولى التي انطلقت من جنوب ايطاليا، بقيادة بوهيموند Bohemond وتانكريد Tankarid[(6)]، الذي كان يغريهم ويدفعهم **دفعًا** للانتصار على المسلمين بمواصلة الغزو والاستيلاء[(7)].

---

(1) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص177.

(2) علي حسن الخربوطلي: **الإسلام في حوض البحر المتوسط**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1970، ص159.

(3) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق،ص129.

(4) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص236.

(5) سليم فراس يحياوي: المرجع السابق،ص94.

(6) ابن روبارت جيسكارد، دخل جنوب إيطاليا سنة: 1058م، تخوفت الإمبراطورية منه للجماعات النورمانية التي كان يقودها خاصة بعد أن تمكن من نزع أملاكها في جنوب إيطاليا، لكنه فيما بعد أقسم ولاء الطاعة للأمبراطور الكسيوس كومنين على أن لا يتعرض لبلاده بالسلب والنهب كما حدث في الحملة الصليبية العامة، أما تانكرد هو ابن أخت بوهيمند، لم يقسم لإمبراطور الكسيوس كومنين ورفض ذلك توفي سنة: 1112م، توفي سنة: 1111م. ينظر ترجمته في: محمد مؤنس عوض: **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، 2000، ص75. باكر أرنست: **الحروب الصليبية**، ترجمة: الباز العريني، ط2، دار النهضة العربية، د.ت، ص27.

(7) محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص223.

وهوما دفعهم فعلاً إلى دخول صقلية التي كانت بيد المسلمين وملكوها سنة: 484هـ/1091م، وتزامنت سيطرتهم على الجزيرة بقيام حركات الاسترداد La Reconquista[1]، بتشجيع من البابوية باسترجاع الأماكن المقدسة من المسلمين[2]، وذلك بشن هجوم على المسلمين الذين وصفتهم بالوثنيين، وان أخذت هذه الحروب الطابع الديني فإنها لم تخلو من الدوافع الإقتصادية والحصول على الثروات والسيطرة على التجارة البحرية[3].

إنّ السيطرة على البحر المتوسط وبلاد افريقية لم تكن غائبة عن أذهان المخططين للحركة الصليبية، فقد تم عدّها الجبهة الثالثة التي تمثل غرب العالم الإسلامي، وقد تأخر نسبيًا الشروع في العمل، في انتظار الفرصة المتاحة، وكانت المدن الايطالية المبادرة إلى تنفيذ ذلك التي أخذت الطابع الديني، لكن لم يمنع من نيل الامتيازات والمكاسب، وكذا وضع حد للاحتكار البحري الزيري[4].

وإذا كانت هذه القوات قد تمكنت من احتلال المهدية وحققت مكاسب مادية فإن النورمان قد امتازوا ببعد النظر في تأييدهم للحركة الصليبية، وما عرفوا به من روية وحذر في اتخاذ القرارات، فقد أوجدوا الأعذار لتأجيل انطلاق العمل الصليبي على بلاد المغرب (إفريقية)، فبني زيري يفرضون سلطتهم على البحر المتوسط، ودولتهم ما زالت في مرحلة البناء والتشكل[5].

وعلى ضوء الواقع وفي نظرة إستشرافية، أدرك النورمان أن المشروعات الصليبية ستؤثر عليهم بالسلب إقتصاديًا، ذلك أن التجارة ساعتها ستنتقل من أيديهم إلى أيدي الصليبيين المنتصرين[6]، لذا استطاعوا توجيه أنظارهم نحو بلاد المشرق بدل بلاد المغرب.

---

(1) هي الحروب التي شنها الإسبان لطرد المسلمين من الأندلس، من المؤرخين من أرجع بداية هذه الحركة إلى دول المسلمين إلى الأندلس سنة 95هـ / 711م، إلا أنها لم تكن ظاهرة ملموسة إلا في عهد الملك فرديناند الأول الذي خطا بها خطوات كبيرة جعلته لأول مرة ملك مسيحي يفرض سيطرته السياسية على المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية اعتمادًا على انقسامهم، وظهور دويلات الطوائف بعد سقوط الدولة الأموية سنة: 422هـ/1031م، وما تلا ذلك من نشوب حروب ومنازعات بينهم. ينظر: حسين مؤنس: **موسوعة تاريخ الأندلس**، ص63، 64.

محمد محمود النشار: **دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، 2007، ص10.

(2) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص236. سليم فراس يحياوي: المرجع السابق، ص94.

(3) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص279، 280.

(4) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص138.

(5) المرجع نفسه، ص193.

(6) ممدوح محمد مغازي: المرجع السابق، ص1071.

وقد استغل روجارالأول وجود تحالف بينه وبين بني زيري، كسبب رفض طلب بلدوين[1] الذي عرض عليه الانضمام لغزو افريقية، فحاول أن يصرف اهتمامهم عن غزوها لأهميتها الإقتصادية، وقد شرح لأعوانه بعد أن عرض عليهم هذا الطلب، وماذا يترتب عن انتصار الصليبيين في هذا الغزو، وماذا يترتب عن انهزامهم، وما مصالح النورمان من الانفراد بالغزو[2]؟

لكن بعض المؤرخين شكّكوا في صحة هذه الرواية؛ ومنهم أماري بقوله: « أن الرواة أخلطوا في ذلك بين روجار الأول وروجار الثاني، وأن التفاصيل المتعلقة بإفريقية قد أضيفت في تاريخ لاحق إلى الرواية الأصلية، وأنهم أخلطوا بين رفض روجار الأول لطلب المدن الايطالية جنوة Génes[3]وبيزة Pisa بالمشاركة في هجومهم على المهدية، وفي المرة الثانية عندما رفض الإستجابة لنداء أوروبا»[4].

وإن تميز روجار برويةوبعد نظر، فمنذ أن تولّى حكم صقلية عملعلى غرس العنصر المسيحي في الوسط الإسلامي، وفي ذلك يقول ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م): « واسكنها أي الجزيرة الروم والفرنج مع المسلمين، و لم يترك لأحد من أهلها حماما، ولا دكانًا ولا طاحونًا ولا فرنًا »[5].

و لم يتوقف في سياسته هذه، بل أنه عامل بعض الأسرى الذين وقعوا في قبضته بعد دخوله صقلية بقسوةٍ، وخاصة الذين أبدوا مقاومته، فلم يحفظ لهم كرامتهم، وساقهم إلى إيطاليا ليباعوا كعبيد في سوق النخاسة، بل لم يقف الحد على معاملة المسلمين كعبيد والتشديد عليهم، بل أقدم على تحويل المساجد إلى كنائس[6].

وإذا كانت هذه هي سياسة روجار الثاني اتجاه المسلمين الخاضعين له في صقلية فان سياسة بني زيري قد اتسمت بالتسامح الديني مع مختلف الطوائف والمذاهب ولا سيما المسيحيين منهم، ومما يدل على

---

[1] حسب كان بلدوين Baldwin زوج أخت روجار الثاني أدليدا Adelaide، وكان روجار الثاني عند الزواج اشترط عليه إذا لم يخلف وريث شرعي يتنقل عرش بيت المقدس إليه غير أن، بلدوين طرد أدليدا واستولى على ثروتها، وقد تأثر روجار من هذا الصنيع و لم ينقطع من باله محاولة الاستيلاء على عرش بيت المقدس. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص13. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية ما بين 1017 ــ 1154م**، ص205، 206.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص13 .

[3] مدينة بلاد الروم على ساحل بحر الشام، وهي مدينة قديمة شاهقة البناء، حسنة الجهات، ووافرة البشر كثيرة المزارع والقرى والعمارات، وهي على قرب نهر صغير وأهلها تجار مياسير، في سنة: 480هـ /1097م هجمت أساطيل جنوة Génes وبيزة Pisa على المهدية وزيلة وسبوا أهلها وقتلوا وأحرقوا. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص173. التجاني: المصدر السابق، ص331.

[4] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،ج1، ص340.

[5] **الكامل في التاريخ**، ج8، ص474.

[6] Chalondon Fedrinand, Op cit, P: 346.

هذا التسامح تقلدهم المناصب العليا في الدولة، فقد عمل جورج الأنطاكي الذي قدم من أنطاكية إلى بلاد المغرب واتصل بالأمير تميم بن المعز، الذي ألحقه في خدمته، فاطلع على أحوالها ثم في خدمة ابنه يحي بعدما آل الحكم إليه فترة، ثم انتقل متخفيا إلى صقلية ودخل في خدمة روجار لتخوفه من يحي بن تميم[1].

ورغم التسامح الديني الذي تبناه بني زيري مع المسيحيين بإفريقية، لم يمنع هذا من مساعدتهم لمسلمي صقلية التي تعتبر أحد الأملاك التابعة لهم، فأرسلواالأساطيل مشحونة بالجنود والعتاد[2].

فالمعز بن باديس بعد أن أتاه الوفد من صقلية يستصرخه من زحف النورمان أرسل أسطولاً مكونًا من 400 سفينة وحشد الجنود والمتطوعة، لكن هذا الأسطول غرق معظمه عند جزيرة قوصرة Cossyra بسبب الأمطار والعاصفة[3]، وقام بعده ابنه تميم بنشاط بحري مكثف على البلاد المسيحية، حيث جعل الدول الضحية تقرر اتخاذ قرار جماعي مشترك لإيقاف هذاالنشاط، وضم هذا الاتحاد جنوة Génes، وبيزة Pisa، وفرق من أمالفي Amalfi[4]، التي كانت تحت سيطرة النورمان[5].

وفي محاولة من تميم بن المعزلرد العدوان الصليبي، وبالتنسيق مع الخلافة العباسية (132 ــ 656هــ / 749 ــ 1258م)، التي كان أبوه المعز قد أعلن تبعيته لها، وعمل تميم على إيجاد وحدة في ظلها، في محاولة لتوحيد الجهود لمواجهة هذا العدوان[6]، واعتنى بعده ابنه يحي بالأسطول عناية كبيرة، حيث كان له اثر في زيادة عدد سفن الأسطول والنشاط البحري، والإغارة على شواطئ أوروبا الجنوبية، وهذا ردع السفن التجارية المسيحية التي كانت هي الشريان الذي يحيي الصليبيين مما دفعها إلى طلب الصلح ودفع الجزية[7].

---

(1) التجاني: المصدر السابق، ص333.حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص193.

(2) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص28.

(3) الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص406.

(4) مدينة تقع في كمباينا في جنوب إيطاليا على خليج سالرنو، وهي أول جمهورية إيطالية بحرية في القرن 4هــ/9م. ينظر: محمد شفيق غربال وآخرون: **الموسوعة العربية الميسرة**، دار القلم، القاهرة، 1965،ص217.

(5) جورج مارسيه: المرجع السابق،ص253.

(6) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص153، 154.

(7) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص88. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص363. حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص152.

ووصف ابن خلدون (ت 808هـ / 1405م) جهود يحي بن تميم (501 ــ 509هـ / 1107 ــ 1115م) في بعث الأساطيل البحرية، وغزو النصارى بقوله: « وردد البعوث إلى دار الحرب فيها، اتقته أمم النصرانية بالجزر من وراء البحر...، وكانت له في ذلك آثار ظاهرة عزيزة »[1].

وقد امتدت نشاطات الأسطول الزيري القويّ فأدت بالمسيحيين، إلى طلب السلم، كما عادت بالغنائم والأسرى المسيحيين[2]، ولما تولى الحكم علي بن يحي (509 ــ 515هـ / 1115 ــ 1121م) خلفا لأبيه، كان أكثر استعدادا لمواجهة النورمان الصليبيين، وكثيرا ما كانت العلاقات بينه وبين روجار الثاني يشوبها التوتر وعدم الاستقرار[3].

كما كان يراقب تحركات النورمان في محاولة غزو بلاد المغرب، ومن ذلك إخراجه السفن لحماية قابس[4]، ويصور لنا ابن حمديس الصقلي خروج سفن حربية من المهدية لحرب شوان واصلة من صقلية بقوله: [الطويل]:

نَعِيمُ كَأن تُزَفَ لَكَ العُقَارُ   عروسًا في حلائقها نِفَارُ
فإن مزجتَ وجدت لها انقيادًا   كما تنقادُ بالخُدعِ النوار
رأيتُ الراحَ للأفراح قطبًا   عليه من الصَّبُوح لها مَدَار[5]

وبذلك فقد كان لحكام بني زيري دور في مواجهة الصليبيين بداية من تواجدهم في صقلية، ومحاولتهم العديدة لحمايتها والدفاع عنها بإرسال الأساطيل والجيوش إلى قيامهم بالنشاطات البحرية ضد السفن التجارية المسيحية مما أجبرهم إلى طلب الصلح ودفع الجزية.

وفي جهادهم ضد الصليبيين عمل الزيريون على تنسيق الجهود مع المرابطين، فكانت العلاقات حسنة، للرابط القبلي الذي جمعهم (صنهاجة) ، ووحدة الهدف في مواجهة العدو المشترك[6]، وكانت

---

(1) **كتاب العبر**، ج6، ص213.

(2) ابن الخطيب: **تاريخ المغرب في العصر الوسيط**، ص78. جورج مارسيه: المرجع السابق، ص254.

(3) المسعودي: المصدر السابق،ص49.

(4) مدينة بين طرابلس وسفاقص، ثم المهدية على ساحل البحر، بينها وبين أفريقية أربعة مراحل،وهي مدينة كبيرة قديمة مسورة ذات أرباض وفنادق وحمامات، ذات مياه جارية، كثيرة الثمار والتمر والموز يربى بها الحرير وحريرها أطيب حرير. ينظر: مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص112. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص289.الحميري: **الروض المعطار**،ص450.

(5) ابن حمديس: المصدر السابق، ص236.

(6) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق،ص151.

بداية العلاقات بينهما في عهد يوسف بن تاشفين[1]، وذلك وبعد انتصاره في معركة الزلاقة[2] بالأندلس، حيث كتب إلى تميم يبشره بالنصر، وفي ذلك يقول بن أبي زرع (ت 726هـ / 1326م): « وكتب أمير المسلمين بالفتح إلى بلاد العُدوة، والى تميم صاحب المهدية، فعمت الفرحات في جميع بلاد افريقية، وبلاد المغرب والأندلس، واجتمعت كلمة الإسلام، واستمرت العلاقات الطيبة »[3].

وتطور هذا التنسيق بين الطرفين إلى مرحلة القيام بعمل مشترك ضد الصليبيين النورمان، الذين كانوا يتحينون الفرصة للانقضاض على افريقية، فحيال التهديدات التي كان يرسل بهاروجار الثاني لعلي بن يحي الزيري (509 ــ 515هـ / 1115 ــ 1121م)، تم الاتفاق على أن يقوم علي بن يوسف بن تاشفين على غزو صقلية، وكان هذا الاتفاق كافيًا، لأن يعدل روجار عن فكرته من غزو افريقية، وقد أدرك جيدا انه لا يمكن مجابهة قوتين في آن واحد[4].

ولما تولى الحكم الحسن بن علي الزيري (515 ــ 543هـ /1121 ــ 1148م)، كتب إلى علي بن يوسف بن تاشفين (500 ــ 537هـ / 1106 ــ 1155م) في شأن تهديدات صاحب صقلية[5]، وصادف أن غادر الأسطول المرابطي، بقيادة علي بن ميمون على بلاده، ففتح مدنًا وحصونًا وسبى، فظن روجارأن ذلك بإيعاز من الحسن، للعداوة التي كانت بينه وبين الحسن، فاغتاظ للأمر، وحشد مقاتليه وجنوده، ولم يخف على الحسن استعداد روجار الثاني للحرب، وخشي أن يطرق بلاده، فاستعد بتشييد الأسوار واتخاذ الأسلحة وحشد المقاتلة[6].

---

(1) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت الصنهاجي، وكنيته بأبو يعقوب، من أتباع عبد الله بن ياسين، عرف بالشجاعة والعلم والتقوى، امتدت حدود الدولة التي ضعت له من نهر السنغال جنوبا إلى طليطلة شمالا ومن المحيط الأطلسي غربا إلى جزائر بني مزغنة جنوبًا، توفي سنة: 500هـ / 1006م.ينظر ترجمته في: ابن الخطيب: **تاريخ المغرب في العصر الوسيط**، ص234 ــ 237. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 114، 244 ــ 247. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979،ص24، 25.

(2) بطحاء من إقليم بطليوس Badajoz من غرب الأندلس بالقرب من قرطبة، فيها كانت الوقيعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية عظيم الجلالقة أذفونش بن فرذلند في رمضان 479هـ / 1086م. ينظر: الحموي: المصدرالسابق، ج3، ص146. الحميري: **الروض المعطار**، ص287، 288. الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص83.

(3) **الأنيس المطرب**، ص149.

(4) التجاني: المصدر السابق، ص335. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص214. حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص155.

(5) محمد العروسي المطوي: المرجع السابق،ص223.

(6) التجاني: المصدر السابق، ص335. الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص52.

وقد بادر روجار كرد فعل على التحالف الزيري المرابطي مع كونت برشلونه ريموند الثالث بإبرام معاهدة سنة: 522هـ / 1128م ومن بينما تضمن الإتفاق تنظيم حملة صليبية لغزو إفريقية[1].

ومن مظاهر النزعة الصليبية لدى النورمان التي كانت تدفعهم نحوغزو مدن افريقية كجربة وطرابلس وبرشك Brechk[2]، كانت جميع الغارات التي قاموا بها تستهدف المسلمين بالقتل والأسر[3]، وما قام به روجار الثاني سنة: 548هـ / 1158م في مدينة بونة التي حاصرها وتمكن من دخولها من خلال أسطول حربي بقيادة فليب المهداوي المرتد الذي إستباح المدينة، وأعفى عن العلماء وبعض العائلات بمغادرتها، ثم اقتاد الأسرى وعاد إلى صقلية، وحينما وصل إلى صقلية ألقى روجار القبض عليه وأعدم حرقًا[4].

وإن كانت المصادر تصف روجار بالمتسامح، فقد اختلفت تحليلات الباحثين بشأنهذه الحادثة، فأرجعت بعضًا منها أن إقدام روجارعلى هذا التصرف كان بدافع تخاذله وتساهله مع المسلمين، وحرصه على حماية الكنيسة وتدعيم أركانها[5].

وخير دليل على الحقد المسيحي الدفين لدى النورمان، انتقامهم من المسلمين المقيمين ببلرمو سنة: 556هـ / 1161م، بعد تحرير المهدية من طرف عبد المؤمن بن علي (524 ــ 558هـ / 1129 ــ 1162م)سنة: 555هـ/1160م[6]، حيث أقدموا على قتلهم، واضطر المسلمون حينها إلى الاعتصام بالجبال[7].

---

(1) محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص293. سليم فراس يحياوي: المرجع السابق، ص94.

(2) مدينة صغيرة على تل تراب، بينها وبين تنس في الساحل ستة وثلاثون ميلاً، وهي على ضفة البحر، ومنها إلى شرشال عشرون ميلاً، وشرب أهلها من عيون ومائها العذب، وبها فواكه وجملة مزارع، وحنطة كثيرة وشعير. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص78. الحميري: **الروض المعطار**، ص88.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9،ص391. التجاني: المصدر السابق، ص 331 ــ 335.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص391. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5،ص235، 236.

(5) رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص357.

(6) عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي القيسي المغربي، ولد سنة: 487هـ /1094م بأعمال تلمسان، وسمى نفسه أمير المؤمنين، وحارب علي بن يوسف بن تاشفين صاحب مراكش ملك الملثمين، واستحوذ على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبة، وحاصر مراكش أحد عشر شهرًا، ففافتتحها في سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة، حكم ثلاثة وثلاثون سنة، وتوفي سنة: 558هـ / 1162م. ينظر ترجمته في: المراكشي: المصدر السابق، ص265، 266. الذهبي: المصدر السابق، ج20، ص366.

و ابن كثير أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي (ت 774هـ/1373م): **البداية والنهاية**، تحقيق: الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1998، ج16، ص406.

(7) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص177.

3 . الدافع الإقتصادي:

أدى سيطرة النورمان على جنوب إيطاليا وصقلية إلى زيادة تطلعاتهم لمد النفوذ إلى مناطق أخرى لتكوين إمبراطورية واسعة الأرجاء، يكون البحر المتوسط شريانها، وصقلية قاعدتها الحصينة العصية[1]، وكانت بداية مد النفوذ والسيطرة على المناطق القريبة من صقلية، فكانت مالطة أقرب المناطق إليها، وبذلك سيطر النورمان على المناطق الحيوية بين صقلية وإفريقية[2]، وشكلت صقلية بحكم موقعها همزة وصل بين الشرق والغرب، ومحط السفن التجارية[3].

ولقد أدرك النورمان هذه الأهمية فتمكنوا من السيطرة عليها، وحظيت الواجهة البحرية الجنوبية (بلاد المغرب)، باهتمام خاص من طرفهم واعتقدوا أن شمال إفريقيا يشكل امتدادًا طبيعيًا لمملكتهم، وبحكم قرب صقلية من شمال إفريقيا، كان من الطبيعي أن تنشأ علاقات متنوعة، ومنها العلاقات التجارية التي شملت الضفتين الشمالية والجنوبية[4]، خاصة في ظل ما عرف به النورمان من ممارستهم للتجارة البحرية، وتمرّسهم في ركوب البحر.

ففي فترة سابقة أقاموا علاقات تجارية مع البيزنطيين والمسلمين، ووصلوا إلى شواطئ بحر البلطيق وإسلاندا Islande وجرينلاند Groenland، ثم لعبوا دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، حيث وصلت منتجات الشرق الإسلامي والبيزنطي إلى شمال أوروبا والقسطنطينية، وكانت الملاحة والتجارة نشاطًا اقتصاديًا أساسيًا[5].

ولما كان النورمان أمة تجارية، وبحكم قرب مملكتهم من صقلية ومن بلاد المغرب، والتي اعتبرت على أنها دولة واحدة على مر العصور، اهتموا بإقامة علاقات تجارية مع بلاد المغرب، فقد كانت صقلية المصدر الرئيسي الأول للقمح بالنسبة لإفريقية، ولا سيما في زمان القحط والجفاف، وكانت تستورد من إفريقية ما تحتاج إليه من زيت الزيتون وذهب السودان الغربي[6].

وما يدل على قوة التبادل التجاري بين الزيريين والنورمان خلال القرن 5هـ /11م أن النورمان يستخلصون كل سنة عائدات مالية كبيرة من جراء صادرات القمح إلى إفريقية، واحتاج هذا إلى تنظيم

---

(1) رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص302.

(2) لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص376. تقي الدين عارف الدوري: **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، ص367.

(3) chalondon Fedrinand: Op cit, P: 368.

(4) رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص302، 303.

(5) نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص386.

(6) أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص69.

العمليات الإدارية، فعينوا وكلاء بالمهدية يعملون على جمع أموال المبيعات وإيجاد أسواق جديدة، وإن كان هؤلاء الوكلاء قد تحولوا إلى جواسيس يعملون على نقل الأخبار والمعلومات لتنفيذ الاحتلال(1).

ومما ساعد على قيام تبادل تجاري توفر الفنادق ببلاد المغرب، باعتبار الفندق فضاء تجاري يوفر للتجار ما يحتاجون إليه من سكن وتخزين وأمن، وقد أشار البكري إلى هذه الفنادق، بكل من قابس وسفاقص(2) والمهدية، بالإضافة إلى أنها مكان لنشاط التجارة ومراقبتها(3).

وقد سهل الزيريون عملية التبادل التجاري مع النورمان من خلال الاستيراد والتصدير والسماح بوجود وكلاء على أراضيها بهدف التحصيل المالي التي تدره التجارة البحرية، ومظاهر ذلك وجود تبادل مربح، لكنهم فرضوا الرسوم الجمركية واحتكروا السفن المهيأة لنقل البضائع بهدف تمويل خزينة الدولة(4).

ووصف لنا ابن خلدون مدى سيطرة الزيرين على حوض المتوسط في عهد تميم بن المعز (454 ــ 501هــ / 1062 ــ 1107م)، وهابتهم في ذلك أمم النصرانية، وقبلوا بالجزية على مضض بقوله: « وردد البعوث إلى دار الحرب فيها حتى اتقته أمم النصرانية بالجزية من وراء البحر، من بلاد إفريقية وجنوة Génes وسردينية Sardaigne(5)، وكانت له في ذلك آثار ظاهرة عزيزة »(6).

---

(1) رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص321.

ويرى عز الدين أحمد موسى أن التجارة المغربية خلال هذه الفترة رغم توتر العلاقات بين دول البحر المتوسط، لكن لم يمنع هذا من استمرار الحركة التجارية، وكان تجار صقلية يدخلون بلاد المغرب أو العكس، ودخولهم كان في أوقات الصلح والهدنة، ومما شجع على هذه الاستمرارية وجود المسلمين في صقلية لعبوا دور الوسيط التجاري. ينظر: عز الدين أحمد موسى: **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983، ص285، 286.

(2) مدينة بإفريقية، وموقعها على ضفة الساحل بينها وبين المهدية ثلاثة أيام، وبين وسوسة يومان وبين قابس ثلاثة أيام، ذات سور، وبها محاريس من أجل الرباط، وعلى أبوابها صفائح من حديد منيعة، كثيرة الخيرة،وجل غلاتها الزيتون، وبها أسواق عامرة ومساجد. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج3،ص 223، 224. الحميري: **الروض المعطار**، ص365.

(3) **المغرب في حلى المغرب**، ص17 ــ 56.

(4) جورج مارسيه: المرجع السابق،ص 252 ــ 255.

(5) جزيرة على طرف البحر الشامي، ليس بعد الأندلس وصقلية وإقريطش أكبر منها، وطولها مائتان وثلاثون ميلاً، وعرضها مائة وثمانون ميلاً من الشرق إلى الغرب، وقد غزاها المسلمون وملكوها سنة: 92هــ / 712م، في عسكر موسى بن نصير، وصفت بأنها كثيرة الجبال، قليلة المياه، عامرة، وأكثر معادنها الفضة الجيدة التي تخرج إلى بلد الروم، وأهلها روم أفارقة متبربرة. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص146. الحموي: المصدر السابق، ج3، ص209. الحميري: **الروض المعطار**، ص315.

(6) **كتاب العبر**،ج 6، ص213.

وهذا يعني أن الأسطول الزيري كان يتولى مهمة تأمين السفن في عرض البحر بمقابل مالي، ودليل ذلك أنه في سنة 507هـــ/1113م كان قد وصل إلى سواحل نابولي Napoli[1] وسالرنو Salerno[2] وأغار ووضع حد لنشاط غزاة البحر الذين عرقلوا التجاروالحجاج الأوربيين[3].

إلاّ أن هذه السيطرة البحرية للزيرين كانت لا تروق للنورمان الذين يسعون جاهدين إلى إزالة هذا الاحتكار للنقل البحري وتأمين السفن، وهذه الأخيرة تعتبر من أهداف الغزو في جانبه الإقتصادي[4].

وهذا لا يتأتى للنورمان إلا بالسيطرة على بلاد المغرب، ومدنها ذات الطابع الساحلي الصالحة لرسُوِ السفن والسيطرة على التجارة، ومنها سوسة[5] التي كان مرساها يرتبط بخط بحري[6] مع صقلية، ومن سوسة كان يسافر أهل المغرب إلى صقلية[7]، وقد عرفت المدينة ازدهارًا عمرانيًا ونشاطًا تجاريًا، وصف القلقشندي الوضع بقوله : « وسوسة مدينة على ساحل البحربها أسواق وحمامات وفنادق، كثيرة المتاجر، والمسافرون إليها قاصدون، وعنها صادرون »[8].

وعن صلاحية ميناء مدينة سفاقص عن غيره وصفه البكري بقوله: « وهي مدينة تقصدها السفن وقت تحرك الجزر وتتفاداها مع المد، يقصدها التجار من مختلف الأقطار والأمصار لشراء السلع التي تأتيها من الإسكندرية وبلاد الشام »[9]، وعن خيرات ساحل سفاقص ذكر القلقشندي أنها: « مدينة على ساحل البحر ومن بحرها يستخرج الصوف المعروف عند العامة بصوف السمك المتخذ منه الثياب النفيسة »[10].

---

[1] عمل عظيم في البر الكبير من بلاد الروم، وبينها وبين مرسى مسيني من جزيرة صقلية إثنان وثلاثون ميلاً، ومدينة نابل حسنة أولية عامرة ذات أسواق نافقة والسلع وافرة البضائع والأمتعة. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص571.

وأقام العرب تحالفًا مع نابولي واستطاعوا دخول مسينا Miseno سنة: 228هــ / 843م، ثم التحالف ضد اللومبارد على البر الإيطالي سنة: 224هــ / 839م. ينظر: أحمد عزيز: المرجع السابق، ص25، 26.

[2] مدينة تقع جنوب إيطاليا في منطقةكامبانيا Campanie، أقرب المقاطعات منها مقاطعة أمالفي، حاول المسلمون فتحها خلال العهد الأغلبي. ينظر: اليسوعي: المرجع السابق، ص345. أحمد عزيز: المرجع السابق،ص28.

[3] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص65.

[4] عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص264 .

[5] بلد صغير في طرف إفريقية من ناحية المغرب، من عمل الزاب الكبير بالجريد، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، وهي مدينة حصينة أجنادها وأربابها. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج4، ص382 ــ 384.

[6] مؤلف مجهول:**الاستبصار**، ص119.

[7] البكري: المصدر السابق، ص35.

[8] القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص102 ــ 104.

[9] **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، ص20.

[10] **صبح الأعشى**، ج5، ص102 ــ 104.

وكان لهذه الموانئ دور في ارتباطها بالمناطق المجاورة، ومن ذلك ميناء جربة الذي كان له دور في الحركة البحرية مع بلاد المشرق وأوروبا ووصفه البكري بقوله: « وميناء جربة كان يصدر منه الزيت إلى مصر وصقلية وإيطاليا وقلورية »[1].

وحاز ميناء المهدية نشاطًا تجاريًا واسعًا غطى المناطق المتوسطية، يقول القلقشندي: « مدينة المهدية تقع على الساحل، فكان مرساها محطًا للسفن لمن قصدها من جميع الجهات »[2]، ويضيف الإدريسي بقوله: « وهي محط للسفن الحجازية، القاصد إليها من بلاد المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم، تجلب البضائع الكثيرة، وقناطر الأموال »[3].

ولا شك أن نشاط موانئ بلاد المغرب إيرادًا وتوريدًا، مع أوروبا وبلاد المشرق والأندلس وصقلية، وما احتواه هذا الشريط الساحلي من خيرات كان له الأثر في تحريك أطماع النورمان لاحتلال بلاد المغرب، والسيطرة على هذه الموانئ يعني السيطرة على التجارة العالمية.

وإذا كان الموقع الساحلي لأراضي بني زيري المحرك الأساسي لعمليات الغزو، فإن تنوع ثرواتها كان محرك أطماع النورمان للاحتلال، فقد تميزت إفريقية بتنوع زراعاتها بين الحبوب؛ كالقمح والشعير، وفواكه كالتفاح والعنب، والأنعام كالبقر والغنم والخيل والإبل وغيرها على حد تعبير القلقشندي[4].

وذكر المقدسي أن صادراتها تتمثل في الفواكه والزيت والفستق والزعفران واللوز والمزواد، والأنطاع والقرب والمصنوعات والمرجان، والمنسوجات والعبيد[5]، وكان لهذه المنتوجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعة أثر في تحريك أطماع النورمان لتنفيذ عملية الغزو، خاصة وأن جزءً من هذه المحاصيل كان يصل إلى صقلية في إطار التبادل التجاري[6].

ومن محركات الغزو في صورة غير مباشرة، المعاهدات والاتفاقات التي أبرمها حكام بني زيري مع النورمان في وقت مبكر من امتلاكهم جزيرة صقلية، التي أخذت طابع السلم والتعاون الإقتصادي، ومن هذه التحالفات ما وقعه تميم بن المعز حاكم المهدية، مع رُوجار الأول سنة 469هـ / 1075م، إذ تعهد الطرفان على احترام ما تم الاتفاق عليه، واستمر إلى عهد يحي بن تميم وابنه علي[7].

---

(1) **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، ص20.

(2) **صبح الأعشى**، ج5، ص84.

(3) **نزهة المشتاق**، ص107، 108.

(4) **صبح الأعشى**، ج5، ص112، 113.

(5) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص239.

(6) البكري: المصدر السابق، ص20

(7) الباجي المسعوي: المصدر السابق، ص49. جورج مارسيه: المرجع السابق، ص254.

وعندما تم هذا التحالف استغله النورمان في السيطرة على صقلية، وإبعاد الزيريين في التدخل في شؤونها، وهو ما ساهم في ضياع صقلية، فاستغل روجار الأول (464 ـ 495هـ/1070 ـ 1101م) هذا التحالف كسبب لرفض طلب برودويل الذي عرض عليه الانضمام لغزو إفريقية، فحاول أن يصرف نظرهم لإدراكه أهميتها الإقتصادية، وتحججه بمعاهدة السلام التي أمضاها مع تميم بن المعز(1).

ويعرض لنا ابن الأثير وقائع ذلك عند خروج الفرنجة Franks إلى بلاد المسلمين في الشام في الحملة الصليبية الأولى أرسل برودويل إلى روجار، الذي كان يملك صقلية بقوله: « فأرسل إلى روجار يقول له، قد جمعت لك جمعًا كثيرًا، وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها وأكون مجاورا لك »(2).

وقد أشار في بداية الدعوة قبول ذلك، لكنه رفض وشرح ماذا يترتب عند انتصارهم وتحقيقهم الهدف، وعند انهزامهم وماذا يترتب عن تقديم العون لهم بقوله: « قال: إذا وصلوا إلي، أحتاج إلى الكُلفة الكبيرة، وإلى المراكب التي تحملهم إلى إفريقية وعساكر من عندي أيضا، فإن فتحوا البلاد كانت لهم، وصارت المؤونة لهم، من صقلية وينقطع عني ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة، وإن لم يفلحوا رجعوا إلى بلادي وتأذّيت بهم، وقول تميم غدرت بي ونقضت عهدي، وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا وبين بلاد إفريقية، وبلاد إفريقية باقية لنا، متى وجدنا قوة أخذناها، وأحضر رسوله وقال له، إذا عزمتهم على جهاد المسلمين، فأفضل ذلك بيت المقدس تُخَلِصُونَهَا من أيديهم »(3).

وهذه المعاهدة التي تمت بين النورمان والزيريين تدل على سرعة تنظيم العلاقات بين الأقطار الإفريقية وبين صقلية تحت حكامها الجدد، إلا أن نقض هذا الحلف كان في سنة: 479هـ / 1087م، عندما هجمت قوات من بيزة Pisa وجنوة Génes وفرق من « أمالفي Amalfi » على مدينة المهدية، والاستيلاء على مينائها والظفر بالغنائم والأسلاب، مما اضطر الأمير تميم أن يدفع مبلغ انسحاب هذه القوات، والالتزام بعدم التعرض لسفنهم في المياه الإفريقية، ويمكن الإشارة إلى أن « أمالفي Amalfi » كانت تحت سيطرة النورمان منذ 476هـ / 1083م(4).

وأعقب هذا التحالف قيام تحالف اقتصادي ثاني بين الحسن بن علي آخر حكام الزيريين وروجار الثاني، وكان بطلب من الحاكم الزيري، ووافق روجار على طلبه هذا لكن بشروط قاسية، ومنها الدخول

(1) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص371.

(2) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص13.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص13. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص279.

(4) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص372.

تحت حكمه وطاعته، ووصف ابن أبي دينار (ت 1110هـ / 1698م) ذلك بقوله: « وأرسل الحسن رسولا إلى الملك روجار ولاطفه، وشرط اللعين شروطا على الحسن فقبلها، ودخل تحت طاعته، وجعله عاملا من عماله وهادنه هدنة مكر »[1].

وكان كل طرف في أمس الحاجة إليه فالحسن كان شديد الحرص على الحصول على قمح صقلية بسبب القحط والجفاف وروجار يهدف إلى تصديره للحصول على الأموال لاستكمال بناء الدولة[2].

لكن في اعتقادنا أن النورمان لم يكونوا في حاجة إلى هذا التحالف، فالحسن هو من دعا إليه وقدم تنازلات، حتى وإن كانت على حساب سيادة دولته وشعبها، ثم إن النورمان وصلوا إلى مرحلة متقدمة لتنفيذ فكرة الاحتلال، وما هذه التحالفات إلا لكسب الوقت وانتظار الفرصة السانحة للاحتلال، وإن كان النورمان يسعون إلى تحقيق أهدافهم الإقتصادية بالطابع السلمي، الذي تمثّل في وجود اتفاقيات ومعاهدات تعاون اقتصادية، فإنه وفي فترات أخذ الطابع العسكري في محاولة لحماية مصالحهم الإقتصادية، اقتضى الأمر التدخل في شؤون المغرب.

ومثال ذلك استنجاد إمارة بني جامع[3] في قابس، تحت زعامة أميرها رافع بن مكمن الدهماني، بروجار الثاني بسبب أن علي بن يحي الزيري قد أنكر عليه صناعة مركبا تجاريًا، وقال ما يكون لأحد أن يناوئني في إجراء المراكب في البحر للتجار، رغم أن أباه يحي لم ينكر عليه ذلك، ولجأ إلى استعمال المداراة معه، بل وأمده بالحديد والخشب في صناعة المراكب[4].

وكرد فعل من علي بن تميم، ضرب حصارًا على قابس، ويقول ابن خلدون في ذلك: « ثم نهض إلى حصار رافع بن مكمن بقابس سنة إحدى عشر وخمسمائة، ولإيجاد نصرة التجأ رافع بن مكن إلى روجار الثاني، فأعطاه وعدا بنصرته، وإعانته على إجراء مركبه في البحر، وتنفيذا لوعده الذي قطعه مع رافع، بعث أسطولا إلى قابس »[5].

---

[1] **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص91.

[2] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص66 .

_ Ernest Mercier: Op.cit .P: 87.

[3] أولاد مكن بن دهمان من بني علي، إحدى بطون رياح الهلالية من مرداس الذين بعثهم وزير المستنصر بمصر إلى بلاد المعزبن باديس وقومه، وهم أشهر العرب قدما ورئاسة في إفريقية، فأفسدوا نظامها وملكوا بعض أعمالها، فأقام بها ومكن ملكا لقومه بني جامع في قابس، وأورثه بنيه إلى أن استولى الموحدون على المهدية وسفاقص وطرابلس، وسيّر إليها عبد المؤمن جيشًا ودخلت تحت طاعته. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص221. التجاني: المصدر السابق، ص100، 102.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9،ص169. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص213.

[5] **كتاب العبر**، ج6، ص213.

وقد توترت العلاقات بين علي بن يحي الزيري وروجار الثاني بعد هذه النصرة، ورغم ذلك فقد واصل علي بن يحي حصاره، مما اضطر الأسطول النورماني إلى الانسحاب، لتحول الصراع بين علي يحي بن تميم ورافع بن مكمن والاستعانة بالقبائل العربية[1].

والحقيقة أن علي بن يحي يريد فرض سيطرته وسيادته التجارية على بلاد المغرب، أما روجار فقد حركته عدة أهداف منها؛ الحفاظ على العلاقات التجارية التي كانت تجمعه بإمارة قابس، واستمرار تلك العلاقات بالدفاع عن حليفه ضد بني زيري[2].

كما رأى روجار الثاني أن مبادرة رافع بن مكن فرصة ثمينة لوضع حد للاحتكار البحري الذي فرضه حكام بني زيري في الحوض الغربي من المتوسط[3]، وأن تظاهر روجار بتقديم المساعدة والنصرة لحلفائه من بني جامع بقابس في ظاهرها، أما هدفه الخفي من هذه المساعدة هو السيطرة على مدن وسواحل إفريقية وجعلها تابعة له[4].

ورغم التقارب السياسي والتعاون الإقتصادي في بعض الأوقات إلاّ أن النورمان ظلوا يشككون في صدق نوايا بني زيري خاصة بعد استعانتهم بالمرابطين الذين وجهوا هجوما على أملاكهم في صقلية نوقطرة Nicotra، واستمرارهم في احتكار النقل البحري، وكان لهذه الأزمات السياسية أثرها في انكماش العلاقات الإقتصادية[5]، مما جعل النورمان ربما يدركون حقيقة أن تحقيق الأهداف الإقتصادية واستمرارها، لا يكون إلا بالقيام بخطوة إستباقية وتسريع عملية الغزو والاحتلال، مستغلين الظروف التي كانت تمر بها دولة بني زيري، وزوال هيمنة الأسطول المرابطي في الجهة الغربية للمتوسط.

وقد حقق الغزو النتائج المرجوة، حيث أن روجار الأول تميز ببعد النظر في احتلال سواحل المغرب، ففي نظره هي أحد الحلول لمشكلات صقلية الإقتصادية، فهو الضامن لتخليص صقلية من فائض القمح، والضامن لتدفق الذهب السوداني الذي أوغل تجار المغرب في الوصول إليه بالمقايضة، ولعبت موانئ المغرب

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص169. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص213.

وابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل (كان حيا سنة 1132هـ / 1668م): **تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي،المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص40.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9،ص169. جورج مارسيه: المرجع السابق،ص255.

(3) رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين مابين 1017 ـ 1154م**، ص308.

(4) إلهام حسين دحروج: **مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية**، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب والدراسات العليا، 2000م، ص83.

(5) عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص264.

دور الوسيط في وصوله إلى صقلية وأوروبا، وبتنفيذ الاحتلال زاد عدد السفن التجارية المبحرة بين صقلية وإفريقية[1].

ونتج عن غزو سواحل المغرب عرقلة الحركة التجارية بين بلاد المغرب ومصر خاصة بعد احتلال مدينة جربة، وأصبح التبادل التجاري بين مصر وإفريقية يتم بحرًا، وفي فترة سابقة كان يتم برًا، فتدهورت أوضاع إفريقية الإقتصادية، وأجبر السكان على التزام قراهم وانتقالهم نحو الداخل[2].

وتمكن النورمان من تحقيق أهدافهم التي رسموها قبل هذا وتنفيذ عملية الغزو، وما يجنونه من وراء ذلك، من إحكام السيطرة على المقدرات الإقتصادية لإفريقية، والهيمنة على التجارة البحرية في الحوض المتوسطي وطرقها وخاصة الشرقية منها، ولم يكتف النورمان بالهيمنة على التجارة البحرية الساحلية، وإنما احكموا قبضتهم على تجارة الصحراء، وفرض رقابتهم على طرق الاتصال الرابطة بين الحوض الغربي والشرقي للمتوسط، وجعل مملكة النورمان قاعدة حساسة لتجارة البحر المتوسط[3].

وعلى ضوء طرح دوافع الغزو والاحتلال النورماني لبلاد المغرب، يمكن أن نرجح الدافع الإقتصادي عن باقي الدوافع الأخرى انطلاقًا من مجريات الأحداث والوقائع، وتصريحات روجار الأول الذي تمثل في الحصول على الثروة والغنيمة واستمرار التبادل التجاري، ويمكن الإشارة إلى أن الدافع الإستراتيجي قد ساهم في تحقيق المكاسب الإقتصادية التي كانت لهم قبل الغزو، لكن حيرة النورمان وقلقهم من مستقبل الأيام جعلهم يقتنعون أن الضامن لاستمرارها لا يكون إلا بتنفيذ الاحتلال.

أما دافعهم الديني فيمكن القول أن النورمان لم يكن هدفهم خدمة المسيحية بقدر ما كان تظاهرًا بمواجهة المسلمين في أراضٍ قريبة من أملاك المسيحيين، واستطاعوا توجيه الحملات الصليبية إلى المشرق، والإنفراد ببلاد المغرب والوصول إلى الأهداف الإقتصادية التي حددت ورسمت.

المبحث الثاني: العوامل المساعدة على الغزو والإحتلال النورماني

ارتسمت دوافع الغزو النورماني لبلاد المغرب وتحددت بعد أن أدرك النورمان أن الظروف ممكنة، بعد اطلاعهم على أوضاعها المضطربة سياسيًا بقدوم العرب الهلالية، وخروج مدنها عن السلطة المركزية ممثلة في دولة بني زيري، وتردي وضعها الإقتصادي لتوالي سنوات الجفاف والقحط وحاجتها إلى الغذاء، وقد ساهم القرب الجغرافي والتبادل التجاري وإرسال الجواسيس من طرف النورمان إلى تعميق ذلك، والإطلاع ودراسة إمكانية الغزو وتحين أوقاته.

---

[1] البكري: المصدر السابق، ص20. مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص222. الحموي: المصدر السابق، ج2، ص13.

[2] أمين توفيق الطيبي: المرجع السابق، ص75، 78.

[3] رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص61.

1. اضطراب الوضع السياسي بعد الهجرة الهلالية:

حكم الفاطميون بلاد المغرب خلال الفترة الممتدة بين (296 ــ 358هــ / 800 ــ 969م)، وعندما عزم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (341 ــ 365هــ / 952 ــ 975م)[1] على الرحيل إلى مصر تحت تأثير الأوضاع الداخلية في ظل استمرار الصراع بينهم وبين أموي الأندلس[2]، اختار بُلُكِّين بن زيري بن مناد الصنهاجي، من قبيلة ذات شوكة وعصبية ليكون نائبًا عنه في إفريقية والمغرب، وامتدت حدودُ هذه الأراضي من تيهرت[3] غربًا إلى حدود طربلس شرقًا[4].

ورث بنو زيري وضعًا سياسيًا داخليًا مضطربًا بسبب الامتداد الواسع والاختلاف القبلي والمذهبي، كانت بدايته ثورات زناتة[5] بدعم من أموي الأندلس، فاستفرغ بلكين جهدًا في مواجهتها، ثم في مواجهة

---

(1) ولد سنة: 317هــ / 930م، كان حاكما حسن السيرة، أقيمت له الدعوة بالمغرب ومصر والحرمين وبعض أعمال العراق، ضبط أمور المغرب، وأخضع سكانها بقيادة جوهر من مواليه حتى وصل ملكه البحر المحيط، وأوكل إلى قائده جوهر الصقلي ترتيب الانتقال إلى مصر سنة: 358هــ / 969م، وعند ما عزم على الرحيل عهد لبلكين بن زيري حكم بلاد المغرب، وبنى القاهرة المعزية. ينظر ترجمته في: ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص301.ابن خلدون: المصدرالسابق،ج6، ص210، 211.

(2) عبد الله محمد جمال: **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص123، 122. عبد العزيز فيلالي: **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص185.

(3)من مدن المغرب الأوسط المشهورة على طريق المسيلة من تلمسان، وكانت تيهرت مدينتين كبيرتين؛ إحداهما قديمة والأخرى محدثة، فالقديمة منها ذات سور على قمة جبل ليس بعال، والحديثة في قبليها قبائل لواتة وهوارة في قررات وبغربيها زواغة وبجوفيها مطماطة ومكناسة، استطاع عبد الرحمن تأسيس دولة بها في سفح جبل يقال له جزول على المذهب الإباضي، توارث بنوه الحكمإلى غاية أن تملكها أبو عبد الله الشيعي سنة: 296هــ / 909م.ينظر: البكري: المصدر السابق، ص66، 67. الزهري: المصدر السابق، ص113. الحميري: **الروض المعطار**، ص126.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص333، 334. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص228.

(5) بطن من بطون البربر البتر يعودون إلى زنا بن يحيى بن ضري بن زاحيك بن مادغيس الذين يرجعون إلى قبيلة ضريسة، وكانت زناتة تسكن إقليم المغرب الأوسط وإقليم الصحراء وجنوب الصحراء وجنوب تونس وسفوح الأوراس والهضاب العليا ونطاق الإستبس والمراعي. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص168.

وهناك اختلاف بين المؤرخين في أصول القبيلة العديد، فالمتقدمون يقولون بالأصول الحميرية، أما المتأخرون فيقولون بالأصول البربرية. ينظر: ابن الكلبي أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت 204هــ / 818م): **نسب معد واليمن الكبير**، تحقيق: ناجي حسن، ط1، مكتبة النهضة العربية، 1988، ج2،ص295، ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هــ / 1064م): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982، ج2، ص495. موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص17.

بني حماد في عهد المنصور بن بُلُكِّين الذي عهد بالولاية على المغرب الأوسط لحماد بن بلكين على مقاطعة حربية لحمايتها، لكن بعد وفاة المنصور سنة: 406هـ / 1015م، وتولي ابنه باديس (406 ــ 454هـ / 1015 ــ 1062م)، طالبه بالرجوع فرفض وخرج عن طاعته وطاعة الفاطميين ودعا لخلفاء بني العباس(1).

وزادت العلاقة توترًا في عهد المعز بن باديس، حيث قام بحروب طويلة مع بني حماد في ردع الانفصال، وتمكن من هزمهم في مواقع عديدة، ولما تأكد حماد بن بُلُكِّين من عدم القدرة على مواجهه المعز طلب الصلح، ورضي بأن يكون تابعًا له في القيروان، وأن يتمتع باستقلال في المغرب الأوسط، وتم الصلح سنة: 407هـ / 1017م، ويعتبر هذا الصلح بمثابة ميلاد دولة بني حماد وفقد الدولة الزيرية أراضيها من تيهرت إلى حدود الأوراس(2).

وقد بنى أمراء بنو حماد سياستهم على الاستعانة بالعرب الهلالية، حيث أقطعوهم الأراضي المحيطة بالدولة وذلك بهدف توظيفهم في كسر شوكة المناوئين لهم من زناتة والزيريين والقبائل الرافضة لدفع الضرائب(3)، وكان صراع بني زيري في مواجهة القبائل البربرية التي تغذيها أطراف خارجية مناوئة، وصراعهم مع أبناء عمومتهم من بني حماد، أثر في إنهاك قوى الدولة واستفرغ منها وقتًا وجهدًا.

وعن الجبهة الخارجية اضطرب الوضع السياسي للدولة الزيرية لحرص الفاطميين على محاولة إبقاء بلاد المغرب تابعًا لهم، فاختار المعز لدين الله بلكين بن زيري ليكون نائبًا عنه في حكم بلاد المغرب وأوصاه، فكان خير خلف في خدمتهم وتوسيع أملاكهم ومواجهة أعدائهم من الزناتيين الموالين لأموي الأندلس(4).

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص227، 228.

(2) نجح حماد بن بُلُكِّين في تقسيم دولة الزريين إلى شرقي وغربي، ثم ينفرد هو وأبناؤه بالقسم الغربي منها. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص227 ــ 230. عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص51. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص193، 194. جورج مارسيه: المرجع السابق، ص197.

(3) مفتاح خلفات: **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين (6 ــ 9هـ / 12 ــ 15م)**، ط1، المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، 2016، ص112.

(4) المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ / 1441م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ج2، ص36. عبد الله كامل موسى عبرة: **الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن**، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 2001، ص46. عودة حسان عواد أبو شيخة: **الصراع بين بني زيري والفاطميين وأسبابه الإقتصادية**، جامعة عين شمس، المجلد33 يوليو سبتمبر 2005، ص83.

و لم يظهر على بلكين أي محاولة للانفصال، لكن خلفاؤه من بعده لم يكونوا مثله في الوفاء، فبعد وفاته سنة: 374هـ / 984م، كان ابنه المنصور (386 ـ 406هـ / 996 ـ 1015م)، بأشير[1] وجاءه خبر وفاة والده، وجاءه الناس معزين فأحسن إليهم وقال: « إن أبي يوسف وجدي زيري كانا يأخذان الناس بالسيف، أما أنا لا آخذكم إلا بالإحسان، ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب، لأني ورثته عن أبائي وأجدادي »[2]، ويعني هذا أن الخليفة الفاطمي لا يقدر على عزله بكتاب، وأظهر المنصور بن بلكين بذلك خروجه عن الفاطميين.

وأدرك الحاكم الفاطمي العزيز بن المعز عند توليه سنة: 365هـ / 975م، منحى بني زيري في الاستقلال وضم طرابلس والإنفراد بالجباية في بلاد المغرب[3]، فعمل على بث العراقيل وأرسل أبا الفهم حسن الشيعي حسن بن نصرويه الخرساني[4] ليثير قبائل كتامة[5] على المنصور، ووصل المنطقة سنة: 376هـ / 987م داعيًا إلى كتامة ونجح في جذبها واستفحل ملكه، وضرب السكة فخرج المنصور لملاقاته، لكن المنصور انتصر عليه وقتله مما اضطر العزيز بن المعز إلى أن يسلك معه مسلك المهادنة[6].

---

[1] مدينة في جبال البربر شامخة محيطة بها، بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية، وهي مدينة جليلة كثيرة العيون، كان أول من عمّرها زيري بم مناد الصنهاجي سنة: 324هـ / 935م، وبنى سورها سنة: 367هـ / 977م، وكان سيد هذه القبيلة في أيامه، وهو جد المعز بن باديس ملوك إفريقية بعد خروج المعز منها، وخربها يوسف بن حماد سنة: 440هـ/ 1058م. ينظر: مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص170. البكري: المصدر السابق، ص60. الحموي: المصدر السابق، ج1، ص202.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص415. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1 ص228.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص19.عودة حسان عواد أبو شيخة: المرجع السابق، ص83، 103.

[4] أبي الفهم حسن بن نصرويه الخرساني، قدم في سنة: 376هـ / 987م من مصر من قبل نزار، فأنزله يوسف وأكرمه، ثم خرج إلى بلاد كتامة حيث أمره نزار، ودعا الناس والتف الناس حوله، وكوّن جيشًا وضرب السكة، فخرج إليه المنصور، والتقى الجيشان في مدينة سطيف، وقتل ونكل به.ينظر ترجمته في: ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص244. النويري: المصدر السابق، ج24، ص100، 101.

[5] من البربر البرانس، يرجعون نسبهم إلى كِتام بن برنس، أما نسابة العرب إلى حمير، ومواطنهم فتمتد من أرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربًا إلى جبال الأوراس في ناحية القبلة وأوغلوا، ومن بطون كتامة المشهورة غُرسَن ويسّودة وبنو يستيتن وهشتيوة ومصالة وبني قنسيلة وزواوة، وكانت ديارهم المشهورة جبل إيكجان وسطيف وباغاية وبلزمة وبسكرة وقسنطينة، ومنها من سكن المغرب الأقصى بناحية مراكش، وقد لعبت هذه القبيلة دورًا كبيرًا على مسرح الأحداث التي جرت ببلاد المغرب، وعليها اعتمد أبو عبد الله الشيعي في تأسيس دولته (الدولة الفاطمية).ينظر:ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص166، 167.ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص195، 196.

وأبي حنيفة النعمان القاضي بن محمد التميمي المغربي (ت 363هـ / 974 م): **كتاب افتتاح الدعوة**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2005، ص53.

[6] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص243، 244. النويري: المصدر السابق، ج24، ص100.

وتجددت محاولات الفاطميين ردع الزيرين بإثارة الأملاك التابعة لهم بأن أرسل الحاكم بأمر الله الفاطمي (386 ـــ 411هـــ / 996 ـــ 1021م)، إلى واليه ببرقة[1] يأمره بالاستيلاء على طرابلس، لكن باديس بن المنصور (406 ـــ 454هـــ / 1015 ـــ 1062م)، هزمه وأخرجه من البلاد، ثم عهد لفلفل بن سعيد بن خزرون الزناتي دخول طرابلس وحكمها وتحرك إليها، لكن باديس بن المنصور توجه إليه في جيش وهزمه وتمكن من القضاء عليه[2].

ولما آل الحكم إلى المعز بن باديس قام بمحاولة انتزاع طرابلس التي كانت تحت سلطة بني خزرون الزناتيين[3] الموالين للفاطميين، لم يخف نيته في إلغاء التبعية للفاطميين، إذ بادر المعز بالعداء، وخلع طاعة الفاطميين، وظهرت رغبته في مذهب أهل السنة والجماعة[4]، حيث خالف فيه أسلافه الذين كانوا على

---

[1] في الإقليم الثالث وقيل في الرابع، مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية، بينها وبين البحر ستة أميال، ومنها إلى القيروان مائتان وخمسة عشر فرسخًا، كثيرة الخيرات والمياه، فتحها عمرو بن العاص سنة 21هـــ / 624م. ينظر: مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص143. الحموي: المصدر السابق، ج1، ص388، 389. الحميري: **الروض المعطار**، ص91.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص7، 8. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص251 ـــ 259. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص265 ـــ 266. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص208، 209.

[3] استولوا على طرابلس بعد أن انتقل الفاطميون إلى مصر، وكانت بينهم وبين الصنهاجيين في إفريقية وقائع كثيرة استمرت في أيديهم إلى سنة: 540هـــ / 1145م،ويعتبر محمد بن خزرون بن خليفة (تولى بعد 488هـــ / 1095م) آخر حكامهم بعد أن قرب إليه شيوخ بني مطروح من رؤسائها، وفوض إليهم أمور التدبير حتى آل الحكم إليهم. ينظر: التجاني: المصدر السابق، ص241.

وأحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، منشورات مكتبة الفرجياني، ليبيا،ج1، ص119. محمد التليسي خليفة: **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، ط3، الدار العربية للكتاب 1997، ص 52.

[4] وهم الذين عناهم النبي ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية، وهم على أربعة مذاهب؛ المالكية والحنبلية والشافعية والحنفية، وكتبهم المعتمدة هي الصحاح الستة، ورآراءهم في الحكم أن إمامة المسلمين تقتصرعلى قريش وفروعها اعتمادًا على نص الحديث الشريف(الخلافة في قريش)،وهم على ثمانية أصناف، منهم من أحاطوا علمًا بأبواب التوحيد والنبوة، ومنهم أئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث، ومن علم بطرق الإخبار والسنن المأثورة على النبي ﷺ، ومن أحاط علمًا بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف، و من أحاط بوجوه قرءات القرآن وتفسير آياته، ومنهم الزهاد الصوفية ومنهم قوم مرابطون، ومنهم عامة البلدان التي غلب فيها شعار أهل السنة والجماعة.ينظر: البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429هـــ / 1037م): **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، تحقيق: محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص273، 274. عبد المنعم الحفني: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**،ط1، دار الرشاد، 1993، ص75، 76.عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي: **شرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله بن زيد القيرواني**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، 2002، ص 20، 24، 30.

مذهب الشيعة الرافضة[1] وأغرى العامة بأتباعهم ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسي ووردت عليه الخلع والتقليد[2].

وكان من مظاهر ميله إلى رفض التشيع أن قطع الخطبة للعبيديين، وخطب للخليفة القائم ببغداد، وكان سبب قطع المعز الدعوة للمستنصر (427 ــ 489هــ / 1035 ــ 1095م)[3]، وسوء الوحشة أن المستنصر لما استوزر أبا أحمد الحسن بن علي اليازوري[4] بعد الجرجاني، ولم يكن في رتبته، فخاطبه المعز دون ما كان يخاطب به قبله فحقد عليه وأغرى به المستنصر[5].

---

[1] هم الذين شايعوا عليﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته نصًا ووصية، إما جليًا أو خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، ولهم في تعدية الإمامة خلاف كثيرة، ومن هذه الفرق الشيعة فرقة المطمورة التي تدعي أن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يمت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورًا ينظر: الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص144، 145.

وابن حزم أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري (ت 456هــ / 1064م): **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج5، تحقيق: محمد إبراهيم نصرو عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت ــ لبنان، 1996، ص36.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص19.

[3] أبو عبد الله معد بن أبي الحسن علي الظاهر لإعزاز لدين الله، ولد سنة: 420هــ/ 1029م، وبويع بالخلافة بعد سبع سنين من ولادته، ودبر الملك في بداية أمره أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني، واستوزر اليازوري، حكم المستنصر أكثر من ستين سنة، وجرت في أيامه أحوال ومنها ظهور المجاعات الكبرى التي عصفت بالدولة، حاول الخليفة إيجاد الحلول لها عن طريق التخزين والاحتياط، وتصريف بني هلال إلى بلاد المغرب. ينظر ترجمته في: المقريزي: المصدر السابق، ص42. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6،ص211.

والدواداري أبي بكر بن عبد الله أيبك: **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1960،ج6، ص342، 343. عبد المنعم ماجد: **ظهور الخلافة الفاطميةفي مصر وسقوطها**، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994، ص303.

[4] الحسن بن علي اليازوري، أشهر وزراء القلم في المجال الداخلي والخارجي، ولد في يازور وهي قرية بفلسطين، كان واليا للحاكم الفاطمي على الرملة تولى الوزارة لعدد من الخلفاء الفاطميين ومنهم المستنصر بالله الفاطمي الذي تولى وزارتها سنة: 442هــ/1058م، واستمر في الوزارة إلى سنة: 450هــ/1057م،وأظهر كفاية ومقدرة قاضي القضاة وداعي الدعاة وسيد الوزراء وتاج الأصفياء وظل في الوزارة حتى قبض عليه المستنصر بوشاية وقتله سنة: 450هــ /1058م. ينظر ترجمته في:النويري: المصدر السابق، ج24، ص116. المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص43، 44.

وعلي بن محمد بن سعيد الزهراني: **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 212 ــ 484هــ/ 826 ــ 1096م**، رسالة دكتوراه في النظم والحضارة الإسلامية،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1993م، ص412.

[5] محمد مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق: علي الزواوي ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1988، ج1، ص368، 369.

ولما بلغ الخليفة الفاطمي المستنصر (427 ــ 489هـــ / 1035 ــ 1095م)، ما فعل المعز بن باديس وأهل السنة بأنصاره من الشيعة الروافض، وما تحقق من انحرافه السياسي[1]، كتب إليه الخليفة الفاطمي المستنصر يرغبه ويرهبه ويقول له: « هل اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء، ويتوعده بإرسال الجيوش، فكتب إليه المعز أن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولوأخروهم لتقدموا بسيوفهم »[2].

وقد أشار عليه الوزير اليازوري (442هـــ / 1058م) بترحيل أعراب بني هلال وبني سليم، واستدعائهم من الصعيد، وأمدهم بالمال وقدم له حججًا، ومنها أنهم سيحكمون باسمنا وسيكونون ممثلين لنا، وأذن لهم بالزحف على افريقية[3]، وأشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله:« فأشار الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري، باصطناعهم والتقدم لمشايخهم، وتوليتهم أعمال افريقيةوتقليدهم أمرها، إلى حرب صنهاجة ليكفوا عن نصر الشيعة، والسبب في الدفاع عن الدولة، فإن صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة، كانوا أولياء للدعوة في الدفاع عن الدولة رعاة تلك القاصيةوارتفع عدوانهم عن ساحة الخلافة، فإن كانت الأخرى فلها ما بعدها »[4].

وقد رمى الفاطميون بذلك إلى إرسال قبائل بني هلال لتحقيق عدة أهداف، منها تأديب بني زيري بعد إظهار القطيعة والتخفيف من حدة الأزمات الإقتصادية التي كانت تمر بها مصر تلك الفترة[5]، والتخلص من شر العرب الذين عاثوا فسادًا في صعيد مصر، لأنهم أدركوا بأنهم لن يستطيعوا أن يعيدوا افريقية إلى حظيرتهم، ولعلمهم بطبيعة بني هلال وما اشتهروا به من جبهم للفوضى وتعلقهم بالنزعة الاستقلالية والانفصال[6] وكذا رغبة الفاطميين في تقسيم أراضي الدولة الزيرية إلى إمارات ومقاطعات، وتحويل موظفي تلك المقاطعات من الشيوخ العرب إلى موظفين إداريين تابعين لهم[7].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص19، 20.

(2) النويري: المصدر السابق، ج24، ص216.

(3) المصدر نفسه، ج24، ص217.

(4) **كتاب العبر**، ج6، ص19.

(5) فوزية كرزازة: **الهلاليون في المغرب الإسلامي بين إشكالية الغزو والهجرة**، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية قسم التاريخ، جامعة معسكر الجزائر، ص51، 52.

(6) حسين ممدوح علي حسن: المرجع السابق، ص115.

(7) عبد الحميد بوسماحة: **رحلة بني هلال وخصائصها التاريخية والإجتماعية والإقتصادية**، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص77، 78.

وإن تعددت دوافع إرسالهم إلى بلاد المغرب فإنها تنحصر في تحقيق هدفين، الأول يتمثل في تخليص البلاد من شرهم، والثاني دفعهم إلى إفريقية للقضاء على بني زيري وإنشاء دولة تابعة لهم عوضًا عنها[1].

وشرع الفاطميون في إعداد الخطة لإرسالهم فأزالوا ما بينهم من الأحقاد وأمدوهم بالمال ووعدوهم بتملك كل ما يفتحونه، وفي ذلك يقول ابن الأثير: « وشرعوا في إرسال العرب إلى المغرب، فأصلحوا بين زغبة ورياح، وكان بينهم حروب وحقود، وأعطوهم المال، وأمروهم بقصد بلاد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه، ووعدوهم بالمدد والعدد »[2]، فاستصوب المستنصر الرأي وأذن لهم بإجازة النيل[3].

ويشير جورج مارسيه إضافة إلى إعانتهم بالمال والعدد وتزويدهم بوثائق تولية للمدن والأرياف وبأسماء شيوخ القبائل، وتم تحديد المناطق التي ستحتلها والبلدات والأراضي التي سيحلون بها، وحملوا متاعهم وأموالهم وعبروا إلى المغرب، وبلغ عددهم خمسين ألف، وقيل: مليون[4].

وأورد ابن عذارى أن المستنصر حدد لهم عطاءً دينار وجمل لكل جائز، ولم يوضح لهم الهدف من إرسالهم بقوله: « ثم أمر لكل جائز منهم، بدينار فجاز منهم خلقًا عظيمًا، من غير أن يأمر لهم بشيء، لعلمه أنهم لا يحتاجون إلى وصية، فجازوا أفواجًا »[5].

لقد وجد بنو هلال الفرصة سانحة وهم الذين كانوا يعيشون في أرض محظورة وحريتهم كانت مقيدة، وهو ما جعل العرب على استعداد للغاية للترحيب بفكرة التغيير[6]، فتم تعيين مؤنس بن يحي الطنبري[7] حاكمًا على قبائل بني رياح، وكانت أول بلاد افريقية نزلوا بها هي برقة وقد وجدوها خالية من ساكنيها بعد أن أبادهم المعز[8]، وقد وصفت هذه المدينة بكثرة مراعيها، فأقاموا بها واستوطنوها[9]

---

(1) جورج مارسيه: المرجع السابق، ص222.

(2) **الكامل في التاريخ**، ج8، ص295،

(3) عبد الوهاب حسن حسني: **خلاصة تاريخ تونس**، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001، ص81.

(4) جورج مارسيه: المرجع السابق، ص223.

-Decret François **:Les invasions hilaliennes en Ifrîqiya**, Septembre 2000, P: 03.

(5) **البيان المغرب**، ج1، ص282.

(6) Ernest Mercier: Op.cit, P: 18.

(7) مؤنس بن يحي الصنباري المرداسي، أمير رياح كان أول من دخل من القبائل العربية، عرف بشجاعته ورجاحة عقله، استقبله المعز في بلاطة وأحسن معاملة وقيل أنه زوجه ابنته، فاستشاره المعز في استعمال جند العرب، فأشار عليه بعدم فعل ووقعت الخصومة ونكل المعز بأولاده، فكان مؤنس أشد القوم ضررًا بما فعلته العرب في القيروان.ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص288، 289. التجاني: المصدر السابق،ص96، 97.ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص211.

(8) الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص47. عبد الحميد بوسماحة: المرجع السابق، ص111.

(9) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص296.

واستطابوا خيراتها، وجلبت شهرة أخبار النجاح لمن بقي من العرب في مصر على الفور، وكتبوا إلى إخوانهم الذين بقوا في الصعيد الشرقي يرغبونهم في البلاد والانتصارات التي حققوها[1]، فقدموا عليهم بعد أن أخذ منهم المستنصر (427 ــ 489هــ / 1035 ــ 1095م) على كل رأس دينارين، وقد أخذ منهم أضعاف ما أخذوه[2].

وكان المستنصر في إجازته الأولى قد منح له دينارًا وجمل عند السماح لهم بإجازة النيل، لكنه لما رأى شغف من بقي إلى اللحاق بإخوانهم، بعد وصفهم لخيرات برقة، استغل ذلك في معالجة الضائقة المالية التي كانت تجتاح الدولة في أخذ المال منهم قبل السماح بالانتقال، ولما بلغ المعز بن باديس الزيري خبر دخول العرب الهلالية برقة، وكان ذلك سنة: 443هــ /1051م، حاول استمالتهم إلى جانبه والاستعانة بهموكانوا قرابة مائتي ألف[3].

وأورد ابن خلدون في شأن ذلك بقوله: « وكان أول من وصل إليهم أمير رياح مؤنس بن يحي، فاستماله المعز واستدعاه واستخلصه لنفسه وأصهره إليه، وفاوضه في استدعاء العرب من قاصيه وطنه، لاستغلاظ على نواحي بني عمه»[4].

وكان المعز يريد الاستعانة بهم في تسوية خلافاته مع أقاربه في القلعة، فأشار عليه مؤنس بن يحي بأن لا يفعل ذلك لعدم اجتماع العرب على الكلمة، وفي ذلك يقول ابن عذارى:« فأشار عليه أن لا يفعل

---

[1] سميت هجرتهم بالغزوة الهلالية أو تغريبة بني هلال أو التغريبة، وأورد ابن خلدون بعض تفاصيل معاركها، التي دارت بين قبائل بني هلال والزناتين في طرابلس، وهي معارك طويلة مليئة بالوقائع والأحداث، وكانت هذه الوقائع تصل إلى الباقين منهم بمصر فينظمونها على شكل قصائد وأشعار في صورة شعر قصصي عرفت فيما بعد بالهلالية، وبطل القصة هو أبو زيد الهلالي، وكان خصمه يسمى خليفة الزناتي، وتأتي القصة على شكل ملحمة، تعد من أشهر الآثار في الشعر العربي. ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص30، 31. حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص169،168.

[2] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص83.

والناصري أبو العباس أحمد بن خالد (ت 887هــ / 1482م): **الإستقصا لدول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص148.

ــ Ernest Mercier: Op.cit, P: 19.

[3] لم يجد بنو هلال صعوبة في اجتياز مناطق وأقاليم بلاد المغرب ودمر وصادفوا القبائل البربرية في طريقهم التي لم تبدي أي روح المقاومة، وكانت قراهم مهجورة وتنهشها الخصومات، وسرعان ما وصلوا إلى جنوب إفريقية. ينظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص296. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص19.

ــ Ernest Mercier: Op.cit, P: 19.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص19.

ذلك، وعرفه بقلة اجتماع القوم على الكلمة، وعدم انقيادهم على الطاعة أن لا يفعل ذلك أن قال له المعز انفرادك حدا منك لقومك، فعزم مؤنس على الخروج »[1].

والظاهر من خلال الروايات أن المعز لم يعبأ بخطر الهلالية، مختصرًا لهم في البداية غير مبال، و لم يعبأ المعز كذلك بنصيحة مؤنس بن يحي له، فشغل بعضهم في خدمته، واستعان بهم[2]، وأورد ابن عذارى نصًا بقوله:« فشغل بعضهم بخدمته، وحمل أعباء نعمته، وهم في خلال ذلك يتمرسون ويدبون إلى حمايته، ويطلون على عوراته، حتى بان لهم شأنه، وهان عليهم سلطانه، فجاهروه بالعداوة »[3].

وفسر إفساد الهلالية بأنها مناورة من مؤنس بن يحي، حيث قام بها ليبرهن صحة قوله ونصحه، وبالتالي استحق سخطه فشد نكاية مؤنس، عندما يبلغه ما فعله المعز بأهله، وبعظم بلائه[4]، فكان أشد ضررًا من القوم، ورغم أن المعز أخذ العهود منهم بأن رد إليهم أسرهم وعيالهم، ومنها أسرة مؤنس بن يحي بوساطة الفقهاء، لكن لم يلبثوا طويلا حتى عاثوا في أقاليم القيروان فساداً وتخريباً[5].

وبعدما ماوقع منهم ما وقع من غدر عقد المعز العزم على مواجهتهم، فسير إليهم في بداية الأمر قوة من رجاله الصنهاجيين، لكن العرب أوقعوا بهم،وفي ذلك يقول ابن خلدون: « وسرح إليهم من صنهاجة الأولياء فأوقعوا بها، فتمخط المعز لكبره، وأشاط بغضبه، وتقبض على أخي موسى وعسكر بظاهر القيروان، وبعث بالصريخ إلى ابن عمه صاحب القلعة القائد حماد بن بُلُكِّين (408 ـ 419هـ / 1018 ـ 1029م)[6]، فأرسل إليه كتيبة من ألف فارس، واستنفروا عن زناته فوصل إليه المستنصر بن خزرون المغراوي في ألف فارس من قومه[7].

---

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص288.

(2) عبد الحميد سعد زغلول: المرجع السابق، ج3، ص443.

ـ François Decret: Op.cit, P: 3.

(3) **البيان المغرب**، ج1، ص282.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص19. عبد الحميد سعد زغلول: المرجع السابق، ج3، ص425.

(5) رابح بونار: المرجع السابق، ص16، 136.

(6) حماد بن بُلُكِّين بن زيري بن مناد الصنهاجي،قرأ الفقه بالقيروان ونظر الجدل، وكان من أكمل الملوك فعز على أعدائه، واستمرت حاله إلى ان نهض باديس بأمره، وكانت بين باديس والعم أهوال عظيمة وحروب مبيدة هزم حماد هزيمة مستأصلة ألجأته إلى الاعتصام بالجبال، أقام صلحًا مع الزيرين، واستفرغ جهدًا في حروبه مع زناتة، استبحر عمران القلعة العاصمة في عهده فبنى القصور والقصاب المنيعة والمساجد الجامعة والبساتين الأنيقة. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص227، 228. ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، ص71، 72. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص112، 113.

(7) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص21.عبد الحميد سعد زغلول: المرجع السابق، ج3، ص332.

وبلغت جموع المعز ثلاثون ألفًا، وقيل: ثمانية وثمانون ألفًا، وعدة العرب ثلاث آلاف فارس، والتقى الطرفان في حيدران بينهما وبين القيروان ثلاثة أيام، فهال العرب ما رأو من جند صنهاجة، والعبيد وقد لبسوا الكذاغندات والمغافر، فأشار عليهم مؤنس بن يحي بالطعن في العيون، فسمي يوم العين، ودارت الدائرة على جند المعز وانهزم، وغنمت العرب الخيل والخيام وما فيها من مال[1].

ويعود سبب انهزام المعزإلى انحياز عرب الفتح إلى الهلالية للعصبية التي تربطهم، وخيانة الزناتية له، وانسحاب الصنهاجيين من ميدان الحرب، وللحقد الذي يضمرونه للمعز بن باديس (406 ــ 454هــ / 1015 ــ 1062م)[2]، وانهزم المعز مع كثرة في العدة والعتاد، وقتل من الصنهاجيين ما يفوق ثلاثة آلاف وثلاث مئة رجلاً[3].

وحاول المعز بن باديس الثأر لموقعه حيدران سنة: 443هــ / 1051م، وأخذ العرب على حين غرة، فجمع جيشا بلغ سبعة وعشرين ألف فارس وهجم عليهم، وهم يؤدون صلاة عيد الأضحى، وأسرع العرب إلى ركوب خيولهم، وانهزمت صنهاجة، ثم جمع ثانية جيشًا من صنهاجة وزناته وعبيده وأغار على بيوت العرب، وانهزم مرة أخرى وثبت معه عبيده ثباتًا عظيمًا[4].

وفشل المعز بن باديس في جميع المحاولات التي شنها على العرب، لقلة تنظيم صفوفه، وتدريبهم ولأن غالبيتهم من العبيد إضافة إلى عدم وفاء صنهاجة له، وتمرّس العرب على ركوب الخيل والحرب.

وبعد أن صعب على المعز الإيقاع بالعرب، وإيقاف مقصدهم قبل الوصول إلى القيروان التي شرع في بناء صور لحمايتها، والذي بلغ طوله اثنين وعشرون ألف ذراع، و لم تثن هذه الحماية الجديدة من عزيمة الهلاليين[5]، وواصلوا تقدمهم، ودخل المعز في قتال معهم في منطقة بين رقادة والقيروان، حيث اضطر بعد ذلك إلى طلب الصلح، والسماح لهم بدخول القيروان والتزود بما يحتاجون إليه من أسواقها[6].

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص296.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص21. عبد الحميد سعد زغلول: المرجع السابق، ج3، ص430.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق،ج8، ص296.

وأحمد حسن خضيري: **علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب**، ط1،مكتبة مدبولى، القاهرة، د.ت، ص69.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص297.

(5) ابن عذاي: المصدر السابق، ج1، ص291. عبد الحميد بوسماحة: المرجع السابق، ص170.

(6) ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: عبد الهادي التازي، مطبوعة الأكاديمية المغربية، 1997، ج1، ص373.

ــ Ernest Mercier: Op.cit, P: 22.

وبعد ذلك ضرب العرب حصارا على القيروان سنة ستة وأربعين، وحدثت فتنة أثناء التزود من أسواق القيروان،بعد الاستطالة العامة على العرب[1]،وطال الحصار الذي تبعه إفساد أطرافها، واستباحتها، ووصف ابن خلدون ذلك بقوله: « ثم نازلوه القيروان وطال عليه أمر الحصار، وهلكت القرى والضواحي، بإفساد العرب عيثهم »[2].

وصمدت القيروان ردحا أمام الحصار المضروب لحصانة أسوارها، لكنها لم تلبث أن ضعفت لما طال أمد الحصار[3]، وسقطت في يد العرب سنة تسع وأربعين، رغم كثرة جند المعز، ورغم وقوف زناته إلى جانبه وقتل من عسكره نحو ثلاثة آلاف، ونزلت العرب على القيروان[4].

ووصف لنا ابن عذارى ما فعله العرب الهلالية عند دخولهم القيروان بقوله:« استمسك العرب جميع من أسروه، فلم يطلقوا أحدًا إلا بالفداء، مثل أسرى الروم، وأما الضعفاء والمساكين فأمسكوهم لخدمتهم واستولوا على ما ملك المعز، ونهبوا دوره وقصوره من الأسلحة والعدد والآلات وبعثوا جزءا منها إلى القاهرة »[5].

فكانت فتنة عظيمة، ثم باعوها للناصر علناس (454 ــ 481هــ/1062 ــ 1088م)[6]، وخرج أغلب البلاد من يد المعز[7]، وقسم بنو هلال افريقية بين مشايخها وقبائلها، ووصف ابن خلدون الوضع بقوله: « فكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال تونس الغرب، وتصرم الملك من يد المعز، وعمل المعز على خلاص نفسه »[8].

---

(1) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص83.

ـ Ernest Mercier: Op.cit, P: 22.

(2) **كتاب العبر**، ج6، ص21.

(3) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص364.

(4) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص373.

(5) **البيان المغرب**، ج1، ص 291.

(6) من أكثر ملوك وأمراء الدولة الحمادية دهاء وجرأة، ردد الغزوات والفتوحات إلى المغرب، ويعتبر وصوله نقلا للسلطة إلى الفرع الثالث من أبناء حماد، كان جوادا كريما تميز عهده بالاستقرار النسبي، يأمله الناس ويقصده الشعراء، انتقل إلى بجاية واختطها سنة: 460هــ / 1068م وسماها الناصرية، وكان مولعًا بالبناء محبا للتشييد فبنى المباني العجيبة المونقة ومنها قصر اللؤلؤة العجيب، واتسم حكمه برفعة المملكة الحمادية. ينظر ترجمته في: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص230، 231. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص295. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص124، 125.

(7) الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص47.

(8) **كتاب العبر**، ج6، ص22.

ولعجز المعز عن حماية الرعية من عبث العرب أشار عليهم بالانتقال إلى المهدية[1]، ووصف لنا ابن عذارى (كان حيا سنة 712هـ / 1312م) حال المعزوضعفه أمام تسلط العرب، ومصاهرته لهم خوفًا على نفسه وكان مقصده المهدية بقوله:« وفي أثناء ذلك أعطاهم الدنية وناشدهم التقية واشترط المهدية، وزف إلى أحد زعمائهم من بناته فأصبحوا أصهارًا وقاموا دونه أنصارًا، فلما استحكم بأسه وأهمته نفسه، استجاش من قبله، واحتمل أهله وثقله، وقل الملك لمن حماه، وحمله وجاء أصهاره يمنعوه ممن عسى أن يكيده حتى بلغ المهدية »[2].

ووصف ابن الخطيب (ت 776هـ / 1374م) حال ملك المعز ونهايته على يد العرب الهلالية بعد دخول القيروان، والدمار والخراب الذي ألحقوه بها بقوله: « تسقي بهم المعز ومن بعده إلى اليوم، فسبوا البلاد و أيتموا الأولاد، وإنتهبوا الطارف والبلاد، وحسبك بدخول مدينة القيروان شهرة ووقيعة شنيعة، وإلى اليوم فالخطب لهم لا يرفع، والوطن الخصيب الرحيب قفز بلقع »[3].

وبعد أن اضطرب ملك المعز وثار عليه الثوار، انتقل تحت حماية أصهاره من العرب وأوصلوه إلى المهدية، وتشتّت أهله على البلدان[4]، واضطرت المدن وأهلها إلى أن تدفع الضرائب والإتاوات للقادة الهلاليين[5] بعد انهيار سلطة بني زيرين وتحولها إلى إمارة صغيرة يقاتل بعضها بعضًا[6].

وهو ما يشبه عصر دويلات الطوائف بالأندلس، وكان ظهور أول إمارة هي إمارة قابس، فاستقر الحكم فيها في أسرة بني جامع، وفي قفصة[7] استقل حاكمها الزيري ابن الرند الذي خرج على سيده، واستعان بالعرب على مد ملكه مقابل ضريبة سنوية، كما استقل ابن خراسان بتونس، أما سوسةفقد

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص297.

[2] **البيان المغرب**، ج1، ص298.

[3] **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، ص75.

[4] الزهري: المصدر السابق، ص10. القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص125.

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص21. الناصري: المصدر السابق، ج2، ص149.

[6] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص21.

وحسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص308.

[7] بلد صغير في طرف إفريقية من ناحية المغرب، من عمل الزاب الكبير بالجريد، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، وهي مدينة كثيرة القصور (أكثر من مائتي قصر)، وحصينة أجنادها وأربابها، وهي أكثر بلاد إفريقية فُستقًا ومنها يُحمل إلى جميع نواحي إفريقية والأندلس وسجلماسة. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص382 ــ 384.

استقلت تحت حكم شوري، وأما سفاقص فكان صاحبها يحكم باسم السلطان الزيري، لكنه تحالف مع القبائل المهاجرةوأعلن استقلاله[1].

وسيطر العرب الهلالية على معظم بلاد المغرب وعلى امتيازاتها وأرباحها وعلى التجارة كلها في وسط المغرب، وسعت لإيجاد نفس المزايا التي كانت تستفيد منها سابقا من خلال التحرك غربًا،ونتيجة للفوضى، اعترفت السلطات المحلية لرؤساء العرب الهلالية بالمناطق التي سيطروا عليها، وظهرت الحماية في شكل مجموعات مسلحة مسؤولة عن حماية الرعايا في مدينة تونس، واستدعى أمير قلعة بني حماد، ولتجنب نهب الهلاليين وعبثهم أجبر الملوك على تقديم ودفع رسوم سنوية[2].

وأحكمت العرب الهلالية سيطرتها على طرق التجارة وانتشرت اللصوصية وقطاع الطرق، وتغير المناخ السياسي اضطر الحماديون في عهد الناصر بن علناس (454 ـــ 481هـــ / 1062 ـــ 1088م)، إلى الانتقال من القلعة إلى بجاية وذلك للتخلص من الهيمنة التي فرضتها العرب على الأراضي المحيطة بالقلعة[3]، واستغل بذلك العرب ضعف السلطة الزيرية وولاتها، وغياب السلطة فأعلنوا انفصالهم.

وبانتقال المعز إلى المهدية لم تعد سلطته تتعدى الشريط الساحلي[4]، وأثرت الغزوة الهلالية على الاقتصاد والسياسة في بلاد المغرب وفي البنية العمرانية والديموغرافية بعد أن اكتساحها للمناطق الداخلية، وقوضت سلطات الحكومة المركزية بالقيروان[5]، واتجه ملوك بني زيري إلى البحر، ليكون مجال نشاطهم مما أدى إلى صراع مع النورمنديين[6].

صحيح أن الصدمات العسكرية بين العرب الهلالية والزيريين قد أضرت كثيرًا ببلاد المغرب، وشجع النورمان من جهة عن التمدد واستغلال الفرصة بالسيطرة على خيرات البلاد، لكن بالمقابل فإن الهلالين قدموا أروع البطولات في الدفاع عن أرض المغرب ضد النورمان، فقد كان لهم دور في التصدي للمغريين عند مهاجمة بيزة Pisa وجنوة Génes للمهدية سنة: 480هـــ /1087م، رغم العداء بينهم وبين صاحب المهدية تميم بن المعز (454 ـــ 501هـــ / 1062 ـــ 1107م)، وتصديهم للغزاة في زويلة،

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص212. جورج مارسيه: المرجع السابق، ص225، 226. أحمد حسن خضيري: المرجع السابق، ص70.

[2] ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص211، 220.

[3] مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص153، 154.

[4] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص294. محمد مقديش: المصدر السابق، ج1، ص271.

[5] رمضان عبد العظيم: المرجع السابق، ص251.

[6] فايزة محمد صالح أمين سيجيني: **غزو بني هلال وبني سليم للمغرب**، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1980 ـــ 1981م، ص152.

وكان لهم دور في الهزيمة التي لحقت بالنورمان في جزيرة الأحاسي سنة: 517هـ / 1122م، وفي نجدة طرابلس الغرب حين هاجمها النورمان سنة: 537هـ / 1142م، وإلحاق الهزيمة بهم(1).

2. تدهور الوضع الإقتصادي:

تميزت السنوات التي سبقت عملية تنفيذ الغزو والاحتلال النورماني لبلاد المغرب،فظهور المجاعة والغلاء بسبب القحط والجفاف وخاصة في المناطق الجنوبية ووسط إفريقية، كقابس وسفاقص وسوسة، لأن هذه المناطق تعتمد في زراعتها على الأمطار(2).

يضاف إلى العامل الطبيعي (قلة الأمطار)الذي ساهم في نقص المحصول، واضطراب الوضع السياسي الناتج عما قام به العرب من بني هلال عند دخولهم هذه المناطق من إفساد السابلة وإحراقهم للأسواق، وما نتج عن اضطراب الوضع نتيجة تحركات الجيوش لصد توغلاتهم وقيام الثورات، فكانت أثرها على الإنتاج الزراعي وأدى نقصه إلى حدوث المجاعة وضيق في العيش وارتفاع الأسعار(3).

وقد أشارت المصادر إلى فترة المجاعة في السنوات التي سبقت المحنة الكبرى، والتي أدت إلى تسهيل عملية الغزو، وذكر ابن الأثير(ت 630هـ / 1280م) ذلك بقوله: « وفي سنة 482هـ /1089م، كان بإفريقية غلاء شديد، وبقي كذلك إلى سنة أربع وثمانين »(4)، ثم ذكر ابن أبي دينارما صاحبها من غلاء المعيشة والمجاعة، وظهور مرض الطاعون بقوله: « وفي أيام تميم كانت المجاعة العظمى بإفريقية، والوباء الذي لم يسمع بمثله، وذلك سنة ثلاثة وثمانين وأربعمائة »(5).

وكان آخر هذه المحن التي حدثت سنة: 491 هـ / 1098م، والتي خربت البلاد حيث أدت إلى ارتفاع في الأسعار والغلاء سنة: 537هـ / 1142م، وانتقل سكان البوادي إلى المدن بسبب الجوع وأغلقوها دونهم، وسار منهم إلى صقلية وتبعها وباء أدى إلى موت الكثير منهم(6)، يقول ابن الأثير (ت

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، (ج8، ص455)، (ج9، 326، 390). التجاني: المصدر السابق، ص331 ـ 339.

وأمين توفيق الطيبي: **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، ج2، الدار العربية للكتاب، 1997، ص74.

(2) جمعة شيخة: **ملامح النشاط الفلاحي في المجتمع الريفي بإفريقية من الفتح إلى القرن 5هـ / 11م من خلال كتب الطبقات**، ضمن أعمال المؤتمر الثالث للتاريخ وحضارة المغرب المنعقد في وهران، 26 ـ 28 نوفمبر 1983، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1987، ص 44.

(3) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص126.

(4) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص462 .

(5) **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص85.

(6) ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص302. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص292

630هـ / 1280م): « وكانت الشدة دوام الغلاء في جميع المغرب، من سنة سبع وثلاثين إلى هذه السنة 542هـ / 1147م، وكانت أشد ذلك سنة اثنتين وأربعين، فإن الناس فارقوا البلاد والقرى، ودخل أكثرهم إلى مدينة صقلية، وأكل الناس بعضهم بعضا، وكثر الموت في الناس »[1].

ويوضح النويري أنّ الأزمة ازدادت بعد استيلاء النورمان على المهدية وسفاقص وسوسة، وأن حدوثها كان سنة: 543هـ /1148م بقوله: « كان استيلاء الفرنج على ذلك (المهدية وسفاقص وسوسة) في سنة ثلاثة وأربعين وخمسمائة، وأن الغلاء تتابع في بلاد المغرب من سبع وثلاثين إلى هذه السنة، وكان أشده في سنة اثنتين وأربعين »[2].

ويعزي جورج مارسيه سبب تناقص سكان إفريقية في هذه الفترة إلى المجاعة التي امتدت لمدة ستة سنوات، وهاجر منهم خلق كثير باتجاه صقلية أملاً في البحث عن حياة أفضل[3].

وأدى نقص السكان بكثرة الموت وهجرتهم نتيجة المجاعة، والتي وصلت إلى عماد الدولة ممثلة في جيشهم فأهلكته، وهي الفرصة التي كان ينتظرها روجار نفسه، ووصف مقديش الوضع بقوله:« وكثر الموت في الناس، وكان روجار يتمنى الاستيلاء والتغلب على بلاد إفريقية، فاغتنم الفرصة، وقد رأى إن لم يبادر في هذه الشدة لم يتأتى له المطلوب...، وأضعف الغلاء أكثر جند الحسن وأهلك خيلهم »[4].

ويعود سبب ظهور المجاعة بدولة بني زيري إلى امتناع روجار عن تصدير الحبوب إليها، وتكررت هجمات النورمان على الساحل الإفريقي وموانئه، مما أدى ذلك إلى تفاقم الوضع، ونتج عنه فاقَة أهل إفريقية، وأصبح الواحد لا يحصل إلا على رغيف واحد في اليوم، وترتب عنه موت الكثير، لقلة الغذاء والمؤن حتى أكل الناس بعضهم بعضا، وزحف السكان من الريف إلى المدن[5].

ورافق ذلك سيطرة النورمان على التجارة الخارجية بعد سيطرتهم على صقلية، وإقامة معاهدات تجارية مع حكام بني زيري، وتزايدت مطامح الجمهوريات الإيطالية في السيطرة على بلاد المغرب وتوقف الإنتاج الصناعي، وتعذر تصديره لسيطرة النورمان على الساحل[6].

---

(1) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص358.

(2) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج24، ص136، 137.

(3) جورج مارسيه: المرجع السابق، ص258.

(4) **نزهة الأنظار**، ج1، ص485.

(5) رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص129.

(6) أبرم روجار الثاني حاكم صقلية مع تميم بن المعز الزيري سنة: 467هـ / 1075م، وقد التزم الأمير الزيري تميم بن المعز بعد التعرض لنشاط سفن النورمانية في المياه الإفريقية، والمعاهدة تعكس سرعة تنظيم العلاقات بين صقلية تحت حكامها الجدد والبلاد الإفريقية. ينظر: لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص386.

وفي حقيقة الأمرأن المتتبع للحالة الإقتصادية واضطراباا لا يمكن إرجاعها إلى سنة: 491هـ / 1098م، وإنما لها جذور تعود إلى مطلع القرن 5هـ / 11م بدخول العرب الهلالية بلاد إفريقية وحدوث القطيعة مع الفاطميين.

وقد أشارت المصادر إلى اضطراب مدن إفريقية بعد أن دخلها العرب، ومنها القيروان التي قل إنتاجها للقمح لإقامة العرب بها[1]، وهي التي عرفت قبل هذا بتنوع خيراتها واضطرابها بعد انتقال ملوكها عنها، ووصف ابن حوقل (ت 350هـ / 961م) ذلك بقوله: « وقد اختلت أحوالها وإلتأثت أعمالها، وانتقل عنها رجالها، بانتقال ملوكهاوبعدهم عنها »[2].

واضطرب سكان قابس بعد أن دخلها الأعراب، واضطروا أن يقيموا خارجها في بساتين النخل، التي تنتج كمية كبيرة من التمر[3]، واضطر أهل سكان سفاقص، أن يدفعوا الضرائب الباهظة للعرب على دكاكينهم[4]، وصارت مدينة باجة شبه محاصرةلا يغادرها أهلها، ومستعدون لدفع الضرائب، ومواجهة العرب[5].

ووصف الإدريسي الوضع بمدن إفريقية، وما أحدثه العرب بها بقوله: « وكانت الأسواق فيها، وأما الآن فالأسواق في المدينة والأرباط الخالية، بإفساد العرب وهي الآن خراب أفسدتها العرب، واستولت على ضفافها وعلى جميع أرضها »[6].

وتدهورت أحوال التجارة بسبب هذا الاجتياح الذي أحل الخراب والدمار،محل الخصب والنماء[7]، وتسببوا في قطع الطرق التجارية، وعرقلة حركتها[8]، وتحول طرقها مما نتج عنه انقطاع موارد إفريقية من ذهب السودان الغربي، بعد تحول طرق القوافل عبر الصحراء إلى المغرب الأقصى، بعد قيام دولة الموحدين فتدنت قيمة الدينار المضروب في المهدية لنقص نسبة الذهب فيه[9].

---

(1) الحسن الوزان أبو علي بن محمد الفاسي (كان حيا سنة 957هـ / 1550م): **وصف إفريقيا**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ج2، ص90.

(2) **المسالك والممالك**، ص 73.

(3) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص91.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص87.

(5) جورج مارسيه: المرجع السابق، ص243.

(6) **نزهة المشتاق**، ص102 ــ 108.

(7) لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص386.

(8) حسين ممدوح علي حسين: المرجع السابق، ص123.

(9) Goitein, S.D.A, Mediterranean Socity, California, UAS ,1978, Vol.1, P: 235.

وأصبحت الطرق البرية المؤدية لمصر والشرق غير صالحة، ومحرمة على القوافل، وأضحت الطرق لا تسلك إلا بخفارة، وانتقل النشاط الإقتصادي لبلاد المغرب من الداخل نحو الساحل[1].

وقد ساهم بنو هلال في تردي الوضع الإقتصادي بعد دخولهم واستيلائهم على الأراضي الزراعية وإتلافهم للمزارع، وإحراقهم للأسواق التجارية، وقطع طرق المواصلات وتحويلها، وأثرت بذلك تدريجيًا في تردي الوضع الإقتصادي، ليضاف إلى ذلك سياسة بني زيري والأخطاء التي ارتكبها حكامها، ومن ذلك القطيعة السياسية والمذهبية مع الفاطميين، والتي أثرت على الوضع الإقتصادي بإصدار القيروان مرسوما سنة: 461هـ / 1049م يحرم تداول العملة الفاطمية في أملاكهم[2].

ووصل ذلك التحريم إلى إنزال العقوبة على كل مخالف، وبشأن ذلك يقول ابن عذارى: « وفي سنة 441هـ / 1049م، نادى منادٍ بأمر السلطان أبي تميم أنه من تصرّف بمال عليه أسماء بني عبيد، نالته العقوبة الشديدة »[3]، وكان لهذا التحريم أثره الشديد على تجارة مصرومدن إفريقية، كسوسة وسفاقص والمهدية[4]، بينما استفاد من هذه القطيعة الحماديون، حيث انتقلت التجارة إلى أملاكهم[5].

كما أن الفاطميين في مصر إثر القطيعة السياسية والمذهبية، اتبعوا سياسة التضييق الإقتصادي على الدولة الزيرية، ومن ذلك إقدامهم على منع بيع الزبيب الوارد من إفريقية، ورفع المكوس الواردة على مصر من بلاد إفريقية والصابون والرطب والحرير[6]، وقد أدى هذا الإجراء إلى التقليل من حجم التبادل التجاري بين مصر وبلاد إفريقية وكان له الأثر السيئ في تردي الوضع الإقتصادي للدولة الزيرية.

خاصة بعد أن عمل بنو زيري على رفع الضرائب على المدن الخاضعة لسيطرتهم، وعدم توفير الحماية لهم من العرب، ويقدم لنا الحسن الوزان وصفًا لحالة سفاقص بقوله: « أما دكاكينها فعدد ضئيل، لأن العرب وملك تونس يثقلونها بالضرائب »[7]، وهو ما يفسر بأن غالبية السكان قد تخلوا عن ممارسة

---

(1) جورج مارسيه: المرجع السابق، ص243.

ومصطفى أبو ضيف: **القبائل العربية في عصر الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص327.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص19. لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص385.

(3) **البيان المغرب**، ج1، ص379.

(4) لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص385.

(5) عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص221.

(6) ابن حماد الصنهاجي: المصدر السابق، ص98، 99.

(7) **وصف إفريقيا**، ج2، ص87.

العمل التجاري بسبب ارتفاع الضرائب، التي كانت تدفع على مرتين لممثلي حكام بني زيري من جهة، والعرب من جهة ثانية.

وفي عام: 405هـ / 1014م أقدم الزيريون على إغلاق الأسواق والحوانيت والفنادق، و لم تبق إلا حوانيت الأحباس، وهو ما أدى إلى ارتفاع أسعار الكراء[1].

ومما زاد في اضطراب الوضع الإقتصادي إسناد المناصب إلى الأجانب، وإطلاق أيديهم في الأمور المالية، ومن ذلك إسناد تميم بن المعز الأمور المالية إلى رجل نصراني، اسمه جورجي الأنطاكي من المشرق وكان له علم بالحساب ولسان العرب فصارت مصارف أموال المسلمين تحت يده وأيدي أقاربه، وحكّمه تميم في دخله وخرجه فازدادت الأزمة بتوليه وتأذى الناس منه[2].

ومن آخر الأسباب الذي يمكن اعتباره السبب المباشر في تردي الوضع الإقتصادي، هو إقدام حكام بني زيري على احتكار التجارة البحرية، بعد أن فشلوا في تأمين الطرق البرية، بعد استيلاء العرب عليها وانتقالهم إلى الساحل[3].

وباحتكارهم للسفن المهيأة لنقل البضائع، أو منح حق الامتياز للغير مقابل مبلغ متفق عليه من المال[4]، وهذا بطبيعة الحال ما يضر بالتجارالذين يحتاجون إلى أسواق حرة تنافسيةتحدد السعر وتضر بالمنتجين لتصريف منتجاتهم وفق ما يقتضيه الطلب.

يتضح بأن يأتي الموقع الجغرافي وحيويته، وسعي النورمان إلى السيطرة على المسالك والطرق البحرية الرابطة بين شرقي المتوسط وغربه، والتحكم في موانئ المغرب خاصة مينائي بونة والمهدية، التي حازتا الخاصية التجارية والحربية، ولإيقاف أي خطر محتمل يأتي من جهتهما، وازدياد إصرارهم في تحقيق أهدافهم بعد احتلال صقلية وجزيرة قوصرة Cossyra، واستيلائهم على المضايق البحرية، مستغلين في ذلك تراجع دور البحرية الإسلامية والبيزنطية على حد سواء، معتمدين على الخبرة العربية العارفة بجغرافية المنطقة وطابعها، وبقدراتها في إنشاء السفن وقيادة الأساطيل.

إلى جانب سعي النورمان في البحث عن المناطق الحيوية، فتحركوا لغزو بلاد المغرب تحت غطاء نصرة الدين، فبعد أن اعتنقوا المسيحية وغداة دخولهم صقلية قبلوا عرض البابوية بتخليص صقلية من المسلمين، وباحتلالهم لها برزت نزعتهم الصليبية في سياسة روجار الأول المتحيز للمسيحيين، ثم مشاركتهم في الحرب على المهدية بسماحهم لقوات أمالفي Amalfi التابعة لهم بالمشاركة في العدوان، وبعد غزوهم

---

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص261.

(2) التجاني: المصدر السابق، ص333.

(3) حسن حضيري: المرجع السابق، ص138.

(4) رابح بونار: المرجع السابق، ص225.

لمدن المغرب استهدفوا المسلمين بالقتل دون المسيحيين، وشاركوا إلى جانب القوى المسيحية في هجماتها على جزر البليار والأندلس، وما يعكس النزعة الصليبية الحاقدة، إقدام روجار الثاني على تنفيذ حكم الإعدام على قائد أسطوله فليب المهداوي بالشك في أمر إسلامه، ثم الانتقام من مسلمي بلرمو بعد تحرير المهدية من طرف الموحدين.

وتعتبر نصرة النورمان للدين وخدمة المسيحية ذريعة لا أكثر، يرجى منه البحث عن موافقة القوى المسيحية على الغزو، الذي يحقق في نظرهم الثروة الإقتصادية، فكان تحركهم في المقام الأول بهدف الحصول على ثروات وخيرات بلاد المغرب، وضمان استمرار تدفقها نحو بلادهم، وإنهاء حالة الاحتكار البحري الذي فرضه الزيريون على الجزء الشرقي للبحر المتوسط، مما غذى هذا الدافع، معرفتهم بأوضاع بلاد المغرب عن طريق متعامليهم التجاريين الذين تحولوا إلى جواسيس، وحصولهم على تسهيلات تجارية بناءً على معاهدات السلم والتجارة، وتحضيراتهم للغزو، وصرف نظر الصليبيين عن غزو إفريقية دليل على ذلك.

المبحث الثالث: العدوان النورماني على الساحل الإفريقي

مارست صنهاجة دورًا مهمًا في تاريخ المغرب، فقد ذكر المؤرخون[1] أن بطونها تنتهي إلى سبعين بطنًا، لا يكاد يخلوا قطرا من أقطار المغرب من بطونه، وهو ما دفع ابن خلدون إلى الإشارة بأنهم يمثلون ثلث البربر بقوله: « هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهم أكثر أهل المغرب ومن قبله »[2].

ومن بين فروعها المهمة؛ فرعي تلكاته الذي ينتمي إليه بنو زيري بإفريقية والأندلس، وبنو حماد بالمغرب الأوسط، وفرع لمتونة ومسوفة اللتين استطاعتا إقامة الدولة المرابطية[3].

وحاز المجال الجغرافي لقبيلة صنهاجة السيطرة على الأراضي الزراعية الخصبة من بلاد المغرب وعلى مصادر المياه، وهو ما خلق العداء بينها وبين زناتة، ولعب موقع قبائلها الوسط دورًا مهمًا في التحكم في مسالك التجارة، لوقوعها على خط التجارة الدولية الرابطة من الشرق إلى الغرب[4].

---

[1] ابن الكلبي: المصدر السابق، ج2 ،ص295. ابن حزم: المصدر السابق، ج2، ص495. ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص333، 334 ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص266.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص201، 202. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص21. إسماعيل العربي: **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص21. رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص14.

[3] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص164. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص202.

[4] مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص14.

وعبد الكريم جودت: **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجري** (**9 ــ 10م**)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص356.

وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر سنة: 362هـ / 972م، أصبحت صنهاجة بفرعيها هي السلطة الحاكمة في بلاد المغرب بعد أن تحولت مضاربها إلى المناطق الجبلية الساحلية تحت ضغط العرب الهلالية بعد اكتساحهم لبسائط المغرب[1]، ومن صنهاجة انحدرت الدولة الزيرية التي يطلق عليها صنهاجة الشرق، أو صنهاجة الشمال، أو الطبقة الأولى التي تحوز بسائط الساحل الإفريقي[2].

وبعد أن ارتسمت أهداف النورمان في تحقيق مكاسب من غزو بلاد المغرب، استغلوا ظروف بني زيري المضطربة، عقب الهجرة الهلالية وصراع بني زيري مع أبناء العمومة من بني حماد، وتردي الوضع الإقتصادي للدولة إثر الهجرة الهلالية وتغير الظروف المناخية، فشنوا حملات على مدن الساحل الإفريقي، وكانت المهدية عاصمة الدولة هي هدفهم الرئيس.

1 . غزو جزيرة الأحاسي وقصر الديماس 517هـ / 1123م:

كانت بداية استعداد روجار الثاني (495 ـ 548هـ / 1101ـ 1154م) لغزو المهدية انطلاقًا من جزيرة الأحاسي[3] وقصر الديماس سنة: 516هـ / 1122م، وهي السنة التي وجه فيها الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (500 ـ 537هـ / 1106 ـ 1155م)، أسطوله بقيادة أبي عبد الله بن ميمون إلى مدينة نوقطرة Nicotra، فسبى أطفالها وقتل شيوخًا، فاقتنع روجار الثاني أن هذا العمل العدواني إنما هو بإيعاز وتحريض من الحسن بن علي الزيري، لما كان بينه وبين أبيه من الوحشة، فجد في إعداد المراكب والشواني[4]، ومنع السفر إلى سواحل افريقية[5].

وبعد إعداد وتجهيز الأسطول للقيام بعملية الغزو، أسند قيادة الأسطول إلى جورج الأنطاكي الذي عمل سابقًا لدى بني زيري، وكان على إطلاع بأحوال الدولة حاضرها وباديتها، وجعله مقدمًا على الأسطول، برفقته عبد الرحمن بن عبد العزيز المسمى في المصادر الإسلامية « كريستودولوس »، وبلغ عدد

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، 333، 334. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص201.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص202، 203.

[3] تقع على نحو عشرة أميال من المهدية بإفريقية، ذات أحساء بينها وبين البر مجاز قريب. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص14. التجاني: المصدر السابق، ص335.

[4] جمع شيني أو شونة أو شينية، وهي من أهم القطع التي كان يتألف منها الأسطول الإسلامي والروماني ومن أعظمها شأنًا، وهي سفن حربية كبيرة تجدف بمائة وأربعين مجداف، تجهز بالسلاح والنفطية وتحشد بالمقاتلة والجنود، مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم، ومزودة بإهراء لخزن الحبوب وصهاريج لخزن الماء العذب، وكان متوسط ما يحمله الشيني 150 رجلاً. ينظر: عبد الفتاح عبادة: المرجع السابق، ص4.

[5] التجاني: المصدر السابق، ص336. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص283.الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص393.

مراكب الأسطول الموجه للغزو بنحو ثلاثة مئة مركبًا، وطلب الإعانة والحشد من الأمم النصرانية ما لا يحصى على حد تعبير ابن خلدون[1].

تحرك الأسطول يوم السبت 25 جمادى الأولى سنة: 517هـ / 21 جويلية 1123م، ونزلوا جزيرة الأحاسي وكان وصلوهم أخر النهار، وتمكنوا من الاستيلاء على حصن الديماس[2] بمساعدة بعض العرب الهلالية الذين وعدهم عبد الرحمن النصراني وصاحبه ومناهم، وكانت أوامر روجار الترول بالجزيرة والتحيُّل لأخذ قصر الديماس ثم الزحف برًا نحو المهدية[3].

وعندئذ دخل المسلمون الجزيرة، فر النورمان وتراجعوا إلى مراكبهم وانهزموا، وتركوا من بقي بقصر الديماس لا يقدرون على نجدتهم، وتقوت عزيمة المسلمين بالعرب، وبعدها مزقوا مضارب النورمان، وغنم المسلمون الأسلحة والخيل، وطلب من بقي من النورمان بالقصر من الحسن الأمان بعد أن ضرب عليهم الحصار، لكن الحسن رفضه برفض العرب، فكان من بقي تخطفته أجناد وسيوف العرب[4].

لقد لعب العرب الهلالية دورًا عظيمًا في إحراز هذا النصرمن خلال تمزيقهم لمضارب النورمان والتفافهم بهم في الجزيرة، وفي تقوية همم المسلمين وعزائمهم فكان نصرًا نفسيًا قبل أن يكون نصرا عسكريا،وهو ما يعكس دور العرب الهلالية فيما حققه الزيريون من انتصارات ضد النورمان.

وبعد هذا النصر الذي تحقق بدأ الحسن بن علي الزيري (515 ــ 543هــ /1121 ــ 1148م)، يعد نفسه لقتال النورمان بعد أن ازدادت الوحشة بينه وبين روجار، فعمل على بناء الأسوار وتجهيز الجيوش بالأسلحة، ثم دعا إلى النفير واستعان بالعرب، وأتته الحشود من كل جهة[5].

---

(1) ابن خلدون: المصدر الراجع، ج6، ص214. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص309.

(2) قصر بجزيرة الأحاسي التي تبعد عن المهدية بحوالي 10 أميال،تمكن النورمان من الاستيلاء عليه سنة 517هــ / 1123م، للتحيل قبل تنفيذ الاستيلاء على المهدية. ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص309.

(3) التجاني: المصدر السابق، ص336. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص309.محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص483.

(4) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص309. محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص483. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص284. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص394.

(5) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص309.

ويورد الهادي روجي إدريس نصًا عن ابن ميسرة أن الحسن الزيري أرسل رسولاً إلى الخليفة الفاطمي وأعلمه أن حاكم صقلية روجار بن لجار الذي أساء إلى الأمير مرارًا وتكرارًا يستعد لإعلان الحرب عليه، وأن الخليفة قد وجه رسوله إلى صقلية وتم الصلح بين المتخاصمين، ثم يضيف تعليقًا عن الرواية؛ أن العلاقة بين الدولة الفاطمية وصقلية كانت طيبة، وأنها لم تحقق أي نجاح، ولم تشر إلى واقعة الديماس، وربما تكون قبلها. ينظر: الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص 396.

وكانت الظروف الطبيعية إلى جانبه بسبب هيجان البحر، فقد حطمت معظم أسطول النورمان المشكل من ثلاثة مائة مركبًا، فلم يسلم منها سوى مائة مركب، و لم ينج من الخيل إلا الفرسان[1].

وفرحا بهذا النصرأذاع الحسن بن علي الزيري في المدينة نبأه الذي تغنّ به الشعراء وهنئ بهذا الفتح، ولكن لم يدر ما تحت طيّه من المحنة التي خصت وعمت المسلمين بسببه، وكتب عنه في ذلك كتابًا إلى سائر الجهات[2]، وقال ابن حمديس الصقلي يمدح الحسن بن علي الزيري، وذكر انهزام عدو صقلية عام الديماس قوله: [الطويل]

أبى اللّه إلاّ أن يكون لك النصرُ وأن يهدم الإيمان ما شاده الكفرُ

وأَن يُرجع الأعلاج بعد علاجها خزايا على آثارها الذلّ والقهرُ

ليهنك فتحٌ أولغ السيف فيهمُ ولاح بوجه الدِّين من ذكره بِشرُ

فسل عنهم الديماس تسمع حديثهم فهم بالمراضي في جزيرته جزرُ

وما غنموا إلاّ منىً كذبت لهم وكان لهم بالقصر عن نيلها قصرُ[3]

2 . الاستيلاء على جربة 529هـ /1135م:

حاول روجار الثاني الانتقام مما فقده بعد هزيمة الديماس سنة: 517هـ /1123م، فبنى سياسته التوسعية على إستراتيجية ترك المهدية وشأنها ربحا للوقت والتفرغ لتأديب غزاة البحر المسلمين أوكما سموه عش القراصنة الذين كانوا في مواجهة المسيحيين، وتوجيه حملاته على طول الساحل الإفريقي[4]، وبعد أن تمكن من معالجة ما اصطدم به من مشكلات وأخذ كامل التحضيرات العسكرية، تحرك أسطوله باتجاه جربة سنة: 529هـ /1135م، التي خرجت عن طاعة الزيريين وقيامها بنشاط القرصنة البحرية[5].

ويستفاد مما ذكره ابن خلدون (ت 808هـ / 1504م) في كتابه العبر[6] أن سبب إقدام روجار على توجيه حملة إلى جزيرة جربة باستفحال ملكه، ويربط ذلك أيضا بالانتصارات التي حققها الفرنج في بلاد الشام وضعف وتقلص نفوذ الدولة الزيرية ببلاد المغرب.

---

[1] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص89، 90.

[2] التجاني: المصدر السابق، ص337.

والوزير السراج: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1287، ص 244.

[3] ابن حمديس: المصدر السابق، ص252، 254.

[4] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص 405، 406. مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق،ص47.

- Ernest Mercier: Op.cit, P: 86.

[5] ابن أبي دينار: المصدر السابق،ص90. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص289. أحمدعزيز: المرجع السابق، ص66.

[6] **كتاب العبر**، ج5، ص231.

وتتفق جميع المصادر على أن خروج روجار كان سنة: 529هـ /1135م، مع جماعة من أهل صقلية،كما ذكر ابن أبي دينارمن المسلمين، وانفرد بذلك مدعوم بحماية من فرسان النورمان، ووصف ذلك بقوله: « وفي هذه السنة أرسل عدو الله روجار أسطولاً إلى جزيرة جربة، مشحونة برجال المسلمين من أهل صقلية ورجال من الإفرنجيين بعدد وقوة عظيمة، ونازل جزيرة صقلية »[1].

ووصف ابن الأثيرتحرك الأسطول النورماني الذي توجه إلى الجزيرة والوقائع التي دارت بينهم وبين أهل جربة، وشدة ثبات أهلها بقوله: « فترلوا بساحتها وأداروا المراكب بجهاتما، واجتمع أهلها وقاتلوا قتالاً شديدًا، فوقعت بين الفريقين وقعات عظيمة، فثبت أهل جربة وقتل منهم خلق كثير »[2].

وتمكُّن النورمان من الجزيرة كان بسبب إحكام النورمان للحصار والتضييق عليها وعزلتها السياسية، وتخلي الفاطميين عنها من جهة المشرق والزيريين في بلاد المغرب[3]، وعقب هذا النصر أرسل روجار رسالة إلى الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي (526 ــ 544هــ / 1133 ــ 1141م)[4] يزف إليه بشائر النصر الذي حققه بفتح جربة، ويعدد أسباب إقدامه على ذلك وأجمل السبب الرئيسي في عدوان أهلها، وقد تلقى روجار رسالة جوابية من الخليفة الفاطمي يهنئه بالنصر والذي عدّه فتحًا[5].

وكان من نتائج سقوط جربةأن ملكها الفرنج، وأخضع أهلها للسمع والطاعة،ويلخص ابن الأثير نتائج سقوطها بقوله: « وانهزموا وملكها الفرنج وغنموا الأموال، وسبوا النساء والأطفال...، وعاد من بقي منهم فأخذوا لأنفسهم أمانا من صاحب صقلية، وافتكوا أسراهم وسبْيَهم »[6]، ودخلت تحت طاعة روجار الثاني، وكتب لهم أمانًا من عنده، وولّى عليها عاملاً من قبله[7]، واستمرت تابعة له من سنة:

---

[1] **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص90.

[2] **الكامل في التاريخ**، ج9، ص286.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص231. التجاني: المصدر السابق، ص126.

[4] أبو الميمون بن أبي القاسم بن المستنصر بالله، بويع بعد مقتل الآمر، عرف في عهده ظهور الصراع بين الوزراء والعسكر في الحكم، والتدخل في التولية الخلفاء، عرف بالحنكة والمداراة والحلم والاهتمام بجمع المال وبعلم النجوم، استفرغ وقتًا في استتباب الأمن، كما عرفت مصر في عهده ضائقة مالية بسبب ارتفاع الأسعار والغلاء والوباء دام حكمة ثمانية عشر سنة. ينظر ترجمته في: المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص45، 46. الداودي: المصدر السابق، ج6، ص506، 507.

[5] القلقشندي: المصدر السابق، ج6، ص458، 459.

[6] **الكامل في التاريخ**، ج9، ص286.

[7] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص90. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص405.

529هـــ / 1135م، إلى غاية سنة: 548هـــ / 1153م، ثم خرجوا عن طاعته فأرسل إليهم روجار أسطول وأخضعهم من جديد، وسبى أهلها إلى صقلية[1].

هذا و لم يعلن روجارعن نيته الحقيقية، وكانت له رؤية إستشرافية وفق إستراتيجية كان يطمح إلى تحقيقها مستقبلاً، ومنها جعل جربة قاعدة عسكرية أمامية للحملات العسكرية القادمة من شمال إفريقيا، ومراقبة الحركة التجارية بين مصر وافريقية، وهو ما لم يفصح عنه للحسن بن علي الزيري لضمان استمرار عهود الصداقة التي كانت تجمعها[2].

3. احتلال طرابلس 541هـ / 1146م:

تفيض المصادر الجغرافية وكتب الرحلات بمعلومات قيمة عن مدينة طرابلس وأهميتها الإقتصادية وحسبنا في ذلك ما أشاد به الإدريسي (ت 560هـــ / 1165م) حول هذه المدينة قوله:« مدينة حصينة عليها سور حجارة، وهي في نحر البحر، بيضاء حسنة الشوارع، متقنة الأسواق، وبها صناع وأمتعه يتجهز بها إلى كل الجهات، وكانت قبل هذا مفضلة العمارات من جميع جهاتها »[3].

ووصفها ذلك صاحب الاستبصار بالاتساع وكثرة الخيرات والغلات وممارسة التجارة، حيث يقول: « وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر...، وهي كثيرة الفواكه جمة الخيرات، وأكثر أهلها تجار يسافرون برًا وبحرًا »[4].

أما الحموي (ت 626هـــ / 1228م) فوصف حصانتها وخيراتها وكثرة رباطاتها بقوله: « وعلى مدينة طرابلس سور صخري جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر...، وهي كثيرة الثمار والخيرات »[5].

يضاف إلى ما تميزت به المدينة من حصانة طبيعية بموقعها الإستراتيجي الهام لوقوعها على الساحل، فقد عدت ثغرًا منذ العهود القديمةأوى إليها الصالحون، مما أدى إلى وجود رباطات كثيرة لحمايتها من الجهة المطلة على سواحل أوروبا الجنوبية ناهيك عن خيراتها الجمة[6].

---

[1] أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص73.

[2] رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص325،326.

[3] **نزهة المشتاق**، ص73.

[4] مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص110.

[5] **معجم البلدان**، ج4، ص25.

[6] الحموي: المصدر السابق، ج4، ص25. النائب الأنصاري: المصدر السابق،ص166.

وكان لموقع المدينة الوسط بين بلاد المغرب والمشرق أثر ايجابي، فقد صارت منطقة عبور لتحرك الجيوش، وأفواج الحجاج ورجال العلم إلى بلاد المشرق، وطريقا تجاريا هاما، ومنحها موقعها المتميز وخيراتها المتنوعة إلى تحول الأنظار إليها والاهتمام بها، ومنهم أصحاب المهدية من بني زيري، لقربها منهم وتخوفهم من سيطرة أي قوة معادية لهم[1].

وأدرك النورمان بعدسيطرتهم على مدن إفريقيةأهمية المدينة ودورها الإقتصادي والإستراتيجي، فكانوا كثيرًا ما تحركهم الرغبة لاحتلالها من منطلق هذه الأهمية الإستراتيجية[2]، لذا عملوا على بعث العيون والجواسيس لاستقصاء تفاصيل أخبارها[3].

ولما كانت طرابلس تابعة للخليفة الفاطمي في مصر فإن هدف روجار من غزوها هو تأمين صقلية من هذه الجهة الجنوبية التي تقابل البحر[4].

وقبيل عملية غزو المدينة سنة: 537هـ / 1142م، كانت تعاني مشاكل اقتصادية، ومن جملة ذلك ما ألحقته العرب الهلالية من أضرار بها وببواديها عند قدومهم في المراحل الأولى[5] أثناء تحركهم من مصر، وما خلفه الصراع الدائر بين خزرون الزناتيين الذين تولوا حكم المدينة مع الصنهاجيين من بني زيري[6].

وامتد هذا الصراع إلى أيام حكم الحسن بن علي الزيري (515 ــ 543هـ / 1121 ــ 1148م) آخر حكام الدولة الزيرية، حيث تقلص نفوذ الدولة في عهده، وذلك بإظهار أهل طرابلس نيتهم في الاستقلال عنه ورفضوا الخضوع لحكمه وأظهروا العداء واستشرى، وفي ظل الظروف طمع روجار الثاني في تملكها[7].

---

(1) مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص110.

(2) أحمد بك الأنصاري: المصدر السابق، ص166.

(3) ابن غلبون: المصدر السابق، ص50.

وعبد اللطيف محمد: **تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العهد العثماني**، دار صادر، بيروت، 1967، ص247.

(4) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص179، 180.

(5) الإدريسي: المصدر السابق ص73. أماري ميخائيل: المصدر السابق، ج2، ص287.

(6) أشار التجاني إلى أن امتداد هذا الصراع يعود إلى زمن رحيل الفاطميين إلى مصر، وبقيت تداعيات ذلك في اضطراب أحوال المدينة إلى عهد الحسن بن علي الزيري. ينظر: التجاني: المصدر السابق، ص241.

(7) ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص232.

وعندما تقرر غزوها كان المقدم على أسطولهم جورجي الأنطاكي الذي كان على معرفة مسبقة بالبلاد وجغرافيتها، ووصلت الحملة في 9 ذي الحجة من عام: 537هـ / 1142م[1]، ووصف ابن الأثير مجريات عمليات الغزو بقوله:« فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاليب في سوره ونقبوه، فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لأهل البلد، فقوي أهل طرابلس بهم، فخرجوا إلى الأسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة، وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالأسطول وتركوا الآلات والأسلحة والأثقال والدواب فنهبها العرب الهلالية وأهل البلد، ورجع الفرنج إلى صقلية »[2].

والظاهر أن من الأسباب التي ساعدت وحالت دون دخول المدينة وسقوطها في يد النورمان حصانتهارغم محاولاتهم العديدة، وهوما أشارت إليه جميع المصادر، يضاف إلى ذلك نجدة العرب لها، وهو ما كان له الأثر البارز في دحرهم والحصول على الغنائم الكثيرة، وإن فشل النورمان في تملك المدينة إلاّ أن ذلك لم يمنعهم من مواصلة التمدد والغزو لسواحل بلاد المغرب.

وازدادت هجومات النورمان بعد ذلك أكثر على سواحل إفريقية مما أدى إلى انتشار الرعب والاضطراب، ففي سنة: 540هـ / 1145م، تمكن روجار من الاستيلاء على جزيرة قرقنة[3] وسبى أهلها وباعهم في صقلية، وأذعن له الجمع بالسمع والطاعة[4]، وخالف بذلك كل العهود كما سبق، رغم أن الحسن بن علي الزيري صاحب إفريقية أرسل له رسالة يذكره بالعهود التي بينهم، فاعتذر له بأن سكان الجزيرة لا يطيعون الأمير، وأنه من الواجب معاقبتهم، والحد من قرصنتهم[5].

وفي سنة: 541هـ / 1146م، وردًا للاعتبار على الانهزام الذي مني به سابقا في محاولة غزو المدينةمن عام: 537هـ /1142م، مستغلاً في ذلك المجاعة التي قضت على الكثير من أهلها، وحملت الكثير منهم إلى الخروج من المدينة باتجاه صقلية[6].

---

(1) ابن غلبون: المصدر السابق، ص267.

(2) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص326.

(3) جزيرة في وسط البحر، موقعها بين قصر زياد وسفاقص بينها وهذه الأخيرة 10 أميال، كثيرة المياه والخيرات والغلات بها آثار للأولين، استولى عليها صاحب صقلية. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج4، ص329. الحميري: **الروض المعطار**، ص461.

(4) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص91. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص289.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص338. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص410. جورج مارسيه: المرجع السابق، ص257. توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص92.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص337. التجاني: المصدر السابق، ص241. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص410.

وضعف الدولة الزيرية في إفريقية وتقلص نفوذها خاصة في فترة حكم الحسن بن علي، واضطراب الوضع السياسي بطرابلس، بعد ثورة أهالي المدينة ضد بني مطروح[1] وإخراجهم منها، وقيام الصراع بين الطائفتين مما أدى إلى القتال وخلو الأسوار من الحراسة[2]، يقول النويري معلقًا على هذا قوله: « فلما نازلهم الفرنج أغارت تلك الطائفة على بني مطروح، فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الأسوار »[3].

وكان روجار قد أعد أسطولاً جمع فيه نحو مائتي مركب، وجعل عليه المقدم جورج الأنطاكي وسيره إليها، فأحاطوا بها برًا وبحرًا وحاصرها ثلاثة أيام[4] وتمكن النورمان من دخولها، وفي ذلك يقول النويري: « فانتهز الفرنج الفرصة، ونصبوا السلالم وصعدوا على السور، فملكوا المدينةقتلاً ونهبًاوسلبًا ولاذ معظمهم بالفرار »[5]، ليضيف ابن أبي دينار: « وملكوا المدينة عنوة بالسيف، فسفكوا دماء أهلها، وأخذوا نساءهم وأموالهم، وفر من قدر على الهروب، والتجأوا إلى العرب والبربر »[6].

وقد أشارت بعض المصادر[7] إلى عملية النهب التي واكبت احتلال المدينة من قبل روجار واستلائه عليها، إلا أن التجاني (ت717هـــ / 1317م) لم يشر إلى تعرض المدينة للنهب، بل أشار إلى أن جورجي الأنطاكي المقدم على الأسطول والاحتلال قد أحسن إلى أهلها بقوله: « قد أحسن قائده جرجي

---

(1) أسرة طرابلسية قربها حاكم طرابلس محمد بن خزرون بعد إسلامه الحكم عام: 488هــ /1067م، وأخذت بالعمل السياسي إلى جانبه، واستطاعت أن تسيطر على الأمور مستغلة ضعف بني خزرون، لدرجة أنها أن أزاحتهم، وسيطرت على المدينة. ينظر: ابن غلبون: المصدر السابق، ص49، 50. التجاني: المصدر السابق، ص241، 242. النائب الأنصاري: المصدر السابق، ص122، 123.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص232. النائب الأنصاري: المصدر السابق، ص122، 123، 498.

وشارل فيرو: **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، ترجمة وتحقيق: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات قاريونس، بنغازي، 1994، ص55.

والمصادر التي أشارت إلى الحادثة لم تذكر اسم الشخص الذي اختاره سكان المدينة، واكتفت بأنه من المرابطين، وأنه كان في طريقه للحج، والظاهر أن اختياره من طرف العلماء الذين كان لهم نفوذ كبير في المدينة كان على أساس ما ظهر عليه من علامات الصلاح والتقوى، ويتأكد ذلك من حادثة طلب النورمان ذم الموحدين على المنابر ورفضهم لذلك. ينظر:

- Ernest Mercier: Op.cit, P: 88.

(3) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج24، ص136.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص337. التجاني: المصدر السابق، ص241.

(5) **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج24، ص136.

(6) **المؤنس في أخبار إفريقية والمغرب**، ص91.

(7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص238. النويري: المصدر السابق، ج24، ص136.ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص232.

بن ميخائيل إلى أهلها، لما أضمره من تملك غيرها من البلاد الساحلية »[1]، ولا شك أن التجاني كان أشار إلى الأمان الذي أعلن عنه بعد غزو طرابلس.

وبعد ذلك نادى النورمان بالأمان وشرعوا في إصلاح شأنها، بعد أن استوثقوا أمرهم برهائن من أهلها، يقول ابن الأثير: « وأقام الفرنج ستةأشهر حتى حصنوا سورها، وحفروا خندقها، ولما عادوا أخذوا رهائن أهلها ومعهم بني مطروح والملثم، ثم أعادوا رهائنهم وولوا عليها رجلا من بني مطروح »[2].

وبعد أن تركوا الحكم بما في ذلك القضاء بيد أهالي المدينة، و لم يتعرضوا إلى ديانتهم في شيء، وفي ذلك يقول التجاني: « وولوا عليهم أبا يحي رافع بن مطروح التميمي، وجعل قاضيهم رجلا منهم يعرف بأبي الحجاج يوسف بن زيري صاحب التأليف المعروف « بالكافي في الوثائق »، فكان أحكام المسلمين كلها مصروفة إلى واليهم وقاضيهم، و لم يكن النصراني يتعرض لشيء من أحكامهم »[3].

وحاول النورمان الحفاظ على استقرار أوضاع المدينة، بأن تركوا الحكم بيد أسرة بني مطروح، ويرى الهادي روجي أن حكم النورمان لطرابلس كان بنظام شبه استقلالي، وهو ما كان معمولاً به في المدن الايطالية وصقلية بعد الغزو النورماني لها[4]، وبعد أن ولوا عليها أبا يحي بن المطروح التميمي، أخذوا رهائنه وحده واستقامت أمور المدينة وألزم أهل صقلية والسفن والروم بالسفر إليها فانعمرت سريعًا[5].

وازدهرت المدينة بفضل سياسة جورج الأنطاكي منفذ عملية الغزو الذي حافظ على النظام، وحاول استمالة السكان، وتمكن بفضل معاملته العادلة من كسب ثقتهم ورفض أن يتدخل في اختصاصات القاضي والوالي، وتم اختيار الوالي والقاضي من طرف السكان، وأطلق سراح المحتجزين كرهائن[6].

وتحققت مكاسب النورمان بعد احتلال طرابلس،وكان من أثر ذلك نشاط تجارة صقلية، مما أدى بالسلطة في صقلية إلى إصدار قرار تشجع فيه الهجرة إلى طرابلس، فأقبلت عليها من صقلية وغيرها، فنمت الحركة التجارية وانعكس أثر ذلك على مختلف النواحي[7].

---

(1) **رحلة التجاني**، ص241.

(2) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص338.

(3) **رحلة التجاني**، ص241، 242.

(4) **الدولة الصنهاجية**، ج1، ص412.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص338. التجاني: المصدر السابق، ص241، 242.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص338. ابن غلبون: المصدر السابق، ص50. شارل فيرو: المرجع السابق، ص55. ونجيب زبيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تقديم: أحمد ابن سودة، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ـــ لبنان، 1995، ص205.

(7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص338.

4 . محاولة الاستيلاء على قابس 542هـ / 1147م:

تطلع النورمان إلى احتلال مدن الساحل الإفريقي، ومنها مدينة قابس خاصة بعد تنامي قوتهم في صقلية في عهد حاكمها روجار الثاني (495 ــ 548هـــ / 1101 ــ 1154م)، ومما زاد في إلحاح النورمان في تحقيق هذا التطلع بعد ظهور الحزازات المحلية بين أهلها[1].

وكانت قابس بعد دخول رافع بن مكي[2] إلى القيروان تحت حكم محمد بن رشيد (ت 542هـــ / 1147م)[3] من بني جامع، والتي عرفت المدينة في عهده رخاءً أيسرًا لما كانت تختزنه من ثروات طبيعية متنوعة، وقد خلف محمد بن رشيد ولدين الأكبر يسمى معمرا والأصغر محمد، فعمد مولى له اسمه يوسف[4] قد غلب على دولته بعد وفاته، فعمد إلى تنصيب محمد الأصغر حاكمًا بدل أخيه الذي عهد له أبوه بالحكم.

واستغل معمرًا صغر سن محمد، فاستبد بالحكم وحدثت منه أشياء أهمها التعرض لحرم سيده محمد بن رشيد والعهد على ناقله، وكان من جملتهن امرأة من بني قرة فأرسلت إلى إخوتها تشكو إليهم ما هي فيه، فجاء إخوتها لأخذها فرفض أن يسلمها لهم بحجة أنها حرم سيده فسار بنو قرة ومعمر بن رشيد إلى الحسن بن علي الزيري صاحب المهدية ويشكون ما اقترفه يوسف[5].

وبعد أن سمع الحسن بن علي الزيري شكوى بني قرة ومعمر بن رشيد ما فعله يوسف، كاتبه بأن يكف عما يفعل، وأن يعيد الحكم إلى معمر حسب وصية والده، فلم يجبه يوسف، واكتفى بالتهديد

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص346.

(2) رافع بن مكي بن كامل بن جامع الرياحي، حكم بعد أبيه مكي، ساءت العلاقة بينه وبين علي بن يحي الزيري بعد رفضه إجراء السفن في البحر، فاستعان رافع بروجار الثاني على علي بن يحي. ينظر ترجمته في: التجاني: المصدر السابق، ص97، 98. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص89.

(3) محمد بن رشيد من بني جامع، من قبائل رياح أحد القبائل الهلالية التي أرسلها الجرجاني وزير المستنصر بمصر على المعز بن باديس، أورد ابن الأثير وفاته في خضم أحداث سنة: 542هـــ / 1147م، والظاهر أنه توفي قبلها سنة: 541هـــ / 1146م). ينظر ترجمته في: ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص346. ابن خلدون: المصدر السابق،ج5، ص232.

(4) كان يوسف مولى لمحمد بن رشيد حاكم قابس قد استغل خروج محمد بن رشيد لمواجهة عدو له، وخرج على وصية محمد بن رشيد وطرد نائبه، ونصب نفسه حاكمًا على قابس، وأعلن طاعته لروجار. ينظر: التجاني: المصدر السابق، ص100.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص346. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص232. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،ج1، ص413. أماري ميخائيل : المرجع السابق، ص500.

ويراجع: إلهام حسين دحروج: **مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية**، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب والدراسات العليا، 1421ه/ 2000م، ص86.

بإدخال الإفرنج إلى قابس على حسب تعبير ابن خلدون[1]، والتسليم على حد تعبير ابن الأثير بقوله: « لئن لم يكف الحسن عني، وإلا سلمت قابس إلى صاحب صقلية، فجهز العسكر إليه»[2].

ولما علم يوسف (حكم بعد سنة 542هـ / 1147م) بجدية الحسن في الخروج إليه، أرسل إلى روجار صاحب صقلية بالطاعة ويمنيه حكم قابس والخضوع تحت حكمه، كما ولي بنى مطروح في طرابلس[3] وقال له: « أريد منك خلعه وعهدا بولاية قابس لأكون نائبًا عنك، كما فعلت مع بني مطروح أصحاب طرابلس »[4].

وإذا كان ابن الأثير وابن خلدون أوردا أسباب دخول يوسف إلى تهديد الحسن له، فإن ابن أبي ديناريربط ذلك بدخول النورمان لطرابلس وتخوفهم منها، وذلك بقوله: « ولما ذاع خبر طرابلس خافته جميع البلاد الإفريقية، وكتب إليه صاحب قابس يتضرع إليه ويتلطف وسلم له ما تحت يديه ورضي أن يكون عاملا له »[5]، فما كان على روجار إلا أن وافق على قبول دخول يوسف تحت طاعته وأن يحكم باسمه، فبعث إليه بالخلعة والعهد فلبسها، وتم قراءة العهد بحضور جمع من الناس[6].

والظاهر أن يوسف حسب ما ذكرته المصادر[7] يريد تملك المدينة والحفاظ على منصبه كحاكم بالنيابة، وقدم له مثال ذلك الحكم في طرابلس بعد أن خضعت لسيطرتهم، وقد حصل على القبول والمرافقة من قبل روجار، وجرى بما يشبه تقليد الحكم، وفي ذلك يقول ابن أبي دينار: « فكتب له سجلا بذلك، وبعث له ما يتشرف من تشاريف النصارى، وجبي أموال قابس من تحت طاعته »[8].

وبذلك تهيأت الفرصة للنورمان لاحتلال قابس، وهو ما كانوا ينتظرونه منذ زمن طويل، ويراقبون الأحداث، لذا لم يتوان روجار في فرض الحماية وإرسال العهد والخلعة ليقرأ في بيان رسمي بأن قابس قد أصبحت قلعة نورمانية، وأنه أصبح عاملا عليها[9].

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص232.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص346.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص232.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص347.

[5] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص91.

[6] ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص347.

[7] المصدر نفسه،ج9، ص347.

[8] **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص91.

[9] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص347.إلهام حسين دحروج: المرجع السابق، ص86.

وقد ذكر ابن الأثير أن صنيع يوسف بإقدامه على إعلان الطاعة للنورمان قد أثارغضب الحسن بن علي الزيري (515 ــ 543هــ / 1121 ــ 1148م)، تأتي ربما تلبية لطلب معمر أو ردا للاعتبار بعد الإساءة التي تعرض لها من قبل رسول الحسن بعد أن التقيا في صقلية وتملكيه المدينة للنورمان[1].

لذلك جهز الحسن جيشًا لتأديب يوسف بقيادة حرز بن زياد وساندته جموع العرب، وتحركوا باتجاه قابس سنة: 542هــ /1147م، ولما وصلوا ضربوا عليها حصارًا، وثار أهل قابس على يوسف لطاعته للفرنج وسلموا المدينة لجيش الحسن، وتحصن يوسف بالقصر، وتمكنوا من فتح القصر ودخوله، وقبض عليه أسيرًا، فتولى معمر بن رشيد وبني قرة تعذيبه، وقطعوا مذاكره وعذب أشد العذاب[2].

ومما ساعد الحسن في تحقيق انتصاراته تدعمه بقوة من العرب عند تحركه، ثم ثورة أهل قابسٍ لكره العامة لموالاته للنورمان، وتباطؤ روجار لنصرته، وهو ما يفسر بالشعور بالحماس المتأجج بالغضب من تملك الفرنج أو حتى الاتصال بهم، سواء في المهدية بعد القبض على رسول يوسف، أو عند وصول جيش الحسن إلى قابس[3].

وبذلك تمكن جيش الحسن من القضاء على التمرد الذي أعلن عنه من قبل حاكمها، ودخوله تحت طاعة روجار الثاني[4]، وإن كان هذا التمرد لم يكن من طرف أهل قابس ودليل ذلك إنكارهم لما قام به يوسف، وإمكانهم المدينة لجيش الحسن الزيري[5].

واتجه أولاد يوسف وأخوه عيسى إلى صقلية قاصدين روجار، واستجاروا بهوشكوا إليه ما لقوه من الحسن، واعتبر روجار ذلك خيانة للعهد والصلح من طرف الحسن فغضب لذلك، فخرج بأسطولهِ لحصار قابس فحاصرها مدة ثم رجع[6].

---

(1) كان يوسف صاحب قابس قد أرسل رسولاً إلى روجار صاحب صقلية، فاجتمع هو والحسين رسول صاحب المهدية عنده، فجرى بين الرسولين مناظرة، فذكر رسول يوسف الحسن ونال منه وذمه، ثم أنهما عادا في وقت واحد وركبا البحر كل واحد في مركبه، فأرسل رسول الحسن جماعة من أصحابه في البحر، فأخذوا رسول يوسف وأحضروه عند الحسن فسبه، وقال ملكت الفرنج بلاد الإسلام وطولت لسانك بذمي، ثم أركبه جملاً وعلى رأسه جلاجل، وطيف به في البلد ونودي عليه هذا جزاء من سعى أن يملك الفرنج بلاد المسلمين، فلما توسط المهدية ثار به العامة فقتلوه بالحجارة. ينظر ابن الأثير: المصدر السابق، ج9،ص347.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9،ص347. التجاني: المصدر السابق، ص100. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص91.

(3) إلهام حسين دحروج: المرجع السابق، ص87.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص347.

(5) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص358.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9،ص347.التجاني: المصدر السابق، ص100.ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص233.

ولم يحقق الأسطول الصقلي في قابس أي نتيجة لأن أكبر قسم منه كان بصدد القتال ضد الإمبراطورية البيزنطية[1]، وتأجيل أمر قابس إلى حين الانتهاء من هذا، فكان إخضاع الحسن لقابس من المبررات التي دفعت روجار الثاني إلى نقض الصلحِ والعهد مع روجار، واحتلال المهدية[2].

5 . احتلال المهدية 543هـ / 1148م وعوامل سقوطها:

سبقت الإشارة إلى أن النورمان كانوا يتطلعون إلى الاستيلاء على الساحل الإفريقي، وازداد إلحاحهم في الاستيلاء على المهدية[3] بعد الاستيلاء على طرابلس سنة: 541هـ /1146م، إذ تحولت غاراتهم من أعمال قرصنة مؤقتة إلى شن حملات منظمة تستهدف الاستيلاء على عاصمة الدولة الزيرية المهدية[4].

وكانت تربط روجار صاحب صقلية والحسن بن علي الزيري صاحب المهدية معاهدات صلح وتعاون، لذا لم يتورع الحسن الزيري بالاستعانة بروجار وطلب النجدة بعد إقدام يحي بن عبد العزيز الحمادي (515 ــ 545هـ / 1121 ــ 1152م)، على محاولة احتلال المهدية، التي حاصرها برًا وبحرًا، بعد استعانة أهلها به وأطمعوه في تسليم البلد له ضد الحسن، الذي أرسل بهدية إلى روجار وصالحه مخافة شره[5]، وكان روجار قد لبى طلب النجدة، وأرسل أسطوله فارتحل منها مطرف قائد الأسطول، وفي ذلك يقول صاحب الحلل السندسية « فاستمدّ الحسن روجار فأمده بأسطوله »[6].

وأمر مقدم الأسطول أن يقف عند أمره ونهيه، لكن الحسن بن علي (515 ــ 543هـ / 1121 ــ 1148م) رفض سفك دماء المسلمين وارتحل أسطول يحي، وكتب الحسن بعد ذلك إلى روجار يشكره على صنيعه، وأنه دخل تحت أمره ونهيه، فتأكدت بينهما المخالطة[7].

---

(1) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص415. إلهام حسين دحروج: المرجع السابق،ص87.

(2) جورج مارسيه: المرجع السابق، ص258.

(3) بشأن مشروع احتلال المهدية، كانت المدن الإيطالية بيزةPisa وجنوةGénes قد قدمت عرضًا لروجار الأول للاحتلال مدينة المهدية فرفض العرض، لأنه كان يسعى إلى إقامة علاقات حسنة مع بني زيري ورفض،لكن خليفته روجار الثاني حافظ على سلمية العلاقات المتوسطية التي كانت مؤجلة إلى حين. ينظر:

ـ Hubert Houben: op.cit, P: 88.

(4) ابن أبي دينار:المصدر السابق، ص93. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص501.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص215.

(6) الوزير السراج: المصدر السابق، ص246.

(7) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص90. الوزير السراج: المصدر السابق، ص246.

ويقدم الباحث سليم فراس يحياوي في تحليل لهذا الوضع، أن إقدام الحسن بن علي الزيري (515 ــ 543هــ /1121 ــ 1148م) على طلب الصلح إنما كان بعد أن ساءت أحوال المملكة الزيرية، وأن الحسن قد تخلى عن واجبه في الدفاع عن وطنه وتحالف مع روجار ضد أبناء عمومته، وكان الأجدر به أن يتحالف مع بني عمه على العدو المشترك، وأصبح روجار بذلك يسيطر على جميع أوضاع مملكة بني زيري السياسية والإقتصادية، خاصة بعد حاجة المملكة إلى القمح الصقلي، وأصبحت مملكة بني زيري بمثابة محميةنورمانية، وتوجت بمعاهدة كانت في ظاهرها وباطنها لصالح النورمان[1].

ومن جهة أخرى تؤكد بعض المصادر التي تناولت الواقعة، أن الحسن هو من أرسل بهدية إلى روجار وكاتبه ولاطفه طالبا الصلح وكان روجار قد اشترط شروطًا وقبلها الحسن ومنها أن يكون عاملا من عماله[2].

ويرى الباحث الهادي روجي إدريس أن كلا الطرفين كانا يرغبان في الصلح، ذلك أن حكومة المهدية كانت في حاجة إلى القمع الصقلي، وكانت تخشى القتال على واجهتين، وفي نفس الوقت كان روجار يرى أن احتلال المهدية لم يحن بعد والتفرغ لاحتلال المناطق المجاورة لها ليسهل المهمة المنتظرة[3].

لم ينس روجار هزيمة جزيرة الأحاسي وحصن الديماس التي مني بها على يد القوى المتحالفة من بني زيري والعرب الهلالية، وكذا اعتداءات الأسطول المرابطي على مدنية نوقطرة Nicotra، لذا سعى إلى إقامة تحالف مع كونت برشلونة ريموند الثالث في محرم 522هــ / جانفي 1128م، ثم مع أمير سافونا الواقعة شمال إيطاليا سنة 522هــ/ 1128مكرد فعل لتحالف بني زيري مع المرابطين[4].

وحاول روجار إقامة عهود مع حكام بني زيري وتفرغ لتأديب غزاة البحر، وترك المهدية وشأنها مؤقتًا[5]، مع إعداد خطة مستقبلية، فعمل على مهاجمة المناطق المجاورة للحدود الزيرية، بحجة معاقبة القراصنة، باستيلائه على جربة وطرابلس وسفاقص وجيجل ومدينتي برشك وقرقنة، وفي كل هذه الظروف كان بنو زيري منهمكين في مواجهة بني حماد الذين وصل تهديدهم إلى حصار المهدية[6].

---

(1) **الغزو النورماني للساحل الإفريقي (تونس وليبيا) في القرن السادس الهجري**، ص100.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص24. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص90. الوزير السراج: المصدر السابق،ص246.

(3) **الدولة الصنهاجية**، ج1،ص402.

(4) التجاني: المصدر السابق، ص339.

(5) ابن خلدون:المصدر السابق،ج5،ص231. ابن أبي دينار: المصدر السابق،ص90.

(6) التجاني: المصدر السابق، ص339، 340. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص312. ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص235. جورج مارسيه: المرجع السابق،ص257.

وتقرب روجار إلى بني زيري بعد أن طلبوا النجدة من بني عمومتهم، وهي مشاكل داخلية استفاد منها النورمان والتي أدت إلى التقليل من فاعلية الأسطول الزيري، وفتح المجال واسعا أمام الأسطول النورماني في المنطقة[1].

وإن كان التحالف بين روجار الثاني والحسن بن علي الزيري الذي كان مؤقتًا عند روجار حتى تحين الفرصة السانحة، فإنه وفي سنة: 536هـ / 1142م، كتب جواسيس روجار بالمهدية يعلمونه أن بمرساها مراكب قد استوفت وسقها، فأمر جورجي الأنطاكي قائد الأسطول بالهجوم عليها وأخذها، وكان الحسن قد شحنها بذخائر ملوكية ليوجهها إلى الحافظ العبيدي بمصرففعل ذلك وحملها إلى صقلية[2].

ونقض روجار معاهدة الصلح والسلم مع الحسن إذانًا منه لاحتلال المهدية، وتحقيق أمانيه في غزو افريقية، خاصة وأنها تزامنت والظروف مع الحركة التي ظهرت في أوروبا والتي يتزعمها القديس برنارد التي تنادي بالحرب المقدسة ضد المسلمين، ورأى روجار في نفسه وهو الساعي إلى تحقيق سمعة في الأوساط المسيحية، باحتلال أحد قلاع المسلمين وهي افريقية[3]، مستغلاً في ذلك الظروف التي كانت تعرفها ومنها على وجه الخصوص ارتفاع الغلاء بسبب الجفاف الذي ضرب افريقية، والذي أضعف جيش الحسن وأهلك خيله، وتناقص سكان المهدية بعد هجرتهم إلى صقلية[4]، ولقد استغل حادثة مقتل أمير قابس يوسف، الذي دخل تحت طاعته على يد معمر بن رشيد بعد أن استعان بالحسن وجمع من الأعراب، فانتقل أخو يوسف إلى صقلية، وأعلم روجار بذلك فقرر روجار غزو صقلية[5].

وبعدها جهز روجار أسطولاً يريد غزو المدينة فتحرك نحو جزيرة قوصرة Cossyra سنة: 543هـ /1148م، وقد بلغ عدد مراكبًا الأسطول 250 مركب،فصادفوا مركب من المهدية وأحضر بين يدي جورجي الأنطاكي فسألهم عن حال افريقيةووجدوا فيه قفص حمام، وسألهم هل أرسلوا منه شيئا فحلفوا بأنهم لم يرسلوا، فأمر الرجل الذي كان الحمام بصحبته أن يكتب بخطه، أنه لما وصلنا جزيرة قوصرةوجدنا بها مراكب من صقلية، فسألناهم عن الأسطول المخذول، فذكروا أنه أقلع إلى جزائر القسطنطينية[6].

---

[1] توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1،ص93.

[2] التجاني: المصدر السابق، ص241. محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص484.شكيب أرسلان: **الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية**، تحقيق: محمد المهدي الحبابي، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936م، ص246.

[3] رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص340.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص350. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص91.

[5] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص91. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص292.

[6] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص350. محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص485.

وإحكامًا للخديعة كتب صاحب المركب بخط يده وتحت الضغط بأن أسطول النورمان قد اتجه نحو القسطنطينية في محاولة من جورجي الأنطاكي أخذ المهدية فجأة وأطلق الحمام.

ووصل الحمام المهدية وانخدع الحسن بن علي الزيري والناس معه، وفرحوا واستبشروا، وأراد جورج الأنطاكي أن يأخذ الحسن على حين غرة في وقت السحر، لكن الريح عاكستهم فطلع النهار، فلما رأى الخديعة فاتته أرسل مقدم الأسطول إلى الحسن يعلمه بأن سبب مجيئنا إنما هو طلب ثأر محمد بن رشيد صاحب قابس، وأما هو فتربطه عهود ومواثيق، والحرص على تمديد تلك العهود وتجديدها، لكن الحسن أدرك تلك الخديعة، فجمع الفقهاء والأعيان فأشاروا عليه بالدفاع، لكنه ارتأى عدم المواجهة وقدم مبررات لذلك، والرأي في نظره الخروج من البلد[1].

دخل النورمان المهدية من غير مانع ولا مدافع، وملك مقدم الأسطول جورجي قصر الحسن بن علي وذخائر، وكان ذلك في صفر سنة: 543هـ /1148م، مستغلا فراغها من الجند المدافع[2].

وكان هذا الفراغ سببه أن جزءًا من عسكر الحسن بن علي قد توجه لنصرة محرز بن زياد الفادغى صاحب علي بن خراسان صاحب تونس، كما أن الغلاء الذي ضرب إفريقية قد أضعف جند الحسن وأهلك خيله[3].

كما أن قرار الحسن بن علي بالخروج طلبًا لسلامة الناس، قد جعل الكثير من الناس يخرجون من المدينة بأهاليهم وما خف من أموالهم وأثاثهم وخلت المدينة من القوة المدافعة عنها من السكان فلم يجد النورمان أي مقاومة تذكر[4]، وفي ذلك يقول ابن كثير: « وملك الفرنج المهدية، وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بأهله وحمل ما خف من أمواله فتمزق في البلاد، وأكلتهم الأقطار...، فدخل الفرنج إليها

---

(1) التجاني: المصدر السابق، ص340. محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص486. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص293.

ومن المبررات التي قدمها الحسن بن علي الزيري، إمكانية تعرضهم للحصار برًا وبحرًا، وعدم وجود القوت الكافي لمواجهة الحصار شهرًا واحدًا، وإمكانية طلب روجار جندًا لنصرة قابس، ولا يكمنه التملص من ذلك للعهود التي تربطهما، وضمانًا لسلامة المسلمين، والتحجج بعدم القدرة على المواجهة، والأسلم من كل هذا هو الخروج من البلد والنجاة. ينظر: ابن الأثير المصدر السابق، ج9، ص350.

(2) النويري: المصدر السابق، ج24، ص137.المطوي محمد العروسي: المرجع السابق، ص224.

(3) التجاني: المصدر السابق، ص341. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص215.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص351.

وخزائنها مشحونة بالحواصل والأموال، والعدد وغير ذلك »[1]، وبعد أن نهبت المدينة نودي بالأمان وحسنت أحوال الناس، فأمنوا ورجعوا[2]، وسكت الثائرة، وأحسن عمرانها[3].

ولقي جورجي الأنطاكي أولاد الحسن وأهله، فأحسن إليهم وأرسلهم إلى صقلية، ودفع للتجار رؤوس أموال، وشمل إحسانه الفقهاء، وعيّن قاضيًا يحكم بين الناس بعد رضا وقبولٍ من السكان[4].

ويمكن القول بأن من أهم العوامل التي ساهمت في سقوط المهدية عِلم روجار بأحوالها وأسطولها من خلال جواسيسه، واستغلاله للخلاف الناشب بين الحسن وابن عمه يحي بن المعز صاحب بجايةالذي حاصر المهدية، واستعانة الحسن بروجار لفك الحصار، واستعدادات الحسن المبكرة للاستسلام بدل الدفاع والمواجهة، وانصراف معظم عساكر الحسن لمواجهة ابن خراسان[5]، والتحاق جورجي الأنطاكي بخدمة روجار[6]، فضلاً عن حالة أجور الجنود الإفريقيين الزهيدة فسرعان ما تقلص عددهم وهلك خيلهم[7].

وترتب عن سقوط المهدية في يد النورمان، زوال دولة بني زيري بخروج الحسن بن علي الزيري من المهدية سنة: 543هـ / 1147م[8]، إلى قسنطينة[9]، وكان بها سبع بن عبد العزيز صاحب بجاية الذي

---

(1) **البداية والنهاية**، ج16، ص347.

(2) النويري: المصدر السابق، ج24، ص137.

(3) الباجي المسعودي: المصدر السابق، ص52.

(4) ا بن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص351. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص215.

(5) بني خراسان بتونس (447 ــ 559هـ / 1055 ــ 1173م) من صنهاجة، ثاروا على بني زيري عند دخول العرب، وكان مبدأ أمرهم عندما انتقل المعز بن باديس من القيروان إلى المهدية، بعد أن اختل ملكه باستحواذ العرب على حواضر تونس، فانقطعت تونس عن ملك المعز، ووفد مشائخها على الناصر بن علناس، فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان، واستمرت هذه الدولة إلى أن سقطت في عهد علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان، عندما زحف عبد المؤمن على تونس، ودخلت بذلك تحت حكم الموحدين سنة: 555هـ /1160م. ونزل أهلها عند شروط عبد المؤمن، ومنها مسالمتهم في ومشاطرتهم في رباعهم وأموالهم، وخروج حاكمها علي بن أحمد بن خراسان من تونس إلى بجاية. ينظر:التجاني: المصدر السابق، ص341 ــ 346. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص217 ــ 219.

(6) الوزير السراج: المصدر السابق، ص246، 247.

(7) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص417.

(8) النويري: المصدر السابق،ج 24، ص24.

(9) من مدن إفريقية المشهورة،وهي قلعة كبيرة فيها آثار للأول حصينة عالية، وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب، لها طريق اتصال بآكام متناسقة جنوبيها، تمتد منخفضة حتى تساوي البحر، كثيرة الأموال والخيرات والأسواق وأحوال أهلها ميسورة،وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية مغربيين في طلب الكلأ،وتزاور عنها قلعة بني حماد ذات الجنوب في جبال أراض وعرة.ينظر الإدريسي: المصدر السابق، ص63. البكري: المصدر السابق، ص63. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص349.

أرسله إلى جزائر بني مزغنة[1]وأقام بها في كنف الموحدين[2]، وكان التجاؤه إلى سلطان الموحدين لإنقاذ بلاده من خطر النصارى[3]، ثم بعث روجار أسطولاً إلى مدن الساحل الإفريقي فاستولى عليها حتى ملكها تمامًا من طرابلس الغرب إلى قريب تونس بعد اندحار أهلها[4]، ثم اتخذها قاعدة لتحركاته البحرية، وشن الغارات على ما يليها من البلاد[5]، وأصبحت إفريقية نهبًا مقسومًا بين النورمان في السواحل، والعرب في الدواخل وبذلك زالت الدولة الصنهاجية من افريقية[6].

وأصبح حكام بنو زيري بالاسم فقط،وتلقى الزعماء العرب استثمارهم من صقلية أما بالنسبة للناس فأجبروا على دفع الضرائب، بما يعرف بضريبة الرؤوس للنورمان لبعض الوقت والتخلص منها[7].

6. مد النفوذ إلى سوسة وسفاقص(543هـ /1148م):

تحرك النورمان لاحتلال مدينتي سوسة وسفاقص له عدة دوافع، فمدينة سوسة ذات موقع إستراتيجي فهي تقع على ساحل البحر وقريبة جغرافيا من صقلية، ويبين صاحب الاستبصار ذلك القرب بقوله:« ترى دورها من بحر صقلية »[8]، ومدينة سوسة قريبة من مدينة سفاقص بمسيرة يومين[9]، وإذا كان لمدينة سوسة أهمية إستراتيجية لموقعها الجغرافي الساحلي، فإن مدينة سفاقص تعتبر منطقة نفوذ استراتيجي لأنها الممون الرئيسي بالمنتوجات الزراعية، وقد ارتبطت بصقلية تجاريًا[10].

---

(1) مدينة قديمة جليلة البنيان على ساحل البحر، لها أسواق كثيرة ومسجد جامع، وكانت دار للملك فيما سبق من الأمم، وجدت بها كنسية عظيمة، لم يبقى منها سوى جدران مدير من الشرق إلى الغرب خلال القرن 4هـ/10م)، وبها مرسى مأمون تقصده السفن من إفريقية والأندلس. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق،ص77، 78. الإدريسي: المصدر السابق، ص66. مؤلف مجهول: **الإستبصار**، ص133.البكري: المصدر السابق، ص65، 66.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص215.

(3) التجاني: المصدر السابق، ص342. محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص225.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص352. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص213. القلقشندي: المصدر السابق، ج5،ص125. إسماعيل سيرهنك: **حقائق الأخبارعن دول البحار**، ط1، مطبعة الأميرية، مصر، 1312هـ، ص409.

(5) إلهام حسين دحروج: المرجع السابق، ص88.

(6) عبد الوهابحسن حسني: **خلاصة تاريخ تونس**، ص84.

(7) Ernest Mercier: Op.cit, P: 90.

(8) **الاستبصار**، ص119.

(9) الحموي: المصدر السابق، ج 3، ص282.

(10) فهي الممون لها وللروم بالزيتون، وذلك لوفرته وطيبته، وأكد على ذلك صاحب الاستبصار بقوله: « غابة كثيرة من الزيتون وزيتها أطيب من كل زيت...، تحمله المراكب إلى بلاد الروم، وعليه معول أهل صقلية وإيطالية...، وجميع سواحل الأرض الكبيرة لكثرته وطيبته، وقد كانوا ملكوا هذه الجهات الساحلية ». ينظر: **الاستبصار**، ص116، 117.

وإذا كان النورمان قد أدركوا أهمية الموقع الساحلي لسوسة، ورغبتهم في الحصول على خيرات سفاقص من مادة الزيتون، فإنهم استغلوا تواجدهم ببلاد المغرب بعد احتلال المهدية، حيث تطلّع منفذ الاحتلال جورجي الأنطاكي وزاد إلحاحه في التوسع أكثر، مستغلا تلك المجاعة التي حلت ببلاد المغرب، والتي امتدت بين سنوات (542 ــ 543هـ / 1147 ــ 1148م)، حيث دفعت بسكان المدينتين إلى الهجرة، إضافة إلى تخوفهم بعد سقوط هذه المدن في يد النورمان[1].

ولما فرغ جورجي من أمور المهدية، وبعد انقضاء أسبوع سيّر المذكور أسطولين أحدهما إلى سفاقص والآخر إلى سوسة، فلم يجد النورمان أية مقاومة تذكر، لأن أهلها لما سمعوا خبر سقوط المهدية وكان واليها علي بن الحسن الأمير الذي خرج إلى أبيه وتبعه الناس، فدخلها النورمان دون قتال في الثاني عشر صفر عام: 543 هــ /1147م[2]، ونهبوها وعاد إليها أهلها بعد ذلك[3].

وتفسير هذه الانهزامية جاءت بعد سقوط المهدية عاصمة الدولة مقر الحكم وتخوفهم من قوة النورمان، وإما لعدم وجود سلطة فعلية لدى حاكمها، لأن الباحث الهادي روجي إدريس يعتقد أن سلطان سوسة كان بالاسم فقط لعلي بن الحسن الزيري (515 ــ 543هــ /1121 ــ 1148م)، أما السلطة الفعلية فكانت لحاكم مطلق النفوذ من بني رياح، لكنه لم يذكر اسمه[4].

واستند في ذلك إلى قول التجاني:« وتوالت على سوسة بعد ذلك أمراء من العرب ملكوها حين استولوا على البلاد وانتزعوها من أيدي صنهاجة، واستقرت آخرا تحت ملك جبارة بن كامل بن سرحان بن أبي العينين...، ومن يده أخذها النصارى حين أخذوا المهدية من الحسن»[5].

وسير جورجي الأنطاكي أسطولاً إلى سفاقص من المهدية، وضرب حصارًا على المدينة التي استعصت عليه لحصانتها ووصول القبائل العربية لنجدتها، لكن مع الوقت اهتدى النورمان إلى طريقة خادعة، حيث تظاهروا بالفرار فتبعهم أهل المدينة حتى ابتعدوا عنها، لكن سرعان ما انعطفوا عليهم وحالوا بينهم وبين دخول المدينة، فتفرق الناس بين من رجع إلى المدينة ومن فر إلى مناطق أخرى، ودخل النورمان المدينة في 23 صفر سنة: 543هــ /1147م، بعد قتال شديد وأسر من نجا من الموت، ثم نودي

---

[1] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص313. النويري: المصدر السابق، ج24، ص136.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص352. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص292.

- Ernest Mercier: Op.cit, P: 90.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص352. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص92.

[4] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،ج1، ص419.

[5] **رحلة التجاني**، ص30.

بالأمان، فعاد أهلها إليها، وافتكوا حريمَهم وأولادهم ورفق بهم وفرضت عليهم الجزية، وبعد ذلك وصلت إلى أهل إفريقية بالأمان والمواعيد الحسنة[1].

وقد تميزت مدينة سفاقص عن مدن الساحل المغربي في إبداء روح المقاومة والإستماتة في مواجهة النورمان، ورفض التسليم بعد الحصار الذي ضرب، ويعتقد أن هناك مفاوضات على التسليم، مستغلين في ذلك حصانتها الطبيعة والاستعانة بالعرب الهلالية الذين كان لهم دور في تحريك سكان سفاقص على المواجهة والتصدي ورفض التسليم، و لم يتملكها النورمان إلى بعد استماتة أهلها.

واللافت في الأمر أن العرب الهلالية المقيمين بالقرب من سفاقص رفضوا الاستسلام، ويفسر ذلك ربما أن سكان سفاقص كانوا يدفعون لهم الإتاوة والمستفيدين اقتصاديا من المدينة، أو كانوا في ولاء، وهذا خلافًا من موقف العرب عند سقوط المهدية الذين دخلوا في طاعة روجار بعد سقوط المدينة وأورد ابن أبي دينار (ت 1110هــ/1698م)نصًا بشأن ذلك بقوله: « وجاءته وفود العرب وأكابرهم فدخلوا في طاعته »[2].

وبعد أن تمكن روجار من دخول سفاقص أسكن بها جماعة من النصارى عند إحتلالها، وأخذ رهائن عنهم نذكر منهم العلامة أبو الحسن الفرياني، وفي ذلك يقول التجاني:«فملكها وأمن أهلها، وأسكن بها جماعة من النصارى الذين افتتحها بهم، وحصل منها على رهائنٍ منهم شيخ البلد وصالحه أبو الحسن الفرياني، وبقي ولده عمر أبي الحسن متصرفا في أعمال البلد»[3].

ويفهم من النصارى التي توردها المصادر الإسلامية المسيحيين الذين ساندوا الحملات النورمانية على هذه المدن، والمعنى الثاني هو المقصود وهم النورمان كشعب من الجند والسكان القليلة العدد الذين تركوا بهدف تثبيت الوجود بالمدن في شكل حاميات عسكرية وأخذ الرهائن، وهي الطريقة التي كان يلجأ إليها النورمان عقب كل احتلال في محاولة منهم لإبقاء المناطق المحتلة تابعة لهم.

وكان أبو الحسن الفرياني قد أظهر العجز بكبر سنه، فأخذ والده كرهينة إلى صقلية، فلما أراد المسير قال أبو الحسن لولده:إني كبرت في السن، واقترب أجلي، فمتى أتتك الفرصة للخلاف على العدو فافعل، واحسب أني قدمت[4]، وهو ما سيكون سببًا في إندلا ع الثورة بعد تهيأ الظروف ببلاد المغرب.

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص352. النويري: المصدر السابق، ج24، ص136. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص234. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص92. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص296.

[2] **المؤنس في أخبار إفريقية والمغرب**، ص92.

[3] **رحلة التجاني**، ص74، 75.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق،ج 9، ص402 .

وبعد ظهور الموحدين كقوة ناشئة وإنهائهم لسلطة بني حماد سنة: 548هـ /1152م، أنفت القبائل الهلالية المستقرة في شرق الجزائر من الدخول تحت سلطة الموحدين، ولما علم روجار الثاني بحالهم أرسل إليهم يغريهم بالمواجهة، ويعدهم بالمدد فرفضوا ذلك،وفي ذلك يقول ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م): « واتصل الخبر بالملك الفرنجي صاحب صقلية، فأرسل إلى أمراء العرب وهم محرز بن زياد، وجبارة بن كامل، وحسن بن ثعلب، وعيسى بن حسن وغيرهم، يحثهم على لقاء عبد المؤمن، ويعرض عليهم أن يرسل إليهم خمسة الآلاف من الفرنج يقاتلون معهم على شرط أن يرسلوا إليه الرهائن، فشكروه وقالوا مالنا به حاجة ولا نستعين بغير المسلمين »[1].

وهو ما يؤكد الدور الإيجابي الذي لعبته القبائل الهلالية في نصرة ساكنة بلاد المغرب أولاً، ثم امتناعهم عن موالاة النورمان ضد الموحدين ثانيا، ويأتي تخوفهم من توسع الموحدين على الأراضي التي كانوا يسيطون عليها، وعزم الموحدين على ترحيلهم، ورغم هذا رفضوا المساعدات التي قدمت لهم من طرف النورمان لمواجهة الموحدين.

وترتب عن سيطرة النورمان على سواحل المغرب زيادة نشاط الحركة التجارية بين صقلية وبلاد المغرب، وانتقال مراكز التجارة بين مدن المغرب من مدينتي سفاقص والمهدية التي كانتا من المراكز التجارية الكبرى لتفقد هذا الدور وتقوده سوسة وتونس إلى جانب بجاية الحمادية[2].

المبحث الرابع: ردود الفعل المختلفة على الغزو والاحتلال النورماني

بعد أن تمكن النورمان من غزو واحتلال مدن الساحل المغربي، تميز حكمهم بتعيين ممثلين عنهم وأخذ رهائن لضمان الولاء، وترك حاميات عسكرية في المدن ذات الأهمية الإستراتيجية، لم يرض ساكنة بلادِ المغرب التبعية والسيطرة، وظلت فكرة التحرر والإنعتاق تراودهم، فاستفادوا من اضطراب أوضاع صقلية الداخلية والخارجية، وظهور زعامات وطنية ببلاد المغرب رفضت الولاء وتبنت فكرة الانتفاض، التفوا حولها وأعلنوا الثورة على النورمان.

وقد تميزت فترة حكم روجارالثاني (495 ـ 548 هـ / 1101 ـ 1154م) لصقلية وبلاد إفريقية بالأمن والرخاء والهدوءالذي ساد المناطق الخاضعة له، لما عرف عنه من حكمة وتبصر وتسامح في القضايا الدينية والقضائية والإدارية[3].

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص390.

(2) عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص318، 319.

(3) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص68.

لكن في ما يبدوا أن الأمر لم يدم على تلك الحالة، فبوفاته أواخر سنة: 548هـــ / 1154م، خلفه ابنه وليام (549 ــ 559هـــ / 1154 ــ 1166م) الذي لم يكن ذا دراية بشؤون الحكم مثل أبيه، وكان عهده مليئًا بالاضطرابات فقد تولى العرش في ظل ظروف عصيبة، حيث ثار عليه أتباعه الإقطاعيون نتيجة انفراد وزيره مايوني بن باريMaio Ma Jone[1] بالسلطةوإرهاق السكان بالضرائب، وظهرت في عهده ثورات بإثارة وتحريض من البابا، حيث تمكن من مواجهتها، واستغرق ذلك ما يزيد عن السنتين، ومن إخماد الثورة التي اندلعت في بلرموا سنة: 554هـــ / 1161م[2].

واشتد التنافس على الحكم بين معاوني وليام الأول، وخرج الأمر عن يده، وقوى النزاع بين اثنين من مستشاريه هما إصطفانو وماتيو، وكان المسلمون من أنصار ماتيو خصوم أصطفان، فاجتهد إصطفان في التأليب على المسلمين بإظهار نيتهم في مساعدة الموحدين ببلاد المغرب في غزو صقلية[3].

وفي عهده ظهر خطر البيزنطيين الذين أخذوا يتوسعون على حساب أراضيه وممتلكاته فاحتلوا مدنًا ومنها؛ باره Para، وطراني Trani، وجيونينيستو Gionerezzo، وملفتة Molfetta[4].

ويعزى ظهورهذه المشاكل الداخلية وكذا الخارجية إلى قلة تدبير وليام وخبرته، إلى خروج أقاليم كانت تابعة له وأورد ابن الأثير (ت 630هـــ / 1280م) نصًا بقوله: « ولما مات ملك بعده أبيه أي روجار الثاني ـــ غليا لم، وكان فاسد التدبير خرج عنه عدة حصون من إفريقية »[5].

فضلاً عن الظروف والأحداث التي كانت تمر بها صقلية في عهده قد ساعدت مدن المغرب بضرورة الخروج عن سلطة النورمان تحت تأثير أسباب سياسية واقتصادية ودينية التي كانت سببًا في اندلاعها، ويعلق على ذلك ابن الأثير بقوله: « فلما كانت هذه السنة 551هـــ / 1156م قوي طمع الناس فيه، فخرجت عن طاعته جزيرة جربة، وجزيرة قرقنة، وأظهروا الخلاف عليه »[6].

وإذا أكد ابن الأثير على ظاهرة الاضطرابات وتطلع مدن المغرب إلى التحرر، فإن ابن خلدون أشار إلى سبب أخر وهو اختلاف الكلمة عليه ووصول حقيقة ذلك إلى المسلمين بقوله: « فاختلف عليه الناس،

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص403. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص236. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص502.

(2) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص300.مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص68.

(3) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص194، 195.

(4) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص68، 69.

(5) **الكامل في التاريخ**،ج9، ص403.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص404.

وبلغ ذلك المسلمين الذين تغلبوا عليهم بإفريقية»[1]، وإن كان وليام الأول قد سار على نهج أبيه في الاهتمام بشؤون إفريقية[2].

ويمكن إيعاز سبب هذه الانتفاضات التي حدثت ببعض مدن الساحل المغربي إلى أن سكان المغرب لم ينسوا ما تعرضوا له على يدي النورمان من تنكيل دون استثناء ومصادرة للأراضي والأموال، فكانوا ينتظرون الفرصة للانتفاض ضدهم[3].

كما أن سكان مدن بلاد المغرب، لم ينسوا الإهانة التي لحقت بهم على أيدي النورمان بعد اقتياد الحكام والعلماء والرعايا إلى صقلية كرهائن، والتي كانت تعقب كل غزو في محاولة تقييدهم بالسمع والطاعة والولاء وعدم الخروج عنهم، وأخذ الرهائن يعد من الأسباب الرئيسية لانتفاضة سفاقص[4].

كما أن سوء الأوضاع الإقتصادية قد دفعت إلى الانتفاض على الوجود النورماني بعد خضوع سكان الساحل المغربي للاحتلال وأجبروا على دفع الإتاوات والضرائب التي أرهقتهم ما زاد من معاناتهم سلب أموالهم ومصادرة أراضيهم بعد الإحتلال[5].

وما انجر عن الغزو النورماني لبلاد المغرب من خراب وإفساد والذي تتابع في شكل عمليات منظمة بهدف تحطيم البنية الإقتصادية[6].

وازدادت الأوضاع الإقتصادية سوءًا بتملك النورمان لصقلية وسيطرتهم على التجارة البحرية وربط مدن المغرب مباشرة بصقلية، وما يؤكد ذلك قول ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م): « وكانت الأقوات بالمهدية قليلة، فسير إليها صاحب صقلية عشرين شنيا فيها الرجال والطعام»[7].

ومما زاد في اضطراب الوضع الإقتصادي ببلاد المغرب إقدام الأسطول النورماني في عهد وليام الأول(549 ــ 559هـ / 1154 ــ 1166م)، عن شن هجوم على الشواطئ المصرية (تنيس)،

---

(1) **كتاب العبر**، ج 5، ص237.

(2) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص69.

(3) ابن كثير: المصدر السابق، ص347. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ج9، ص89، 404. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص286، 403 وما بعدها. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص313. النويري: المصدر السابق، ج24، ص135. التجاني: المصدر السابق، ص241.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص238، 402. التجاني: المصدر السابق، ص74، 75، 241.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص238.ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص234.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص338.

(7) المصدرنفسه، ج 9، ص404.

وقد أدى ذلك إلى تعطيل الحركة التجارية مع المشرق، والتي كانت تعتبر أحد مناطق التبادل التجاري المهمة لبلاد المغرب[1].

وكان النورمان قد تسببوا في حدوث أزمة اقتصادية، والتي كانت من نتائجها وقوع ردود فعل قام بها سكان بلاد المغرب ضد السلطة الحاكمة في شكل انتفاضات عمت سواحل المغرب.

ويعزي البعض أن سبب قيام هذه الثورات والانتفاضات ببلاد المغرب إلى العامل الديني، لذلك استنكر المسلمون تدعيم النورمان للمسيحية في بلاد المغرب من خلال عمليات الاستيطان والترحيل وأورد التجانين صًا يذكر فيه إقدام روجار الثاني على تشجيع العملية الاستيطانية بقوله: « وقد أسكن بها جملة من النصارى »[2]، وعمل النورمان على إعادة تنشيط أسقفية المهدية عام: 552هـ /1157م، ثم فتح أسقفية سبيلا بجزيرة جربة وإعمارها بعناصر مسيحية وهذا لتعزيز قواعد المسيحية عن طريق الأسقفيات والكنائس[3].

والظاهر من قول التجاني (ت717هـ/1317م) أن النورمان لم يكن هدفهم نشر المسيحية في بلاد المغرب بقدر ما كان هدفهم توطين المسيحيين إلى جانب المسلمين ببناء أماكن العبادة في شكل كنائس وأسقفيات، ويفهم من الرواية أنه لو كان هدفهم نشر المسيحية لكان بإرسال مبشرين أو قديسين يتولوا ذلك، وقد أشرنا سابقًا أن النورمان يجيدون دائما استرضاء البابوية بالتظاهر بخدمة المسيحية في بلاد غير مسيحية، وكان الهدف الاستفادة من خدمتهم.

وحسبنا ما أشارت إليه المصادر التاريخية التي تؤكد هذا المنحى، حيث عمل النورمان على تجميع العناصر المحلية، واستخدام العناصر المسيحية في حراسة القلاع وفي قمع ومواجهة حركات العصيان والتمرد، وفي التسيير والإدارة المحلية، وإن أسندحكم البلاد الإفريقية إلى المسلمين في الظاهر، إلا أنهم كانوا مقيدين بوجود أبنائهم لدى السلطة الملكية في صقلية[4].

غير أن استفزاز النورمان لمشاعر المسلمين الدينية لم تورد المصادر نصا بشأنه رُبما لقلة عددهم أو لإدراكهم أن الغالبية مسلمة، في حين أشارت إلى الحرية الدينية وهو ما أشار إليه التجاني[5].

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص393. مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص71.

[2] **رحلة التجاني**، ص75.

[3] Bresc H: **le ray aume d'Afriwue et l4archveche de Mahdya**, P: 353.

ـــ مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق ص75.رشيدتومي: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص270 .

[4] مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص356. رشيدتومي: المرجع السابق، ص270.

[5] التجاني: المصدر السابق، ص241، 242.

1 . انتفاضة جربة 548هـ /1154م:

لم يرض سكان جربة الخضوع للسيطرة النورمانية، فاستغلوا الاضطرابات والمشاكل الداخلية والخارجية الصعبة التي كانت تمر بها صقلية والتي كان لها انعكاسات على إفريقية بظهور الثورات والإنتفاضات ضد النورمان[1].

وتعود أسباب اندلاع هذه الثورة إلى محاولة روجار الثاني (495 ـــ 548هـــ / 1101 ـــ 1154م)، إخضاع هذه المدينة والتحكم في زمامها بعد استقراره في صقلية، بهدف القضاءعلى القرصنة التي يقوم بها سكانها لكن هدفه الحقيقي هو جعل جربة قاعدة له في خليج قابس لتنفيذ سياسيته اتجاه إفريقية، لذا جعل من غاراته المتكررة على سواحل إفريقية وغزوها كل عام[2]، ربما لإظهار تواجد النورمان وجاهزيتهم المستمرة، وخلق عقدة الخوف لدى القوى المعادية والخاضعة لسلطتهم.

وقد انفرد التجاني (ت717هـــ/1317م) عن بقية المصادر الأخرى برواية أحداث سنة 548هـــ / 1154م فروى تفاصيلها، وما أقدم عليه النورمان أثناء دخولهم المدينة في محاولة القضاء عليها بقوله: « فلما كان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ثار أهلها ضد النصارى وقتلوا منهم جماعة كثيرة، فغزاهم النصَارى من عامهم وتغلبوا على الجزيرة ثانية، فنقلوا أكثر أهلها سبايا إلى بلادهم ولم يبقوا بها إلا من لا بال له »[3].

والظاهر أن هذه الثورة قد حدثت في أيام حكم روجار الثاني الأخيرة (ت 549هـــ / 1154م)، وسببها على حسب رواية التجاني أنها تأتي كردة فعل من الجرابة على سلطة النورمان وقتل جماعة منهم، خاصة ما عرف به الجرابة من عدم الخضوع لأي سلطة، وكان من النورمان أن غزوها ثانية وأخذوا من كبارها ومن له شأن كرهائن، وتعتبر هذه الحادثة من أولى ردود الفعل والانتفاضة على النورمان .

واستمرت المدينة خاضعة للنورمان لمدة سنتين (553 ـــ 555هـــ / 1158 ـــ 1160م) وفي هذه السنة دخلت المدينة تحتَ سلطة الموحدين الذين مدوا نفوذهم على كامل بلاد المغرب بعد أن تحرك عبد المؤمن لتحرير المهدية من سيطرة النورمان، وتوحيد مناطقه وأقاليمه التي كانت خاضعة لسلطة القبائل العربية والبربرية، وأنهوا بذلك مغامرة النورمان وتواجدهم في إفريقية[4].

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص403. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص442. أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ص79.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص331.

[3] **رحلة التجاني**، ص12.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص429، 430.

2. ثورة سفاقص 550هـ /1156م:

اندلعت انتفاضة سفاقص شتاء عام: 551هـ /1156م وامتدت إلى باقي المدن الإفريقية[1]، ويعود سبب هذا الخلاف أن روجار الثاني (495 ـ 548هـ / 1101 ـ 1154م)، لما افتتح هذه المدينة سنة: 543هـ / 1148م، ولي عليها أبا الحسين الفرياني[2]، وكان من أهل العلم والدين، ونظرًا لعجزه وكبر سنه قدم ولده عمر فولاه روجار، وكان ذا إقدام وشهامة فأخذ روجار رهائن، ومن جملة ما أخذ أبا الحسن الفرياني، ولما أراد أبو الحسن توديع ابنه أوصاه بالانتفاضة على النورمان وإنقاذ المسلمين من العدو متى سمحت الفرصة[3].

وأورد ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م) نصًا أكثر وضوحًا بشأن ذلك: « وكان روجار قد استعمل عليها أباه ـ أي أبو الحسين الفرياني ـ وكان من العلماء الصالحين فأظهر العجز والضعف، وقال: استعمل ولدي فأستعمله، وأخذ أباه رهينة إلى صقلية، فلما أراد المسير إليها قال لولده عمر: إنني كبير في السن، وقد قرب أجلي، فمتى أمكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل، ولا ترقبهم ولا تنظر في، إنني أقتل، وأحسب أني قدمت »[4].

ولما اضطربت الأمور على وليام الأول (549 ـ 559هـ / 1154 ـ 1166م)، أدرك عمر أن الفرصة قد حانت فدعا أهل المدينة إلى الثورة، فكان ردهم بالخوف على والده، لكن عمر برر لهم موقفه، بأن والده قد أوصاه بذلك، وأن قتله هين إذا ثار أهل سفاقص ضد النورمان، ففي الفاتح محرم عام 551هـ / ليلة 24 إلى 25 فبراير عام 1156م، دبر عمر بن الحسين هجوما مباغتابتقسيم مقاتليه إلى قسمين: قسم اتجه لمقاتلة النورمان بالمدينة، وقسم آخر لمهاجمة الأسوار، ونجحت الخطة، وقتل النورمان عن آخرهم[5].

---

(1) محمود مقديش: المصدر السابق،ج 1، ص491.

(2) نسبة إلى قرية كبيرة من نواحي إفريقية، ينسب إليها أبو الحسين أحمد الفرياني، شيخ سفاقص وفقيهها، جمع بين الدين والدنيا، ذكر التجاني من شعراء هذه القريةورؤسائها المبرزين؛ عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الفرياني، كان هجاءًا مقذعًا، تنقل بين سفاقص وطرابلس له قصائد عديدة. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج4، ص259. التجاني: المصدر السابق، ص83.

(3) التجاني: المصدر السابق، ص75. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص301.

(4) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص403.

(5) محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص491. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص444.

ويصور ابن الأثير مجريات هذه الحادثة بقوله: « فلما وجد هذه الفرصة دعا أهل المدينة إلى الخلاف، وقال: يطلع جماعة منكم إلى السور، وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له: إن سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه، قال: هو أمرني بهذا، وإذا قتل بالشيخ ألوف من العداء فما مات، فلم تطلعْ الشمس حتى قتل الفرنج عن آخرهم»[1].

ويلخص محمود مقديش رواية بشأن الانتفاضة على النورمان بقوله: « كانت خطة القضَاءِ على النورمان بحفر صهريج كبير لصناعة السلاح، وكانوا يترلون إليه كل ليلة، ولما جاءت ليلة عيد النصارى، أظهروا معهم الفرح بموسم النصارى، وطبخ الفول في كل دار، وجعلوا جماعة يدورون على الدور في صورة شحاتين يشحتون الفول، وأمر كل صاحب دار أن يخرج من الفول بقدر ما عنده من الرجال، فجمعوا ما تحصل وعدوه، عرفوا ما عندهم، وأعطوا كل واحد من السلاح بقدر ما أعطاهم من الفول...، وأحدثوا لعبا سموها لعب ضرب النار، ولما أتقنوا وجه الحيلة مالوا على الكفار ليلاً... فلم تطلع الشمس حتى قتل الكفارعن آخرهم »[2].

ومهما يكن من صحة هذه الروايات فإن عمر بن الحسين قد نفذ وصية أبيه وأعلن الثورة ولقى تأييدًا من سكان المدينة للقضاء على الحامية العسكرية المتواجدة بالمدينة وتحريرها، وفي ذلك يقول التجاني: « فلما كان إحدى وخمسين امتثل أبوعلي وصية أبيه، وثأر بسفاقص من النصارى فقتلوا قتلا ذريعا »[3].

ولما بلغ الخبر وليام الأول غضبلما قام به عمر بن الحسن، وكرد فعل منه أمر بإحضار أبي الحسن الفرياني أن يكتب كتابا لابنه ينهاه عما عمله، ويأمره بالرجوع عما فعل، فأجابه أبو الحسن أنه لا يمكن ذلك وأن ابنه ماض فيما أوصاه، وأرسل وليام رسولا إلى عمر بن الحسن يأمره بالعودة ويهدده بقتل والده، لكن عمر بن الحسن عبر لرسول وليام الأول عن مضيه فيما يفعل، فمنع الرسول من الترول إلى البر، وولى وجهه عن تهديد ووعيد وليام، وكرد فعل وليام الأول قتل أبوه شنقا[4].

---

(1) **الكامل في التاريخ**، ج 9، ص403.

(2) **نزهة الأنظار**، ج 1، ص492.

ربما هذه الرواية مأخوذة من الروايات الشعبية القديمة التي كانت شائعة في عصره، ويرى الهادي روجي إدريس في تعليقه عن هذه الرواية، أن طبخ الفول وضرب النار بمناسبة رأس السنة المسيحية، وهي من العادات البربرية القديمة وانتظروا انشغال المسيحيين بالاحتفال، وقتلهم تعتبر خدعة ناجحة، وأن الرواية الأخيرة تعد ضمن الأسطورة التي حرفت بالزيادة والنقصان. ينظر: الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص443، 444.

(3) **رحلة التجاني**، ص75.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق،ج 9، ص404. التجاني: المصدر السابق، ص75. محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص492، 493. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،ج 1، ص444.

والظاهر أن هذه المحاولات التي قام بها وليام الأول، كانت بعد اندلاع الثورة في محاولة للحدّ من انتشارها على باقي المدن، واستغلال وجود أبيه رهينة كوسيلة ضغط للعدول عما قام به، فلقى وليام الأول الإصرار من الحسن وابنه للاتفاق الحاصل بينهما.

وإذا كان وليام قد حاول في مرات وبطرق عديدة لإقناع عمر بن الحسن بالرجوع إلى الطاعة، إلاّ أن هذا الأخير أكد على إصراره فيما سيمضي إليه، ومن ذلك ما فعله مع رسول وليام أو تسليمه باستشهاد والده، ويجمل ابن الأثير تفاصيل الحدث بقوله: « فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك، فلما كان الغد خرج أهل البلد جميعهم ومعهم جنازة، والرسول يشاهدهم، فدفنوها وعادوا، وأرسل عمر إلى الرسول يقول له هذا أبي قد دفنته وقد جلست للعزاء به فاصنعوا بي ما أردتم، فعاد الرسول إلى وليام فأخبره بما صنع عمر بن أبي الحسن فأخذ أباه وصلبه، فلم يزل يذكر الله حتى مات »[1].

الأمر الذي دفع ساكنة باقي مدن إفريقية إلى إعلان الثورة، وتبعهم في ذلك أبو يحي بن مطروح في طرابلس ومحمد بن رشيد في قابس، وخرجت جميع المدن الإفريقية عن النورمان، و لم تنتفض عن النورمان سوى زويلة[2] والمهدية، وسوسة، وتزامن وتحرك عبد المؤمن بن علي (524 ــ 558هـ / 1129 ــ 1162م) اتجاه بونة[3].

و لم يتوقف عمر بن الحسن عن إعلان الثورة بل عمل على محاولة تقويض سلطة النورمان في باقي المدن، فأرسل إلى سكان زويلة القريبة من المهدية يحرضهم على الثورة، لأنه كان يدرك أن المهدية هي قاعدتهم الرئيسية وأن النورمان لا يقيمون بها وأن تحريك زويلة يهدف أساسا إلى حصار المهدية[4]، واستطاع بتحريكه لأهل زويلة أن يلقى استجابة، وبمساعدة العرب والضواحي من قتال النورمان بالمهدية وحصار وقطع الميرة عنها[5].

---

[1] **الكامل في التاريخ**، ج9، ص404.

[2] ذكرها الحموي في معجمه وميز بينها وبين زويلة، التي شيدها عبيد الله المهدي له ولعسكره على رمية سهم من المهدية، بقوله: « بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل أجدابية في البر، بين بلاد السودان وإفريقية، وهي أول حدود السودان ». ينظر:الحموي: المصدر السابق، ج3، ص159.

ونقل عن البكري قوله: « وزويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء، وهي أول حدود بلاد السودان، تقع مدينة زويلة إلى الجنوب الشرقي من سبها ». ينظر: البكري: المصدر السابق، ص11.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص403. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص238. محمود مقديش: المصدر السابق، ج 1، ص492.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص232.الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص445.

[5] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص313. ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص238.

ولا شك أن فتح المهدية كان من بين مشاريع عمر بن الحسن، وعمل على تحريض أهل زويلة ربما لأنها لا تحتوي على عناصر نورمانية[1]، غير أن الحامية النورمانية المتواجدة بها استطاعت الصمود إلى غاية إرسال النجدة من صقلية، ويقول ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م)في ذلك: « فحاصروا المهدية وضيقوا عليها، وكانت الأقوات بالمهدية قليلة، فسير إليها صاحب صقلية عشرين شينيا، فيها الرجال والطعام والسلاح »[2].

واستطاع النورمان بدهائهم أن يستميلوا العربَ الذين خرجوا لحصار المهدية مع أهل سفاقص بالأموال وكان وليام الأول قد أمدها بالأقوات والسلاح، فانهزموا وولوا ورجع أهل سفاقص إلى بلدهم، و لم يقف النورمان عند هذا بل تتبعوهم إلى زويلة، ودخلوا واستباحوا المدينة[3].

والظاهر أن النورمان أدركوا انتشار وامتداد الثورة إلى المهدية قبل وقوع الحصار ولعلمهم تم تزويدها بالأقوات والسلاح، ثم تفريق الجموع المحاصرة، بتدبير انهزام العرب والاتفاق معهم وهو على مال لتفريق الصفوف، كما لا يستبعد أن يكون من زعمائهم من كان مواليا للنورمان وقد أشرنا سابقًا أنهم دخلوا تحت طاعة النورمان بعد سقوط المهدية.

وتعتبر رواية ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م) أكثر تفصيلا للواقعة: « وأرسلوا إلى العرَب وبذلوا لهم مالاً لينهزموا، وخرجوا من الغد فاقتتلوا هم وأهل زويلة، وانهزمت العرب، وبقي أهل زويلة فوجدوا أبوابها مغلقة، فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل أكثرهم، ولم ينج منهم إلا القليل فتفرقوا...ودخل الفرنج المدينة، فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والأطفال ونهبوا الأموال »[4].

وأقرّ وليام النصارى في زويلة، وعين لهم رئيسًا للأساقفة وأصبحت المهدية بمثابة ملجأ لجميع النصارى بإفريقية[5]، وكان لثورة سفاقص أثر في اندلاع الثورات بمدن إفريقية، وبداية النهاية لزوال سلطة النورمان وفي ذلك يقول التجاني (ت 717هـ / 1317م): « وكانت انتفاضة سفاقص على النصارى سببا في انتفاض سائر بلاد السواحل وزوالها من أيديهم »[6].

---

(1) رشيدتومي: المرجع السابق ص275.

- Roger Tourneau :**Yves Lacoste, Ibn KhaldounNaissance de l'histoirePassé du tiers-monde**, Année 1966, P: 382.

(2) **الكامل في التاريخ**، ج 9، ص404.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص238. الناصري: المصدر السابق، ج2، ص120.

(4) **الكامل في التاريخ**، ج 9، ص404.

(5) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص445.

(6) **رحلة التجاني**، ص75.

ويرى الباحث رشيد تومي أن سبب ظهور الثورتين في طرابلس وسفاقص لإسنادهما لحاكمين مسلمين، وقد منحت لهما الحرية والاستقلال وأنه لو أسند أمر المدينتين إلى حاكمين نورمانيين لأخذت الأحداث مجرى آخر[1].

لكن نحن نرى أن هناك جملة من الأسباب اجتمعت وأدت إلى قيام الثورة والانتفاضة، تم التطرق إليها في بداية هذا الفصل.

3. امتداد الثورة إلى طرابلس553هـ /1158م:

ساهمت مجموعة من العوامل في قيام الثورة بطرابلس، منها ما يتعلق بالوضع الداخلي لطرابلس، ومنها ما يرتبط بالظروف التي كانت تمر ببلاد المغرب، ومنها ما يتعلق بأحوال صقلية سبقت الإشارة إليها.

فمن الظروف الخارجية التي أدت إلى طلب تغيير الوضع القائم في طرابلس إندلاع الثورة في سفاقص على يد عمر بن الحسن الفرياني وامتدادها إلى طرابلس[2]، وبشأن ذلك يقول ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م): « حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم...، ثم اتبعه يحي بن مطروح بطرابلس ثم امتدادها إلى جربةوجزيرة قرقنة، التي فشل النورمان في استردادها »[3].

وإلى جانب شعور سكان طرابلس بالحمية بعد ظهور الموحدين كقوة مسيطرة على بلادالمغرب والأندلس، وما أحرزوه من تقدم في مجال الفتح، هذه الأخيرة أثارت مخاوف النورمان خاصة بعد تطلعهم نحو بلاد المغرب، وإمكانية حصول تقاربُ بينهما وبين السلطات الحاكمة في بلاد المغرب[4].

وعلى المستوى الداخلي استجدت أحداث ساهمت في إعلان الثورة، وتتعلق أولا بإقدام جورج الأنطاكي على إطلاق الرهائن المحتجزين وذلك بعد أن شعروا بالطمأنينة والاستقرار تجاه أهالي المدينة، وترك حامية عسكرية قليلة العدد للسبب الأول[5].

فإطلاق الرهائن جعل أهالي المدينة يتحررون من كل القيود التي تربطهم بالنورمان، وزالت عقدة الخوف خاصة وأن عدد أفراد الحامية قليل لا يمكنها مجابهة الثورة حين اندلاعها، وقبل أن تعهد الحكومة في صقلية إلى إرسال تعزيزات لمساندتها.

---

(1) **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص280.

(2) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص302. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص446.

(3) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص403.

(4) التجاني: المصدر السابق، ص242. رشيدتومي: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص277.

(5) التجاني: المصدر السابق،ص241. ابن غلبون: المصدر السابق، ص50. شارل فيرو: المرجع السابق، ص55.

وهو ربما ما دعا حاكمها أبو يحي بن مطروح إلى طرح فكرة التخلص من النورمان وبثها بين الأوساط، وقد استطاع أن يجمع الكلمةالواحدة إلى ما أراد[1].

ويمكن تفسير إقدام أبي يحي على هذا القرار، بالأخبار الواردة بنجاح ثورة سفاقص، أو لتلقيه دعوة بالانتفاض من طرف عمر بن الحسن الفرياني، أولإدراكه لمدى تحسن الظروف الإقتصادية للمدينة عقب فترة الهدوء والاستقرار، ولعلمه ربما بالظروف الصعبة التي كانت تمر بها صقلية.

وإذا كانت الأسباب متعددة، فإن السبب الرئيس للثورة يتعلق بتغير سياسة النورمان لاضطراب الوضع الخارجي بعد ظهور الموحدين كخطر داهم، طالب النورمان من سكان المدينة، ذم الموحدين على المنابر، للوقوف في محاولة منهم قيام أي تحالف بينهم وبين الموحدين، والتأكد من ولائهم[2].

ويفصل التجاني (ت 717هــ / 1317م) في أحداث الواقعة قوله: « فخاف النصارى أن يكاتبهم أهل طرابلس، فأحبوا أن ينشروا بينهم عداوة، فأمروهم أن يصعدوا المنابر فيتكلموا في جهة الموحدين بسوء، فأعظم أهل طرابلس ذلك واجتمعوا إلى قاضيهم أبي الحجاج فسفر بينهم وبين النصارى، وأعلم النصراني عنهم أنه لا سبيل إلى نيل ذلك منهم، وأن الأمرإنما كان العقد بينهم أن لا يكلفواالمسلمين بشيء مما يخالف دينهم وذكر أهل الدين بسوء مما يخالف الدين، فإن رضوا منهم بهذا وإلا سلموا لهم البلد وخرجوا عنهم فأعفاهم النصراني من ذلك، وأحدثَ الله عند أهل طرابلس عزما على القيام عليهم، والتخلص من أيديهم »[3].

والظاهر أن أهالي المدينة قد تمتعوا بحرية دينية في ظل الحكم النورماني، ولجوئهم إلى هذه السياسة للتأكد من ولائهم، وهو ما يوحي بكره سكان طرابلس الخضوع لسلطة غير مسلمة، وإذاكان المسؤول عن الحامية قد أعفاهم من ذلك ونفذ لهم ما طلبوا، إلا أن الثورة اندلعت وبالتالي عزمهم المسبق على ذلك.

وحصل الاتفاق والتفاهم في اتخاذ قرار الثورة بين حاكمها أبي يحي بن مطروح وسكان المدينة، وتناجوا فيما بينهم على التخلص من سيطرة النورمان، وكان ذلك عام: 553هــ / 1158م، واختير زمانها ليلا، وقامت الخطة على وضع الحبال والأخشاب في الطريق الذي يمربه العدو وذلك لعرقلة جري الخيول، ولمَّا إنتشر خبر اندلاع الثورة لدى عسكر الحامية خرج إليها، لكن الحبال والأخشاب عرقلت الخيول، وقبضوا عليهم أحياء وقتلوا سكانها وتم إحراق بيوتهم[4].

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص223.

[2] التجاني: المصدر السابق، ص242. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص446.

[3] **رحلة التجاني**، ص242.

[4] التجاني: المصدر السابق، ص242.ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص223.ابن غلبون: المصدر السابق، ص51.

وترتب عن اندلاع هذه الثورة، أن تحررت المدينة من قبضة النورمان، بعد أزمة امتدت أحداثها من الثاني محرم 553هـ إلى الواحد محرم عام: 554هـ، الموافق للثاني من شهر فيفري عام: 1158م إلى 22 من شهر جانفي عام 1159م[1].

وبعد القضاء على الوجود النورماني وتحرير المدينة من سطوتهم استمر حكم أبي يحي بن مطروح لها لسيرته الحسنةورجاحة عقله ودهائه، فاستطاع أن يكسب ود العرب المجاورين له بمصالحتهم، وعند دخول عبد المؤمن بن علي (524 ـ 558هـ / 1129 ـ 1162م) المهدية انتقل وفد ممثلا عنه فبايع عبد المؤمن فأوسعهم برا وتكرمه، وأقر أبو يحي بن مطروح في حكم المدينة ورضي به[2]، فحسن سيرته في الناس ورضي الجميع بحكمه، واستمر يحكم المدينة إلى أن عجز بعهد يوسف بن عبد المؤمن وطلب الحج، فسرح أبو زيد أبا حفص محمد بن عبد المؤمن عامل تونس لقضاء أداء فريضة الحج، وتوفي بمكة المكرمة[3].

4 . استنجاد أهالي سوسة بالموحدين 554هـ /1159م:

استغل النورمان فراغ المدينة ـ سوسة ـ بخروج أهلها وخروج حاكمها علي بن الحسن خارج المدينة عند حصار النورمان للمهدية وتمكنوا من دخولها في 12 صفر عام: 543هـ / 11 جويلية 1148م[4]، وظلت سوسة تحت حكم النورمان ولم تظهر من أهلها أي محاولة للثورة إلى غاية ظهور الموحدين سنة: 541هـ / 1147م[5].

وفي ذلك يقول ابن الأثير: « وخرج جميع إفريقية عن حكم الفرنجة ما عدا المهدية وسوسة »[6]، ثم ظهر أن أهالي المدينة أرادوا التخلص من السيطرة النورمانية، سائرين في ذلك حذو المدن الساحلية الأخرى

---

(1) رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص279.

(2) التجاني: المصدر السابق، ص243. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص300. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص223. الناصري: المصدر السابق، ج2، ص123.ابن غلبون: المصدر السابق، ص52.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص223، 224. ابن غلبون: المصدر السابق، ص52. شارل فيرو: المرجع السابق، ص56.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص352.

في حين أورد التجاني خضوع المدينة لأحد العرب بقوله: « وتوالت على سوسة بعد ذلك أمراء من العرب ملكوها حين استولوا على البلاد، وانتزعوها من أيدي صنهاجة واستقرت آخرا تحت ملك جبارة بن كامل بن سرحان بن أبي العينين الفادعى، البعيد الصيت المشتهر بالجود، ومن يده أخذها النصارى ». ينظر: التجاني: المصدر السابق، ص30.

(5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص111. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص458.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص403.

بعد ظهور الموحدين[1]، لكن الأحداث تفيد أن ساكنة مدينة سوسة لم تعلن الثورة على النورمان، وإنما أعلنت الولاء لعبد المؤمن[2]، بعد دخوله المهدية، وكان ذلك في سنة: 555هـ / 1160م[3].

وذكر التجاني (ت 717هـ / 1317م) من خلال النص الذي انفرد بذكره، مفاده أن عزيمة أهل سوسة قد تقوت بعد دخول الموحدين المهدية وبقبول حكمهم بقوله: «ولما وصل عبد المؤمن إلى إفريقية واستنقذ المهدية من النصارى، وقام أهل كل بلد على من عندهم منهم امتثل أهل سوسة ذلك، ورحل أشياخهم إلى عبد المؤمن، ورحل إليه أيضا جبارة بن كامل المذكور، على أهل سوسة، فقدم على أهل سوسة حافظًا من الموحدين يعرف بعبد الحق بن علناس الكومي »[4].

على أن النورمان في سنة: 558هـ / 1163م، أعادوا غزو المدينة من جديد، واستولوا عليها وخربوها تخريبا عظيما وقتلوا أهلها وسبوا أطفالها، وكان من بين الأسرى حاكمها الحافظ[5] وأهله وولده[6]، يقول التجاني: « فطرقهم أسطول النصارى ثانية وهم على غِرة، فاستولوا على البلد، وقتل من أهله من قتل وسبي من سبي، وخرب البلد تخريبا عظيما، لأنه لم يبن على الإقامة فيه، وأسر الحافظ المذكور وأهله وولده وتوجه بهم إلى صقلية، فأقاموا بها مدة ثم افتدوا بعد ذلك وخرجوا »[7].

واعتبرت هذه الحملة حدثًا معزولاً، و لم يعرف قط أن هذه المبادرة قد صدرت من النورمان اتجاه شمال إفريقيا[8].

---

[1] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص452.

[2] رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص298.

[3] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص316.

[4] **رحلة التجاني**، ص30.

[5] عبد الحق بن علناس الكومي، عينه عبد المؤمن حافظًا عن الموحدين بالمدينة بعد أن استنقذها من النورمان، وكانت قبل أن يطرقها النورمان يحكمه أحد زعماء العرب الهلالية يدعى جبارة بن كامل بن سرحان بن العين الفاذغي، الذي رحل هو ووفد عن سوسة إلى عبد المؤمن طالبين منه تخليصها من النورمان. ينظر: التجاني، المصدر السابق، ص30، 346.

والسراج: المصدر السابق، ص117. **وقفات في تاريخ المغرب**، تنسيق: عبد المجيد القدوري، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، 2001، ص87.

[6] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص316.

[7] **رحلة التجاني**، ص30.

[8] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص316. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص298.

5 . دور الموحدين في تحرير المهدية555هـ /1160م:

بعد سقوط المهدية في يد النورمان سنة: 543هــ / 1148م، كان الحسن بن علي الزيري (515 ــ 543هــ /1121 ــ 1148م) قد فر منها والتجأ إلى ابن عمه يحي بن عبد العزيز صاحب بجاية آخر ملوك بني حماد الذي أكرمه وفادته، وعندما هم عبد المؤمن (524 ــ 558هــ / 1129 ــ 1162م) بالتحرك لفتح إفريقية خرج إليه الحسن بن علي وبايعه وصاهره وصحبه إلى مراكش[1]، وكان يغريه بغزو إفريقية، واستنقاذ المهدية من النصارى[2]، وهو ما كان يراود عبد المؤمن ويتطلع من خلاله إلى السيطرة على بلاد المغرب، وتأمين الجهة الشرقية للدولةالموحدية، في ظل تنامي قوته البحرية،والانتصارات المحققة في الجبهة الأندلسية[3].

خاصة بعد أن أدرك عبد المؤمن أن الظروف مواتية في ظل اضطراب الوضع السياسي بإفريقية بتغلب العرب الهلالية وتنازعهم الملك والسيادة، وزوال سلطة بني زيري بسقوط المهدية في يد النورمان وسيطرتهم على الساحل الإفريقي من طرابلس إلى تونس[4].

---

[1] تقع إلى الشمال من أغمات على بعد اثنا عشر ميلاً، وهي من أكبر مدن المغرب الأقصى، بناها يوسف ابن تاشفين سنة سبعة وأربعين وأربعماية، وأختط سورها علي ابنه سنة: 514هــ / 1120، وقد بنيت في أرض رتبة خالية من التعقيد في أرض وطاء، وهي حصينة منيعة، حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها، وموقعها في بسيط من الأرض ليس حولها جبال سوى جبل إيجليز، كثيرة الزرع والضرع والخيرات، وفي عدة خيراتها ما لا يحصى. ينظر: الإدريسي : المصدر السابق، ص67، 68. مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص208، 209. المراكشي: المصدر السابق، ص156 ،157. الحموي: المصدر السابق، ج5، ص94.الحميري: **الروض المعطار**، ص540.

وابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص125.

[2] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص316. التجاني: المصدر السابق، ص344، 345. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص197،198. الناصري: المصدر السابق، ج 2، ص120. الوزير السراج: المصدر السابق، ص249.

[3] توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص109 ــ 112.

وفوزية محمد عبد الحميد نوح: **البحرية الإسلامية في عهد المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،1985، ص196، 197.

[4] مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال قرطاجنة، وكان اسمها في القديم ترشيش، وهي قاعدة بلاد المغرب الأدنى، وكان أبو جعفر المنصور إذا قدم عليه رسول صاحب القيروان يقول له: ما فعلت إحدى القيروانيين يعني تونس تعظيمًا لها. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج5، ص61. الحميري: **الروض المعطار**، ص143.

وتأتي رغبة عبد المؤمن بن علي (524 ــ 558هــ / 1129 ــ 1162م) في التوسع على حساب بلاد المغرب، ربما نابعة من العقيدة المهدوية القائمة على إنشاء خلافة إسلامية قوية يمكن أن تنتصر للمسلمين تدافع عن حياضهم، وتقف في وجه المد الصليبي، وتعمل على نشر العدل ودفع الظلم والجور في الأرض[1].

واتضحت نواياه في السيطرة على إفريقية والمغرب الأوسط، فبعد أن تمكن من فتح بجاية سنة: 547هــ / 1153م، التي كانت تحت حكم بني حماد (408 ــ 547هــ / 1017 ــ 1153م)، خشي من امتداد النورمان إليها، وولى عليها ابنه عبد الله وأمره أن يشن الغارات على نواحي إفريقية وأن يضيق على تونس ويمنع المرافق أن تصل إليها ففعل ذلك[2].

وكان أثناء حروبه التوسعية قد استعان بالقبائل الهلالية واستفاد من قدراتها القتالية فاستكثر من فرسانهم، وادعى نسبه العربي ليكسب ولاءهم وأقطع حلفاء الدولة من بني يزيد الهلالية أراضي بنواحي بجاية[3].

وهو ما سهل فتح مناطق المغرب الأوسط وإفريقية في إطار التوسع تمهيدًا لمشروع فتح المهدية، والذي كان بدايته انتقاص المدينة من أطرافها.

وقد تزامن ومحاولة تحرير المهدية خروج وفد من أهل زويلة القريبة منها إلى عبد المؤمن وهو بمراكش، بعد إقدام الحامية المتحصنة بهاعلى الإيقاع بهم وقتل النساء والأطفال وتخريب الممتلكات، فلما وصلوا إليه أكرمهم وسمع منهم ما حل بهم من نكال على يد الحامية وشكوْا حالهم وما هم فيه من البلاء فدمعت عيناه، ووعدَهم بالنصر القريب وأقاموا عندَه ومنح لهم ألفي دينار[4].

وتأتي ربما إقدام الحامية على التنكيل بأهالي زويلة في محاولة للقضاء على حمى الانتفاضة التي امتدت إليها من سفاقص ومدن المغرب، وأراد النورمان إرهاب السكان لمنع أي محاولة للقيام بأي عمل عدائي ضدهم في المهدية أو بالاستعانة بالموحدين.

فاستجاب عبد المؤمن بن علي لشكوى أهل زويلة، فأمر باتخاذ التدابير الاحتياطية اللازمة بعمل الروايا والقرب وما يحتاج إليه العساكر في السفر من ماء، وكتب إلى جميع نوابه في الغرب، يأمرهم بحفظ

---

(1) علام عبد الله علي: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، 1971، ص206.

(2) المراكشي: المصدر السابق، ص 266. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص316.

(3) مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص112.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص428. النويري: المصدر السابق، ج24، ص170، 171. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص238، 239. الناصري: المصدر السابق، ج2، ص121.

جميع ما يتحصل من الغلات، وأن يترك في سنبله ويخزن في مواضعه وأن يحفروا الآبار في الطرق، ففعلوا جميع ما أمرهم به، وجمعوا الغلات ثلاث سنين ونقلوها إلى المنازل وطينوا عليها فصارت كأنها تلال[1].

وبهذا هيأ عبد المؤمن الطريق الذي سيسلكه الجيش، فقد كانت وفق تنظير دقيق فقد عمل عبد المؤمن على محاولة تأمين ما يحتاجه الجيش من ماء ومن طعام وقد إستغرق الاستعداد والتحضير ما يزيد عن ثلاث سنوات، إضافة إلى حشد طاقات النواب العاملين في الغرب في المناطق التي هي بِطريق الجيش.

واختلفت المصادر في حجم الإعدادات التي تحركَ بها عبد المؤمن، وكان الجيش منقسم إلى بري وآخر بحري، وقدّر ابن الأثير عدد العساكر المقاتلة بمئتي ألف ومعهم الإتباع والسوقة وأمثالهم[2]، وقدر التجاني عدد الفرسان بمئة ألف وعدد المشاة لا يحصى[3]، وذكر ابن خلدون يوم خروجه بمئة ألف[4].

ووصف صاحب الروض الجيش بقوله: « وسار في أمم لا تحصى، وجيوش لا تعد من الموحدين وقبائل العرب وقبائل زناته والأغزاز والرماة »[5]، وهو نفس الوصف عند ابن دينار بقوله: « أن عبد المؤمن تحرك بأمم لا تحصى »[6].

والظاهر من خلال الروايات أن ما تم ضبطه يتعلق بالفرسان الذين فاق عددهم مئة ألف، واختلاف المصادر بشأن تقديرات عددهم راجع إلى انضمام عدد من القبائل أثناء تحرك عبد المؤمن إلى المهدية.

ووصف صاحب الاستقصاء شدة تنظيم جيشه وضبطه بقوله: « وبلغ من حفظه وضبطه أنهم كانوا يمشون في الزرع فلا تتأذى بهم سنبلة، وإذا نزلوا صلوا بإمام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلف منهم أحد كائنا من كان »[7].

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق،ج 9، ص428. النويري: المصدر السابق، ج 24، ص171.

وأضاف صاحب الاستقصا: « وكان قد ملك العدوتين الأندلس والمغرب واتسعت خطة مملكته إلى قرب مدينة تونس ». ينظر: الناصري: المصدر السابق، ج2، ص121.

(2) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص428.

(3) **رحلة التجاني**، ص249.

(4) **كتاب العبر**،ج5، ص238.

(5) **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص198.

(6) المصدر نفسه، ص111.

(7) **الاستقصا**، ج2، ص121.

مما يوحي بأن الموحدين كانوا شديدي الالتزام بالقواعد الشرعية في الحروب وأثناء تحركاتهم بتجنب الإفساد وهو يعكس قوة تنظيم الجيش رغم كثرة عدده، وتماسكه وما جمعهم على ذلك الحفاظ على صلاة الفرض في جماعة.

وساند الجيش البري أسطول بحري تكوّن من 70 شينيا وطريدة[1] وشلندي[2]، تولى قيادته محمد عبد العزيز المعروف بابن ميمون[3]، وابن الخراط، وأبو الحسن الشاطبي[4].

وقد كان تحرك عبد المؤمن بن علي إلى المهدية من البداية مدروسا، وذلك بمعرفته بموقع المدينة الساحلي، لذا تحرك في أسطول تنوعت سفنه وقطعه البحرية، وأسند قيادة الأساطيل إلى خيرة قادته، وأخذ جميع هذه التدابير توحي بإدراكه أن فتح المدينة يكون من جهة البحر لعلمه بحصانتها، أو أنه كان يريد فرض حصار لإجبار النورمان المتواجدين بها على الاستسلام.

وفي إطار الترتيبات والتحضيرات للخروج عين عبد المؤمن نوابا له على مراكش وفاس[5] وأعمالها وعلى مدن بلاد الأندلس[6].

---

[1] جمع طرائد، وهي السفن الخصوصية لحمل الخيل للأسطول، وأكثر ما يحمل فيها أربعون خيلاً، وقد أخذ الإفرنج هذا الاسم فقال الإسبان Tarida وقال الطليان Tartana، وقال الفرنسيون Tartan، وهي دلالة على السفن الشراعية التي تمخر في البحر المتوسط غربًا. ينظر: عبد الفتاح عبادة: المرجع السابق، ص6.

[2] الشلندي: مفرد الشلندديات وهي مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في الأهمية الشونة والحراقة وقد كانت معروفة في الأساطيل الإسلامية إلى زمن الدولة العلية. ينظر: عبد الفتاح عبادة: المرجع السابق، ص6.

[3] أبو عبد الله محمد بن ميمون أمير الحسن علي بن عيسى، كان قائدًا للمرابطين ثم انظم إلى الموحدين حتى صار يسمى بصاحب البحر الموحد، وقد انتهت حياته عندما تعقب فارس المرابطين يحي بن أبي بكر بن يوسف ابن تاشفين الملقب بالصحراوي. ينظر ترجمته في: ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص308. ابن خلدون: المصدر السايق،ج6، ص214.

والبيذق أبو بكر علي الصنهاجي (ت 555هـ / 1160م): **أخبار المهدي ابن تومرت**، تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، طبع وزراة الثقافة الجزائرية في إطار الجزائر عاصمة الثقافة الإسلامية، 2007، ص67.

[4] التجاني: المصدر السابق، ص347.

[5] قاعدة بلاد المغرب وقطب بلاد المغرب الأقصى وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش، مختطة بين ثنتين عظيمتين، وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه، وقد تفجرت كلها عيون تسيل إلى قرارة واديها، وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها غير غرناطة بالأندلس وهي كثيرة السلع والثيياب، تقصدها الركائب وتقصدها القوافل، ومدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان، وهي عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، حيث أسست عدوة الأندلس سنة: 192هـ / 808م، وعدوة القرويين سنة: 193هـ /809م في ولاية إدريس بن إدريس. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص89،90. الزهري: المصدر السابق، ص114. ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، ص141، 142. الحموي: المصدر السابق، ج4، ص230. الحميري: **الروض المعطار**، ص434.

[6] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص198.

ويأتي تركه لنواب على أملاكه المترامية في بلاد المغرب والأندلس لإدراك عبد المؤمن أن فتح المهدية سيأخذ وقتًا طويلاً وتوقعًا منه دفاع النورمان، أو أن عبد المؤمن كان يريد إخضاع جميع بلاد المغرب التي كانت تحت حكام المدن وتحت حكم العرب الهلالية وهو ماتم فعلاً.

فلما كان آخر سنة: 553هـ /1158م، أخذ عبد المؤمن في الحركة من مراكش متوجهًا إلى تونس[1]، وكان الحسن بن علي يتقدم الجيش[2]، ولعل عبد المؤمن كان يريد من وراء ذلك أن يوهمه بنيته في إعادته إلى عرشه الذي فقده[3]، ففي طريق تحرك عبد المؤمن برفقة الحسن بن علي لم يظهر عليه أي حرص في الملك بقدر ما كان هدفه استخلاص المدينة من يد النورمان.

ومر عبد المؤمن في طريقه على بلاد الزاب[4] وبلاد إفريقية، فقتل كل من أبدى مقاومة أو عصى وأمن كل من طلب الأمان[5]، حتى وصل إلى مدينة باجة ومنها، وجه إلى أهل تونس بالعفو والتأمين، فكان منهم الامتناع والعصيان و لم ينس عبدُ المؤمن الهزيمةَ التي ألحقوها بابنه عبد الله وتمزيق جيشه، ثم انتقل إلى طبربة[6] ووجه لهم ثانية طلب التأمين والعفو فامتنعوا عن ذلك، فكان منه أن إلا نزل تونس في العاشر جمادي وقيل في الرابع والعشرين حسب ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م)[7]، واتصلت الأخبية بالحنايا، وأدرك أهل تونس الخطر وأيقنوا بالهلاك.

فشدد عبد المؤمن الحصار على المهدية حيث امتازت بمناعتها، وحدث قتال وطلب أهلها الأمان و لم يجبهم عبد المؤمن إلاّ بعد محاولات وبشروط أملاها، ومنها أجابهم إلى ما طلبوا بأن أمّنهم على أنفسهم

---

(1) المراكشي: المصدر السابق، ص298.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص428. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص238.

(3) Roger Tourneau, Op cit, P: 338.

(4) على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية، من عمل إفريقية، كثيرة المياه والنخيل والمدن العامرة المتصلة، شديدة الحر، من مدنها بسكرة وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادسوالزاب، كذلك كورة صغيرة يقال لها ؤيغ، وهي كلمة بربرية، معناها السبخة، والزاب كذلك كورة عظيمة ونهر جرار، بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليهما. ينظر: مؤلف مجهول: **الإستبصار**، ص171. الحموي: المصدر السابق، ج3، ص124. الحميري: **الروض المعطار**، ص281.

(5) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص111.

(6) وردت في المصادر طبربة لكن نضنها طبرقةمدينة بين درنة وباجة من إفريقية، بينها وبين بترزت 70ميلاً، فيها أثار للأول، وهي عامرة لورود التجار إليها، بالقرب منها مدينة مرسى الخزر، والبحر محيط بها من جهاتها إلا مسلكا واحدًا، ويمر بالقرب منها نهر تدخله السفن، وكانت مرسى للسفن التي تتاجر بالمرجان الذي يستخلص من باطن بحرها، وبها كانت تنشأ السفن لغزو بلاد الروم. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج4، ص16. الحميري: **الروض المعطار**، ص386.

(7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص429. التجاني: المصدر السابق، ص345.

وأملاكهم، وقاسمهم أموالهم وأملاكهم نصفين، وأن يخرج حاكمها ابن خراسان من المدينة، فقبلوا تلك الشروط ودخل عبد المؤمن المدينة وأقام بها 3 أيام، وعيّن عليها من يستخلص الأموال ببيع ما أمكن بيعه، وعرض الإسلام على أهل الذمة فمن أسلم حق له النجا، ومن رفض ذلك قتل[1].

وبعد أن تمكن عبد المؤمن من فتح مدينة تونس، اتجه إلى المهدية وبلغ مشارفها ضحى يوم الأربعاء في الثاني عشر رجب من عام: 554هـ / 1159م، والأسطول يحاذيه من البحر، وكانت في تلك الفترة مكانًا الاستيطان أولاد ملوك النورمان وولاتهم وأبطال الفرسان، وقدر عددها بحوالي ثلاثة ألآلف مقاتلاً، وعمد النورمان إلى إخلاء مدينة زويلة المجاورة للمهدية، لعلمهم بقدوم عبد المؤمن فنزل بها عبد المؤمن ومن معه ومن أهل أسواق المحلة فعادت معمورة في ساعة واحدة[2].

وربما كان إخلاء النورمان لمدينة زويلة بهدف تقوية دفاع الحامية الرئيسية المتمركزة في المهدية أو لتخوفهم من أهلها وانضمامهم إلى جيش عبد المؤمن .

و لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها، وإنضاف إليه من صنهاجة والعرب وأهل إفريقية مما يخرج عن الإحصاء[3]، ووصلوا المهدية وأقبلوا يقاتلون، و لم يكتف أفراد الحامية بالدفاع، وإنما أصبحوا يشنون هجمات سريعة على أطراف الجيش المحاصر[4].

وقد أشارت المصادر إلى موقع المدينة الطبيعي وحصانتهاوالحماية من جميع نواحيها، وامتناع جيش عبد المؤمن عن دخولها، فابن الأثير (ت 630هـ / 1280م) وصف ذلك بقوله: « وأقبلوا يقاتلون المهدية مدة أيام، فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها، وضيق موضع القتال عليها، لأن البحر دائر بأكثرها، فكأنها كف في البحر وزندها متصل بالبر »[5].

وقد دفعت طريقة الإغارة السريعة والعودة التي لجأت إليها الحامية النورمانية المتمركزة بالمهدية عبد المؤمن إلى أن يأمر ببناء سور غرب المدينة كي يمنعهم من الخروج[6].

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص429. التجاني: المصدر السابق، ص345. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص153. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص197. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص238.

[2] مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص154. النويري: المصدر السابق، ج24، ص172. الوزير السراج: المصدر السابق، ص251.

[3] الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حيا سنة 894هـ / 1488م): **تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية**، تحقيق: محمود ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت، ص11.

[4] الناصري: المصدر السابق، ج2، ص122.

[5] **الكامل في التاريخ**، ج9، ص429.

[6] الناصري: المصدر السابق، ج2، ص122.

وقد لجأ النورمان إلى هذه الطريقة الحربية لإدراكهم مدى قوة جيشِ عبد المؤمن وتفوقه عدة وعتادًا، لذا عمدوا إلى تجنب المواجهة المباشرة والتحصن بالمدينة، لتجنب أكبر الخسائر وربحًا للوقت، ربما في انتظار الإمدادات الحربية من صقلية الذي استغرق وقتًا، فكان من عبد المؤمن إلاّ أن أخذ الوقت الكافي لوضع الخطة التي يمكن بها دخول المدينة .

وفي تلك الأثناء ركب عبد المؤمن قطعة من أسطوله، ورافقه الحسن بن علي الزيري ليعاين المدينة عن قرب وطاف بها من جهة البحر، فانتابته حالة من الذهول وهاله ما رأى من حصانتها، وعلم أن فتحها لا يكون إلا بالقتال برًا وبحرًا، ولا يكون ذلك إلا بتضييق الحصار: « وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال: لقلة من يوثق به وعدم القوت، وحكم القدر فقال: صدقت »[1].

وأضاف التجاني في نفس السياق: « وقال: عبد المؤمن للحسن من الذي أخرج عن هذا المعقل من يدك؟ فقال له: أخرجه انقضاء الأمد وعدم الثقة بأحد فصدقه الحسن واستحسن كلامه»[2].

وبعد أن أدرك عبد المؤمن مناعتها الطبيعية وتحصنَ النورمان بها، وأن فتحها لا يكون إلا بعد طول حصار، أمر بجمع الغلات والأقوات وترك القتال، فجمع من الحنطة والشعير وأمرهم أن يذروه في سنبله، وتم حمايته بالطين فصار كالجبلين[3]، وشدد عليها الحصار وقطع عن أهلها المؤن فقيل ستة أشهر[4]، وقيل سبعة أشهر[5].

والظاهر من خلال الروايات التي أوردتها المصادر أن عبد المؤمن كان يدرك أن فتح المدينة لا يكون إلا بتشديد الحصار عليها بحرا وبِرا لذا تحرك في جيش يحاذيه أسطول بحري، وأن هجمات النورمان السريعة كانت تأتي من جهة واحدة، لذا أمر عبد المؤمن ببناء السور، وازداد يقيناً بأن فتحها لا يكون إلا بطول حصار بعد معاينته للمدينة من جهة البحر وتسليمه لما قاله حاكمها الحسن بن علي.

وبعد أن تيقن أن الخطة الحربية تقتضي إطالة الحصار وفي ذلك وصف صاحب الاستقصا الحال بقوله: « وشددوا الحصار على المهدية، ونصبوا عليها المجانيق والرعادات في البر والبحر، ولم يرفع عنها القتال ليلا ونهارا، وجعلَ عبد المؤمن قتالها نوبًا على قبائل الموحدين »[6].

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص429.

[2] **رحلة التجاني**، ص348.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص429.

[4] التجاني: المصدر السابق، ص347. الزركشي: المصدر السابق، ص11. الوزير السراج: المصدر السابق، ص251.

[5] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص198.

[6] الناصري:المصدر السابق، ج2، ص122.

ولا شك أن هدفه من ذلك منع وصول الإمدادات والأقوات إليها من صقلية، وقطع خط التزود من مدن إفريقية والأقاليم والمدن المجاورة.

وفي مدة خروج عبد المؤمن لحصار تونس إلى زمن فتح المهدية، تمكن عبد المؤمن من فتح القيروان وسوسة[1]، وجاءته الوفود بالطاعة فدخل في طاعته أهل سفاقص ومدينة طرابلس وجبل نفوسة[2]، وقصور إفريقية، وما والاها وأخضع قابس بالسيف، ودخلت قفصةتحت التهديد بأن سير لها جيشًا بقيادة ابنه، وبالجملة خضعت مدن إفريقية واستخلصت من أيدي القائمين عليها[3]، ودخل أهل إفريقية تحت طائلة عبد المؤمن من برقه إلى تلمسان[4]، دون وجود منازع له في حكمه[5].

وفي تعليق للباحث توفيق مازري عن سبب دخول المدن الإفريقية تحت طاعة عبد المؤمن، يرجع ذلك إلى قوة الأسطول البحري، الذين شعروا بالأمان تحت ظله[6].

أو ربما لإدراكهم بأن لامناص من إبداء أي مقاومة للموحدين، خاصة في ظل التوسع للدولة الموحدية، كما لا نستبعد الشعور بالرابط الإسلامي الذي يجمعهم، ولنا في ذلك أمثلة هي شكوى أهل زويلة لعبد المؤمن ما حل بهم على يد الحامية النورمانية، ومن ذلك أيضًا استنجاد الحسن بن علي بعبد المؤمن الذي رافقه في عملية الفتح.

---

[1] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص198. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص111.

[2] من قفصة إليه نحو ستة أيام، بينه وبين طرابلس مسيرة ثلاثة أيام، وبين القيروان ثلاثة أيام، وهو جبل عال من ثلاثة أيام طولا، وفيه كروم ومياه جارية، وأعناب وتين، وأكثر زرعهم الشعير المتناهي طيبا ولأهله في خبزه صنعة ويقال أنه متصل بجبل درن ذكر الحموي أن جميع أهل الجبل شراة وهبية وإباضية متمردون على طاعة السلاطين. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج5، ص246، 247. الحميري: **الروض المعطار**، ص579.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430. الناصري: المصدر السابق، ج2، ص123.

[4] قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع، وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازة من بلاد المغرب، وبلاد المغرب في الطول والعرض من البحر الذي على ساحله مدينة وهران ومليلة وغيرهما إلى مدينة سول، ومدينة تلمسان مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر، الأولى قديمة في آثار للأول كثيرة، والأخرى حديثة إختطها الملثمون ملوك المغرب وإسمها تافرزت. ينظر: الزهري: المصدر السابق، ص113. الحموي: المصدر السابق، ج2، ص44. الحميري: **الروض المعطار**، ص135.

[5] هناك إشارة تتعلق بزمان دخول هذه المدن تحت طاعة عبد المؤمن قبل فتح المهدية وبعدها، واستنادًا إلى المصادر ففتح القيروان وسوسة كان قبل فتح تونس، أما مدينة قابس فأوردها المراكشي في المعجب بعد فتح المهدية. ينظر: ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص111. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص198. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430. النويري: المصدر السابق، ج 24، ص172. المراكشي: المصدر السابق، ص300.

[6] **النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهد الموحدين**، ج1، ص118.

وبعد أن طال الحصار حاول النورمان نجدة المهدية بطلب الأسطول الذي غزى سواحل الأندلس ومنها جزيرة يابسة Ibiza[1] ونهبها وسبى أهلها بقيادة بطرس أو بيدرو gaito Pietro[2]، وأسرهم في 150 شنيًا غير الطرائد وفي رواية صاحب الحلل الموشية 100 جفن[3] محملة بالأقوات والعدد في محاولة لنجدة المهدية، وبوصولهم هالهم ما رأوا من كثرة عسكر عبد المؤمن ودخل نفوسهم الرعب والخوف، وكان وصولهم يوم الاثنين الثاني والعشرين من عام: 554هـ / 07 سبتمبر 1159م[4].

ولما أدرك قادة الأسطول الموحدي اقتراب الأسطول النورماني من المدينة اجتمعوا بعبد المؤمن وطلبوا منه أخذ زمام المبادرة لتفرق الأسطول فسكت عبد المؤمن فما كان منهم أن استعدوا وفي ذلك يقول التجاني: « حضر مقدموا أسطول عبد المؤمن بين يديه، وقالوا له إن هذا الأسطول قد أقبل ولا يصل إلا متفرقا بحكم المطر فلتأذن لنا في الخروج إليه، فسكت عبد المؤمن فاغتنموا سكوته، وبادروا إلى القطع فملؤوها بما احتاجوا إليه من العدد، واصطفت عساكرالمسلمين في الساحل »[5].

ولما اقترب أسطول النورمان من دار الصناعة وهو ما كان متوقعا، خرج إليه قائد الأسطول أبو عبد الله بن ميمون بأسطول قوامه سبعون شنيًا، وأقام على باب دار الصناعة حيث لا دخول ولا خروج إلاّ منها[6].

---

(1) جزيرة تلي جزيرة ميورقة، ويقال لهذه الجزيرة ولمنوقة بنتا جزيرة منورقة، وأقرب مدن الأندلس منها مدينة دانية بينهما مجري وفي شرقيها مدينة ميورقة ومنورقة، وهي جزيرة حسنة كثيرة الكروم الأعناب، وبها عشر مراس، وبها أنهار جارية، وقرى كثيرة وعمائر متصلة، وأرضها تنبت الصنوبر الجيد العود لإنشاء المراكب.ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص145. الحميري: **الروض المعطار**، ص616. الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص198.

(2) من أهل جربة، أسره النورمان وأعتقه الملك، شغل منصبًا ساميًا وتولى قيادة الأسطول، وتوجه في غزو إلى جزر البليار، ثم توجه إلى المهدية بعد حصار الموحدين لها، ولما أخفق في إنقاذ المهدية عاد إلى صقلية حيث اتهمه خصومه من النبلاء بالخيانة، إلاّ أن وليام الأول لم يكترث لهذه الاتهامات، ولم يتخذ أي إجراء تأديبي بعد عودته إلى بلرم بل إنه على العكس من ذلك ازداد حظوة لدى الملك، ورقي وشغل مناصب سامية لمدة طويلة. ينظر: أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ص161، 162.

(3) جمعها أجفان، وهي مركب حربي وقطعة من قطع الأسطول، معد للحرب والقتال أما شكلها وصفتها وكيفية إجرائها فلم توضحه كتب المؤرخين. ينظر: رفيق المايني: المرجع السابق، ص29.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430. النويري: المصدر السابق، ج 24، ص172. **مؤلف مجهول:الحلل الموشية**، ص154. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص307. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق،ج 1، ص455.

_ Ernest Mercier: Op.cit .P: 103.

(5) **رحلة التجاني**، ص348.

(6) مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص154.

وحدث الاقتتال في البحر وتصف الروايات أن عبد المؤمن كان يعفر وجهه بالتراب ويدعو بالنصر، وبعد قتال طويل، تمكن أسطول عبد المؤمن من إلحاق الهزيمة بالأسطول النورماني، وأسر سبع شواني من سفنهم، وذكرَ التجاني ثمانية بعد أن تقدمت وحاولت الدخول، وتتبع المسلمون الأسطول المنسحب على وقع الانهزام، وخر عبدُ المؤمن ساجدا لله شكرا على هذا النصر، وتحقق الدعاء وتم الفتح[1].

والظاهرُ أن النورمان لم يدركوا الحيلة التي إصطنعها قادة الأسطول الموحدي بترك السفن تقترب من دار الصناعة، إلا بعد تحطيم السفن التي كانت في مقدمة الأسطول، والتي جعلت همها الوصول إلى الحامية، حتى قرروا العودة والانسحاب بسرعة.

ونجا الأسطول الصقلي بعد أن لاذ بالفرار، ولولا إسراعهم إلى التراجع لكانت الهزيمة أكبر، وخسروا الكثير من عساكرهم وغنموا عددا أكبر من السفن[2].

ويورد الباحث رشيد تومي في تعليقه عن إرسال أسطول النجدة الصقلي، بأن هذه الإمداداتِ لو قدر لها الدخول إلى المدينة سالمة لعززت من إمكانياتها وتفعيل قدراتها على المقاومة، وأعطت في جَانب آخر نفسا معنويا لمواصلة المقاومة، مما يؤدي إلى تمديد فترة الحصار، وهذه الحقيقة لم تفت على ذهن قائد أسطول عبد المؤمن ابن ميمون الذي رأى بمعية أعضاء قادة الأسطول تفويت الفرصة على النورمان، وأحرز انتصارا دون عناء كبير هذا في ظل غياب مقاومة نورمانية فعالة[3].

أما الهادي روجي إدريس فقد حاول استقراء آراء المؤرخين الغربيين في البحث عن أسباب انهزام الأسطول النورماني، ومنهم المؤرخ فالكندو Felcand الذي يرى أن سبب الهزيمة يعودُ إلى قائد الأسطول بطرس الذي أعطى الإذن بالتراجع بلا قتال، ويرى إدريس الهادي بعدم صحة ذلك[4].

ونحن نرى بعدم صحتها وبتحميل الانهزام على بيدرو gaito Pietro ودليل ذلك أن ابن الأثير (ت 630هـــ / 1280م) ذكر حصُول قتال واشتباك في البحر[5].

كما ذكر الهادي روجي إدريس حسب تعليق فالكندو Felcand أن أفراد الحامية طلبوا من عبد المؤمن السماح لهم بأخذ رأي حاكم صقلية في نصرة المدينة وإنجادها أم لا، وتسليمها له في حالة تخلي

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430. التجاني: المصدر السابق،ص349. النويري: المصدر السابق، ج24، ص173. الوزير السراج: المصدر السابق، ص252. محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص498.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430. توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص119.

[3] **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص289.

[4] **الدولة الصنهاجية**، ج1، ص457.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430.

حاكم صقلية عنها، وقد سمح عبد المؤمن لهم بذلك، وهو في نظرنا أمر مستبعد، فطول الحصار ومرابطة الجيش لأزيد من ستة أو سبعة أشهر برًا وبحرًا،فمن غير المعقول أن يسمح لهم بذلك، وذكر إدريس الهادي حسب تعليق فالكندو Felcand عن الحادثة، أن الوزير مايو هو من أقنع وليام بالتخلي عن الحامية وأنها لا تحتاج إلى مساعدة[1].

وبعد أن لاذ الأسطول النورماني بالفرار، ويئس النورمان المتواجدون بالمهدية من وصول النجدة، وجهدهم طول مدة الحصار، وإصابتهم أزمة شديدة لارتفاع الأسعار ونفاذ ما عندهم من القوت، حتى أكلوا خيولهم على حد تعبير ابن الأثير (ت 630هـــ / 1280م)[2]، وأثر هذا الوضع على نفسية المحاربين منهم، فنزل إلى عبد المؤمن في أواخر ذي الحجة عشرة من فرسانهم وأعيانهم، وقالوا له: « يا أمير المؤمنين أنت عندنا في كتبنا أنك تملك الأرض »[3].

وسألوه الأمان في الأنفس والأموال والخروج من البلد، فعرض عليهم عبد المؤمن الإسلام، ودعاهم إليه فلم يجيبوه، وحاولوا معه مرارًا ومازالوا يستعطفونه، ويثنون على ملكه وحكمه، ثم أجابهم إلى ما أرادوا، وجهز لهم سفنا لنقلهم إلى صقلية، ولما كان الفصل شاتيًا، وكثرة الأمطار غرق معظمها في البحر وما نجا منها إلا القليل، وكان وليام الأول قد هدد بعد ذلك بقتل المسلمين بصقلية إن أقدم عبد المؤمن على قتل أصحابه بالمهدية[4]، والظاهر أنه لم يفعل وإلا ما سكتت المصادر عن ذكرها[5].

ودخل عبد المؤمن المهدية التي ظلت تحت الحكم النورماني اثني عشر عاما وفي العاشر من شهر محرم سنة 555 هـــ /الموافق لـــ 21 جانفي 1160م، عاد إليها الإسلام على حد تعبير التجاني، وسميت تلك السنة سنة الأخماس[6]، وأدرك عبد المؤمن قيمة النصر الذي تحقق على يديه بعد طول حصار وصبر ومجاهدة، ففرق الأموال على جنده، وقدرت باثني عشر ألف مومنية[7].

وكانت مدة إقامته بها عشرين يومًا، رتب أحوال المدينة ونقل إليها الذخائر والأقوات والسلاح والعدد والرجال، وأصلح ما تهدّم من سورها، وقدم على المهدية أبو عبد الله بن محمد بن فرج الكومي،

---

[1] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص457.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص431.

[3] مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص 154.

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430. التجاني: المصدر السابق، ص449.الناصري: المصدر السابق ج2، ص123.
ـ Ernest Mercier: Op.cit .P: 104.

[5] توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص120.

[6] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص431. التجاني: المصدر السابق، ص449. الزركشي: المصدر السابق، ص12.

[7] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430. التجاني: المصدر السابق، ص449. الناصري: المصدر السابق ج2، ص123.

وجعل معه الحسن بن علي الزيري، وأمرأن يقتدي به في أقواله وأفعاله، وأسكنه دورا نفيسة، ومنح أولاده كذلك إقطاعات وأرزاقًا[1].

وأقام عبد المؤمن ترتيبات إدارية تخص بلاد إفريقية، ونظم جبايتها، وذكر إبن أبي زرع ذلك بقوله: « وفي هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد إفريقية والمغرب، وكسرها من بلاد إفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى[2] بالفراسخ[3] والأميال[4]، وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، وهو أول من أحدث ذلك بالمغرب »[5]، وعقب هذا النصر أتته وفود إفريقية بالمبايعة، فوفد عليه شيخ سفاقص عمر بن أبي الحسن الفرياني، وابن مطروح صاحب طرابلس، ويحي بن تميم صاحب قفصة، ودخل في طاعته جميع ثوار إفريقية ومنهم عيسى بترزت، ومنيع بن بروكش الصنهاجي صاحب زرعة وطبرية[6].

وحصل لعبد المؤمن بذلك أن خضعت جميع مناطق وأقاليم إفريقية بدعم ومساعدة من القبائل العربية، وأزال جميع السلطات الحاكمة في بلاد المغرب، وعين عليها نوابًا وعمالا وعاد إلى المغرب، وهذا بعد أن نظم أمورها ودبر شؤونها، وأعاد النظام إليها[7]، وبهذا واسترجع عبد المؤمن المهدية آخر معقل

---

(1) النويري: المصدر السابق، ج24، ص17. الناصري: المصدر السابق، ج2، ص123.

_ Ernest Mercier: Op.cit .P: 104.

(2) في أقصى بلاد المغرب، وهي مدينة جليلة، وحاضرة جامعة لكل خير وفضل، وأهلها أخلاط، وهي بلاد السكر ويصنع بها منه كل شيء، كثير ويتجهز منه إلى الآفاق، ويصل فاضله إلى خراسان، ويصنع بها من كل الخز العتيق كل جليلة، وبها فواكه كثيرة.ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص65. الزهري: المصدر السابق، ص117. الحميري: **الروض المعطار**، ص329.

(3) اختلف في أصل الكلمة،فقيل: فارسي معرب وأصله فرسنك، وقال اللغويون: عربي محض، وتعني طويلاً، أو يراد به سير ساعة أو ساعات، والفرسخ يساوي ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، وبالتالي الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج1، ص36.

(4) ثلاثة آلاف ذراع بذراع الملك، والذراع ثلاثة أشبار، والشبر ست وثلاثون أصبعًا، والأصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض، والميل جزء من ثلاثة أجزاء من الفرسخ، وقيل: الميل ألفا خطوة وثلاثة مائة وثلاثة وثلاثون خطوة، وأما أهل اللغة فالميل عندهم مدى البصر ومنتهاه، واعتبر البكري أنّ 30 ميلاً في البر يقابلها نصف مجرى في البحر، والميل الروماني ما يعادل 1481 مترًا، والميل العربي ما يعادل عند الإدريسي من كيلومتر إلى كيلومترين، والميل البحري ما يقارب 2000 مترًا. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج1، ص36. البكري: **المغرب في حلى المغرب**، ص105.حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص210، 211.

(5) **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص198، 199.

(6) الزركشي: المصدر السابق، ص12. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص307.

(7) مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص154. إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص263. محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص227.

نورماني بأراضي إفريقية، يعد هذا ضربة قاصمةللنورمان، إذ يجسد نهاية الحكم النورماني واستراتيجيته التوسعية في شمال إفريقية[1].

إلا أن النورمان حاولوا استهداف المهدية من جديد سنة: 558هـ / 1163م، وقد، أشار ابن عذارى وانفرد عن غيره حيث أشار إلى أنّ الهجوم كان من طرف المسيحيين[2].

لكن تبقى هذه الحملة محل جدال بين المؤرخين، فيورد الباحث رشيد تومي آراء بعض المؤرخين الغربيين أمثال: شالندن وأماري ومرسيه، حيث ذكر أن شالندن يتساءل هل قام بها النورمان؟ واستبعد ميشال أماري ذلك، لأن الأسطول النورماني كان منشغل بحربين، الأولى في خليج قابس والثانية عند مصب النيل، ويعزي الفعل إلى جنوة Génes وبيزة Pisa، أما مرسيه، فقد تحدث عن نزول الجيش النورماني بمدينة تونس واحتلها بضعة أيام[3]، أما المصادر الإسلامية فلا تشير إليها إلا ما ذكره ابن عذارى، وإشارة ذلك بأسطول المسيحيين على وجه التعميم.

وتواصل دور الموحدين في مواجهة النورمان، حيث توجه اهتمامهم إلى قطع الطريق أمام أساطيل صقلية النورمانية ومنعها من التوجه إلى سواحل الشام ومصر ومساندتها للصليبين، ومطاردتها وضربها في قواعدها بصقلية، وهو ما أدى بالملك النورماني وليام الثاني (1166 ــ 1189م) إلى إرسال رسوله إلى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن (558 ــ 580هـ / 1164 ــ 1184م) طلبًا للصلح[4]، وفي ذلك يقول صاحب المعجب[5]: « وفي هذه السفرة صالحه ملك صقلية وأرسل إليه بالإتاوة بعد أن خافه خوفًا شديدا، فقبل منه ما وجه به إليه وهادنه على أن يحمل إليه في كل سنة مالاً إتفقا عليه ».

وإجمالا لما قيل عن الغزو النورماني للساحل الإفريقي وموقف الدولة الزيرية منه يمكن القول بأن الظروف السياسية والإقتصادية التي كان تمر بها بلاد المغرب ساعدت الغزو النورماني في تحقيق أهدافه، وقد تجلى ذلك في اضطراب وضع بني زيري السياسي إثر زحف العرب الهلالية وعجزهم في استمالتهم، ثم في مواجهتهم، ولما فشلوا في محاولات صدّهم، قرروا الانتقال من القيروان الداخلية إلى المهدية الساحلية وأصبحوا في خط المواجهة مع النورمان، وازداد الوضع الداخلي اضطرابًا.

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص465. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص296. (ينظر: الملحق رقم 8).

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص316.الهادي روجي إدريس: المرجع، ج1، ص457.

(3) **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص299.

(4) الزهري: المصدر السابق، ص92. ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص103، 104. عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص340.

(5) المراكشي: المصدر السابق، ص325.

وكذا تردي وضع بني زيري الإقتصادي إثر زحف العرب الهلالية، بعد الخراب الذي ألحقته بالسابلة والعمران، وتحول طرق التجارة نحو الساحل، وتوالي سنوات القحط والجفاف، وانقطاع روابط الاتصال التجاري مع بلاد مصر، وحاجة السكان للغذاء بالامتناع عن تصدير القمح، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وشظف العيش وظهور المجاعة الذي أدى إلى مضاعفة الضائقة الإقتصادية.

فوجه النورمان حملات متكررة على الساحل الإفريقي، وكانت مدينة جربة أولى مدن المغرب التي استهدفها النورمان بالغزو خلال النصف الأول من القرن 6هـ / 12م، حين أدرك النورمان أهمية موقعها المتحكم في التجارة البحرية والبرية، فهي تمثل الطريق الرابط بين مصر وبلاد إفريقية، وقاعدة أمامية للمهدية، وفي احتلالها تذرع النورمان بممارسة أهلها للقرصنة، فقرروا غزوها، وعند مباشرتهم ذلك، لقوا تأييدا من الزيرين ومباركة من الفاطميين، وَعُدَّ سقوطها فاتحة خضوع مدن المغرب للسيطرة النورمانية.

وقد حافظ النورمان على علاقات السلم والتعاون التي جمعتهم بالفاطميين في مصر والزيرين في المغرب، وتطلعوا إلى احتلال طرابلس.

وبعد أن تحقق غزو جربة يمن النورمان وجوههم نحو طرابلس لاحتلالها، مستغلين في ذلك ظهور الفتنة والانقسام بين أهلها، وحدوث الضائقة الإقتصادية وحاجة سكانها إلى الغذاء، بدأوا في تنفيذ مشروعهم بإرسال العيون والجواسيس لتقصي أخبارها وتعيين جورج الأنطاكي مسؤولا عن الحملة، وهو العارف بمناطق المغرب وجغرافيتها، واستغرقت مدة تنفيذ الاحتلال ما يزيد عن السنتين، وقد استعصت عليهم لمنعتها الطبيعية وشدة تحصينها، لكنها سقطت بسبب إصرار النورمان على دخولها، وترك الأسوار ـــ دون حراسة ـــ حيث تعرضت المدينة للتخريب، وقد أعاد النورمان بناءها، وأقاموا بها حامية عسكرية، وتركوا الحرية لأهالي المدينة في اختيار من يحكمهم، فنعم أهلها بالهدوء والاستقرار في ظل حكمهم.

وتطلع النورمان بعد احتلال طرابلس إلى مدينة قابس مستغلين في ذلك ظهور الحزازات والصراعات الداخلية بين أهلها، وطلب يوسف الدخول تحت طاعة روجار بعد أن قدم نموذجه في الحكم (بني مطروح في طرابلس)، حيث استطاع الحسن بسط سيطرته على قابس ولقي في ذلك تأييداشعبيا وحماسا بإثارته قضية موالاة يوسف للفرنج على المسلمين.

ولم تظهر نوايا النورمان في مساعدة قابس رغم قبول روجار العهد والخلعة التي قدمها يوسف، ويفسر ذلك بأحد الأمرين:

الأول، ربما لأن روجار يرى أن احتلال قابس لم يحن أوانه بعد، وهو مرتبط بسقوط المهدية، والأمرالثاني انشغاله بمواجهة البيزنطيين، ويعتبر إخضاع الحسن للمدينة أحد الأسباب التي جعلت روجار يوجه حملة إلى المهدية، لأنه رأى أن الحسن نقض عهود الصلح التي تربطهما، وأن قابس من المناطق المحالفة له وهي منطقة نفوذ.

وقد سعى النورمان إلى تثبيت وجودهم ببلاد المغرب بترك حاميات عسكرية في المدن ذات الأهمية الإستراتيجية منها طرابلس والمهدية، بتعيين حكام موالين لهم في باقي المدن، ولكن لم تمر فترة طويلة على التبعية والولاء للنورمان، حتى عمت الانتفاضات والثورات سائر مدن الساحل المغربي، وسببها رفض السكان الخضوع لسيطرة النورمان، والتطلع نحو التحرر والإنعتاق، فهم لم ينسوا بطشهم وتنكيبهم ثم مصادرة أراضيهم وأموالهم، وإجبارهم على دفع الإتاوات والضرائب التي أرهقتهم، كما لم ينسوا الإهانة التي لحقتهم باقتياد الحكام والعلماء والرعايا إلى صقلية كرهائن، وتقييد أهاليهم بالطاعة والولاء.

كما تهيأت ظروف الانتفاضة والثورة على النورمان في البلاد بظهور زعامات وطنية ببلاد المغرب التي لقيت تأييدًا شعبيًا كبيرًا، وفي صقلية باضطراب وضعها الداخلي والخارجي بعد تولي وليام الأول الذي أساء التدبير بتنامي خطر الإمبراطورية الألمانية على المملكة، فاندلعت الانتفاضات والثورات في جربة وسفاقص وطرابلس وقابس وحققت نجاحات هامة، وتم التخلص من السيطرة النورمانية، ولم يخرج عنها عدا زويلةوالمهدية وسوسه.

ومما ساعد على نجاحها إهمال صقلية لشؤون الحاميات الموجودة بها، وتأخرها في تقديم المدد، وإصرار أهلها على التحرر، خاصة عندما تعلق الأمر بالعقيدة الدينية، وتقوت عزيمتهم بظهور الموحدين بالغرب، كقوةٍ إسلامية ناشئة، أعطت دعمًا معنويًا ونفسًا جديدًا في الانعتاق.

وقد أدرك حكام مدن بلاد المغرب مدى قوة الموحدين، لذا سارعوا إلى إعلان الولاء والتبعية، وطلب النجدة والاستغاثة، وتلبية لنداءنصرة المسلمين، وتحقيقًا للتوسع وإنشاء خلافة إسلامية واحدة، تحرك عبد المؤمن باتجاه المهدية بهدف تحريرها، وحاصرها عن طريق البر والبحر، فحاول النورمان تخليص المدينة بتوجيه أسطولهم البحري لنجدتها، لكن استراتيجية القادة البحريين فاقت تصوراتهم وقدراتهم بأن جعلوا من مدخل المدينة طعما في الانقضاض عليها في حالة تقدمهم.

ولم يبد الأسطول النورماني فعالية كبيرة لاسترجاع المدينة،لإدراكهم مدى إحكام الموحدين للحصار وعجزهم عن المواجهة بسبب حالة التعب بين صفوفه، وبعد عجز الأسطول عن تقديم النجدة، اضطر أفراد الحامية المتواجدة بالمهدية إلى الاستسلام ونزلوا عند شروط عبد المؤمن.

وكان تحقق تحرير المهدية بفضل إصرار عبد المؤمن على تحريرها، بقوة جيشِه البري والبحري، وكفاءة قادته واستعانته بحكام بلاد المغرب، واقتياده لزعماء العرب معه فلم يترك مجالا للتآمر عليه وخيانته، وتعيين المخلصين من رجاله على المناطق المفتوحة، واستفادته من اضطراب وضع صقلية الداخلي والخارجي.

ليكون إنهاء السيطرة النورمانية أهم حدث قام به الموحدون، وتم توحيد مناطق وأقاليم بلاد المغرب تحت سلطتهم، فنظموا شؤونها الإدارية والمالية، وهو ما لم تشهده المنطقة من ذي قبل.

الفصل الرابع

موقف دول صنهاجة من الغزو النورماني لبلاد الأندلس والمغرب وردود الفعل

المبحث الأول: موقف الدولة المرابطية من الغزو النورماني لسواحل الأندلس والمغرب

المبحث الثاني: موقف الدولة الحمادية من الغارات النورمانية لسواحل المغرب الأوسط

المبحث الأول: موقف الدولة المرابطية من الغزو النورماني لسواحل الأندلس والمغرب

توالت الأخطار الخارجية على بلاد الأندلس أواخر القرن 5هـــ / 10م بتحرك نورمان الشمال باتجاه سواحل الأندلس، في الوقت الذي كان فيه المرابطون يحاولون رأب الصدع الداخلي ويردون عاديات الممالك الإسبانية، حيث تعرضت جهاتها الشرقية لهجمات نورمان صقلية المتحالفة مع القوى المسيحية، وفي محاولة منهم البحث على المجال الحيوي للسيطرة على بلاد المغرب تأزمت العلاقات المرابطية النورمانية.

1 . مظاهر العدوان النورماني على سواحل الأندلس الغربية:

شكّل الفرع الثاني لقبيلة صنهاجة المتكونة من لمتونة ومسوفة وجدالة التي استطاعت تأسيس دولة المرابطين[1] بالمغرب والأندلس، الدرع الواقي لبلاد المغرب وجزر البليار والأندلس، وتمكنوا من التصدي

---

(1) قامت دولة المرابطين على قبيلة لمتونة الصنهاجية تحت زعامة روحية لعبد الله بن ياسين، نتيجة معارضة أعيانها بمخالفته أعرافهم وصرامته في تطبيق أحكام الدين فتعرض إلى محاولة قتل، واضطر إلى أن يشد الرحال جنوبًا إلى جزيرة نهر السنغال، فاتخذها مركزًا لنشر مذهبه ورباطًا لدعوته، وانتقل المرابطون من طور الدعوة إلى استعمال العنف ضد المخالفين، حيث قادوا إثرها حركة توسعية بقيادة عبد الله بن ياسين، فتمكنوا من فتح مناطق جنوب المغرب، ومنها درعة وسجلماسة والسوس، وتوغلوا نحو الوسط فاصطدموا بإمارة برغواطة في بلاد تامسنا وتمكنوا من إزاحتها، وقتل عبد الله بن ياسين سنة: 451هـــ / 1059م أثناء مواجهتهم، ثم واصل يوسف بن تاشفين فتوحاته في بلاد المغرب الأقصى ودخل مراكش سنة: 454هـــ / 1062م، واتخذها مقرًا لحكمه، وواصل توسعاته فضم جزءًا من المغرب الأوسط سنة: 473هـــ / 1079م، وكانت أخبار انتصاراته تصل الأندلس مما جعل حكامها يطلبون النجدة، ومنهم المعتمد ابن عباد أمير أشبيلية (461 ــ 484هـــ / 1069 ــ 1091م) بعد أن أخذ النصارى مدنها فما كان من يوسف بن تاشفين إلاّ أن لبى نداء النجدة وانتقل للأندلس، وكانت المعركة التي تعرف الزلاقة في 12 رجب سنة: 479هـــ / 23 أكتوبر 1086م، والتي أدت إلى انهزام الفونسو السادس وتوحيد بلاد الأندلس. ينظر: المراكشي: المصدر السابق، ص156، 157.ابن أبي زرع: المصدر السابق، (ص125، 126)، (ص131، 132). ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، ص234 ــ237.مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص15 ــ 23، 38.

و نصر الله سعدون عباس: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس في عهد يوسف بن تاشفين**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص26 ــ 28.عبد المنعم محمد حسين حمدي: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص37 ــ 40. يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدي، ترجمة:** عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996،ص67. إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين**، ط1، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت ، 1993، ص10 ــ 12. حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة ، د.ت، ص141. محمد الأمين بلغيث: **نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار الخلدونية، الجزائر،ط1، 2007، ص67. صالح محمد فياض أودياك: **فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين**، كلية الآداب، جامعة اليرموك، مجلة المؤرخ العربي، ص230.

للنورمان والقوى المسيحية المتربصة في البحر المتوسط، وفي استمرار أحد فروع صنهاجة في الحكم بالمغرب الأدنى والأوسط إلى غاية سقوط دولتهم.

ترك قيام دولة المرابطين بالمغرب والأندلس أثرًا في توازن القوى المتناحرة في الجزء الغربي من البحر المتوسط، في ظل المتغيرات الدولية العديدة، وفي هذه الفترة سيطر النورمان على جنوب إيطاليا وصقلية وباتوا يهددون سواحل المغرب، وبروز تهديدات الجمهوريات الإيطالية للملاحة في المنطقة، ومحاولة ليون وقشتالة بسط نفوذها على الأندلس وانتزاع الحصون والقلاع من ملوك الطوائف، ونجاح البابوية في تهيئة أذهان الأوربيين بالدعوة إلى حرب صليبية[1].

ونتيجة لتقبل تلك الأفكار، تعرضت الأندلس لإغارة الملاحين الإيطاليين والمغامرين من رجال الشمال (النورمان)، والجنود الإسبانيين المندفعين بتحريض من البابوية[2]، وحققت الصليبية نجاحات خلال الحملة الأولى ابتداء من عام: 489هـ / 1095م، ففي الوقت الذي كانت فيه قوات الصليبيين تهاجم بلاد المشرق كان الإسبان يهاجمون مدن الأندلس، وكانت أساطيل النورمان تهاجم السواحل الإفريقية وبلاد الأندلس، وتزامن كل هذا في وقت واحد[3].

وازدادت حدة هجماتهم على بلاد الأندلس، وخاصة بعد أن أصدر البابا أوربان الثاني UrbainII (1088 ـ 1099م)[4]، مرسومًا حرم على رجال الدين المشاركة في صليبيات المشرق، وأن بلاد الأندلس لا تقل أهمية عن بلاد المشرق، فهرع الفرسان إلى بلاد الأندلس لأنها أيسر وأقل عناء[5].

أ. الإعتداءات النورمانية على سواحل الأندلس

تعرضت سواحل الأندلس الغربية زمن انتقال المرابطين إليها أواخر القرن 5هـ / 11م لحملة نورمانية وافدة من شمال أوروبا مع مطلع القرن 6هـ / 12م، ويأتي تحرك هذه الحملة في إطار المشاركة في الحرب الصليبية التي دعت إليها البابوية مشرقًا ومغربًا بدافع نوازع دينية وأطماع اقتصادية، والبحث عن

---

(1) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص329.

(2) لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص372.

(3) توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص73.

(4) محرك الحرب الصليبية الأولى، ألقى خطبته في مجمع كليمون بفرنسا في 488 هـ / نوفمبر 1095م، واستعمل جميع الوسائل لإثارة حمية المسيحيين بغفران الذنوب وتكفير المعاصي، ودعاهم لاستخلاص بيت المقدس وتحرير قبر المسيح من المسلمين الآثمين في نظره، وقدم طائفة من المنح والامتيازات لمن يشاركون في الحملة، وكتب إلى سائر رجال الدين والفرسان والأمراء والبارونات يحثهم على المشاركة في الحرب المقدسة. ينظر: محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص34. محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص310. عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ص116.

(5) محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص190.

مراكز نفوذ للسيطرة على دول غرب المتوسط، وبخاصة بلاد المغرب والأندلس، وقد تزامن ذلك وخصوصية المرحلة التي تعرفها دول المغرب، يضاف إليها حالة الانقسام والضعف التي كانت تعانيها الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية وظهور ملوك الطوائف.

غير أن المصادر لا تسعفنا في الحصول على تفاصيل الغزو ومراحله، إلا ما أشار إليه عصام سالم سيسالم في مؤلفه « جزر البليار المنسية » نقلاً عن المصادر الإفرنجية، حيث أشار إلى أنه في سنة: 502هـ / 1105م، تحرك الأسطول النورماني بقيادة الملك سيجارد الأول Siguard Iابن ماجنوس الثالث Magnus III باتجاه بلاد الشام، لمساندة الصليبيين تلبية لنداء أوربان الثاني Urban II، الذي أعلن عن حرب صليبية على البلاد الإسلامية، وبعد أن قضى فصل الشتاء في إنجلتر، هاجم ساحل الأندلس الغربي، وشمل هجومه مدينة شنترة ولشبونة وقصر أبي دانس[1].

ويأتي تحركه بعد أن أصدر البابا باسكال الثاني (حكم سنة 1099 ــ 1118م)، مرسومًا وضّح فيه أن الحرب ضد مسلمي الأندلس لا تختلف عن حربهم في بلاد المشرق وهذا بعد نجاح الحملة، فكان من آثار ذلك أن أصبحت البعثات الصليبية الواردة من الشمال، لا ترى مانعًا إذا تعطلت في سيرها أن تعين ملوك إسبانيا في حروبهم ضد المسلمين، ومنهم الفونسو المحارب[2] الذي ملك في هذه الفترة معظم شبه الجزيرة[3].

---

(1) عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص220.

(2) ألفونسو الأول المحارب (499 ــ 529هـ / 1105 ــ 1134)، تسميه المصادر الإسلامية ابن رُدمِير ــ احتل مدينة تطيلة عام 511هـ / 1117م، وتمكن من دخول سرقسطة عام: 512هـ / 1118، بالتحالف مع الإسبان واتخذها عاصمة لأراغون، ثم على مدينة روطة ومدينة طرسونة عام: 513هـ / 1120م، ومعظم معاقل الثغر الأعلى، وفي الفترة الممتدة من 519 ــ 520هـ / 1125 ــ 1126م، واستولى على معظم مدن وقواعد بلاد الأندلس، وانتصر على المرابطين في معركة القلاعة شرقي الأندلس في عام: 523هـ / 1129م، وواصل تقدمه في معاقل الثغر الأعلى، فكان هدفه الاستيلاء على لاردة وإفراغة ومكناسة، وبتقدمه نحو إفراغة تصدى لهم المرابطون في معركة ضارية سنة: 528هـ / 1134م، فانهزم فيها وتوفي بعدها بأيام. ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص310. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص251.

وحسين مؤنس: **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين**، مكتبة الثقافة الدينية ــ بور سعيد، مصر، 1992، ص50، 51. عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ص74. يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص176.

(3) محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص191. حسين مؤنس: **الثغر الأندلسي الأعلى في عصر المرابطين**، ص23.

و لم تكن هذه المناطق قد خضعت بعد لحكم المرابطين، بالرغم من أن المرابطين قد قضوا على دولة بنو الأفطس[1] الذي كان آخر حكام غرب الأندلس في عصر الطوائف[2].

وكان لعزلة هذه المناطق قبل خضوعها لحكم المرابطين وانشغالهم بمواجهة القشتاليين سببًا في تعرضها للغزو النورماني[3]، وواصل الأسطول النورماني طريقه في محاولة الوصول إلى مياه البحر المتوسط، وعند مروه بالمضيق تعرضت له سفن الأسطول الإسلامي واضطرته إلى الابتعاد عن سواحل الأندلس[4]، وبالتالي فإن الأسطول المرابطي هو من تصدى له عند محاولته تلك من قاعدته الرئيسية بسبتة لأن المنطقة خلال هذه الفترة كانت ضمن المجال البحري للمرابطين.

وما إن ابتعد أسطول النورمان عن سواحل الأندلس حتى هاجم جزيرة فرمنتيرة Formentera إحدى جزر البليار الصغيرة المساحة، والتي استعصت على أسطول النورمان لصعوبة تضاريسها وسورها

---

(1) مؤسس هذه الأسرة هو عبد الله بن الأفطس سنة: 413هـ / 1022م، وكانت عاصمة دولتهم بطليموس، ومن مدنها ماردة وأشبونة وشنترين ويابرة وشنترة وقلمرية، حكمت هذه الدولة أكثر من سبعين عاما، دخلت الدولة في عهد المظفر محمد بن عبد الله الأفطس في صراع عنيف مع ملوك الطوائف، فاستغل ملك قشتالة فرناندو الأول ذلك واستولى على بعض مناطقها الشمالية، وانتهى حكم هذه الأسرة على يد المرابطين سنة: 488هـ / 1094م، وتم إعدام حاكمها المتوكل الذي استنجد بقشتالة. ينظر ترجمته في: المراكشي: المصدر السابق، ص127، 128. ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص236 ـ 238. ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص183. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص71، 72. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص231، 232.

(2) المراكشي: المصدر السابق، ص128.

والأمير عبد الله (ت 483هـ / 1090م): **التبيان**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعرف، مصر، 1955، ص172.

(3) اتجهوا برسم الجهاد صوب مدينة إقليش قاعدة كورة شنتبرية الواقعة شرق مدينة طليطلة ففتحوها، وتركوا الجيش يتحصن بقصبة إقليش بقيادة شانجة ولي عهد الفونسوا السادس، وجرت المعركة في 16 شوال عام: 501هـ / 29ماي 1108م، كانت الهزيمة ساحقة للجيش القشتالي. ينظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص159.

والرشاطي أبو محمد (ت 542هـ / 1147م): **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**، تحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك ليلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990، ص16. ابن القطان أبو محمد حسن بن علي الكتامي (كان حيا سنة 650هـ / 1252م): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمد علي مكي، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990،ج6، ص63 وما بعدها.

ويراجع: عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ص60 وما بعدها. عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص458. حسين مؤنس: **الثغر الأندلسي الأعلى في عصر المرابطين**، ص34،35.

(4) عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص 220، 221.

المنيع، ووجود حامية مدافعة، وتمكن النورمان من دخول المدينة فتعرض ساكنتها للقتل والسبي، ومنها هاجم الأسطول جزيرة يابسة Ibiza ومنورقة لم يتمكن منها لمقاومة أهلها، وواصل طريقه فوصل صقلية[1].

وفي جزيرة صقلية أخذ الأسطول النورماني وقتًا للراحة لينتقل بعدها إلى بلاد الشام، ويشارك في الحملة الصليبية الأولى، وكان وصوله إلى جانب قوات الفرنجة Franks أثر في سقوط كل من مدينة طرابلس وبيروت وجبيل وبانياس وصيدا في الفترة الممتدة ما بين [2].

ومن المفيد جدًا أن نشير إلى أن تحرك النورمان على طول سواحل الأندلس حقق مكاسب مادية، ويبقى الدافع الصليبي هو الأبرز في كل هذه الحملات، ومما يدل على ذلك استهدافهم للمدن الإسلامية في بلاد الأندلس وجزر البليار، وتحديد نقطة الاستراحة (صقلية) والاجتماع ببني جلدتهم من نورمان صقلية، ونقطة الوصول بلاد الشام، وقدموا دعما للحملات الصليبية على بلاد المشرق، وساهم ذلك الدعم في سقوط العديد من المدن التي أصبحت قواعد لإمارات صليبية.

2 . تأزم العلاقات المرابطية النورمانية:

تأتي العلاقات النورمانية المرابطية في إطار الصراع والاحتكاك الذي حدث بينها عقب انتقال المرابطين إلى الأندلس وتوحيد الصف الإسلامي، ومواجهة النورمان المتحالفين مع القوى المسيحية والممالك النصرانية (ليون وقشتالة)، ومد نفوذها إلى الجزر الشرقية (البليار) لخلق قاعدة متقدمة للمواجهة ودعمها ونصرتها لبني زيري في بلاد إفريقية، ومحاولة فرض سيادتها على الحوض الشرقي للمتوسط.

ويمكن إرجاع أسباب هذا الإحتكاك والصراع إلى ما يلي:

---

[1] أعمل النورمان الحيلة في دخول المدينة بأن صعدوا الصخور المطلة على السور، وتمكن رُماته من فتح ثغرة في السور دخل منه النورمان، ولجأ أفراد الحامية المدافعة إلى كهف، وعمد النورمان إلى وضع الحطب وقضوا على من فيه. ينظر: عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص221.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص136. عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص386 وما بعدها.

لم تكن هذه أخر حملات الشمال المسيحي على بلاد الأندلس، فقد ظهر حملة أواخر القرن السادس وفي سنة: 548هـ / 1153م، قام الكونت روجنفالدر Rognvaldr كونت أوركادس (مجموعة جزر استكوتلندا) بتحريك أسطوله باتجاه مدن أندلسية، ونهب وسبى العدد الكثير من أهلها، وساقهم معه في طريقه إلى بلاد المشرق، وفي سردينيا توقف هناك وباعهم لتجار المهدية وطرابلس، ويوم ذاك كانتا خاضعتين للنورمان. ينظر: عبد السلام ولد يحي: **الموانئ والأسطول بالمغرب الأقصى زمن المرابطين والموحدين (426 ــ 667هــ / 1034 ــ 1268م)**،رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تونس، 2015 ــ 2016م، ص201، 202.

أ. المنافسة على السيادة المتوسطية:

عمل المرابطون بعد دخولهم إلى الأندلس سنة: 479هـ / 1095م، على محاولة فرض سيادة على الحوض المتوسطي، فبعد أن سيطروا على الواجهة الأطلسية والحوض الغربي للمتوسط، امتدت أنظارهم إلى الجهة الشرقية منه، فكان اهتمامهم بما يحقق ذلك، وأنصب تركيزهم على تطوير الأسطول البحري، وما يحقق قوته من تحصين موانئه ومراسيه على طول الشريط الساحلي، وخلق قواعد متقدمة، لفرض وجود أمام القوى المعادية من النورمان والجمهوريات الإيطالية.

واتخذ المرابطون من قواعد وموانئ الأسطول نقطة انطلاق في تحركاتهم، وفي عمليات الإغارات المتكررة، والقيام بعمليات حربية دفاعًا عن سواحل المغرب في محاولة لاسترجاع السيادة الإسلامية، وفرض هيبة في البحر المتوسط[1]، مستفيدين من القدرات البشرية لبعض الأسر التي جعلت البحر وطنًا لها، مثل أسرة بني ميمون[2] التي اكتسبت خبرة في قيادة الأسطول المرابطي ضد النورمانيين في صقلية وبيزة Pisa وجنوة Génes، والسيطرة على النصف الغربي للمتوسط والمحيط الأطلسي[3]، وامتد نشاطه إلى الحوض الغربي للمتوسط واستنجد به في الأندلس وببلاد المغرب[4]، واستمر في نشاطه بشرق المتوسط فكانت غاراته على صقلية وجنوب أوروبا وسواحل إيطاليا في محاولة وضع حد لاعتداءات النصارى[5].

وقد وصف ابن خلدون قوة أسطول المرابطين في مقدمته بقوله:« وكان الجانب الغربي من البحر المتوسط لهذا العهد (العهد المرابطي) موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو، ولا كانت لهم به كرة، فكان قائد الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة قادس...، وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة من

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510 ــ 546هـ / 1116 ــ1151م)**، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص145. علي محمد الصلابي: **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، ط1، دار الوثائق القومية، القاهرة، 2006، ص143. حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص330.

[2] من أفراد هذه الأسرة، محمد بن ميمون في المرية، وعيسى بن ميمون في شمنترية الغرب، وابنه علي بن عيسى بن ميمون في قادش، ولب بن ميمون في ميورقة، ولعبت أسرة بني ميمون دورًا رياديًا في حماية ثغور المسلمين والذود عن حوزتهم وأعراضهم وأموالهم وعقيدتهم، ولقيت هذه الأسرة التقدير من طرف المرابطين. ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق،ج1، ص308. التجاني: المصدر السابق، ص347. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص214. الحميري: **الروض المعطار**، ص446.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق،ج1، ص315، 316. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص240.

وعلي قنبر إلياس: **بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي (508 ــ 599هـ / 1115 ــ 1202م)**، كلية التربية، جامعة الموصل، 2010، ص418.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص162. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص245.

[5] يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص145. توفيق مزاري: المرجع السابق،ج1، ص79.

بلاد العدوتين »[1]، فوفرت هذه القوة للأسطول المرابطي نفوذاً بحريًا بدأت ملامحه تلوح في الأفق نحو الجهات الشرقية للمتوسط الذي كان يسيطر عليه النورمان، وهو ما أقلق النورمان فسارعوا إلى التحالف مع القوى الصليبية متخذين ذريعة الاعتداء على أملاكهم في صقلية.

وقد ذكر التجاني أن الأسطول كان دائم الغزو لصقلية في إشارة إلى التعاون العسكري الذي جمع بني زيري والمرابطين، وهو ما جعل روجار يعتقد أن أي إغارة على صقلية من طرف المرابطين، إنما هي بتحريك من الزيريين[2]، حيث تمكن من اكتساب قوة وهيبة في البحر المتوسط، وقيامه بشن هجمات على سواحل جنوب إيطاليا بقيادة عيسى بن ميمون[3]، الذي نال من كنائس المسيحيين وأسر الكثير منهم وساقهم إلى مراكش[4].

وهو ما يوحي أن المرابطين لم يكتفوا بالإغارة على أملاك صقلية، وإنما كان الأسطول المرابطي يجوب المياه القريبة من صقلية عاصمة المملكة النورمانية، والمصادر هنا لا تشير إلى حدوث صدام، وهو ما يفسر بأن النورمان تحاشوا الاصطدام معهم.

وازدهرت التجارة الخارجية في عهد المرابطين، بسبب نمو البحرية المرابطية وظهورها في ميدان الصراع الدولي، وأصبحت تنافس الجمهوريات الإيطالية والنورمان، واستطاع المرابطون بعد ضم موانئ شرق الأندلس (ميورقه ومنورقه)، من تأمين التجارة البحرية ومواجهة القرصنة[5]، فكانت المرية Almeria مركزًا وقاعدة للسفن القادمة من شرق المتوسط، ومحطة لمراكب النصارى إلى مختلف البلاد الأندلسية، وتشحن في مقابل ذلك السلع والمنتجات الأندلسية إلى سائر بلاد المتوسط[6].

ويستفاد ومما ذكره الرشاطي (ت 542هـ / 1147م) حول الأهمية التجارية بمدينة المرية Almeria بقوله: « المرية مدينة على ساحل البحر من أجل بلاد الأندلس وأعظمها قدرا، وأعلاها حضرا، بها المتاجر العظيمة، والصناعات الكثيرة، ولها الأمر الشائع والذكر الذائع، فإليها سفر أهل الشرق والغرب

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص315، 316.

[2] **رحلة التجاني**، ص339.

[3] لم نعثر له على ترجمة له، غير أن الباحث علي قنبر إلياس ذكر أنه كان أمير البحر في أواخر أيام يوسف بن تاشفين (453 ــ 500هـ / 1061 ــ 1106م) في شمنترية الغرب، وقد ورث أبناءه وأحفاده هذا المنصب طوال عصر المرابطين. ينظر: علي قنبر إلياس: المرجع السابق، ص419.

[4] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص395.

[5] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص401.أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص461.

[6] الإدريسي: المصدر السابق، ص141. عبد العزيز سالم: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، ص89.

من بلاد الإسلام وغير بلاد الإسلام، وبها تجمع القاصي والداني والعربي والعجمي فكأنها بقعة محشر تجمع فيها كل متجر»[1].

ويعود نشاط الحركة التجارية لميناء المرية Almeria نتيجة الاتفاقيات المبرمة التي جمعت المرابطين والمدن الإيطالية (جنوة Génes، بيزة Pisa، البندقية Venise) الواقعة على البحر المتوسط، وكان مما جاء فيها حماية الطرق التجارية، وتسهيل كل ما من شأنه أن يسهل العمل التجاري[2]، يضاف إلى ذلك سيطرة المرابطين على طرق القوافل الغربية، وقوة عملتها، وازدادت التجارة نشاطا مع أوروبا اللاتينية في الغرب[3].

ولتأمين التجارة في البحر المتوسط قام المرابطون بشن عمليات بحرية على جنوب إيطاليا وصقلية وذلك لوضع حد لامتداد نفوذهم وهيمنتهم على البحر المتوسط[4].

لكن الملفت أنه بعد سقوط دولة المرابطين سنة: 541هـ / 1146م، حرصت الشعوب الإسكندافية التي حافظت على استقرارها بالمناطق الشمالية في الفترة الممتدة بين (548 ــ 559هـ / 1153 ــ 1163م)، على إقامة علاقات تجارية مع المسملين في طريق حجِّهم ذهابًا وإيابًا بالأندلس وجزر البليار أكثر من إهتمامهم بمواجهتهم عسكريًا[5].

ويمكن القول بأن جذور الخلاف وتأزم العلاقات بين المرابطين والنورمان في حقيقتها تعود إلى فترة تواجد المرابطين بالأندلس، وامتلاكهم لأسطول بحري قوي بعدد قطعه ومراكبه وتعداد رجاله وتنوع

---

(1) **الأندلس في اقتباس الأنوار**، ص59.

(2) عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج5، ص219.

(3) لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص387.

(4) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص308.

وعيسى بن الذيب: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (480 ــ 540هـ / 1056 ــ 1145م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2008 ــ 2009م، ص397.

(5) في الوقت نفسه أبرم وليام الثاني (1166 ــ 1189م) مع أبي يوسف يعقوب الموحدي (558 ــ 580هـ / 1163 ــ 1184م) معاهدة كان الدافع إليها تحقيق مصالح اقتصادية أكثر من العداء لبني غانية، وحماية التجار الصقليين بالبحر، والتزم فيها الخليفة الموحدي بدفع مبلغ مالي سنوي للخزينة الصقلية مقابل حماية التجار المسلمين بصقلية، وحصل الصقليون على حق إنشاء الصوامع بالمدن الإفريقية. ينظر: أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص320. عبد السلام ولد يحيى: المرجع السابق، ص202. مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص83. رشيد تومي: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان**، ص299، 300.

قواعده ومراسيه، الذي شكل خطرا على النورمان والقوى المسيحية المتربصة ببلاد الأندلس وبلاد المغرب، إذ لم يكتف بالدفاع والنصرة، وإنما بنشاطه وتحركاته الدائمة في إطار مناورات أوقفت نوايا الخصوم عن القيام بأي عمل عدائي.

وقد ساهم الأسطول في انتعاش التجارة الخارجية للمرابطين بعد تمكنهم من صد القرصنة البحرية، وظل التبادل التجاري قائمًا، وإن حصل فتور في فترات بسب توتر العلاقات مع الممالك النصرانية وساهمت السيادة البحرية للمرابطين في الحوض المتوسطي في التحكم في التجارة العالمية، وخاصة المغربية الأندلسية وهو ما أقلق النورمان وضاعف من حدة التوتر.

ب. امتداد النفوذ المرابطي إلى جزر البليار:

لعبت جزر البليار[1] دورًا كبيرًا في مواجهة الامتداد النورماني المتنامي نحو بلاد الأندلس، وبحكم موقعها في قلب الحوض الغربي للمتوسط جعلها رؤية استراتيجية لأي قوة بحرية متطلعة للسيطرة عليه[2]، وازداد دورها في الدفاع والمواجهة بعد أن خضعت لحكم المرابطين، فتعرضت لحملات عديدة بهدف الاستيلاء عليها، وذلك لخصوصيتها الجغرافية وحصانتها الطبيعية، ومنها حملة القطلان، وحملة الكونت أرمنجول Aremengol في عهد مبشر بن سليمان (446 ــ 508هــ / 1093 ــ 1114م) ثم

---

[1] تتكون الجزر الشرقية من جزيرة منورقة وميورقة ويابسة، وقد أطلق عليها الجغرافيون المحدثون جزر البليار، وهي قريبة من شواطئ إسبانيا الشرقية، وهي أكبر جزائر الأندلس في بحر الروم على ساحلها الشرقي، امتازت هذه الجزر باعتدال مناخها، وتنوع هوائها، وخصوبة أراضيها، ووفرة إنتاجها، وأكبر هذه الجزر هي جزيرة ميورقة، كما كانت عاصمتها بالما Palam، ويبلغ طولها أربعين ميلاً وأشهرت يابسة بكثرة الكروم بها وصناعة المراكب لوفرة الأخشاب، وخضعت جزر البليار منذ سنة 405هــ / 1014م، لحكم مجاهد العامري، الذي ولى عليها ابن أخيه ثم مولاه الأغلب سنة: 428هــ / 1037م، وظل الأغلب يحكمها بعد مقتل مجاهد سنة: 436هــ / 1044م، واستأذن الأغلب علي بن مجاهد في الغزو، واستخلف على ميورقة صهره سليمان بن مشكيان إلى أن توفي، فعين علي بن مجاهد مبشر بن سليمان (446 ــ 508هــ / 1093 ــ 1114م)، الذي تسمّى بناصر الدولة، وحدث في زمان حكم بن مبشر بن سليمان أن المقتدر بن هود صاحب سرقسطة على دانية في سنة: 468هــ / 1076م، وألقى القبض على علي بن مجاهد ونقله إلى سرقسطة، وظل بها سجينًا إلى أن توفي سنة: 474هــ / 1071م، فلما علم مبشر بن سليمان بوفاته أعلن استقلاله بميورقة. ينظر: الرشاطي: المصدر السابق، ص94. الإدريسي: المصدر السابق، ص145. المراكشي: المصدر السابق، ص212. الحموي: المصدر السابق، ج5، ص245، 424.ابن عذارى: المصدر السابق،ج3، ص155. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص211. الحميري: **الروض المعطار**، ص616. ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج2، ص466.

ويراجع: ابن عميرة أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (ت 658هــ / 1260م): **تاريخ ميورقة**، تحقيق: محمد بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1971، ص27.

[2] توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص74.

حملة الكونت رامون برنجير Ramon Berenguer III ملك برشلونة[1] وقد فشلت جميع هذه الحملات في الاستيلاء عليها[2].

وتنامت قوة المرابطين في الحوض الغربي للمتوسط مع بداية النصف الثاني من القرن 5هـ / 11م، بعد هيمنتهم على السواحل الأندلسية وضعف النصارى في الدفاع عنها وكانت استراتيجيتهم البحرية قائمة على اتخاذ المرية Almeria قاعدة ومركزا لأسطولهم البحري، وميناء حربي وتجاري في نفس الوقت وكانت لها تقاليد منذ أيام عبد الرحمن الأوسط[3].

وبعد أن قضى يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف، لم يتعرض لمبشر بن سليمان الذي كان يحكم جزر البليار، والذي عرف بعدله ومواجهته للنصارى، ولبني هود في سرقسطة[4] لكي يدفعوا عنهم عاديات الشمال، وقد أشار صاحب الحلل إلى ذلك بقوله: « لكونه يقف حائلاً بينهم وبين بلاد الإفرنج والإردمانيين »[5].

وقد شكل موقع جزر البليار شوكة حلق اتجاه الجمهوريات الإيطالية، وعلم يوسف بن تاشفين ما كان يقوم به سكانها من الإغارة، ونجاحهم في رد غزوات الممالك البحرية الإيطالية، ووقوفها حاجزًا بينه وبين الحملات النورمانية والفرنسية والقطلانية، وهو ما يفسر سبب تأخرهم عن فتحها، لأن الحرب التي خاضها الأسطول المرابطي على طول السواحل الأيبيرية جعلت قدرته لاتكفي لرد جميع التحديات[6].

وقد أدرك المرابطون أن السيطرة على الجزر الشرقية له أهمية استراتجية، فهي تشكل خط الدفاع والمواجهة أمام النورمان والقوى المسيحية، وفقدان سيطرة المسلمين على المضايق التي تليها ومنها صقلية ومالطة، قد ساهم في تراجع المسلمين وفقدان سيطرتهم على البحر المتوسط[7].

---

[1] تقع ضمن إقليم البرتات الذي يضم طرطوشة وطركونة وبرشلونة، وهي تقع في شرق الأندلس. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص135. ابن عميرة المخزومي: المصدر السابق، ص26. الحميري:**صفة جزيرة الأندلس**،ص42.

[2] عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص218، 219. حسين مؤنس: **الثغر الأندلسي الأعلى في عصر المرابطين**، ص12. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص260، 261.

[3] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص213. توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص171.

[4] من قواعد الأندلس تقع على ضفة نهر كبير،تسمى المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيرها، كثيرة القطر عامرة شديدة التحصين، لها جسر عظيم يجاز عليه إلى المدينة، لها أسوار منيعة ومبانٍ رفيعة. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص139. الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص96، 97. ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص140.

[5] مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص75، 76.

[6] عبد السلام ولد يحيى: المرجع السابق، ص204.

[7] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص314، 315.

وقد كان لسيطرة القوى المتحالفة المتكونة من بيزة Pisa وفرنسا وبرشلونة سنة: 508هـ / 1115م على جزر البليار الشرقية، سببًا في طلب المرابطين للنجدة التي وصلت متأخرة بعد خروج القوى المتحالفة، حيث عمد المرابطون على إصلاح عمرانها وتعيين ولاة من قِبلهم، ثم اضطربت أوضاعها بقيام الثورة في ميورقة Mallorca، فأرسل على بن يوسف بن تاشفين (500 ـ 537هـ / 1106 ـ 1142م) محمد بن يحي المعروف بابن غانية[1] الذي قدم الجزيرة سنة: 520هـ / 1126م[2].

فتولى إدارة الجزيرة وضبطها بحزم وحنكة، ووطد سلطانه على الجزيرة، وظل في ولائه للمرابطين حتى زمن الموحدين ورفض مبايعتهم، وعهد لابنه عبد الله بالحكم في حياته[3]، لكن بعد وفاته أبيه اختلف عليه أخوه إسحاق وقتله، وتولى بعده حكم الجزيرة سنة: 550هـ / 1155م.

استقل إسحاق بن محمد بن غانية بالحكم وضبط أمور الدولة، واستقبل فلول المرابطين الفارين إليه، وبعث إلى الموحدين بالهدايا يهادنهم ويصرف تفكيرهم في النظر إلى أمور دولته[4]، كما اهتم إسحاق بن محمد بتطوير العلاقات التجارية خاصة مع موانئ المغرب الأوسط، وكانت بجاية أهم مناطق التبادل التجاري، وقد عمد إلى تأمين دولته بشن هجمات على طول الحوض الغربي للمتوسط وسواحل قطلونية، وجنوب بلاد الفرنجة Franks والساحل الغربي لإيطاليا وصقلية النورمانية[5].

---

[1] بعثه علي بن يوسف إلى الجزائر الشرقية (دانية وميورقه) لإصلاح أمورها على يد الوالي المرابطي أنور بن أبي بكر اللمتوني عام 520هـ / 1126م ، فضبط الجزيرة وسار في أمرها على تبعية للمرابطين عهد في حياته إلى ابنه عبد الله ودعا لبني العباس. ينظر: المراكشي: المصدر السابق، ص343، 344. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص251.

[2] ابن عميرة المخزومي: المصدر السابق، ص28. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص161، 162. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص212.

ويراجع: محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ص153، 154. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص246، 247. سلامة محمد سلمان الهرفي: المرجع السابق، ص243، 246. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص244. حسين مؤنس: **الثغر الأندلسي الأعلى في عصر المرابطين**، ص25. عبد العزيز سالم: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، ص85. سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص402.

[3] المراكشي: المصدر السابق، ص343، 344. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص251. محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام عصر المرابطين والموحدين**، ص153.

[4] المراكشي: المصدر السابق، ص346.

[5] خضعت جزر البليار للمرابطين، وفي سنة: 599هـ / 1202م تمكن الموحدون من أخذها من بني غانية. ينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص567، 568.

ودخلت جزر البليار تحت حكم المرابطين واتخذوها قاعدة متقدمة لمد نفوذهم إلى سواحل برقة شرقا، هذا في الوقت الذي طَمعَتْ فيه القوى المسيحية للسيطرة عليها، وكانت أمال النورمان في اتخاذها قاعدة للإغارة على شواطئ الأندلس وبلاد المغرب[1].

ونستنتج مما سبق أن جزر البليار (الجزر الشرقية) شكّلت بحكم موقعها في قلب الحوض الغربي للمتوسط خط المواجهة مع النصارى الصليبيين عامة والنورمان على وجه الخصوص، الذين اندفعوا بدعوى البابوية التي أعلنت حربًا صليبية على المسلمين مشرقًا ومغربًا، فلم يتوقف دورها في الدفاع فقط بل عمدت إلى مهاجمة النورمان المتحالفين مع القوى المسيحية.

جـ. مؤازرة المرابطين لدولة بني زيري:

لقد كان لتنامي القوة البحرية لدولة المرابطين بالمغرب وتواجدهم بالأندلس أثره في سعي بني زيري إلى ربط علاقات معهم بهدف مواجهة الخطر النورماني المهدد لسواحلهم وقد ساعدهم في ذلك وشائج الانتماء القبلي والعلاقات الطبية التي جمعتهم منذ النشأة والظهور[2].

وقد تجلت مظاهر التقارب بين المرابطين وبني زيري التي تقوّت بالوشائج الصنهاجيةوالإحساس بالخطر المشترك، بمكاتبات التهنئة بالانتصار وبشأن الاستغاثة التي أرسلها بنو زيري إلى المرابطين والرد الإيجابي من المرابطين لإحساسهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم اتجاه إخوانهم المسلمين ضد الصليبيين.

وازداد هذا التقارب خاصة بعد أن يئس بنو زيري وانقطعت آمالهم في الحصول على مساندة من الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر ونقل أسطولهم، وفي ظل تخوفهم وقلقهم من تنامي خطر دولة النورمان في صقلية المجاورة لهم، وتهديداتها المتكررة لسواحل بلادهم[3].

وكانت بدايتها بإرسال يوسف بن تاشفين، لتميم بن المعز بن باديس، سفارة تحمل رسالة زف له فيها بشائر الفرحة والسرور عقب الانتصار على النصارى في معركة الزلاقة سنة: 479هـ / 1086م،

---

[1] تركزت جل أعمال الأسطول البحري المرابطي في الحوض المتوسطي على جزر البليار سنة 509هـ / 1115م، وجزيرة صقلية سنة: 516هـ / 1122م، أما تفاصيل المعارك التي خاضها الأسطول المرابطي ضد القوى المسيحية، فالمصادر التي تشير إلى ذلك قليلة. ينظر: عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص245. توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص78.

[2] في سنة: 510هـ / 1116م استعان الزيريون بالمرابطين في إخضاع أهل جربة، الذين عرف عنهم ممارستهم القرصنة البحرية، فبخروج علي بن يحي بأساطيله، لقي الدعم من محمد بن ميمون الذي خرج بأمر من علي بن يوسف، وضرب عليهم حصارا حتى أذعنوا للطاعة. ينظر: ابن عذارى: المصدر السابق،ج4، ص62. التجاني: المصدر السابق، ص125. ابن خلدون: المصدر السابق،ج4، ص269. الحميري: **الروض المعطار**، ص366. الباجي المسعوي: المصدر السابق، ص49.

[3] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص213. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص171.

التي تغلب فيها على ألفونسو السادس يخبره بذلك[1]، فأدرك بنوزيري مدى قوة المرابطين عقب الواقعة، وبدأت تظهر للعلن بوادر الخلاف بين بني زيري والنورمان بوتيرة متسارعة، حين أظهر النورمان تدخلاً في شؤون المغرب بسبب أزمة قابس[2].

وسبب الحادثة حسب ما أورده التجاني أن حاكمها رافع بن مكمن أجرى قطعًا في البحر بهدف التجارة في عهد يحي بن تميم (501 ــ 509هــ / 1107ــ 1115م)، الذي لم ينكر عليه، ولما تولى ابنه علي (509 ــ 515هــ / 1115 ــ 1121م)، أنكر عليه صنيعه ورفض، وقال لا يمكن لأحدٍ أن يناوئني البحر، واستعان رافع بروجار الثاني الذي أمدهُ بأسطول، فنزل قابس، فكان من علي بن يحي أن استشار خاصته فأشاروا عليه بالتغاضي عنه، لكنه رأى غير ذلك، وأرسل أسطولاً فنزل قابس، وهجم على أسطول روجار وقتلوا جماعة منهم[3].

فتأزمت العلاقات بين علي بن يحي وروجار، وأرسل هذا الأخير رسالة فيها إغلاظًا وعنفاً، فتضمنت تجديد العهود، ويطلب فيها أموالاً كانت موقفة بالمهدية، فما كان من علي بن يحي أن رد رسول روجار دون جواب، فازدادت الوحشة بينهما: « فأوسع روجار شرًا، وحاول بعد ذلك مكرًا »، على حسب تعبير ابن عذارى[4].

ولما تأكد علي بن يحي (509 ــ 515هــ / 1115 ــ 1121م)، من توتر العلاقات بينه وبين روجار أخذ الأهبة والاستعداد، وضاعف عدد قطعه ورجاله، وكاتب سلطان المرابطين، الذي كان بمراكش على غزو صقلية، ولما حصل وأن علم روجار بذلك التعاون كف عما يفعل[5].

هذا إن دل على شيء فإنّما يدل على مدى تفوق وقوة الأسطول المرابطي، فكان سببًا كافيًا لينتهي روجار عما كان يريد القيام به، نظرًا لإمكانية وصول الأسطول المرابطي إلى بلاده[6].

والظاهر أن علي بن يحي كان أكثر جرأة من أبيه في مواجهة حكام المدن المناوئين لسلطته، وفي مواجهة النورمان المتربصين بدولته وقطع محاولة التدخل في شؤون بلاد المغرب، واستطاع أن يضمن الحماية

---

[1] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص149، 150. عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج5، ص177. حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص219. سلامة محمد سلمان الهرفي: المرجع السابق، ص166.

[2] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج5، ص185.

[3] التجاني: المصدر السابق، ص98.

[4] **البيان المغرب**، ج1، ص307. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص486.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص222. النويري: المصدر السابق، ج24، ص135. عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج5، ص185.

[6] توفيق مزاري: المرجع السابق،ج1، ص84.

لدولته وفق توازن القوى الدولية، وهو ما كف روجار عنه وتراجعه عن الإقدام على عمل عدائي اتجاهه إلاّ لإدراكه مدى قدرة وتفوق المرابطين خاصة في المجال البحري.

فما كان من علي بن يحيى (509 ــ 515هــ / 1115 ــ 1121م) إلاّ أن كاتَبَ علي بن يوسف، وتزامن هذا أن سيّر علي بن يوسف بن تاشفين سنة: 516هــ / 1122م أسطولاً بقيادة أبي عبد الله محمد بن ميمون إلى نوقطرة Nicotra من أعمال روجار في مقاطعة قلورية، فافتتح حصونا ذكر ابن خلدون قرية، وأذاق في أهلها قتلا وسبى أطفالها ونساءها إلى بلاده[1].

وتشير المصادر إلى أن ابن ميمون افتتح حصونًا وغنم جراء الهجوم، إلاّ أنها لا تتعدى أن تكون إغارة سريعة، لم يحدث ثمة استقرار وتثبيت للمناطق المفتوحة، وتهديد للنورمان في أملاكهم في الجهة الغربية، أو نزولاً عند طلب بني زيري للمكاتبة التي حصلت بينهما.

ورغم أن روجار كفّ عنه، ظلت الوحشة متأصلة بين علي بن يحي وروجار الثاني، إلى أن مات علي بن يحيى سنة: 515هــ / 1121م، وتولى ابنه الحسن بعده[2]، والظاهر أن روجار كان يعمل حساب لقوة المرابطين، فكان يعدل أو يتراجع عن خططه العدوانية ضد الزيريين في كل مرة، لكن اللافت أن استيلاء روجار على المهدية لم يتحقق إلاّ في سنة: 543هــ / 1148م، أي بعد سقوط دولة المرابطين بسنتين 441هــ / 1146م[3].

وبعد حادثة الهجوم على نوقطرة Nicotra، شك روجار بأن الحادثة كانت من إملاء علي، فعزم على توجيه حملة إلى المهدية، ودعا إلى النفير العام من بلاد الروم وجد في تعمير الشواني والمراكب، ومنع السفر إلى بلاد المغرب وإفريقية، وأنشأ بينه وبين الحسن الذي خلف أباه عليًا صلحًا وكان خديعة لتحقيق مراده[4].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص214. محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص482. ابن غلبون: المصدر السابق، ص42. حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص222. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص371.

(2) محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص482. ابن غلبون: المصدر السابق، ص42. حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص222.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق،ج9، ص351. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص215 .أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص371.الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص318.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص222. التجاني: المصدر السابق، ص339. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص214.

واستمرت العلاقات الطيبة بين المرابطين والزريين بعد وفاة يوسف بن تاشفين عام: 500هـ / 1106م، وتوثقت في عهد علي بن يوسف، مع الحسن بن علي، في محاولة وضع خطة مشتركة لمواجهة النورمان[1]، لذلك لأن هذا الأخير لم يخف ما عزم عليه روجار وعلم بذلك، فأخذ كامل الاستعداد لملاقاته فأمر بتجهيز الجيش ومده بالأسلحة، وإقامة الحصون والأسوار الدفاعية، ثم دعا إلى حشد القبائل، واستقدم العرب الهلالية، فنزلت بظاهر المهدية،واجتمعت إليه قبائل النجدة من كل جهة، وأخذ السكان الأهبة والاستعداد للمواجهة[2].

وتحرك أسطول روجار في سنة: 517هـ / 1123م، فيما يقارب ثلاثمائة قطعة وألف فارس، وفي طريقهم استولوا على جزيرة قوصرة Cossyra[3]، وكان المقدم عليه جورجي الأنطاكي الذي كلفه روجار بالتوجه إلى المهدية وقصر الديماس، ونزلت أساطيلهم بالمهدية، إلا أن الحملة فشلت بسبب هبوب رياح قوية دمرت معظم وحدات أسطولهم، ومن نزل إلى البر تلقفته سيوف العرب وأهل المدينة[4].

ويمكن رد سبب الانتصار في هذه الواقعة إلى الاستعداد الكبير الذي قام به الحسن، ثم نصرة القبائل العربية، إضافة إلى ذلك أن الظروف الطبيعية كانت في صالحهم مما زاد في انكسار معنويات الجند الغازي من النورمان في بداية الهجوم.

ويرى حمدي عبد المنعم في تعليقه على الحادثة، أنه وأثناء حصار المهدية قد وقع اتصال بين الحسن بن علي وأمير المرابطين علي بن يوسف (500 ــ 537هـ / 1106 ــ 1142م) بشأن تقديم العون، وكانت الاستجابة من الأمير علي بن يوسف الذي أرسل أسطولا بقيادة أبي عبد الله بن ميمون،غير أن الأسطول المرابطي وصل متأخرًا، بعد فرار الأسطول الصقلي فلم يشأ أن يعود ابن ميمون إلى بلاده خالي الوفاض، فقام بالإغارة على بعض نواحي صقلية ليبرز قوته ويرضي حملته ويرهب أعداءه[5].

---

(1) سلامة محمد سلمان الهرفي: المرجع السابق، ص 166،167.

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1،ص308. محمود مقديش: المصدر السابق، ج1، ص482.

(3) جزيرة تلي مدينة مازر من صقلية بينهما مجرى، وهي شرقي جزيرة مليطمة، ومن قوصرة إلى بر إفريقية مجرى، لها مرسى من جهة الشمال، كثيرة الأشجار عرفت بجودة خشبها، فكانت مصدر صراع بين القوى البحرية، وملجأ للغزاة من المسلمين والروم لممارسة القرصنة والقرصنة المضادة، سيطر عليها النورمان فخضع المسلمون الموجودين بها إلى نورمان صقلية. ينظر: الحموي: المصدر السابق،ج4، ص413. الحميري: **الروض المعطار**، ص 485، أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص134.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص222. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص214. أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**،ص106. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص171.

(5) حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص224.

في حين أشار الباحث أحمد عزيز إلى وقوع هجوم ثاني، استند في ذلك إلى مصادر أجنبية، بقيادة أبي عبد الله بن ميمون الذي هاجم بطي Patti وهدد قطانيه، وأنزل فيه جنودا قرب سرقوسة Syracuseوظفر بالغنائم والأسرى[1]، أما المصادر الإسلامية[2] لا تشير إلى هذه الحادثة، وتوردها في إطار الهجوم الأول،لكن في اعتقادنا أن هناك هجومين الأول كان في سنة: 517هـ / 1123م، جاء بعد طلب الحسن النجدة أما الثاني فكان في سنة: 522هـ / 1128م.

وهو ما دفع روجار إلى التحالف مع ريمون الثالث كونت برشلونة، الذي كان في عداء للمرابطين لمواجهة التحالف الزيري المرابطي، إلا أن الظروف الداخلية لمملكة برشلونة حالت دون قيام هذا التحالف، وقد حاول روجار استمالة حاكم برشلونة حين أدرك خطر المرابطين، وليضمن موافقته دعا إلى حرب صليبية بغزو بلاد إفريقية[3].

مما دفع التعاون المرابطي الزيري روجار إلى تفعيل بعث المشروع الصليبي على بلاد المغرب، وهو المشروع الذي قُبِر في مهده في عهد والده روجار الأول، بعد أن عرض عليه قادة الحملة الصليبية غزو إفريقية، واستطاع توجيههم نحو بلاد الشام، واختار نصيره ريموند الثالث حاكم برشلونة، الذي كان يهاجم المسلمين في بلاد الأندلس[4].

3 . نتائج تراجع وضعف المرابطين:

لعل من أهم النتائج المترتبة عن تراجع وضعف الأسطول المرابطي أن تعرضت دولة بني زيري للاعتداء النورماني، وشمل أيضا المغرب الأقصى.

أ . التمدد النورماني على بلاد بني زيري:

قام الأسطول المرابطي بعدة إغارات على الأملاك التابعة لصقلية بعد استنجاد بني زيري بهم، في شعور من المرابطين بالمسؤولية الحضارية الملقاة عليهم بالدفاع عن البلاد الإسلامية، ومواجهة الخطر النورماني الذي كان يهدد دول الشمال الإفريقي[5].

---

[1] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص66. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص171.

[2] **الكامل في التاريخ**، ج9، ص222. **رحلة التجاني**، ص339. كتاب **العبر**، ج6، ص214.

[3] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص66. عبد السلام ولد يحيى: المرجع السابق، ص204. محمد عبد الله المعموري: المرجع السابق، ص171

[4] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9،ص13. ممدوح محمد مغازي:المرجع السابق،ص1071.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص350. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص68. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص 283، 284.

ظل المرابطون يوفرون سبل الحماية والدفاع عن بني زيري إلى أن ظهر خطر الموحدين، فاشتغلوا بمواجهتم ومواجهة المسيحيين بالأندلس، فدخلوا معهم في حروب عظيمة ومنها حرب ابن ردمير (499 ـــ 529هـــ / 1105 ـــ 1134م)، التي امتدت من خلال الفترة الممتدة بين (519 ـــ 520هـــ / 1125 ـــ 1126م[1].

ويمكن الإشارة إلى أن تدخل يوسف بن تاشفين، في الأندلس بطلب ملوكها، قد مدد عمر الإسلام لما يزيد عن أربعة قرون بوقوفهم في وجه الغزو النصراني واسترداد ما فقده المسلمون، وتدخل المرابطين في إفريقية حافظ على الوجود الإسلامي بتلك الجهات وإلى الأبد[2].

ولكن رغم جهود المرابطين السالفة الذكر، يمكن الإشارة إلى أن المرابطين لم تكن لهم سياسة متوسطية واضحة الأبعاد، فقد اقتصرت جهودهم على تخويف المتربصين في تأدية مهمة مستعجلة ومرسومة، ولم يستثمر انتصارهم في تحقيق مكاسب جيو سياسية وجغرافية متقدمة في الأراضي النورمانية[3]، وقد يفسر ذلك لتعدد جبهات المواجهة، بدايتها مواجهة ملوك الطوائف ثم بمواجهة الممالك النصرانية والقوى الصليبية المتحالفة، وكذا مواجهة الثورات والتمردات الداخلية.

وقد تراجع الدور البحري للأسطول المرابطي، وانعكف على حماية الدولة من تنامي حركة الموحدين، وترك بذلك فراغًا للوجود الإسلامي في الحوض المتوسطي[4]، وأصبح المجال متاحًا لنشاط البحرية النورمانية في مياه البحر المتوسط والسواحل الإفريقية في ظل ضعف بني زيري وصراعهم مع أبناء عمومتهم من بني حماد، وتهديدات بني حماد المتكررة للمهدية في عهد يحيى بن عبد العزيز (515 ـــ 547هـــ / 1121 ـــ 1152م)[5].

---

[1] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص309، 310. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص91 وما بعدها.

[2] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج5، ص185. حسين مؤنس: **الثغر الأندلسي الأعلى في عصر المرابطين**، ص6.

[3] توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص90.

[4] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص65، 66.

مرت الدولة بثلاث مراحل، مرحلة السيطرة والتوسع في بلاد المغرب والأندلس، ومرحلة المجد في الزلاقة (479هـــ / 1086م)، ومرحلة الفتن والقلاقل بظهور حركة المهدي بن تومرت. ينظر: محمد الأمين بلغيث: المرجع السابق، ص66، 67.

[5] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص285، 286. توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص91.

ورشيد بورويبة: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**،ديوان المطبوعات الجامعية المركز الوطني للدراسات التاريخية،الجزائر، 1999، ص94.

وأجمل صاحب المعجب أن أسباب هذا التراجع، هو قيام الثورة عليهم، وغلظة يوسف بن تاشفين وجهله، ولين علي بن يوسف (500 ــ 537هــ / 1106 ــ 1142م) وعجزه عن قيامه بشؤون الدولة ثم فظاظة جند المرابطين وجفاء مظهرهم ، وتراميهم على خيرات الأندلس، وغلبة النساء على أمور الدولة، وتسلط الفقهاء على مقاليد الأمور، مما تسبب في ضياعِ أمرهم وذهاب سلطانهم[1].

إضافة إلى تلك الأسباب استبداد أكابر المرابطين ودعواهم بأن كل واحد خير من علي الأمير (500 ــ 537هــ / 1106 ــ 1142م)، والضربات التي وجهت لها من طرف النصارى بالأندلس في عهد علي بن يوسف وظهور حركة الموحدين زحفهم وتقدمهم نحو عاصمتهم مما أضعف مركز المرابطين[2].

وقد أدى ضعف المرابطين وتراجع دورهم عدم الالتفات إلى إخوانهم من بني زيري، فكانت الفرصة سانحة للنورمان بغزو واحتلال جربة سنة: 529هــ / 1135م، ثم بسقوط الدولة سنة 541هــ / 1146م، تم الاستيلاء على المهدية سنة 543هــ / 1148م، ومعظم الساحل الإفريقي[3].

وما يمكن قوله أن من أسباب توتر العلاقات بين النورمان والمرابطين، هو نصرة المرابطين لبني زيري حين طلبوا النجدة، بعد ظهور نوايا النورمان في احتلال بلاد المغرب، وتمهيدا بالتدخل في شؤونها، وكانت أزمة قابس بدايتها، وإيمانا من المرابطين بمسؤوليتهم الحضارية ولعلاقات القربى التي جمعتهم، استجابوا لنداء النصرة، هذا إلى جانب محاولة المرابطين مد نفوذهم البحري إلى الجهة الشرقية للمتوسط والسيطرة على التجارة العالمية، وهو ما دفع بالنورمان إلى إقامة ولاءات وتحالفات مع القوى المسيحية (الجمهوريات الإيطالية والممالك الإسبانية والبرتغالية) في محاولة لكسر التحالف المرابطي الزيري.

---

[1] المراكشي: المصدر السابق، ص241 وما بعدها. عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص25. عبد العزيز سالم: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، ص90. سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ج3، ص399، 400.

ويعلق محمد الأمين بلغيث على حكم المراكشي، ويرى بأنه شهادة ظالمة وافتراء صريح صدر من متجاهل لأوضاع بلاد المغرب والأندلس، ورأى فيه ميلاً واضحًا وتحيزًا للمصامدة من الموحدين، ويرد أسبابا أخرى ساهمت في ضعف الدولة، ومنها تعدد جبهات القتال على المرابطين في الأندلس، وتخاذل الأندلسيين وتعاونهم مع النصارى، وتأييدهم للموحدين، وتغير دور الربط الأندلسية في مواجهة النصارى، لتصبح قلعة لرواد الثوار ضد الدولة. ينظر: محمد الأمين بلغيث: **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986 ــ 1987، ص190 ــ 193.

وعن عن أسباب سقوط المرابطين. يراجع: عبد العزيز سالم: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، ص90 وما بعدها.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 195، 196، 334. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية** ،ص99 وما بعدها.

[3] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص286. ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص309، 310. حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص225. سلامة محمد سلمان الهرفي: المرجع السابق، ص167. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص402، 403.

ولكن لم تحدث أية مواجهة حاسمة بين المرابطين والنورمان، وتريث النورمان في تنفيذ احتلال سواحل المغرب إلى غاية اضطراب الوضع الداخلي للمرابطين وتراجع دور أسطولهم، ونهايتهم على يد الموحدين، وهو ما سهل عليهم تنفيذ الغزو والاحتلال.

ب. الإعتداء النورماني على سبتة[1] المرابطية:

تعرضت بلاد المغرب الأقصى لهجوم نورماني خلال النصف الأول من القرن 6هـ / 12م، وكانت يومها تحت حكم المرابطين وقد كانت الدولة تعاني الضعف والتراجع، وازداد اضطراب وضع الدولة الداخلي والخارجي بعد وفاة علي بن تاشفين سنة 537هـ / 1143م بتنامي حركة الموحدين، وقيام الحروب وتوالي الفتن بالعدوتين، وصاحب ذلك سنوات الجدب وارتفاع الأسعار، وتكالبت عليها النصارى في أخذ جهاتها بالأندلس، وفي ذلك يقول صاحب الحلل: « وألح النصارى بالضرب على جهات بلاد الأندلس، حينما علموا عجز الإمارة بالمغرب عن الدفاع لما هم فيه من الفتن »[2].

وقد ساعدت هذه الظروف التي كانت تمر بها الدولة، إلى شن النورمان هجمات على سواحلها، فقد ذكر ابن عذارى أنه وفي سنة: 538هـ / 1144م، أغاروا بحملة على مدينة سبتة في 150 مركبًا، وحدوث مواجهة وقتال بين الطرفين هلك فيها خلق كثير وغرقت سفن عديدة، حيث يقول: « وفي سنة ثماني وثلاثون وصلت قراقر المجوس في مائة وخمسين مركبا، بين كبار وصغار إلى سبتة، فخرجت إليها أجفانها، فتقاتلوا فقتل من الفريقين خلق كثير»[3].

ولا يستبعد أن تكون عملية الإغارة التي قام بها النورمان قد جاءت في إطار النشاط الدائم على طول الشريط الساحلي لبلاد المغرب، وبعد الإغارة على مدينة جيجل بالمغرب الأوسط سنة: 537هـ / 1143م[4]، كما لا يستبعد أن تكون الحملة التي قام بها النورمان في الشمال كون أن سبتة رباط حصين منيع، كان يشرف على بحر الزقاق[5].

---

[1] مدينة عظيمة، موقعها على الخليج الرومي المعروف بالزقاق، وهي تقابل الجزيرة الخضراء، وهي سبعة جبال متصلة ببعضها، والبحر يحيط بها، لها أبواب كثيرة على البحر وعلى البر بابان، وبشرقي المدينة جبل يسمى جبل المينا، ومن جهة المغرب جبل يسمى جبل موسى وهو منسوب إلى موسى بن نصير الذي افتتحها، وهي كثيرة الثمر والخيرات والفواكه، ومنها يتجهز إلى جميع الأصقاع. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص131، 132. الحميري: **الروض المعطار**، ص303.

[2] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص338. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص120. عبد العزيز سالم : **تاريخ مدينة المرية الإسلامية**، ص92. محمد بن تاويت: **تاريخ سبته**، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1982، ص55.

[3] ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص103. عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين في الأندلس**، ص247.

[4] الإدريسي: المصدر السابق، ص62.63. ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص326.

[5] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص247، 248.

و لم يحقق الغزو مراده، ربما لمقاومة أهلها فالنص أشار إلى حدوث اقتتال، وكان قائد الأسطول أبو عبد الله بن ميمون الذي له مقدرة عالية في القتال، ومن بين المدافعين عن المدينة أبو الفضل القاضي عياض[1]، وباعتبار أن سبتة[2] من القواعد المهمة للأسطول المرابطي الذي كانت تغطي الواجهة المتوسطية والأطلسية، وكان هذا على الأرجح أخر نشاط قام به الأسطول المرابطي، الذي كان في مرحلة انتقال من الدولة المرابطية نحو الدولة الموحدية[3].

ودل هذا الحادث على أن القوات البحرية للمرابطين ورغم اضطراب وضعها ببلاد المغرب كانت ما تزال يقظة ساهرة على حراسة السواحل والثغور المغربية[4].

ويأتي إقدام النورمان على هذا الغزو في هذه الفترة لإدراكهم مدى ضعف الدولة المرابطية، وانحسار مجالها البحري، ففسح المجال للنورمان بالإمتداد من الجهة الشرقية للمتوسط إلى الجهة الغربية، ثم ضربهم سبتة التي كانت أهم قاعدة بحرية للأسطول في بلاد المغرب، والقضاء على أحد أطراف الحماية والدفاع وشل نشاطها، ومنع وصول النجدات إلى المهدية التي كان يجري التحضير لاحتلالها، لينتقل بعدها الأسطول إلى مدينة برشك بالمغرب الأوسط سنة: 539هـ / 1145م، ثم إلى المهدية سنة: 543هـ / 1148م، وهي إحدى مشاريعهم المستقبلية في المنطقة.

---

(1) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، قاض وفقيه ومحدث وأديب، ولد بسبته عام: 476هـ / 1083م، ثم رحل إلى الأندلس درس على شيوخ قرطبة تولى القضاء بغرناطة ثم ببلده توفي بمراكش سنة: 544هـ / 1149م، له تأليف عديدة منها؛ « ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك »، « الشفا بمعرفة حقوق المصطفى »، « مشارق الأنوار ». ينظر ترجمته في: ابن قنفذ: المصدر السابق، ص280، 281.

وابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089هـ / 1679م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت ــ لبنان، د.ت، ج6، ص226.

(2) يأتي دفاع القاضي عياض في هذه الحملة لإشرافه على رباط سبته، فقد ذكر عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي في أن رباط سبة يشرف على حركة المضيق، وذكرا وصفًا لهذا الطالع نقلاً عن أبو القاسم الأنصاري السبتي في مؤلفه « وصف سبته »: « ... ومنها الطالع الكبير الفذ النظير طالع سبته الذي بأعلى جبل مينائها المعروف عندنا بالناظور، ابتناه المرابطون هنالك للناظر الراتب به حصنا وقلهرة (قلعة) كبيرة وبداخل القلهرة مسجد، وكان ذلك على يد القاضي أبي الفضل عياض ...، وهذا الطالع يكشف البرين ويشرف على العدوتين...، فلا يخفى عليه من الزقاق شيء لكونه تحت أبواب وأسوار داخل المدينة وفي حكم أهلها حتى تقع فتنة أو يحصل حصار ». ينظر: عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي:المرجع السابق، ص247، 248.

(3) عبد السلام ولد يحيى: المرجع السابق، ص211، 217، 292. محمد بن تاويت: المرجع السابق، ص56.

(4) عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين في الأندلس،** ص247.

المبحث الثاني: موقف الدولة الحمادية من الغارات النورمانية على سواحل المغرب الأوسط

كانت أراضي المغرب الأوسط بعد رحيل الفاطميين إلى مصر سنة: 362هـ / 972م، تابعة لصنهاجة الشرق (بني زيري)، لكن سرعان ما حدث التوتر مع أبناء العمومة من بني حماد، ورغبة من الحماديين في التوسع وتحت تأثير الهجرة الهلالية، انتقلوا إلى الساحل فأصبحوا في خط المواجهة مع النورمان وتعرضت مدنهم لهجمات النورمان.

1. ظروف قيام الدولة الحمادية:

أقطع بنو زيري أبناء عمومتهم من بني حماد[1] مقاطعة لحمايتها، في محاولة منهم لمواجهة القبائل الزناتية، استغل بنو حماد انشغال بني زيري بمواجهة القبائل الكتامية، فأعلنوا انفصالهم وتأسيس دولتهم بالمغرب الأوسط سنة: 405هـ / 1014م[2].

قامت حروب عديدة بين بني زيري والحماديين، وكان أشدّها في عهد المعز بن باديس (406 ــ 454هـ / 1015 ــ 1062م)، الذي تمكن من هزمهم واضطر حماد إلى قبول الصلح سنة: 407هـ / 1017م، ورضي أن يكون تابعا له مقابل التمتع بالإستقلال في بلاد المغرب الأوسط[3].

---

(1) بنو حماد شعبة من آل بني زيري، تنسب الدولة إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري التي قامت بالمغرب الأوسط بعد أن انفصل عن دولة أخيه باديس بن منصور بن بلكين سنة: 405هـ / 1014م، وكانت قاعدة الدولة الأولى أشير، ثم القلعة وبعد أن تعرضت للتخريب علَى يد العرب الهلالية إثر انهزام الناصر بن علناس في معركة سبيبة سنة: 457هـ / 1065م، انتقل إلى بجاية، وراعى في اختيارها الموقع الجغرافي الحصين والمميز (الجبلي والساحلي) ،وتأمينها من الخطر خاصة من جهة البحر، وشرع في بنائها سنة: 460هـ / 1169م، وانتقل الناس إليها وسمّاها بالناصرية، ونظم أمور رعيته، واهتم ببناء الأسطول لموقعها الساحلي ولغنى المنطقة بالأخشاب. ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص62. مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص127. ابن حماد الصنهاجي: المصدر السابق، ص4. ابن الأثير: المصدر السابق،ج8، ص372، 373. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص227 وما بعدها.

ويراجع: موسى هيصام: **الجيش في العهد الحمادي (405 ــ 547هـ / 1014 ــ 1152م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2000 ــ 2001، ص87.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 227. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص51 وما بعدها. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص194.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص229، 230. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص54 وما بعدها. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص101، 102.

وقد بنى أمراء بني حماد سياستهم على الاستعانة بالعرب الهلالية حيث أقطعوهم الأراضي المحيطة بمجالهم الجغرافي، بهدف توظيفهم في كسر شوكة المناوئين لهم من زناتة والزيريين والقبائل الرافضة لدفع الضرائب(1)، لكن سرعان ما قوضت هذه القبائل السلطات الحاكمة ببلاد المغرب إثر معركة سبيبة(2)، ودفعت بالحماديين إلى الانتقال إلى بجاية(3).

فقرر الناصر بن علناس البحث عن موقع جديد لعاصمة دولته فوقع اختياره على بجاية(4)، لما امتازت به من موقع جغرافي هام، ومنعة طبيعية في محاولة منه مد النفوذ والتوسع(5)، وشرع في بنائها منذ سنة: 460هـ/ 1169م(6)، وأصبحت دار الملك بني حماد وامتدت حدودها على طول الشريط الساحلي المتوسطي في أقصى اتساع لها، من مشارف وهران على ساحل البحر المتوسط غربًا وصولاً إلى بونة شرقًا، التي مثلت الحد الفاصل بينها وبين الزيريين، حيث تعددت مراسي الدولة، فبين بونة وبجاية يوجد ثلاثة عشر مرسى، وبين بجاية وتنس يوجد اثنا عشر مرسى(7).

---

(1) مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص112.

(2) وقعت سنة: 457هـ / 1065م بفحص سبيبة غربي القيروان على نحو خمسين كليومتر جنوب الأربس، وحدثت بسبب الوحشة التي وقعت بين تميم بن المعز والناصر بن علناس، وترجع معظم المصادر أن الناصر هو من بدأ بالعداء بذمه لتميم في مجالسه، وانتهى ذلك إلى اللقاء بينهما، وعقد الناصر مع البعض من صنهاجة وزنانة وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية، ودخلت القبائل العربية إلى جانب الناصر، ثم تألبت عليه لتخوفها من تملكه وانتصاره، وغدرت به زناته، وانهزم الناصر ووقع القتل في جنده، وغنمت العرب كل ما كان في المعسكر من سلاح وقتل أخاه القاسم وكاتبه، وبلغ عدد القتلى من صنهاجة وزناتة أربعة وعشرين ألفا، ونجا الناصر بما لا يزيدون على المائتين، ولحق بقسنطينة ثم بالقلعة، وتقدمت القبائل العربية في أراضي المغرب الأوسط وأصبحت الجزائر مفتوحة أمامهم مما تطلب من الناصر إعادة ترتيب الدولة. ينظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص372، 373. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص230.ابن عذارى: المصدر السابق،ج1، ص299.

(3) الفرد بل: المرجع السابق، ص213.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص374. الحموي: المصدر السابق، ج1، ص339. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص231.

(5) عبد الكريم عزوق: **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دارسة أثرية)**، أطروحة دكتوراه دولة الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007 ـــ 2008، ص5.

(6) مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص127.

(7) رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص116، 117، 144، 145. موسى هيصام : المرجع السابق، ص98.

بين بونة وبجاية؛ مرسى الخروبة، ومرسى ابن الأبيري، ورأس الحمراء، ومرسى تكوش، ومرسى الروم، ومرسى إستورة وتاسقدة (سكيكدة حاليًا)، والقل وجيجل وجزائر العافية، وحصن المنصورة، ومرسى سبيبة وبجاية، وبين بجاية وتنس؛ مرسى تدلس، ومرسى الدجاج، وتامدفوس، والجزائر، ومرسى جنابية، ومرسى الذبان، ومرسى هور، ومرسى البطال، وشرشال، وبرشك وتنس. ينظر: رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص144، 145.

وحينما تذكر المصادر أن ثغور المسلمين من الإسكندرية إلى سبتة، وهي محمية بسلسلة من الرباطات والمحارس والقلاع وذات طابع دفاعي، ومن المعلوم أن وسائل الدفاع تعتمد على متانة الأسوار وكثرة المعاقل، وهي ظاهرة تدخل ضمن الهندسة والعمارة الحربية [1]، فإن حماية الحماديين لسواحل المغرب الأوسط ومواجهة الخطر الداهم من جهة البحر، فكانت وفق استراتجية عسكرية دفاعية وقائية، مما يدفعنا إلى الكشف عن طبيعة هذه الاستراتجية؟ وكيف تم توظيفها؟

2 . استراتجية الدفاع الحمادي في مواجهة الغارات النورمانية:

بعد ظهور الخطر القادم من الجهة الساحلية (النورمان)، اعتمد الحماديون على إستراتجية عسكرية في الدفاع عن سواحل المغرب الأوسط حيث تنوعت بين الحصون والأبراج والقلاع والرباطات والأسوار لخوفهم من مباغتة الغزو، وسنذكر منها نماذج[2].

أ. الحصون:

تعد الحصون من المنشآت الدفاعية المهمة فعن طريقها توفر الدولة لنفسها الأمن والاستقرار، وعادة ما تتميز الحصون ببنائها العالي وأبوابها الضخمة المحكمة الإغلاق، الأمر الذي يجعل من الصعب اقتحامها، فانتشرت داخل ولايات الدولة وعلى المناطق الثغرية لدفع خطر العدو[3].

كما تميزت الحصون التي أقامها الحماديون على المناطق الساحلية بالمناعة والحصانة، ومنها حصن البحر ببجاية، الذي يقع في الحدود الجنوبية الشرقية للمدينة، وكان بمثابة برج للمراقبة بالجهة الشرقية المشرفة على شاطئ سيدي يحي، ومراقبة الجبال المقابلة للمدينة، وزوّد الجدار بفتحات للقناصة تمنع العناصر المغيرة من النزول إلى البر والهجوم أو الاقتراب من المراسي[4].

وأشار دومينك فاليريون Dominique Valerian، أن بجاية كانت محمية بأربعة قصور واقعة في وسط المدينة، وهذه القصور هي قصر القصبة، وقصر الكوكب، وقصر اللولؤة، وقصر سيدي عبد القادر، وجميع هذه القصور كانت بمثابة حصون مدافعة من جهة السهل[5]، وقد كان الهدف من إقامة هذه

---

[1] محمد الأمين بلغيث:**الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، ص125.

[2] عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص149. قاعدة البشير: **منظومة التحصينات العسكرية الحمادية الثابتة بين جهود الوقاية ومطامح التوسع والسيطرة**، قضايا تاريخية، ع6، 2017، ص10.

[3] سالم أبو القاسم محمد غومة: المرجع السابق،ص45.

[4] عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص163.

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص232.

ودومينك فاليريون: **بجاية ميناء مغاربي**، ترجمة: علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ج1 ، ص153.

الحصون التي دعمت بها بجاية، حماية الساكنة من الأخطار المحتملة الوقوع، وعدّت بمثابة ملاجئ في حالة الخطر، وقد بنيت في بيئة جبلية صعبة[1].

والحصون التي أقيمت على مجال المغرب الأوسط، ومن ذلك حصن تنس، يذكر البكري حصن تنس الذي وقف عليه بقوله: « وعلى البحر يذكر أهل تنس أنه كان القديم المعمور »[2]، وعند بناء تنس الحديثة على ساحل من طرف أهل الأندلس، جعلوا من هذا الحصن مرتكزًا في بناء مدينتهم حيث أضاف بقوله: « وتعاونوا على البنيان، وإتخذوا الحصن الذي فيها اليوم »[3].

وكان من بين الحصون التي اضطلعت بالوظيفة الوقائية في شكل ملاجئ، الحصن الذي أقيم بجيجل في مكان مرتفع في مأمن يفر إليه السكان في حالة تعرض مينائهم للهجمات النورمانية، وعند تعرض المدينة للهجوم من طرف النورمان سنة: 537هـ / 1142م، على يد قائد الحملة جوجي الأنطاكي، كان مما قام به النورمان إفسادهم وتخريبهم لقصر النزهة الذي شيده يحي بن عبد العزيز الحمادي[4].

ب. الرباطات الساحلية:

تأمينا للدولة وحماية لسواحلها عمد الحماديون إلى بناء مجموعة من الربط[5] والقلاع حرصًا منهم على تفعيل دورها، حيث أنشئت هذه الرباطات التي تقدمت الحصون، وكان الهدف من إنشائها رصد ومراقبة الأعداء والكشف عن تحركاتهم ومخططاتهم، ومنها الوافد الجديد من الشمال المتمثل في النورمان، ولأجل تفعيل الحركة التجارية تم اختيار أماكنها لكي تؤدي المهام المنوطة بها، وزودت بأبراج للمراقبة[6].

وإلى جانب هذه الرباطات المذكورة أعلاه كانت تزود بالمؤن، ولتفعيل دورها القتالي دعمت بالخنادق، وتعدت حدود الدولة الحمادية من الشرق والغرب على طول الشريط الساحلي لبلاد المغرب[7].

---

(1) البشير بوقاعدة: **منظومة التحصينات العسكرية الحمادية الثابتة بين جهود الوقاية ومطامح التوسع والسيطرة**، قضايا تاريخية، ع6، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، المدرسة العليا للأساتذة ــ بوزريعة، الجزائر، 2017، ص13.

(2) البكري: المصدر السابق، ص61.

(3) المصدر نفسه، ص62.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9،ص326. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص232.

(5) حصن يتجمع فيه الجنود للدفاع عن المناطق المعرضة لغارات الأساطيل وجيوش الأعداء، ويكون ملجأ يحتمي به أهل المناطق التي يداهمها العدو. ينظر: وفيق بركات: **فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي**، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1995، ص118.

(6) موسى هيصام : المرجع السابق، ص93. البشير بوقاعدة: المرجع السابق، ص14.

(7) جلول ناجي: **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس، 1999، ص130.

وما فعّل من دور الرباطات الحمادية، رباطات شرشال ذكرها البكري بقوله:« وفيها رباطات يجتمع إليها في كل عام خلق كثير »[1]،وكانت من أعمال بجاية وهي على ساحل البحر[2]،ورباط ملالة قرب بجاية، الذي كان له دور جهادي على الواجهة البحرية، وقد بقي هذا الرباط يؤدي دوره إلى غاية أن ملك عبد المؤمن بجاية وأحوازها[3]، ورباط مغيلة دلول بالقرب من الشلف يقول البكري: « وبقرب هذا الموضع على البحر قلعة مغيلة دلول، وهي في أعلى جبل منيف هنالك شديدة الحصانة، بينها وبين البحر خمسة فراسخ »[4].

وكان لإقامة هذه الرباطات على طول الشريط الساحلي دور في تدعيم المناطق الثغرية والموانئ الساحلية في عمليات الجهاد، وكان المجال الجغرافي الذي شهد حركية عدائية نورمانية، وقع بالثغور الساحلية الشرقية للمغرب الأوسط، واستمرت إلى فترة متأخرة من عمر الدولة الحمادية[5].

وكان هدف هذه الرباطات الحراسة المستمرة لمسيرة النشاط العدائي الخارجي خاصة من الجهة الشرقية، وأيضًا ضد النشاط المرابطي الذي هدد مجال الدولة مع مطلع القرن 6هـ / 12 م[6].

وبهذه الرباطات تمكن الحماديون من الحفاظ على المجال الجغرافي لدولتهم وخاصة الواجهة الساحلية، بدفع الخطر النورماني الذي استهدف المنطقة عند بدايتها[7]، وعندما دخل الحماديون في صراع مرير مع الإمارات الإيطالية المسيحية كجنوة Génes وبيزة Pisa التي هاجمت مدينتي بجاية وجيجل، حين محاولتهم التوسعية على حساب بني زيري، حيث لجأ إليها يحي بن عبد العزيز (515 ـــ 547هـ / 1121 ـــ 1152م)، آخر حكام الحماديين عند محاصرته للمهدية[8].

---

(1) **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص82.

(2) القزويني: المصدر السابق، ص208.

(3) النويري: المصدر السابق، ج24، ص166، 167. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص297 ـــ 299.

(4) **المغرب في ذكر بلاد المغرب وإفريقية**، ص79.

(5) موسى هيصام: المرجع السابق، ص93. البشير بوقاعدة: المرجع السابق، ص14.

(6) البشير بوقاعدة: المرجع السابق، ص19.

(7) موسى هيصام: المرجع السابق، ص94.

(8) رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص120.

يرى عبد الحليم عويس أن الحماديين كانوا سببًا في ضعف بني زيري ثم سقوطهم في يد النورمان، فهم تركوا أبناء عمومتهم يتداعون أمام القبائل العربية، وحاولوا أن يستفيدوا من تداعياتهم في سبيل التوسع، وتركوهم يواجهون المصير المحتوم أمام النورمان، وأقاموا علاقات طيبة مع النورمان نجاةً بأنفسهم جهلا بخطر النورمان الصليبيين، لذلك فهم يتحملون مسؤولية سقوطهم في يد النورمان. ينظر: عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص200.

وفي ظل امتلاكهم لأسطول بحري مهم ونشيطٍ بعد تأسيس مدينة بجاية، ومما ساعد في زيادة عدد مراكبه وسفنه، لما تتوفر عليه من غابات وحديد، وكذا دخول بونة التي كانت بها دار للصناعة مهمة تحت حكم المنصور بن الناصر بن علناس (481 ــ 498هــ / 1081 ــ 1152م)، وبوجود دارين للصناعة أصبح الأسطول أكثر فعالية من ذي قبل[1].

جـ . الأبراج والقلاع:

ثبّت الحماديون أبراجًا وقلاعًا عالية للمراقبة والكشف عن الخطر الداهم والإعلام، وأخذت أشكالا عديدة، منها المستديرة، ومنها المستطيلة، تكون مغروسة في الأرض، أو مثبة على الأسوار[2].

وزودت بجاية البحرية بالعديد من الأبراج على أطراف أسوارها أو بداخلها، وأقيمت على المناطق المرتفعة للتطلع على البحر ومنها؛ برج قوراية، وبرج المنارة، وبرج شوف الرياض، وبرج بوليلة، وقدرت المسافة بين كل برج وأخر 25 متر، وتتخللها ممرات للحراس[3].

كما زودّت الأبراج بوسائل للاتصال فيما بينها وبين المدن، وذلك عن طريق ذات العلائم النارية المثبه على المناطق المرتفعة التي تضرم النار في أعلاها ليستخدم نورها للمراسلة بين البروج وآلة مرايا[4].

د . الأسوار:

عمل الحماديون على إحاطة مدنهم بالأسوار[5]، التي امتازت بمناعتها، وكانت بسورين متوازيين للاحتياط من الغارات المفاجئة[6]، وامتدت هذه الأسوار على طول الساحل المتوسطي، ومن هذه الأسوار

---

(1) رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص117. عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص6.

إلاّ أن الأسطول البحري فقد فعاليته خلال المراحل الأخيرة من عمر الدولة، فقد هوجم الساحل الجزائري غير مرة من طرف القوى المسيحية. ينظر: عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص209، 210.

(2) رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص202.

(3) موسى هيصام: المرجع السابق، ص90.

ورشيد بورويبة: **مدن مندثرة :تيهرت، سدراتة، أشير، قلعة بني حماد**، وزارة الإعلام والثقافة، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص75.

(4) ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، ص142. النويري: المصدر السابق، ج24، ص168. رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية**، ص202.

(5) من أشكال التحصينات التي تحيط بالمدن والقرى والديار والأمصار، وعادة ما يكون للسور عدة أبواب. ينظر: القزويني: المصدر السابق، ص87.

(6) موسى هيصام: المرجع السابق، ص87.

سور بجاية الذي وصفه الحميري بقوله: « قاعدة الغرب الأوسط، يضرب سورها وهي على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى أمسيون، وهو جبل سام صعب المرتقى »[1].

وينحدر السور من الناحية الشمالية للمدينة إلى الجنوب، ويحاذي ساحل البحر عرضه مابين 1.70م و2.50م وارتفاعه من 4 إلى 6م وامتد طوله على مسافة 5400م، وفي أعلاه زود بممرات للحراس تكللته شرفات وبني بالحجر والأجر، وقد أحاط المدينة من جميع جهاتها[2].

إن إحاطة السور بجميع مناطق المدينة، يدل على اهتمام الحماديين بالجانب الدفاعي في محاولة منهم لتأمين الفضاء العمراني والساكنة، ويتحدد شكل السور وفق موقع بجاية الجبلي[3].

وبناء السور بهدف حمايته المدينة وقد تم إنشاؤه في عهد الناصر بن علناس (454 ــ 481هـــ / 1062 ــ 1088م)، الذي استقدم الآلاف من العمال، حيث أتمه في بضعة أشهر، وبني بطريقة تدرجية من القمة إلى الأسفل ويختفي عند أسفل جبل قورايا[4].

وسور بجاية زود بسبعة أبواب، وهو ما صعَبَ على النورمان دخولها أو التفكير في غزوها، فلا يمكن الوصول إلى المدينة إلا عن طريق هذه الأبواب، وضمت المدينة سبعة أبواب منها باب البحر، الذي يعد أحد الأبواب الرئيسية للمدينة، ويعد مدخلا للسفن القادمة من البحر إلى المرسى الداخلي[5].

وأنشئت مدن أخرى بأسوار مماثلة كمدينة تنس،حيث وصف ابن حوقل(ت 350هـــ / 961م) سورها وأبوابها بقوله: « وتنس مدينة عليها سور ولها أبواب عدة، وبعضها على جبل قد أحاط به السور، وبعضها في سهل، وهي من البحر على نحو ميلين »[6]، ومدينة بونة تعتبر الحد الشرقي للدولة، وذكر صاحب الاستبصار والبكري بأن عليها سور يضرب في البحر[7].

ولمدينة مرسى الدجاج سور مهم ذكر ابن حوقل موقعه على البحر بقوله: « وهي مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره »، وفي عهد الناصر بن علناس، عرفت الدولة الحمادية توسعًا وذلك

---

[1] **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص80.

[2] ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، ص142. النويري: المصدر السابق، ج24، ص168. رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية**، ص202.

[3] عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص153.

[4] المرجع نفسه، ص151، 152.

[5] وهذه الأبواب؛ باب البحر، باب أمسيون، باب المرسى، باب اللوزة، باب تاطنت، الباب الجديد، باب البنود، ومن هذه الأبواب لم يبق إلا باب البحر. ينظر: رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية**، ص145. عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص152.

[6] **صورة الأرض**، ص78.

[7] مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص127.البكري: المصدر السابق، ص55.

بضم جزائر بني مزغنة، كما ذكر أيضًا ابن حوقل (ت 350هـ / 961م) سورها بقوله: « وجزائر بني مزغنة مدينة عليها سور على سيف من البحر »[1]، وقد كان لهذه التحصينات الدفاعية (الأسوار) دور كبير في صد النورمان عن التفكير في القيام بحملات على سواحل الدولة.

3. مظاهر العدوان النورماني على مدن ساحل المغرب الأوسط:

تعرضت مدن وسواحل المغرب الأوسط للغارات النورمانية، منها مدينة جيجل، ومدينة برشك ومدينة مرسى الدجاج ومدينة بونة، وارتبط غزوها لوقوعها على الساحل وما حازته من ثروات وخيرات.

لاح خطر النورمان على سواحل المغرب الأوسط بعد استيلائهم على مالطة وعلى صقلية سنة سنة: 484هـ / 1091م، وسيطرتهم على الحوض الغربي للمتوسط وتهديدهم للدولة الزيرية منذ سنة: 517هـ /1123م، وكان هذا الخطر يظهر بعيدا لكنه في حقيقته أكثر التحديات وهو خطر على الدولة الحمادية وأملاكها المترامية خاصة في الجهة الشرقية[2].

أ. مدينة جيجل:

أشارت المصادر الجغرافية إلى خيرات مدينة جيجل ووفرتها وأنها تحمل إلى بجاية، فقد ذكر ذلك صاحب الإستبصار (كان حيا سنة 587هـ / 1191م) بقوله: « وهي كثيرة العنب والتفاح والفواكه والرب ومنها تحمل إلى بجاية..»[3]، وأضاف الإدريسي (ت 560هـ / 1165م) أنها أشتهرت بكثرة زروعها ومنها الحنطة والشعيرواللبن والسمن والعسل و غنى ساحلها بالحوت « وبها الحوت الكثير العدد اللامتناهي في الصيف »[4]، وكان لوفرة هذه الخيرات وتنوعها أثر في تحريك النورمان للظفر بها، رغم حصانتها الطبيعية ووجود سور يضرب على طول ساحلها[5].

فقد أورد ابن الأثير (ت 630هـ / 1280م) أنه وفي سنة: 537هـ / 1143م، هجم النورمان على مدينة جيجل مما أدى بساكنة المدينة إلى الفرار إلى الأرياف والتعصب بالجبال[6] بقوله: «

---

[1] **صورة الأرض**، ص77.

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص199.

[3] مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص128.

[4] **نزهة المشتاق**، ص62 ــ 65.

[5] الإدريسي: المصدر السابق، ص64، 65. مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص128.

[6] رشيد بورويبة: المرجع السابق،ص72.

وشارل فيرو: **تاريخ جيجلي**، ترجمة: عبد الحميد سرحان، ط1، دار الخلدونية، 2010، ص16.

فدخلها الفرنج، وسبوا من أدركوا فيها، وهدموها وأحرقوها، وأحرقوا القصر الذي بناه يحي بن عبد العزيز بن حماد (515 ــ 541هــ /1121 ــ 1152م) للنزهة، ورجع الفرنجة إلى صقلية »[1].

وأشار الإدريسي (ت 560هــ / 1165م) إلى أن إقامة سكانها كان على ربض، ولما طرق أسطول روجار الثاني (495 ــ 548هــ / 1101 ــ 1154م)، المدينة انتقل سكانها إلى جبل حصين، فإذا كان الزمن الشتاء سكنوا المرسى والساحل، وإذا كان الزمن صيفًا نقلوا بضائعهم وسلعهم إلى الجبل، وهم على علم بقدوم الأسطول النورماني ذلك الزمن[2].

وقد علق الباحث صالح بن قربة في محاضرة أوردها علي خنوف في مؤلفه « تاريخ منطقة جيجل » تعليقًا على هذا النص الذي أورده الإدريسي، أن مدينة جيجل كانت مزودة بأبراج مراقبة، وإلا كيف نفسر هروب أهل المدينة قبل وقوع الخطر[3]، ومؤسف أنه لم يذكر اسم ولا برج من هذه الأبراج.

وإن كان رد فعل الساكنة بالفرار، فإن موقف الدولة الحمادية كسلطة كان غائبا، ويفسر ذلك بالضعف الكبير الذي كانت تعاني منه الدولة في عهد يحي بن العزيز (515 ــ 547هــ / 1121 ــ 1152م)، ليتمكن عبد المؤمن من ضم مناطق الدولة ودخول بجاية عاصمة الدولة سنة 548هــ /1153م[4].

ب. مدينة برشك:

حددت المصادر الجغرافية موقع المدينة وحسبنا في ذلك ما ذكره ابن حوقل بأن موقعها غرب شرشال وهي قريبة من جزائر بني مزغنة[5]، وذكر الحميري (ت أواخر القرن 9هــ / 15م) في أنّ بينها وبين تنس في الساحل ستة وثلاثون ميلاً ومنها إلى شرشال ستون ميلاً، وهي مدينة صغيرة بنيت على تل مرتفع[6]، وقد حازت موقعها على ضفة البحر، وقربها من مدن المغرب الأوسط المهمة.

وإلى جانب مزية الموقع، أشارت المصادر إلى وفرة خيراتها وتنوعها، حيث يُعدّد ابن حوقل (ت 350هــ / 961م) ذلك بقوله: « وبها فواكه غزيرة، وسفرجل معنق كالقرع الصغار وهو طريف وأعناب... ولهم بادية يشترون العسل... وأكثر أموالهم الماشية، ولهم من الزرع والحنطة والشعير ما يزيد

---

(1) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص326.

(2) **نزهة المشتاق**، ص64.

(3) علي خنوف: **تاريخ منطقة جيجل قديمًا وحديثًا**، منشورات الأنيس، الجزائر، 2011، ص44.

(4) التجاني: المصدر السابق، ص343. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص235. رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص104.

(5) ابن حوقل: المصدر السابق،ص78. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص116.

(6) الحميري: **الروض المعطار**، ص88.

عن حاجتهم »[1]، ونظرا لما حازته المدينة من موقع ساحلي وتنوع الخيرات ربما كان سببًا في أن طرقها النورمان بالإغارة في سنة: 539هـ / 1144م، وفي ذلك يقول ابن الأثير (ت 630هـ / 1232م): « وخرج أسطول الفرنج من صقلية إلى ساحل إفريقية والغرب ففتحوا مدينة برشك وقتلوا أهلها، وسبُوا حريمهم وباعُوه بصقلية على المسلمين »[2].

واللافت في الأمر أن هذا الهجوم كان عقب الهجوم على مدينة جيجل، وهو ما ينم على تركيز النورمان لهجماتهم على سواحل المغرب الأوسط الشرقية، تمهيدا لإحتلال المهدية عاصمة بني زيري، بأخذ أطرفها، والحادثة كشفت عن طبيعة النورمان وسياستهم القائمة على النهب والقتل والبحث عن الغنائم والأسلاب، خاصة المناطق القريبة من الساحل والغنية بالثروات والخيرات والغير محصنة.

ونتيجة إغارة النورمان المتكررة اضطر أهلها إلى بناء مدينة حصينة على جبل عالي، فإذا كان زمن الشتاء سكنوا المرسى، وإذا كان زمن الصيف نقلوا أمتعتهم وجملة بضاعتهم إلى الحصن البعيد عن البحر[3].

والملفت للأمر أن المصادر لا تشير إلى أي مواجهة عسكرية محتدمة، ورَدة فعل الساكنة كانت بالانتقال إلى مكان آمن بعيد عن البحر، ويفهم من هذا أن النورمان لا يتعدى مجال غزوهم للمناطق الساحلية ويتجنبون التوغل نحو المناطق الداخلية.

جـ. مدينة مرسى الدجاج:

ذكر الحموي موقع المدينة أن بينها وبين أشير أربعة أيام[4]، وهي على بعد عشرين ميلا من دلس، وبجانبها ميناء قليل العمق، يحيط بها البحر من ثلاث جهات ومغلقة من الجهة الرابعة[5]، وصف البكري حماية البحر لها بقوله: « ومرسى الدجاج قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وقد ضرب عليها بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، ومن هناك يدخل إليها »[6]، وكانت ساكنتها قليلة العدد في عهد الإدريسي من الأندلسيين والكتاميين[7].

---

(1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص79.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص539.

(3) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص73.

(4) الحموي: المصدر السابق، ج5، ص106.

(5) الإدريسي: المصدر السابق، ص62.

(6) **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص65.

(7) الإدريسي: المصدر السابق، ص62.الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص113.

كانت مدينة مرسى الدجاج تابعة لبني حماد وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في إطار الترتيبات التي قام بها الناصر بن علناس (454 ــ 481هــ / 1062 ــ 1088م)، بعد أن هم بالانتقال من القلعة إلى بجاية: « وعقد على المغرب لأخيه كباب وأنزله مليانة، وعلى حمزة لأخيه رومان، وعلى نقاوس لأخيه خزر...، وعقد على قسنطينة لأخيه بلبار، وعلى الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله، وعلى أشير لابنه يوسف »[1].

كما أشار الإدريسي إلى امتداد أراضيها الواسعة التي كانت تمارس بها زراعات متنوعة، ومنها الفواكه، وكذا شهرتها بتوفر اللحم وهو رخيص السعر، والتين الذي يحمل إلى سائر الأقطار والبلاد النائية[2]، وبفضل مينائها الذي لعب دورًا في تنشيط التبادل التجاري بين الموانئ المغربية المتوسطية، ما جعل المدينة مستهدفة من قبل النورمان الذين كانوا يترددون على سواحل المغرب[3].

إلا أن جميع المصادر[4] تشير إلى أن مرسى المدينة غير مأمون، ويقدم البكري سبب عدم ائتمانه بقوله: « ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره »[5]، مما جعل السكان يفرون من هذه المدينة إلى المناطق الداخلية زمن الصيف خوفًا من أن تطرقها أساطيل النورمان[6]، وهو ما جعلهم يفكرون في إحاطة المدينة بسور من الشرق إلى الغرب، ربما ساعدهم على ممارسة أنشطتهم الزراعية والحرفية[7].

ويرى الباحث الطاهر قدوري في قراءة هذا السلوك أنه يتعلق بمواعيد الإبحار والفترات التي تنشط فيها عملياته، وكثيرًا ما تشير المصادر أن فصل الشتاء يعد فترة راحة للأسطول، وتنشط حركة الأساطيل في الفصل الدافئ، لذا كانت إغارات النورمان زمن الصيف[8].

والمعروف أن الشتاء كثير الأنواء وهيجان البحر، بينما الصيف حركة الرياح تساهم في تحرك السفن، وهو ما جعل النورمان يطرقونها كل صيف، لدرجة أن أدرك سكانها بخطرهم، لذوا بِفَرَرٍ إلى مكان آمن بالقرب منه، وأصبح الفرار زمن الصيف ظاهرة عادية لغياب السلطة في الدفاع عن مجالها الجغرافي.

---

[1] **كتاب العبر**، ج6، ص229، 230.

[2] الإدريسي: المصدر السابق، ص62.

[3] مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص139.

[4] ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص77. الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص62. **المغربفي ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص65.

[5] **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص65.

[6] الإدريسي: المصدر السابق، ص62.

[7] مفتاح خلفات: المرجع السابق، ص139.

[8] الطاهر قدوري: المرجع السابق، ص276.

د ـ مدينة بونة:

بعد أن تمكن رُوجار من احتلال المهدية وسفاقص وسوسة، أرسل كتب الأمان لجميع أهل إفريقية، يعدهم فيها الوعد الحسن طمعا منه في بقائهم تحت حكمه، وتزامن هذا وإرسال روجارأسطولاً إلى قلعة إقليبية[1]، في محاولة منه لفتحها لكنه مني بهزيمة على يد العرب ففر راجعا إلى المهدية[2]، ورغم سياسة اللين ونداء الأمان إلى المدن الخاضعة له في إفريقية لم يثن ذلك أهل جربة من التمرد عنه وإعلان الثورة، وفي ظل تنامي الخطر المتزايد من قبل الموحدين[3].

ويرى الباحث رشيد تومي أن هذا ما جعل روجار يحس بالخطر لذا أدرك أنه من الواجب احتلال مدينة بونة[4]، وجعلها قاعدة أماميةلإيقاف الخطر الموحدي، ومراقبة الأقاليم التابعة له في بلاد المغرب والوقوف في وجه تحالفها مع الموحدين[5].

---

(1) حصن منيع بإفريقية على ساحل البحر بأقصى جزيرة شريك، بالقرب من قرطاجنة، يقال أنه لما أراد سكانها البناء في الجبل يقلبون الحجر في البحر فسميت إقليبية. ينظر: البكري: المصدر السابق،ص45. الحموي: المصدر السابق،ج1، ص237. الحميري: **الروض المعطار**، ص52.

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص313. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص92.

(3) قامت حركة دعوتهم خلال الفترة الممتدة بين (524 ــ 667هــ / 1130 ــ 1269م) في السوس الأقصى على أساس تعاليم ابن تومرت الذي تسمى بالمهدي، وزعم النسب القريشي، قضى أزيد من خمسة عشر عامًا طالبًا للعلم، وبعد عودته من المشرق دعا الناس إلى التوحيد وعرف أتباعه بالموحدين وأدعى المهدوية وأسمى نفسه محمد بن عبد الله، وأنشأ مدرسة وأتباعًا، وأوجد لها جهازًا متقنًا لحماية الدعوة ونشرها، واستطاع بذكائه وشجاعته والظروف التي أحاطت بدولة المرابطين، أن يثب أقدام الدعوة الموحدية ويضع الخطوط العريضة للدولة، ويعلن العداء للمرابطين ثم الحرب وواصل خليفته عبد المؤمن من بعده، حتى استطاع القضاء عليها سنة: 532هــ /1147م،ودخول العاصمة جاعلا منها مقرا لملكه، وأن يحل محل الدولة المرابطية في بلاد المغرب والأندلس. ينظر: المراكشي: المصدر السابق، ص245 وما بعدها.ابن أبي زرع: المصدر السابق،ص172وما بعدها.

وعلي محمد محمد الصلابي: **دولة الموحدين**، دار البيارق، 1998، ص7 وما بعدها.

(4) موقعها على ساحل البحر بين مرسى الخرز وجزائر بني مزغنة، وهي على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها. ينظر: **الاستبصار**، ص127. الحموي: المصدر السابق،ج1،ص 512. الحميري: المصدر السابق، ص115.

(5) أشارت المصادر إلى أن النورمان استمالوا القبائل العربية بالأموال حتى مكنوهم من الدخول، وقد انفرد الإدريسي بالإشارة إلى أن أراضي واسعة من المدينة قد تغلب عليها العرب، لكن السؤال الذي يطرح لماذا مكنوهم من الدخول؟ وكيف استطاعوا استمالتهم بالأموال؟ وهو ربما ما يدفعنا إلى القول أن العرب أعانوهم على أراضي المدينة التي لم تخضع لسلطتهم أو المناوئة لهم. ينظر الإدريسي: المصدر السابق، ص70، 71.

وقد كانت بونة قبل أن يطرقها النورمان من أملاك الدولة الحمادية ودخلت تحت ملكهم في عهد المنصور بن الناصر بن علناس (481 ــ 498هــ / 1121 ــ 1152م)، وكان أبوه الناصر (454 ــ 481 هــ / 1062 ــ 1088م)، قد وصَل في توسعاته شرقا إلى تونس والقيروان[1].

كما جمعت بونة بين خصائص الموقع الهام وتنوع الخيرات ونشاط التجارة ورواجها يعدّد ابن حوقل خيراتها ووصف تجارتها بقوله: «وفيها فواكه وبساتين...، وبها معادن حديد كثيرة، ويحمل منها إلى الأقطار الغزير الكثير »، ولها أسواق حسنة، وتجارتها مقصودة، وأرباح متوسطة...، ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية... ما تزيد به على ما دونها من البلاد المجاورة لها »[2].

بعد أن تمكن روجار من إحتلال المهدية كما سبق ذكره، ولتحقيق هذه الأهداف، تحرك في أسطول سنة: 548هــ / 1153م باتجاه مدينة بونة، وكان المقدم على أسطوله فليب المهداوي، وبعد أنْ ضرب عليها حصارًا مستعينا بالعرب، تمكن من دخولها فاستباحها وسبىَ أهلها، وملك زمامهاوعين عليها من حكمها من آل بني حماد[3]، و لم تظهر أية مقاومة من سكانها رغم أن أهلها حسب ما ذكر البكري أنهم كانوا يصنعون المراكب الحربية التي توجه لغزو بلاد الروم بقوله: « وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التي تغزى بها بلاد الروم »[4].

ويفهم من هذا أن النورمان تمكنوا من دخول المدينة بعد الاستعانة بالعرب المجاورين لها واستمالتهم بالأموال وتضييق الحصار عليها، وبإقدامهم على تعيين حاكم من بني حماد تعكس العلاقة الحسنة التي كانت تربطهم بحكام المغرب الأوسط.

وغض فليب المهداوي الطرف عن جماعة من أهلها، وذكر ابن الأثير أن الكثير من العلماء والصالحين، الذين فروا إلى القرى بأهاليهم وأموالهم، لكنه لما عاد اتهم فليب في دينه وجمع له رُوجار رجال الدين من الأساقفة والقسوس والرهبان، وحكموا عليه بالإحراق فأحرق[5].

---

(1) رشيد بورويبة : **الدولة الحمادية**، ص117.

(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص391. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص235. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص299، 300.

وذكر الإدريسي أن روجار عيّن على بونة حاكم من لدنه من آل حماد و لم يذكر اسمه. ينظر: **نزهة المشتاق**، ص71.

ـ Ernest Mercier: Op.cit, P: 96.

(4) البكري: المصدر السابق، ص55.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص391. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص235. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص299، 300.

وأرجع ابن الأثير سبب إقدام روجار على تنفيذ الإعدام على فليب المهداوي، تساهله مع أهل العلم والدين والسماح لهم بالخروج بأموالهم وأهاليهم ثم اتهم في دينه، ويوضح ذلك أكثر بقوله: « وكان فليب يقال أنه وجميع فتيانه مسلمون يكتمون ذلك وشهدوا عليه أنه لا يصوم مع الملك وأنه مسلم »[1]، وهو ما أشار إليه ابن خلدون في توضيح السبب السياسي من خلال منحه الرخصة لأهل بونة، غير أن ابن خلدون لم يوضح السبب الديني[2].

وحادثة إقدام روجار على تنفيذ حكم الإعدام في حق فليب المهداوي تعيد النظر فيما عرف به من تسامح ديني تجاه المسلمين خاصة طيلة فترات حكمه وإقدامه على هذا الفعل تعكس خلاف ذلك ، وربما هذا ما يفسر لنا تعدد أراء الباحثين في هذا الأمر، فالباحث علي محمد الزهراني يرى أن روجار عدّ الحادثة خيانة عسكرية بإطلاقه للأسرى والعفو عن جماعة أخرى، وانحرافه عن المهمة الموكلة له،والإجراء الذي إتخذه يبين عدم تساهله مع قادته العسكريين[3].

أما أحمد عزيز فيورد مبررات للفعل بقوله: « أن روجار قد تغير في سياسته خلال الفترة الأخيرة من حكمه من اللين إلى التعصب وأعزى ذلك إلى عدة أسباب منها، فقدانه لأبنائه الثلاث، وسوء حالته الصحية، وظهور الخطر البيزنطي الذي يداهم مملكته بالبحر الأدرياتيكي، وظهور الموحدين في شمال إفريقيا مما أدى بروجار إلى انتهاج سياسة ترمي إلى تنصير المسلمين »[4].

ويفهم من هذا أن سياسة التحول واضحة، بأسباب تعصبه بالحقد على المسلمين وبظهور الخطر الموحدي، وكان فليب المهداوي أول من دفع ثمن ذلك حيث راح ضحية، وهو دليل قريب إلى الواقع.

ثم إنّ القول بتعصب روجار حسب الباحث رشيد تومي له ما ينفيه، هو أن الشريف الإدريسي قد عاش في البلاط النورماني وحضي بمكانة هامة، وهناك من المسلمين من تقلد الإدارة ومارس الحكم في الدولة النورمانية، وأن روجار لم يشد من قبضته الحديدية على مناطق النفوذ ومجال توسعاته، فعلى الرغم من وجود الحاميات العسكرية إلا أن الأهالي تمتعوا بنوع من الاستقلال الذاتي[5].

وقد ترتب عن سقوط بونة في يد روجار، أن دانت جميع مدن الساحل الإفريقي من طرابلس الغرب إلى تونس والقيروان ودفعت الإتاوة، وأضاف إلى لقبه القديم ملك صقلية وإيطاليا[6].

---

(1) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص391.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص235.

(3) **الوجود الإسلامي في صقلية**، ص12 .

(4) **تاريخ صقلية الإسلامية**، ص81.

(5) **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ــ 1154م**، ص356.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص352. ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص92.

وإذا كانت هذه المدن التي أسلفنا ذكرها قد تعرضت للعدوان وما صاحب ذلك من استباحة محارم وسبي للخيرات، بالمقابل فإن مدن طبعت فيها الطبوغرافيا مصدات طبيعية.

4 . مدن المغرب الأوسط في مأمن من الغارات النورمانية:

مثلتها مجموعة من المدن الواقعة في الجهة الوسطى والغربية للدولة الحمادية، وهي ضمن أعمالها، وتميزت بمنعتها الجبلية وشدة تحصينها، حيث لم تتعرض للغزو لأن غارات النورمان تركزت على الجهات الشرقية منها، وقد تم تقديم تبريرات بشأن ذلك، ونحاول الإحاطة بجميع جوانب الموضوع، وحصر ما أشارات إليه المصادر القريبة للحدث، حتى تتضح الصورة.

أ . الحاضرة بجاية:

تجمع المصادر التاريخية على أن مدينة بجاية أهم قواعد المغرب الأوسط، وهذا من منطلق استراتيجيتها الطبيعية، فقد بنيت على جبل شاهق ولعل هذه المكانة هي التي جعلت بجاية في مأمن[1]، وقد أشارت المصادر إلى منعتها الطبيعية بما يأتي: « قاعدة المغرب الأوسط بجاية...، وعلى الساحل الذي بشرقي بجاية جبال الرحمة »[2]، « ولبجاية حصانة عظيمة ومنعة »[3]، «وبجاية معلقة من جبل، وقد دخل في البحر أميسون، وعليها سور عظيم والبحر يضرب فيه »[4].

وانفرد العبدري في رحلته بتفصيل منعتها الطبيعية وحصانة ومتانة بنيانها بقوله: « وهي كبيرة حصينة، منيعة شهيرة، وهي برية وبحرية، سنية سرية، عجيبة الإتقان، رفيعة البنيان، غريبة المعاني، موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر، ومشرفة عليها إشراف الطليعة، فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب »[5].

وقد جعلت هذه المنعة الجبلية ذات الطبيعة الجبلية وحمايتها بالنهر (وادي الصومام) والبحر من الجهة الشمالية (البحر المتوسط)، أن المراكب تلقي عند دخول مياهها البحرية أهوالا شدادا على حسب تعبير ابن سعيد[6]، إلا أن صاحب الاستبصار أشار إلى أن المراكب الداخلة إليها تلقى الإحسان والرفق.

---

(1) الطاهر قدوري: **الدولة الموحدية وتهيئة المراسي ودور الصناعة**، كلية الآداب، وجدة، ص 274، 275.

(2) ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، ص142.

(3) العمري بن فضل الله: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل سلمان الجبورى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ج4، ص68.

(4) مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص130.

(5) العبدري محمد البلنسي (ت 720هــ / 1320م): **الرحلة المغربية**، تحقيق: أحمد بن جدو، نشر كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، د.ت، ص23.

(6) **كتاب الجغرافيا**، ص 142.

وهو ما يفسر ربما بالمراكب التي تلقى إذن أو المراكب التجارية التي تتلقى المساعدة من طرف سكانها، خاصة وأن صاحب الاستبصار أشار إلى أهمية مرساها التجاري لمنفذها البحري، وهي التي لعبت دور الوسيط التجاري بين أوروبا وبلاد المغرب ومناطق أخرى بقوله: «وهي مرسى عظيمة، تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها، من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين »[1].

وربما يأتي امتناعها عن النورمان بسبب ازدهار نشاط صناعتها الحربية التي ساهمت في امتلاكها أسطولا كبيرا وقد أشار الإدريسي (ت 560هـ / 1154م)إلى دور صناعتها بقوله: « بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي »، ثم يضيف أن من أسباب نشاط هذه الصناعة توفر المواد الأولية بقوله: « لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود، يجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبها معدن الحديد »[2].

وقد أشار صاحب الاستبصار إلى نشاط صناعتها الحربية، مما أدى إلى اهتمام أهلها بالغزو وكانت صقلية وجهتهم وهي القريبة منهم بقوله: « ولها داران لصناعة المراكب ، وإنشاء السفن، ومنها تغزو بلاد الروم فإنها ليس بينها وبين صقلية سوى ثلاثة مجار »، وقد اعتبر رشيد بورويبة على ضوء ما أورده صاحب الاستبصار« تغزو بلاد الروم »[3]، على أن بجاية كانت في تلك الفترة مركزا للقراصنة الحماديين[4].

وكان لنشاط غزاة البحر (القراصنة) إلى جانب الأساطيل الموحدية دور في المساندة غير المباشرة لمسلمي الشام ومصر ضد الغزاة الصليبيين، وخاصة صقلية القريبة من بلاد المغرب الأوسط وإفريقية،التي كانت تقدم العون والإسناد للصليبيين، وذلك بالإغارة على أساطيلها ومطاردتها وإغراقها ومهاجمة قواعدها في صقلية وقلورية[5].

والظاهر أن النشاط البحري لبجاية قد استمر إلى نهاية القرن 7هـ / 13م، فقد أشار الغبريني إلى ممارسة أهل بجاية لذلك بقوله: « أن بجاية كانت بلدة غزاة وكان غزاة قطعها يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية، ويسوقون السبي الكثير منها وينزل الناس لشرائه بحومة المذبح من جهة ربضها »[6].

---

(1) **الاستبصار**، ص130.

(2) **نزهة المشتاق**، ص62.

(3) **الاستبصار**، ص130.

(4) رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية**، ص140.

(5) الزهري: المصدر السابق، ص92. عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص340.

(6) الغبريني: المصدر السابق، ص76.

ونحن نعتبر من خلال ما أورده صاحب الاستبصار، أو فيما أوردته النصوص السابقة، أن بجاية كانت في مأمن من الغارات النورمانية لقوة أسطولها البحري التي تعددت دور صناعتها، وممارسة النشاط البحري أو بما عرف بالجهاد البحري، لدفع الخطر الداهم وفق قاعدة إذا لم تهاجم فسوف تهاجم، وإذا لم تحارب فسوف تحارب.

وربما نرجع سبب أمن بجاية إلى دور بني غانية[1] خاصة في عهد إسحاق بن محمد سنة: 550هـ / 1155م[2]، الذي ظل يغير بأساطيله على البلاد المسيحية التي لا ترتبط معه بمعاهدات صلح في الحوض الغربي للمتوسط[3]، وكانت سفنه دائمة التردد على ساحل بجاية لبيع الرقيق من سبي الحملات البحرية وأشار الغبريني لذلك بقوله: « وكانت أجفان إسحاق بن غانية تصل أيضا من ميورقة Mallorca كما تصل أجفان بجاية »[4]، وهذا يعني أن قوة بني غانية البحرية قد وفرت الحماية لسكان بجاية من الأساطيل المسيحية والنورمان، وحسن العلاقات التجارية التي كانت تربطهم بثغر بجاية.

ونستنتج مما سبق أن بجاية حاضرة بلاد المغرب الأوسط، ودار ملك بني حماد، حيث كانت في منأى عن الغارات النورمانية لعدة أسباب، منها حماية البحر والنهر لها، ومتانة أسوارها، وازدهار صناعتها الحربية ونشاط الجهاد البحري، كل هذا جعل النورمان يحجمون على القيام بأي عمل عدائي اتجاهها، وليس هناك دليل قاطع يؤكد على أن الحماديين سعوا إلى إقامة علاقات طيبة مع النورمان.

---

(1) ينتمي بنو غانية إلى قبيلة مسوفة إحدى القبائل الصنهاجية التي قامت عليها دولة المرابطين، كان يوسف بن تاشفين قد زوج علي بن يوسف المسوفي أحد كبار دولته من قريبة له تدعى غانية، فأنجبت له ولدين الأول يدعى محمد والثاني يحيى فنسبا إلى أمهما، وفي عهد علي بن يوسف أرسل محمد إلى منورقة ليطفئ ثورة هناك، أقام إلى أن قضى الموحدون على سلطان المرابطين. ينظر: ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص205. ابن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص252 وما بعدها.

(2) تولى الحكم سنة: 550هـ / 1155م، بعد مقتل أبيه وأخيه عبد الله الذي عهد له أبوه بالولاية بعد أن قتله، حكم جزيرة منرقةويابسة، كثر عليه الداخلون بمنرقة من لمتونة المرابطين حسنت حاله واهتم بغزو النورمان وكان يراسل ملوك الموحدين توفي في أخر أيام يعقوب يوسف بن عبد المؤمن. ينظر ترجمته في: المراكشي: المصدر السابق، ص343، 344.الغبريني: المصدر السابق، ص76.ابن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص253.

(3) المراكشي: المصدر السابق، ص245.

وإن كان لبني غانية دور في الدفاع عن بجاية وتوفير الحماية لها من النورمان والقوى المسيحية في عهد إسحاق بن محمد، إلا أن ابنه علي خالفه في توجهه، فقد قاد هذا الأخير حملة بحرية على ثغر بجاية، بعد أن راسله مجموعة يطمعون فيها وسماعه بموت أبي يعقوب الموحدي، وهي إذ ذاك تحت حكم الموحدين، وتمكن من الدخول إلى المدينة عن طريق أحد أبوابها والاستيلاء عليها سنة: 580هـ / 1184م، وخطب لبني العباس. ينظر: المراكشي: المصدر السابق، ص245، 246. الغبريني: المصدر السابق، ص76. عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص358، 360.

(4) المراكشي: المصدر السابق، ص245.

ب. جزائر بني مزغنة:

حدد الحموي (ت 626هـ / 1228م) موقع جزائر بني مزغنة بقوله: « موقعها بين إفريقية والمغرب بينها وبين بجاية أربعة أيام »[1]، وكانت من أعمال بجاية[2]،وهو ما أكده ابن خلدون في ديوانه أن الناصر بن علناس قبل انتقاله من القلعة إلى بجاية قام بترتيبات، إدارية عين فيها نوابًا عنه بالمناطق التابعة له، وكان منهاجزائر بني مزغنة ومرسى الدجاج التي عين عليهاإبنه عبد الله[3].

يستفاد ومما ذكرته المصادر الجغرافية أن جزائر بني مزغنة كانت في مأمن من غارات النورمان طيلة الفترة التي تعرضت فيها سواحل المغرب الأوسط لهجماتهم، ومرد ذلك حسب تقديراتهم يعود بالأساس إلى الحصانة الطبيعية والمنعة الجبلية التي تمتعت بها، وحسبنا في ذلك ماذكره صاحب الإستبصار قوله: « وفي أخر هذا الفحص جبل عليه الطريق، وهو وعر المجاز يسمى حلق واجر ويسميه أهل البلاد باب الغرب، وليس يدخل إلى باب الغرب إلا منه »[4].

وهو ما لاحظه العبدري (ت 720هـ / 1320م) في رحلته[5]،من أن المدينة جمعت بين موقعها على ضفة البحر وامتدادها إلى البر وبين الطابع الجبلي الوعر والانبساط والسهل، إلى جانب شدة تحصين أسوارها وأبوابها، حيث يقول العبدري: « لها سور معجز وثيق وأبواب محكمة العمل، يسرح الطرف فيها حتى يمل »[6]، وتحقق نتيجة الأمان الحاصل أن قصدتها السفن من إفريقية والأندلس[7].

ومن العوامل التي ساعدت على توفير الحماية للمدينة إضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه، ظهور المرابطين كقوة مهيمنة بالمغرب والأندلس[8]، خاصة وأنهم أبدوا رغبتهم في الدفاع عن بلاد المغرب حين تربصت به القوى المسيحية ومنهم النورمان[9].

---

(1) **معجم البلدان**، ج2، ص132.

(2) ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص142.

(3) **كتاب العبر**، ج6، ص229، 230.

(4) مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص132.

(5) **رحلة العبدري**، ص23.

(6) المصدر نفسه، ص23.

(7) مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص132.

(8) شمل هذا التوسع ثغور المغرب الأوسط، كوهران وتنس وجزائر بني مزغنة' التي تمكن المرابطون من دخولها عام: 496هـ / 1103م. ينظر:ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص143. محمد الأمين بلغيث،**الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986ـ 1987، ص186. توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص64 ـ 66. رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص117.

(9) مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص132. ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص62.

يستشف ذلك من خلال الخطاب الذي أرسله يوسف بن تاشفين إلى الناصر بن علناس، يعاتبه فيه عن تقاعسه عن مؤازرة بني عمومته الزريين في صد عدوان النورمان، والرسالة أورد نصها ابن بسام في ذخيرته « بأنه يتداوى بسُمٍ ويستريح إلى غم، وأنه يخلي للأعداء الطريق، ويقصد في ذلك النورمان لأذية المسلمين، ويقصد بذلك الزيريين في وقت إنشغاله بالمشركين »[1]، الأمر الذي دفع النورمان بالإحجام على شن الغارات على مناطقه، في ظل معرفتهم بامكاناتهم البحرية وإندفاعهم في الدفاع عن حياض المسلمين.

واستمرت هذه الحماية بعد زوال دولة المرابطين، بظهور أسرة بني غانية التي حكمت جزر البليار (543هـ ـ 633هـ / 1148 ـ 1237م)، وشكل موقع هذه الأخيرة نقطة متقدمة في الدفاع عن بلاد المغرب والأندلس، وقد عرف حكامها بمهاجمة جزر البلاد المسيحية في الحوض الغربي للمتوسط، وخاصة في عهد إسحاق بن محمد بن غانية (تولى الحكم سنة 550هـ / 1155م)[2]، وهو ما أرغم النورمان في هذه الفترة على الدفاع بدل أخذ زمام المبادرة والقيام بغارات جديدة.

وفي نفس الفترة وحتى نهاية القرن 6هـ / 12م توفرت الحماية للمدينة، وذلك بظهور الموحدين كقوة ناشئة بالمغرب الإسلامي، وامتلاكهم لأسطول قوي حيث تذكر بعض الإحصائيات أنه بلغ نحو أربعمائة قطعة عام 558هـ / 1163م، وزعت قواعده في بلاد المغرب والأندلس[3].

ولما أدرك النورمان مدى قوة دولة الموحدين وتفوقها البحري، خاصة بعد عملية تحرير بلاد المغرب من سيطرتهم وتوحيد أقطاره، تحاشوا المغامرة والقيام بغزو المدينة أو الإغارة عليها.

وما يمكن قوله أن مدينة جزائر بني مزغنة كانت في مأمن من غارات النورمان لعدة اعتبارات، منها المنعة الطبيعية، وشدة تحصينها وتبويبها، وكان للقوى الإسلامية ببلاد المغرب والأندلس دورٌ في توفير الحماية لها، وإن لم تظهر بصورة مباشرة، ولم تشر المصادر إلى حدوث أية غارةٍ نورمانية أو عرقلة لحركة نشاط تجارتها الخارجية.

جـ- مدينة تنس:

ذكر صاحب الاستبصار موقعها من البحر ونشاط سكانها بقوله: « بينها وبين البحر ميلان...، كثيرة الزرع رخيصة الأسعار منها يحمل الطعام إلى الأندلس، وإلى بلاد إفريقية وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم »[4].

---

[1] ابن بسام أبو الحسن علي الشنتيري (ت 542هـ / 1147م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، القسم الثاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997، مج1، ص257 ـ 263.

[2] مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص344 ـ 345. عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص336.

[3] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص201.

[4] مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص133.

كما كانت في منأى عن نشاط الغزاة النورمان لشدة حصانتها، وقد وصف البكري ذلك (ت 487هـ / 1094م) بقوله: « وهي مسورة حصينة، داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى يسكنها العمال لحصانتها »[1]، ثم ذكر أبوابها بقوله: « ولها بابان إلى القبلة، وباب البحر، وباب ابن ناصح، وباب الخوخة شرقي »[2].

ويستفاد من هذا أن منعة مدينة تنس كان بإشرافها على البحر، ووجود سور يحميها، كما أن الدخول إلى المدينة لا يكون إلا بأحد الأبواب، وحصانتها جاءت لدفع الخطر الذي كان يداهم المدينة، وكان احتراس أهلها بتسويرها، أو ربما تأتي عدم تعرضها للاعتداء النورماني لتبعيتها السياسية للمرابطين في فترة ما، شأنها شأن جزائر بني مزغنة فقد ذكر الإدريسي أنها كانت تابعة لبني حماد: « والطريق من تنس إلى المسيلة من بني حماد بالمغرب الأوسط تخرج من مدينة تنس »[3].

وأشارت المصادر أن المدينة تعرضت لامتداد المرابطين بعد أن بسط يوسف بن تاشفين سلطانه على بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة بين (473 ـ 474هـ / 1080 ـ 1081م)، ومن هذه المناطق؛ وهران وتنس وجبال وانشريس والشلف، ووصل إلى جزائر بني مزغنة، وضُمت المدينة إلى أعمال تلمسان[4]، وفي أثناء العهدين الحمادي والمرابطي كانت المدينة تتأرجح بينهما، وبين الاستقلال الذاتي[5].

واللافت للأمر أن المدينة كانت في منأى من الاعتداءات النورمانية، ذلك أن نشاط الأسطول المرابطي في هذه الفترة انطلاقًا من قاعدته بسبتة كان يوفر الحماية لسواحل المغرب تصل إلى برقة.

د . مدينة مليانة:

عرفت باتساعها، وكانت تابعة لبني حماد على ما ذكره القزويني (ت 682هـ / 1283م): « مدينة كبيرة بالمغرب من أعمال بجاية »[6]،وامتازت بحصانتها الطبيعية لموقعها على سفح جبل زكار كما ذكر ذلك صاحب الاستبصار بقوله: « وهي مدينة حصينة في سفح جبل يسمى زكار »[7].

---

[1] **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص61.

[2] **المصدر نفسه**، ص62.

وفي نفس السياق وصفها الحموي بقوله: « مسورة حصينة داخلها، قرية صغيرة صعبة المرتقى...، وعلى البحر حصن، ذكر أهل تنس أنه كان القديم المعمور ». ينظر:الحموي: المصدر السابق، ج2، ص48.

[3] **نزهة المشتاق**، ص60.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص143. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص114.

[5] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص114.

[6] **أثار البلاد وأخبار العباد**، ص273.

[7] **الاستبصار**، ص171.

وأكد ذلك العبدري شدة الجبل ووعورته بقوله: « برعت في سفح جبل حمى حماها أن يرام...، شاق منظرًا وراق مخبرًا... »[1]، وكانت تضرب بحصانتها على المناطق المجاورة، وفي ذلك أشار البكري بقوله: « وهي مشرفة على جميع ذلك الفحص »[2].

ونعتقد أن المدينة لم تتعرض لمهاجمة النورمان، وهذا من خلال ماأوردته المصادر أن المدن والمراسي الغربية القريبة من الجبال كان النورمان يتحاشى الإغارة عليها.

ومنه نستنتج أنه وفي الوقت الذي كان فيه النورمان يراقبون التطورات الحاصلة ببلاد المغرب، إلى جانب القوى المسيحية كانوا يقومون بهجماتهم على جزر البليار، مندفعين بدعوى البابوية التي أعلنت حربًا صليبية على المسلمين مشرقًا ومغربًا، ولقد شكلت هذه الجزر بحكم موقعها بقلب الحوض الغربي للمتوسط خط المواجهة وقاعدة متقدمة قريبة من صقلية.

ولم يقتصر دورها في الدفاع، بل بمهاجمة النورمان والصليبيين المتحالفين ضدها، وبامتداد نفوذ المرابطين إليها اتخذوا من مدنها قواعد عسكرية لمواجهة خطر النورمان، وفي الاقتراب من أملاكهم في صقلية.

واستجابة لدعوى البابوية تحرك نورمان الشمال مع مطلع القرن 6هـ / 12م، تجاه سواحل الأندلس الغربية، بعد أن أصدرت البابوية قرارا حددت فيه أن حرب المسلمين ببلاد الأندلس لا يختلف عن مواجهتهم في بلاد المشرق، فكان تحركهم مشحونًا بروح الصليبية، حيث كلما مروا على المدن استهدفوا المسلمين بالقتل والتنكيل ومناطقهم بالتخريب، وفي طريقهم إلى بلاد الشام توقفوا بصقلية للراحة، ثم واصلوا طريقهم، وبوصولهم أرض الشام قدموا دعما مهما لقادة الحملات الصليبية، وساهموا في سقوط العديد من المدن الإسلامية التي أصبحت إمارات صليبية.

وخلال الفترة التي تعرضت فيه سواحل الأندلس الغربية لهجوم نورمان الشمال لم تكن هذه المناطق قد خضعت بعد للمرابطين ـــ لانشغالهم بمواجهة الممالك النصرانية ـــ لكن لاحت بوادر الصراع والصدام بين المرابطين ونورمان صقلية، وهذا بسبب امتداد نفوذ المرابطين البحري إلى الجهة الغربية للمتوسط، وامتلاكهم أسطولا قويا، حيث شكل خطرا على النورمان والقوى المسيحية المتربصة ببلاد الأندلس وبلاد المغرب، ولم يَكتف هذا الأسطول بالدفاع والنصرة وإنما بنشاطه وتحركاته الدائمة في إطار مناورات أوقفت نواياهم عن القيام بأي فعل لديهم.

---

[1] **الرحلة المغربية**، ص22.

[2] **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص79.

وقد ساهمت هذه السيادة البحرية في التحكم في التجارة العالمية، وبخاصة المغربية الأندلسية، وهو ما أقلق النورمان وضاعف من حدة التوتر.

وازدادت شدة الصراع والمواجهة بين النورمان والمرابطين، إثر تدخل الأول في شؤون بلاد المغرب فطلب بنو زيري النجدة من المرابطين الذين استجابوا لندائهم، إيمانا منهم بمسؤوليتهم الحضارية، ولعلاقات القربى التي جمعتهم، بضرب أملاكهم في صقلية، وهو ما دفع بالنورمان إلى إقامة تحالفات مع القوى المسيحية (الجمهوريات الإيطالية والممالك الإسبانية والبرتغالية) في محاولة كسر التفاهم بين المرابطين والزيريين.

و لم تحدث أية مواجهة حاسمة بين المرابطين والنورمان، عدا التحالف مع القوى المسيحية لضرب جزر البليار، وتربص النورمان الفرصة إلى غاية ضعف المرابطين وتراجع دور أسطولهم، واضطراب وضع بلاد المغرب السياسي والإقتصادي، ثم قيامهم بمهاجمة مدن الساحل المغربي.

وقبل أن يبادر النورمان باحتلال المهدية أغاروا على مدن المغرب الأوسط القريبة الخاضعة لبني حماد، وكان تركيزهم على مدن الساحل الشرقي، أما الجهة الغربية فكانت في منأى عن نشاطهم، لمنعتها الطبيعية وشدة تحصينها، وتمثل رد فعل ساكنة مدن بلاد المغرب الأوسط إما بالمواجهة، وإما بالفرار والبحث عن مناطق آمنة، أما موقف بني حماد كسلطة من الغزو، فالمصادر لم تسعفنا في رسم صورة متكاملة عن ردود الفعل، ويفسر ذلك أن ما حصل مجرد غارات سريعة ومفاجئة لم تخلف استقرارًا، أو أن الأمر يتعلق بالعلاقات الطيبة التي جمعت الطرفين، وما يكشف طبيعة العلاقات:

ـــ الرسالة التي وجهها يوسف بن تاشفين إلى الناصر بن علناس، يلقي باللائمة عليه لإعانته النورمان على بني زيري، والثانية ما أشار إليه الإدريسي في سياق ما ذكره عن دخول النورمان بونة وتعيينهم حاكما من بني حماد، وهو ما جعل بعض الباحثين يصدرون حكما بالعلاقات الطيبة التي جمعتهم.

الفصل الخامس

التواصل الثقافي الحضاري بين القطرين

المبحث الأول: طبيعة الحكم النورماني في بلاد المغرب
المبحث الثاني: مظاهر التواصل الثقافي
المبحث الثالث: مظاهر التواصل الحضاري

المبحث الأول: طبيعة الحكم النورماني في بلاد المغرب

تصور الرؤية السائدة للفايكنج القائمة على أنهم مجرد مجموعة من القراصنة، تقوم حياتهم على اللجوء على غارات النهب والقسوة وهي الصورة الأكثر شهرة في حياتهم وممن يبالغون في ذلك الوصف رجال الدين في عرض أهوال المجتمعات الدينية أوسكان المناطق التي تعرضت للهجوم وعد الآثار المدمرة لغزواتهم وإغفال العوامل التي صقلت قدراتهم وقيمهم المعقدة وإغفال مساهمتهم ولاسيما في المجال الحضاري والثقافي[1]، خاصة بعد استقرارهم في صقلية وتأسيس دولتهم.

ونتج عن ذلك قيام روابط اتصال حضاري مع المناطق المجاورة، ومنها بلاد المغرب ساهم في ازدهاره القرب الجغرافي بين صقلية، وخضوع بلاد المغرب لحكمهم، وما عرف به النورمان بعد الاستقرار في الاستفادة من الآخر، فحدث تمازج حضاري تجسدت ملامحه في مجالاتٍ مختلفة كان تأثر النورمان فيه بارزًا، إلا أن المادة التاريخية لا تسعفنا في رسم صورة متكاملة عن هذه العلاقات[2].

عند دراسة طبيعة حكم النورمان لبلاد المغرب، ينبغي التمييز بين تعامل النورمان قبل عمليات الغزو وبعد الاحتلال، واللافت للأمرأن النورمان أثناء عملية الغزو وفي جميع المناطق التي احتلوها، ساروا على سياسة واحدة قائمة على إطلاق العنان لأفراد الجندفي استباحة المدن من القتل دون استثناء وجمع السبي والأسرى، وأخذ الرهائن من الشخصيات البارزة، ثم النداء بالأمان وإصلاح أمور البلاد.

ومن الأمثلة التي تؤكد على هذا الطرح ما أمدتنا به مختلف النصوص، فعند دخولهم مدن إفريقية وتعاملهم مع أهلها قبل السقوط النهائي[3]، فابن الأثير وصف دخولهم جربة عام: 529هـ /1135م، وإعمالهم القتل والسبي وشدة مقاومة أهلها بقوله: « فقتل منهم بشرٌ كثير فانهزموا، وملك الفرنجة الجزيرةوغنموا أموالها، وسبوا حريمهاونساءها وأطفالها وهلك أكثر رجالها ومن بقي أخذوا أمانا من صاحب صقلية، وافتكوا أسرهم وسبيهم وحريمهم »[4].

---

[1] Josè Carlos Sánchez Pardo: **Los ataques vikingos,y suinfluencia en la Galicia de los siglos IX-XI** , Anuario Brigantino ,2010, nº 33, P: 23, 24.

[2] لمزيد من التفصيل عن مظاهر التأثر النورماني بالمسلمين في مجال النظم والحكم والإدارة والتسامح الديني، والاهتمام بالعلم ورعايتهم للعلماء ينظر: أحمد عزيز: المرجع السابق، ص83 وما بعدها، أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية،** (ص15 وما بعدها)، (ص67 وما بعدها).

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص231. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص412.أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ص74.

[4] **الكامل في التاريخ**، ج9، ص338.

وكذلك فعل النورمان عند دخولهم طرابلس عام: 541هـ /1146م، التي كانت تحت حكم بني مطروح، حيث أقدموا على سفك دماء أهلها وأخذ نساءهم وأموالهم، وفي ذلك يقول ابن الأثير: « تملك الفزع المدينة عنوة وقهرا بالسيف، فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم وأخذوا أموالهم، وهرب من قدر على الهرب، والتجأوا إلى البربر والعرب ثم نودي بالأمان في كافة الناس، فرجع كل من فر، ولما عادوا أخذوا أهلهارهائن ومعهم بني مطروح والملثم ثم أعادوا رهائنهم »[1].

ومن القرائن أيضًا ما قاموا به عند غزوهم مدينة المهدية عام 543هـ / 1148م، من طرف جورجي الأنطاكي تعرّضت المدينة للنهب مدة ساعتين، وفي ذلك يقول ابن الأثير: « وملك المدينة جورجي ونهبت مقدار ساعتين ونودي بالأمان، وخرج من كان مستخفيًا...، وأرسل من جند المهدية الذين تخلفوا بها جماعة، ومعهم أمان لأهل المدينة »[2].

ولم ينجوا من سياسة الإبادة والتقتيل والأسر سوى من دخل طواعية تحت حكمهم، كمدينة سوسة الذين لم يظهر أهلها أي مقاومة، أما سكان سفاقص فكان حالهم كحال طرابلس والمهدية، وفي ذلك يقول ابن الأثير: « وسير جورجي أسطولا بعد أسبوع إلى مدينة سفاقص، وسير أسطولاً إلى مدينة سوسة »[3]، وكذلك الحال عند غزو بونة عام 548هـ / 1154م تحت قيادة فيليب المهداوي، وفي ذلك يقول ابن خلدون: « فحاصروها واستعانوا عليها بالعرب، فملكوها واستباحوها »[4].

وعلى ضوء هذا، فطريقة النورمان في عملية الغزو واحدة ليست في بلاد المغرب، وإنما تتبع الظاهرة تعود إلى زمن تحركهم من شمال أوروبا وتعرضهم للسواحل الأوروبية والأندلسية وجنوب إيطاليا وصقلية، ويفسر ذلك بما عرف به النورمان من إسرافهم في القتل دون تمييز، وإطلاق العنان لجنودهم لجمع الأموال وإظهار التلذذ بالانتصار.

إلا أن النورمان بعد تنفيذ عمليات الغزو والسلب والأسر واستباحة البلاد، يظهرون الأمان والإحسان إلى السكان، فالمصادر الإسلامية تشير إلى الرفق الذي حظي به سكان بلاد إفريقية بعد الغزو، وهي ظاهرة تكررت معهم وفي جميع غزواتهم.

فابن غلبون وصف جورج الأنطاكي في إحسانه إلى التجار والفقراء، بل وإقراضهم عند دخول المهدية بقوله: « فبعث جورجي إليهم خيلا يعلمهم بالأمان فرجعوا إلى بلدهم وفرق عليهم مالا وطعامًا

---

(1) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص351.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص352.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص352.

(4) **كتاب العبر**، ج5، ص235.

أقرضهم إياه، فصلحت أحوالهم واغتبط الناس »[1]، وعن رفق روجار الثاني بأهالي البلاد المفتوحة يقول ابن الأثير: « ورفق بهم وبأهل سوسة والمهدية »[2]، وبعد أن دانت له جميع البلاد الإفريقية، أرسل نائبه جورجي الأنطاكي يقر بالأمان لأهلها يقول ابن الأثير: « ووصلت كتب روجار لجميع أهل إفريقية بالأمان والمواعيد الحسنة »[3].

ورغم أن المصادر لا تشير إلى حدوث تجاوزات بعد النداء بالأمان، إلاّ أن ذلك بفسر مدى تحقق أهدافهم من الغزو بجمع الغنائم والأسلاب وإقرار السيطرة وضمان تبعية هذه المناطق وولائها.

1 . فرض الجباية:

بعد أن تمكن النورمان من إحكام سيطرتهم على مدن الساحل المغربي، ولأجل ولضمان التحصيل المالي لجأوا إلى فرض الجزية، وهذا بعد استتباب الأمن وتورد المصادر روايات عديدة تتعلق بإجراء فرض الجزية على مدن المغرب، وطريقة فرضها وأثرها على الواقع المعيشي للسكان.

وأورد ابن خلدون ويكاد ينفرد عن باقي المصادر بالإشارة إلى موضوع فرض الجزية من قبل النورمان عقب كل احتلال، ولنا أمثلة عديد فما أورده، فعند دخول النورمان جربة سنة 529هـ / 1135م يقول: « واستأمن من الباقين وأقرهم في جزيرتهم على جزية »[4]، ويضيف عند احتلالهم لطرابلس سنة 541هـ / 1146م بقوله: « وبعث بالأمان إلى كل من شرد من أهلها فرجعوا وأقرهم على الجزية »[5]، وبدخولهم المهدية وسوسة سنة: 543هـ / 1148م يقول: « ثم أمنوهم وفدوا أسرهم وأقروهم على الجزية، وكذا أهل سوسة »[6].

وبهذا فجميع مدن إفريقية التي غزاها النورمان، فرضوا عليها الجزية[7]، وهو ما أشار إليه ابن أبي دينار بإيحاء في سياق المدح لروجار بعد أن دانت له بلاد إفريقية بالخضوع والطاعة بقوله: « واستوثق له الحكم على أكثر البلاد، وجبى خراج رعاياه برفق منه وإحسان »[8].

---

[1] **تاريخ طرابلس الغرب**، ص46.

[2] **الكامل في التاريخ**، ج9، ص351.

[3] المصدر نفسه، ج9، ص352.

[4] **كتاب العبر**، ج5 ص231.

[5] المصدر نفسه، ج5، ص232.

[6] المصدر نفسه، ج5 ص234.

[7] أحمدعزيز: المرجع السابق، ص67.

[8] **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص92.

ويرى الباحث الهادي روجي إدريس أن النورمان لم يكونوا مبالغين في دفع الجزية والخراج، وأن الجباية كانت متسمة بالمرونة وقد رضي بها سكان إفريقية، وكان روجار الثاني حريص على كسب ودهِم وبقائهم اثنتي عشر سنة، و لم تظهر أية رد فعل تنبئ عن تطلعهم إلى التحرر والتخلص من حكمهم[1].

وفرض الجزية من قبل النورمان يعني إضافة مورد لخزينة صقلية، والتركيز على الجباية يكون بأحد مصادرها هي الجزية، أو ما يسمى « بضريَبة الرؤُوس » على الأهالي الخاضعين للسلطة النورمانية، وتم العمل بالنظام الضريبي السابق في عهد الدولة الزيرية، إلا أن عملية الجمعِ كانت بحكمة ولين، و لم تكن عن قوة و إغلاظ[2].

2 . الحرية الدينية والإدارية:

تشير المصادر الإسلاميةإلى أن النورمان قد زاوجوا بين تعيين حكام بلاد المغرب وبين ترك الحرية للأهالي في اختيار من يحكمهم، وقد أبدوا مرونة كبيرة في تعاملهم مع المسلمين وهي تعكس مظاهر التسامح الديني، فعند احتلال روجار الثاني جربة سنة 529هـ / 1135م، ذكر ابن أبي دينارأن روجار قد عين من ينوب عنه بقوله: « ودخلت جزيرة جربة تحت طاعة روجار، وولى عليها عاملا من قبله »[3] لكن ابن أبي دينار لم يذكر هل كان من أهالي جربة أم النورمان؟

وقد عهد روجار الثاني بإدارة هذه الأملاك الإفريقية بتعيين أمراء تابعين له في محاولة منه إبقاء سيادته ودفع الجزية، في بداية الأمر إلى جورجي الأنطاكي منفذ عمليات الاحتلال، وكان بمثابة نائبًا له الذي عمل إقرار الأمن والنظام الداخلي[4]، وفي طرابلس تم وضع حاميةعسكرية، وفي ذلك يقول التجاني (ت 717هـ / 1317م): « وأبقى فيها جنده من المسلمين والصقليين »[5]، والصقليين هم من رافقوا الحملة النورمانية على طرابلس والمقصود بهم النورمان وفي احتلال ضعيف مسلمي صقلية.

---

(1) **الدولة الصنهاجية**، ج1، ص421.

(2) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص59.

والظاهر أن فرض الجزية أو بما يعرف بضريبة الرؤوس على المسلمين من قبل النورمان كان بعد دخولهم صقلية، وقد ادى هذا إلى جانب التخريب النورماني الذي مس مدنهم وقراهم بصقلية إلى الهجرة إلى إفريقية الزيرية. يراجع: أحمد عزيز: المرجع السابق، ص78.

(3) **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص90.

(4) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص59.

- TommasoIndelli: Op.cit, P: 7.

(5) **رحلة التجاني**، ص241.

وفي المهدية بعد أن تمكن النورمان من دخولها سنة: 543هـ /1148م، وطد جرجي الأنطاكي منفذ الاحتلال قواعد حكم المدينة بأن ترك قاضيًا يحكم بين الناس اختير بموافقة ورضى سكان المدينة وفي ذلك يقول ابن أبي دينار: « وأحسن إلى فقهائهم وجعل قاضيا مرضيًا يحكم بين الناس »[1].

بينما في مدينة طرابلس بعد احتلالها سنة: 541هـ / 1146م نصبوا رافع بن مطروح ويوسف بن رشيد على قابس كنائبين عنهما في الحكم والإدارة مع ترك الأمور الداخلية لحاكم المدينة[2]، ولضمان الولاء والتبعية وعدم الخروج عن طاعتهم، أخذوا رهائن من أهالي السلطة الحاكمة إلى صقلية، وفي ذلك يقول ابن الأثير (ت 630هـ / 1232م): « وولو عليها رجلا من مطروح وأخذوا رهائنه وحده »[3].

ولإدراك النورمان بأهمية المهدية عن غيرها، تركوا حامية عسكرية تحت قائد مسؤول عن حمايتها وأمنها، بينما عهدوا بإدارة المدينة إلى عامل تختاره الحكومة الصقلية من بين الأعيان المحليين[4].

وعلى ضوء هذا فقد خضعت مدن المغرب (جربة، طرابلس، قابس، المهدية) لحكم مدني وآخر عسكري، بترك حامية عسكرية، ويفسر إبقاء النورمان على هذه المناطق تحت سكان البلاد مع ترك حاميات عسكرية، لأهمية المدينة السياسية والإقتصادية بالنسبة للنورمان أو بحجم سكانها إذا كثافتها مرتفعة، أو ربما لتخوف النورمان من قيام أي عمل عدائي في المستقبل، وكانت طرابلس والمهدية المقصودة بذلك، فطرابلس أعادوا تحصينها واستغرق منهم ذلك ستة أشهر، والمهدية فكانت محصنة قبل مجيئهم، وقد أشارت المصادر إلى وجود حاميات عسكرية بهاتين المدينتين، أما باقي المدن لم ترد إشارات تتعلق بذلك.

والظاهر أن طبيعة الحكم قد حقق نوعًا من الاستقرار والهدوء لمدة تزيد عن اثنتي عشر سنة، فابن غلبون وصف ازدهار المهدية زمن خضوعها للنورمان لما تحقق من عدل بقوله:« واغتبط الناس بالمهدية لما رأوا من عدل النصارى، فعمرت أحسن عمارة »[5].

وتحقق هذا نتيجة الحرية السياسية في إدارة شؤونهم، دون تدخل من طرف الحامية العسكرية التي كان أفرادها من أشراف ملوك النورمان وولاتهم وأبطال الفرسان[6].

---

(1) **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص92.

(2) إلهام حسين دحروج: المرجع السابق، ص94.

(3) **الكامل في التاريخ**، ج9 ص338.

(4) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص59.

(5) **تاريخ طرابلس الغرب**، ص46.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص429. التجاني: المصدر السابق، ص347. مؤلف مجهول: **الحلل الموشية**، ص154.

وقد أبدى النورمان مرونة في تعاملهم مع المسلمين، و لم تشر المصادر إلى تعرضهم للمضايقة في ممارسة شعائرهم الدينية، إلا فيما تعلق بحادثة طرابلس، والتي طلب فيها قائد الحامية من أهالي طرابلس ذمّ الموحدين على المنابر بعد تخوفهم من قيام تحالف بين أهالي طرابلس والموحدين ورفض أهالي طرابلس لذلك، ورضوخ قائد الحامية لمطلبهم بالرفض[1].

والحرية الدينية التي تمتع بها المسلمون في إفريقية مردها إلى ما عرف به روجار الثاني مبدأ التسامح ديني اتجاه المذاهب الأخرى، وإلى نائبه في بلاد المغرب جورجي الأنطاكي، الذي أوعز إليه على الإبقاء على الديانة الإسلامية، وطبقها حين توليه في المرحلة الأولى باعتباره نائبا عن روجار في حكم بلاد المغرب[2].

وربما تسامح روجار الثاني ونائبه في بلاد المغرب، تقتضيه سلامة الدولة، باعتبار أن غالبية سكان بلاد المغرب مسلمون، كما هو الحال في صقلية فغالبية الجزيرة مسلمين[3].

لكن القول بترك الحرية الدينية للمسلمين لا يمكن تعميمه، ذلك أن النورمان في أحيان أبدو تحيزا للمسيحيين المتواجدين بإفريقية، بتعزيز أسس المسيحية بصقلية، بتشييد أثيرين دينيين، الأولى الكنسية الملكية في القصر Capella Palatina بلرم، والثانية الكتدائية في مدينة جلفوذى Cefalu، وتنشيط دور الأسقفيات والكنائس، والتحيز الثاني بما أقدم عليه روجار الثاني من تجميع العناصر المسيحية في مواقع معلومة بإفريقية، واستخدام تلك العناصر المسيحية في الإدارة والحراسة وكجند حِين حدوث العصيان[4].

3 . انتعاش اقتصادي بين القطرين:

أدى خضوع بلاد إفريقية للنورمان إلى حدوث انتعاش اقتصادي في صقلية وبلاد المغرب، للارتباط الوثيق بينها، فصقلية اتسعت تجارتها مع جنوب البحر المتوسط وشرقه، ذلك أن روجار الثاني (495 ــ 548هــ / 1101 ــ 1154م) انتهج سياسة ودية مع الفاطميين في مصر[5].

---

(1) التجاني: المصدر السابق، ص442.

- TommasoIndelli: Op.cit, P: 7.

(2) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص59.

(3) أحمد عزيز:المرجع السابق، ص78.

(4) المرجع نفسه، ص67، 68.

ويرى الباحث رشيد تومي أن إقدام روجار الثاني على هذه السياسة كان بهدف أن تكوين كنسية قومية تحت سلطته. ينظر: رشيد تومي:**العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان منذ وفاة الملك روجارالثاني إلى سقوط المملكة**، ص270.

(5) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص59.

ومما زاد في نشاط الحركة التجارية سيطرتهم على مضيق مسينا Miseno، والطريق البحري بين صقلية وإفريقيا، وأصبحت موانئهم مراكزا تجارية نشطة مع ثغور البحر المتوسط ومراكز التجارة في إسبانيا وتونس[1].

كما أن النورمان حافظوا على استمرار الحركة التجارية حتى زمن غزوهم لبلاد المغرب، فقد ذكر ابن أبي دينار أنه بعد احتلال زويلة والمهدية عمل منفذ الغزو جورج الأنطاكي إلى الإحسان إلى تجار المدينتين، حيث يقول: « وعمر عدو الله المدينتين زويلة والمهدية، ودفع للتجار رؤوس أموال »[2].

ولا نستبعِد أن يكون هذا التصرف يأتي في إطار التسامح واللين، كما لا نستبعد أن يكون التجار من الصقليين، أو ربما لضمان استمرار الحركة الإقتصادية بين صقلية وبلاد إفريقية، خاصة وأن المحرك الرئيس للغزو تحقيق أهداف اقتصادية بالدرجة الأولى والتجار هو الواسطة في ذلك.

واستمرت الحركة التجارية وازداد عدد المراكب المبحرة بين صقلية وإفريقية، فهذه الأخيرة ظلت لسنواتٍ تعتمد على قمع صقلية، واستمرت تجارة القمح بين صقلية وبلاد المغرب حتى زمن الحروب بينها، كما أن الذهب الإفريقي دعم النقد في صقلية[3]، وتدافعت الخيرات على صقلية بعد أن ألحقت بلاد المغرب إليها[4].

وأحس المسلمون في بلاد المغرب بهذا الانتعاش الإقتصادي، وانتفعوا من تطور المبادلات التجارية بين صقلية وإفريقية من جهة، وبين إفريقية والسودان عن طريق طرابلس وقابس من جهة أخرى، يضاف إلى ذلك تحرير المبادلات التجارية ببلاد المغرب، والتي كانت تحت سيطرة حكام المدن، وإبطال المراقبة قد ساهم في حدوث انتعاشٍ اقتصادي[5]، وإن كان المستفيد من تحرير التجارة ببلاد المغرب من سيطرة ما يشبه ملوك الطوائف بالأندلسهم النورمان بالدرجة الأولى وإن بدا الانتعاش الإقتصادي فهو مؤقت.

ولتكريس وجوده على الأرض وإحكام سيطرته على البلاد، عمل روجار الثاني على فتح باب الهجرة إلى بلاد المغرب وتشجيعها، وقد أشار ابن الأثيرإلى ذلك بعد احتلال طرابلس بقوله: « وألزم أهل صقلية والسفن بالسفر إليها »[6].

---

(1) لويس ارشيبالد: المرجع السابق، ص376. محمد سعيد عمران: **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ت، ص278.

(2) **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ص92.

(3) أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ص79.

(4) زيغريد هونكة: المرجع السابق، ص416. مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص59.

(5) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص421.

(6) **الكامل في التاريخ**، ج9، ص338. ابن غلبون: المصدر السابق، ص50.

وهو ما يبدو من إقدام النورمان بعد احتلال طرابلس على إصلاح عمرانها، وطالت مدة ذلك على ما يزيد عن ستة أشهر، وفي ذلك يقول ابن الأثير (ت 630هـ / 1232م): « وأقام الفرنج مدة ستة أشهر حتى حصنوا سورهاوحفروا خنادقها، واستقامت أمور المدينة »[1]، وعند ابن خلدون أصلحوا أسوارها وفنادقها حيث يقول: « وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلحوا أسوارها وفنادقها »[2].

وإن أخذ هذا الاهتمام بالمدينة طابعين عسكري وأخر مدني، تجسد في تهيئتها وتوفير الظروف الملائمة لنقل السكان، وفتح باب هجرة السكان الصقليين إليها لتكريس الوجود بها، فإن مرافقة إصلاح أوضاع المدينة كان بإعلان حرية ممارسة التجارة، مما جعل صقلية عامرة بعد أن قصدتها سفن الروم[3].

ودعا روجار الثاني وفتح باب الهجرة بعد احتلال المدينة طرابلس، ووعد المستجيبين بمنحهم امتيازات، ولقيت دعوته استجابة من مسلمي صقلية والتجار الإيطاليون والصقليون خاصة، وبدأت عملياته الإسكانية منذ سنة: 541هـ / 1148م، وكان هدفه من وراء ذلك تخفيف الضغط السكاني عن صقلية بعد أن ضاقت بساكنيها بعد استقدام اللمبارديين من شمال ايطاليا بأعداد كبيرة، وتخفيف من حدة التوتر القائم بينهم وبين المسلمين[4].

يستفاد من خلال ما أوردته المصادر أن روجار الثاني من خلال تشجيعه للتجار يهدف إلى ضمان تدفق للموارد والخيرات إلى صقلية، وتثبيت التواجد النورماني بهذه المناطق المحتلة، وتشجيعه لهجرة المسلمين إلى المدينة (طرابلس)، وذلك لتخوفه من قيام ظهير داخلي متعاون مع الموحدين، وربما كان مشروع لإيجاد قاعدة انطلاق للاحتلال المهدية عاصمة الزيريين.

المبحث الثاني: مظاهر التواصل الثقافي

ساهمت مجموعة من العوامل في حدوث تواصل ثقافي بين صقلية وبين بلاد المغرب تعود إلى زمن دخول الإسلام أرض الجزيرة عن طريق بلاد المغرب، نتج عنها وجود وحدة فكرية جمعت القطرين، وبدخول النورمان صقلية، واستمرار حركة العلماء منها وإليها وحضي علماء صقلية المسلمين والقادمين إليها بترحيب ولقيت الحركة العلمية تشجيعا ورعاية من طرف ملوك النورمان[5].

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص338.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص232.

[3] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص412.

[4] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص70.

[5] علي بن محمد بن سعيد الزهراني: **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**، ص511 وما بعدها.

وبخاصة روجار الثاني الذي كان بلاطه مركزًا للعلوم، وكذا ابنه وليام الأول (549 ــ 559هـ / 1154 ــ 1166م)، فقد كانا يغدقان الأموال على العلماء، ويكتنفونهم بالاحترام ويرفعون من مراكزهم الإجتماعية، وسعوا إلى استمالة كل عالم شهير إلى القدوم إليهم، ونشطت معها حركة الترجمة من العربية إلى اللغة اللاتينية واليونانية[1]، وهو ما دفع بالعلماء والمثقفين والشعراء إلى الانتقال إلى صقلية، ويمكن إيراد من انتقل منهم على قلتهم، وإبراز مجال إبداعهم وذكر تأليفهم التي انتقلت مع انتقالهم وراجت بين طلبة العلم، أو تم تدريسها في حلق ومجالس العلم، وهي تعكس مظاهر التواصل وحصول الاستفادة.

1 . رحلات علماء وأدباء المغرب إلى صقلية:

ففي ميدان الأدب انتقل إلى صقلية الشاعر عثمان بن عبد الرحمن المعروف ابن بشرون المهدوي (كان حيا سنة 549هـ / 1154م)، من بلاد إفريقية عرف عنه ببروز ملكته الشعرية وكثرة قصائده، جمع ذلك في ديوان شعر أسماه « المختار في النّظم والنثر لأفاضل أهل العصر »، وتضمن تراجم للشعراء والأدباء الذين كانوا بصقلية زمن الحكم النورماني، وبالإضافة إلى نبوغه في الشعر، كان له علم ودراية بخصائص الأشياء فكان له مؤلف في الكيمياء، وإلى جانب شاعريته وتفوقه العلمي وخبرته، مارس الحكم والإدارة أسندت إليه مناصب سياسية بالدولة النورمانية[2].

لكن المصادر لا تسعفنا الى زمن انتقاله، والظاهر من خلال ما أوردته أن ذلك كان في بداية سيطرة النورمان على صقلية، وأغلب الظن في عهد روجار الثاني (495 ــ 548هـ/1101 ــ 1154م) الذي عرف عنه بثقته الكبيرة في قدرات المسلمين في الحكم والإدارة.

وانتقل إلى صقلية الشاعر عبد الحليم بن عبد الواحد الإفريقي المولد الصقلي الدار، وهو من الشعراء البارزين الذين تغنوا بشاعرية مفعمة بحب صقلية، حيث أنشد قائلاً: [المتقارب]

عَشِقتُ صِقِلِّيَةَ يَافِعًا   وَكَانَت كَبَعضِ جنَانِ الخُلُودِ
فَمَا قَدَرَ الوَصلُ حَتَى اكتَهَلَت   وَصَارَت جَهَنّمُ ذَاتَ الوَقودِ[3]

---

[1] سليمان داود بن يوسف:المرجع السابق، ص41.

والناظور شحاذة وآخرون: **مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار الأمل للنشر، عمان، 1989، ص296.

[2] ابن حمديس: المصدر السابق، ص2. أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص631. أحمد عزيز: المرجع السابق، ص90.إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص265.

[3] أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص582. أحمد عزيز: المرجع السابق، ص78.

وتعرض بعض علماء وأدباء المغرب بعد انتقالهم إلى صقلية للاضطهاد والقتل على يد النورمان بروح انتقامية، ومنهم يحي بن التيفاشي القفصي انتقل من مدينته قفصة إلى قابس وسكن بها ومدح حكامها بني هلال[1].

وكان التيفاشي قد مدح عبد المؤمن بن علي (524 ـ 558هـ / 1129 ـ 1162م) عند وصوله إلى بلده، ثم انتقل إلى صقلية ودخل مدينة بلرمو قتل بعد سنة: 554هـ / 1155م، بعد حادثة الفتك بالمسلمين، كرد فعل من النورمان بعد استرجاع الموحدين للمهدية، التي تركت أثرًا كبيرًا في نفسية وليام الأول وغضبه على الأشراف واتهامهم بالتهاون، وكان من جماعة المسلمين التيفاشي[2].

وفي **ميدان الجغرافيا** انتقل إلى صقلية العالم المبرز والجغرافي الشريف الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد إدريس (ت 560هـ /1165م)، ينتهي نسبه عند علي رضي الله عنه، ولد بسبة سنة: 493هـ / 1100م، كان مولعًا بعلم الجغرافيا أديبًا وشاعرًا ، رحل لبلاد المشرق وطلب بها الحساب والهندسة والجغرافيا والفلك، وكانت له رحلات أخرى إلى أوروبا وسواحل المغرب والأندلس، أكسبته رحلاته ثقافة واسعةشملت الفلسفة والأدب وعلم النبات والطب فضلا عن الجغرافيا[3].

لكن تبقى المعلومات المتعلقة بترجمة حياته وتكوينه الجغرافي محل خلاف من طرف الباحثين، ولاسيما المستشرقين منهم، وهي افتراضات واستنتاجات غير مؤسسة على دليل ثابت، أو سند صحيح من نص كلام الإدريسي نفسه، أو من المؤرخين الذين كتبوا عنه على حسب تعبير حسين مؤنس[4].

---

(1) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص599.

(2) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص192.

وجذور الفتنة تعود إلى إقدام وزير وليام الأول ماجون على تجريد المسلمين من السلاح في بلرم، عقب إلقاء وليام باللائمة عليهم لتهاونهم في إضاعة المعقل المهدية، وقامت الفتنة بين الفرسان والنبلاء وهاجموا القصر واستولى على كنوز روجار الثاني، ثم قام النصارى على المسلمين في حيهم كازارا Gazaara، وكان من أغنى الأحياء في بلرم، واستعد المسلمون للمواجهة، لكنهم كانوا بغير سلاح، فأوق بهم النصارى مذبحة قاسية، وكان من بين الهالكين الشاعر التيفاشي. ينظر: أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص599.

(3) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص174.

والصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ / 1362م): **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج1، ص138. إبراهيم حركات: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ /15م**، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ج1، ص317.

(4) حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص168.

دخل في خدمة روجار الثاني (495 ــ 548هــ / 1101 ــ 1154م)، وقيل أن روجار هو من استدعاه من العدوة عن طريق من توسط بينهما، واقتناعا من الإدريسي أن روجار الثاني من سلالة الملوك شبهه بالخلفاء المسلمين في العصر الذهبي للإسلام، وأشاد بنجاحاته في حكم مملكة صقلية[1]، فما كان من روجار الثاني إلا أنْ قربه من مجلسه ونال عنده الحظوة، وأكرمه وبالغ في تعظيمه و لم يكن الإدريسي لما قدم على صقلية ينوي الإقامة بها، لكن روجار رغبه المقام عنده وقال له أنت من بيت الخلافة ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك ومتى كنت عندي أمنت على نفسك[2].

ولما قبل الإدريسي المقام عند روجار صنف له كتاب قيل برغبته وقيل بطلب من روجار ليضع له شيئا في صورة العالم رتبه على أقاليم الأرض السبعة وأورد فيه أوصاف البلاد والممالك مستوفية وبين المسافات بالميل والفرسخ[3].

كتب المؤلف بحروف عربية وجمع ذلك في ما أسماه"نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" وحمل المؤلف اسم « كتاب روجار » وكان شروعه في هذا التأليف سنة: 549هــ / 1154م، بشيء من التفضيل لمحتويات الكرة الأرضية، تتعلق بأشكال التضاريس والسكان والإنتاج والصناعات والأنشطة التجارية، جمع مادته من علوم الأقدمين وما اطلع عليه بنفسه أوماوصل إليه من دراسات ومشاهدات وخبرات ومارواه السياح[4].

---

(1) الصفدي: المصدر السابق، ج1، ص138. حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص176.

ـ Martine Cohen-Hadria: Al-Idrîsî, une vision du monde méditerranéen au XIIe siècle: journal d'exposition, Mss or, arabe 2221, Édité par Bibliothèque nationale de France [Paris, Site François Mitterrand, Petite galerie, 16 octobre 2001 - 3 janvier 2002], P: 1.

(2) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص658. حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص177.

(3) خليفة حاجي مصطفى بن عبد الله (ت1068هــ / 1657م): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص1624. ص1924. علي محمد الزهراني: **الوجود الإسلامي في صقليةفي عهد النورمان بين التسامح والاضطهاد**، ص12.

وقيل أنه اقترح عليه روجار تأليف الكتاب كان له حافزًا لإكمال رحلته إلى المغرب، واستكمل ما أراد دارسته من جغرافية المغرب، وانتقل إلى الأندلس للدراسة والمشاهدة، وبعد عودته إلى صقلية شرع في تأليف الكتاب. ينظر: حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص190.

(4) الصفدي: المصدر السابق، ج1، ص138.

وحسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص176. إبراهيم حركات: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالغرب المسلم حتى القرن 9هــ /15م**، ج1، ص318. أمين توفيق الطيي: المرجع السابق، ص130. علي محمد الزهراني: **الوجود الإسلامي في صقليةفي عهد النورمان بين التسامح والاضطهاد**، ص13.

وكان هذا الكتاب موجه إلى أولئك الذين يحبون الرحلات ويستمتعون بالسفر حول العالم، وهو من أكثر الكتب رواجا تضمن أعمالا مهمة في الجغرافيا عبر العصور الوسطى، وأرفق الكتابَ بمجسَّم لكرة فضية كبيرة محفورة على لوحة فضّية تزن 150 كيلوغراما[1].

وذكر الإدريسي (ت 548هـ / 1154م) أن سبب تأليفه لهذا الكتاب الذي أخذ اسم كتاب روجار، إنما تحقيقًا لرغبة الحاكم روجار، الذي أراد أن يعرف حقيقة البلاد التي هي تحت سيطرته، وحدود الأقطار والبلدان إذ يقول في مقدمته: « لما اتسعت أعمال مملكته، وتزايد هم دولته وأطاعته البلاد الرومية، أحب أن يعرف كيفيات بلاده حقيقة ويقينا وخبرة، ويعلم حدودها وممالكها برًا وبحرًا، مع معرفة غيرها من الأقاليم في الأقاليم السبعة »[2].

وقد مجد الإدريسي في افتتاحية الكتاب روجار الثاني وبالغ في وصفه، ولقبه بألقاب كان لا يوصف بها إلا خلفاء الإسلام، ومن ذلك قوله: « فإن ما أقل ما عني به الناظروأشعل الأفكار والخواطر، ما سبق إليه الملك المعظم روجار المعتز بالله المقتدر بقدرته، ملك صقلية الناصر للملة النصرانية، إذ هو خير من ملك الروم بسطًا وقبضًا »[3].

ويعتبر كتاب « نزهة المشتاق » أعظم موسوعة جغرافية خرجت من صقلية، تلتقي فيه الجغرافيا القديمة بالجغرافيا الحديثة يجمع فيه بين الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية، واستطاع مؤلفه أن يتصدى لأول عمل جغرافي كامل عن الأرض معتمدًا على أساس علمي تجريبي، فهو من ناحية القمة التي وصل إليها العلم الجغرافي في العصور القديمة والوسيطة، ومن ناحية أخرى أول جغرافي حديث[4].

وتحصل الأوربيون من خلاله على معلومات مهمة تتعلق بالهند والصين والنصف الشمالي للكرة الأرضية، وعد أعظم عمل جغرافي في القرون الوسطى، ففي الصفحة الأولى من الكتاب ذكر الإدريسي أن الأرض كروية الشكل[5].

انفرد المؤلّف في تحديد بعض المواقع قبل اكتشافها في العصر الحديث، ومنها تحديد منابع النيل، وتم إعادة رسم خرائطه، واعتمد عليه الباحثون والدارسون وترجموا أقسامًا منه[6].

---

[1] Cristina Montesi: Op.cit, P: 29.

[2] **نزهة المشتاق** (مقدمة الكتاب)، ص5.

[3] المصدر نفسه، ص4.

[4] حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص204، 215. علي بن محمد سعيد الزهراني: **الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان بين التسامح والاضطهاد**، ص13.

[5] أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ص130.

[6] إبراهيم حركات: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالغرب المسلم حتى القرن 9هـ /15م**، ج1، ص315.

2 . رحلات علماء وأدباء صقلية إلى بلاد المغرب:

ساهمت مجموعة من العوامل في انتقال أدباء وشعراء وفقهاء صقلية إلى بلاد المغرب، دفعتهم ظروف عديدة منها البحث عن مكان آمن للعيش بعد اضطراب أوضاع الجزيرة، أو لغياب الحافز الفكري وتطلعا إلى مستقبل أفضل، فقرروا مغادرتها إلى بلاد المغرب[1]، لذا كان تأثير علماء صقلية كبيرا أثناء الوجود الإسلامي وإزداد واتضحت معالمه مع بداية الغزو النورماني لصقلية وبعد سقوطها[2].

وفي شأن ذلك يقول ابن الخطيب: « كان من جملة من انتقل عنها عند الحادثة، الشرفاء المستقر بعضهم بمدينة فاس، وقد غيّر انتسابهم إلى صقلية بالقلب...، ومن الفقهاء والقضاة والمحدّثين جملة...، ومن الكتاب والبلغاء والشعراء المفلقين »[3].

وفي **ميدان الأدب** من بين أدباء صقلية الذين انتقلوا إلى بلاد المغرب أبو طاهر الصقلي محمد بن أبي الفرج المازري (ت 527هـ / 1036م)، العالم بالعربية ومنها النحو والصرف والمقرئ والفقيه في علوم القرآن، انتقل إلى بلاد المغرب واستقر بالقيروان ودَرَّسَ فيها، وتفقه عليه بالمغرب أبو الفضل النحوي والقاضي أبو عبد الله بن داود، له مؤلفات عديدة منها « الاستيلاء »، و« تعليق في المذهب »، و« العنوان في القرآءات »[4].

وانتقل إلى بلاد المغرب كذلك أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي النحوي المعروف بابن مكي (ت 536هـ / 1142م)، فقيه ولغوي ومحدّث وشاعر، ويعتقد أنه تولى التدريس فكان من تلامذته ابن البر، تولى القضاء في صقلية ثم في تونس عند انتقاله إليها زمن بداية الغزو النورماني، وإليه ينسب كتاب « تثقيف اللسان »، غادر إفريقية إلى مصر وتوفي بها سنة: 536هـ / 1142م[5].

---

(1) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص89.

(2) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص276.

(3) **تاريخ المغرب في العصر الوسيط**، ص132، 133.

(4) الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي (ت 696هـ / 1296م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة بتونس، د.ت، ج3، ص203. علي بن محمد بن سعيد الزهراني: **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**، ص518 . أحمد عزيز: المرجع السابق، ص87.

(5) أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص598. علي بن محمد بن سعيد الزهراني: **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**، ص517. أحمد عزيز: المرجع السابق، ص88.

وابن مكي الصقلي أبي حفص عمر بن خلف (ت 501هـ / 1107م): **تثقيف اللسان وتنقيح الجنان**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص4.

وانتقل كذلك إلى بلاد المغرب النحوي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد المعروف بابن ظفر (ت 565هـ / 1170م)، اختلف في أصله إما من صقلية وإما من مكة، وفد زائرًا إلى صقلية تنقل بين أقطار المغرب، كان علما بالنحو واللغة، من مؤلفاته « سلوان المطاع في عدوان الطباع »، وقيل: الإتباع، صنفه لبعض قواد صقلية وقد عد له أزيد من ثلاثة وثلاثون مؤلفا، منها مؤلف « خير البِشر بخير البَشر »، و« كتاب الينبُوع »، و« كتاب الحاشية على درة الغواص »، و« نجباء الأبناء »، و« شرح مقامات الحريري »[1]، ويعتقد أن مؤلفاته العديدة قد انتقلت إلى بلاد المغرب بانتقاله إليها.

وفي مجال التأثير المتبادل انتقل شعراء صقلية إلى بلاد المغرب، وكان مظهر التواصل يظهر في تواجدهم ببلاطات حكام بلاد المغرب ومدحهم إياهم، ومنهم أبو الحسن علي بن الحسن بن الطوبي، قال العماد الأصفهاني في الخريدة: « وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه وله فيها قصيدة رصع بها ديوانه »، وذكره كذلك بقوله: « إمام البلغاء، وزمام الشعراء، مؤلّف دفاتر، ومصنّف جوهر، ومقلّد دواوين ومعتمد سلاطين »[2].

وانتقل من شعراء صقلية إلى بلاد المغرب ابن حمديس الصقلي عبد الجبار أو محمد بن أبي بكر الأزدي، ولد في سرقوسة Syracuse سنة: 447هـ / 1055م، من أسره نبيلة ومحافظة تجمع بين الثقافة الدينية والحكمية، والمصادر لا تشير إلى أماكن دراسته ووسطه العلمي، لكن تشير إلى ثقافته الأدبية من قول الشعر في صباه، وثقافته الحكمية جعلته يتحدث عن الصحة والمرض والهواء والغذاء، لكنها اخفت جانبًا من قلة تدينه كتردّده على الحانات والأديرة لشرب الخمر[3].

انتقل ابن حمديس إلى الأندلس سنة: 471هـ / 1084م، واتصل بالمعتمدحاكم اشبيلية، وأشاد بالانتصارات المحققة في معركة الزلاقةعام: 479هـ / 1086م، وإلحاق الهزيمة بأذفونش (ألفونسو السادس)[4] صاحب قشتالة، على يد يوسف بن تاشفين المرابطي وحليفه المعتمد بن عباد فأحسن إليه المعتمد وأجزل له عطاياه[5].

---

[1] ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص395، 396.

[2] أماري ميخائيل: المرجع السابق، ص590.

[3] ابن حمديس: المصدر السابق، مقدمة الكتاب، ص3، 4.

[4] ابن فريدناند حكم قشتالة بعد وفاة والده، أشتهر بحروبه لملوك الطوائف، وحصل على الكثير من المدن وحصون المسلمين، وتمكن من ضرب ملوك الطوائف بعضهم ببعض، وتمكن من انتزاع مدينة طليلطة من القادر بن ذي النون، واستنجد المسلمون بالمرابطين تحت قيادة يوسف بن تاشفين، فكانت الوقيعة الكبرى الزلاقة سنة: 479هـ / 1086م. ينظر ترجمته في: ابن الآبار: المصدر السابق، ج2، ص86، وما بعدها. ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص145، 146.

[5] ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص214. أحمد عزير: المرجع السابق، ص91.

ودام اتصاله بابن عباد ما يزيد عن ثلاث أعوام، خصه بقصائد مدحٍ عقب انتصاراته على الإسبان، وأثناء مكوثه عند المعتمد بن عباد كان يتتبع أحداث صقلية ويشيد بانتصارات أهلها، ويحثهم على مواصلة القتال، لكنها سقطت في يد النورمان سنة: 484هـ / 1081م، وكان لسقوطها وقع على ابن حمديس الصقلي وشاعريته، وزادت حسرته عندما وقع المعتمد في الأسر من المرابطين ونفوه إلى أغمات[(1)] بالمغرب فسار ابن حمديس إليه[(2)].

ثم رحل ابن حمديس من الأندلس إلى شمال إفريقيا مجربًا حظه في بلاط بني زيري، فمدح تميم بن المعز (454 ــ 501هـ / 1062 ــ 1107م)، إثر دخول الروم صقلية بقوله: [الطويل]

تدَرّعتُ صَبري جُنّةً للنوائبِ　　فإن لم تُسالم يا زمانُ فحاربِ
عجمتُ حصَاةً لا تلين لعاجمٍ　　ورُضتَ شَموسًا لا يذلّ لراكب
كأنّك لم تقنع لنفسي بغربةٍ　　إذا لم أُنَقّب في بِلاد المَغارب[(3)]

ومن قوله في مدح يحي بن تميم بن المعز (501 ــ 509هـ / 1107 ــ 1115م)، وبعث بها من سفاقص إلى حضرته بالمهدية جاء فيها: [الطويل]

تَغنّتْقيانُ الوُرْق في الوَرَق الخُضرِ　　ففجَّر ينابيع الـــمدام مع الفَجرِ
وخُذ من فتاة الغيد راحًا سَبِيئةً　　لها قدَمُ في السبق من قِدَم العمر
ولا تشربن في كبوةِ الكُوب بالفتى　　كذلك يجري في مدى السكر ما يجري[(4)]

وقال يصف القصة التي حدثت لعلي بن يحيى الزيري (509 ــ 515هـ / 1115 ــ 1121م) زمن حكمه، في قصة الذين جاؤوا للغدر به وأنجاه الله من شرهم قوله: [الرمل]

مَن كانَ عنده يُدافِعُ القدَرُ　　لم يُردِهِ جنٌّ ولا بشَرُ
وثَنى الردى عنهُ الردى جَزَعًا　　وَسَعَت على غيراتِهِ غِيَرَ
وَرَمَى عِداهُ بكلّ داهِيَةٍ　　دهياءَ لا تُبقي ولا تذر[(5)]

[(1)] ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربعة مراحل، ومن سجلماسة ثماني مراحل نحو المغرب، وليس بالمغرب فيما زعموا، تجمع بين فواكه الصرودوالجورم، وأهلها فرقتان يقال لأحدهما الموسوية، والثانية مالكية حشوية. ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ص90. مؤلف مجهول: **الإستبصار**، ص 207. الحموي: المصدر السابق، ج1، ص225. الحميري: المصدر السابق، ص 46.

[(2)] ابن حمديس: المصدر السابق، ص12. رشيدبورويبة: **الدولة الحمادية**، ص176. رابح بونار: المرجع السابق، ص240.

[(3)] ابن حمديس: المصدر السابق، ص28.

[(4)] المصدر نفسه، ص214.

[(5)] المصدر نفسه، ص218.

وقال يهنئ علي بن يحي (509 ــ 515هــ / 1115 ــ 1121م)، بعد إخضاعه لمدينة جربه سنة: 510هــ / 1116م، بعد أن حاصرها وأقرأ أهلها على السمع والطاعة[1]: [الطويل]:

كفَى سيفُكَ الإسلامَ عاديةَ الكُفرِ   وَصُلتَ على العادينَ بالعزّ والنصر
وأصبَحَ قولُ المبطلين مكذَّبًا   ومدّ لكَ الرحمنُ في أمَدِ العُمر
وأينَ الذي حَدّ المنجَّمُ كَونَهُ   إذا مَرّ للصُّوامِ عَشرٌ مِنَ الشّهر
وما قَرَعَ الأسماعَ بالخبرِ الذي   أبى اللهُ إلاّ أن يُكذّبَ بالخُبر[2]

وقال يمدح الحسن بن علي آخر حكام بني زيري (515 ــ 543هــ / 1121 ــ 1148م) بقوله: [المنسرح]

هذا ابتداءٌ له عند العُلى خَبَر   يحكَي فيُصغى إليه الشُّهبُ والبشَرُ
كأنه وهو من مَتنِ الصّبا مَثَلٌ   من كلّ قُطرٍ منَ الدنيا له خَبَرُ
ما استُحسنَ الدهر حتى زانه حَسَن   وأشرقت في الورى أيامُهُ الغرر
شهمٌ له حينَ يرمي في مناضلةٍ   سهمٌ مواقعه الأحداقُ والثغر[3]

ويبدو أن اضطراب أحوال الحسن بن علي الزيري قد صرف ابن حمديس عنه إلى غيره، فاتصل بأحمد بن خراسان[4] وبكرامة المنصور (522هــ / 1128م)[5]، ودخل بلاد بني حماد في بجاية ووزراءهم من بني حمدون[6].

---

[1] ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص306.

[2] ابن حمديس: المصدر السابق، ص224.

[3] المصدر نفسه، ص249.

[4] أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان، تولى بعد وفاة أبيه سنة: 500هــ / 1107م، كان من أبرز حكام أسرة بني خراسان، قتل عمه إسماعيل وكان أحق بالإمرة منه،استبدل لقب شيخ بأمير، ووضع حدا لسلطة الشيوخ ونفاهم إلى المهدية وغيره،واستبد بالحكم في تونس وأشدت وطأته، ودامت مدة حكمه 22 سنة، بلغت تونس الخرسانية ذروة ازدهارها، فقد بنى قصرًا سمّاه قصر بنب خراسان، وأحاط المدينة بالأسوار واستطاع إقناع العرب بأمن المسافرين، وتجنب إفساد السابلة، فصلحت أحواله، ومدحه الشعراء من بينهم ابن حمديس الصقلي. ينظر ترجمته في: ابن عذري: المصدر السابق، ج1، ص315، 316. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص217. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص311.

[5] كرامة بن المنصور عم يحي بن عبد العزيز تولى سنة: 522هــ / 1128م، حكم تونس إلى وفاته، وكان تولى بعد أن خرج مطرف بن علي بن حمدون يحي بن عبد العزيز من بجاية في جيش من العساكر متجها إلى إفريقية، وتغلب على تونس، ونقل أحمد بن عبد العزيز وجميع أهله إلى بجاية. ينظر ترجمته في: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص217، 218.

[6] ابن حمديس: المصدر السابق، ص15.

ومما جاء في مدحه للمنصور بن الناصر بن علناس (481 ــ 498هــ / 1081 ــ 1104م)[1]، الذي كان مولعًا بالبناء، فوصف تلك القصور في قصائده قوله:[الرمل]

أمُدامُ على حَبابٍ تبتسم أم عقيقٌ فوه دُرٌّ نُظِم

أعَلى الهمّ بعثنا كأسنَنا أم بنجمِ الأفقِ شيطانٌ رُجم

أظلامٌ لضياءٍ طَبَقٌ أم على الكافور بالمسكِ خُتِم

أندى في الزهر أم ماء الهوى حار في أعين حور لم تنم[2]

وقال في رثاء أبي الحسن علي بن حمدون الصنهاجي قوله: [الطويل]

رمى الموتُ في عين التَبّصَر بالدّمِ وقال لحسن الصبر بين الحشادُمّ

على القائد الأعلى الذي فُلَ عزمه كما فُلَ عن ضرب الطلى حَدُّمخذم

أرى زَمَنَ الدنُيا يُنُقَلُ أهلها إلى دار أخرى من غنيّومعدم

وخان أمين الملك فيما انطوى له على حفظ أسرار الجلال المكتّم[3]

ورغم أن ابن حمديس قد تقرب من ملوك وحكام بني زيري وبني حماد، إلا أنه كان دائم التذكر لموطنه (صقلية)، وشده الحنين إليها وإلى جمال مناظرها الطبيعية، وألف في ذلك قصائد تعرف بالصقليات، صوّر فيها وطنه في صراعه مع الأعداء، كما صور ذكرياته هناك[4].

وقد كان المعاصرون ومن جاء بعدهم يعجبون بمعاني ابن حمديس المبتكرة، واستعماله للصّور في قصائده، والدقة الجزئية في شعره الذي أخذ الطابع الوصفي[5]، وقال ابن خلكان نقلاً عن ابن بسام في حقه:«هو شاعر ماهر، يقرطس أغراض المعاني البديعة، ويعبر عنها بالألفاظ النفسّية الرفيعة، ويتصرّف في التشبيه المُصيب، ويغوص في بحر الكلم على دار المعنى الغريب »[6].

---

(1) المنصور بن الناصر بن علناس بن حمادبن بلكين بن زيري الصنهاجي والقلعة، تولى بعد وفاة أبيه سنة: 481هــ /1088م، اقتفى آثار أبيه في العزم والحزم والرياسة، كان حميد الخصال ضابطا للأمور مولعا بالبناء، بنى المساجد والمصانع وإجراى المياه للإرباض والبساتين، توفي سنة: 498هــ /1104م. ينظر ترجمته في: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص232. ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص455. عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص138، 139.

(2) ابن حمديس: المصدر السابق، ص439.

(3) المصدر نفسه، ص482، 483.

(4) ابن حمديس: المصدر السابق، ص17.

(5) المصدر نفسه، ص17.

(6) **وفياة الأعيان**، ج 3، ص212.

ويستعمل ابن حمديس عبارات نادرة في مفرداته، متأثرا بشعر المتنبي، والشعر الأندلسي، خاصة في صباه، وفي مفرداته التصويرية، وتلاعبه بالصور الخيالية، وميله إلى استعمال المحسنات البديعية، وأخذ منحى شعراء بني العباس في وصف القصور[1].

وقيل أن صقلية لم تنجب مثله في الشعر، وضاهى شعراء المغرب قوة وتنوعا، وتأثّر في شعره بيئات ثلاثة (صقلية، الأندلس، المغرب)، وأثر ذلك على شعره بناء وقوة[2].

وجمع ابن حمديس قصائده في ديوان سمي بديوان ابن حمديس، والواضح أنه أملاه على أحد الرواة، ذلك أنه ذكر مناسبات القصائد بدقة وقيل أنه موجود بأيدي الناس في زمانه[3] ، وبقي ابن حمديس يتنقل من مكان إلى آخر إلى أن توفّي بميورقة Mallorca سنة 527هـ / 1132م، وقيل ببجاية[4].

وفي ميدان العلوم الدينية كان من أشهر المحدثين والفقهاء الصقليين المالكيين الذين انتقلوا إلى بلاد المغرب في هذه الفترة، أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي (ت 536هـ / 1142م) نسبة إلى مدينة مازر Mazara بصقلية وسكن قلعة بني حماد، وأخذ عن شيوخ بلده وبالقيروان عن أبي القاسم السيوري[5]، قال عنه القاضي عياض: « إمام بلاد إفريقية وما وراءها من بلاد المغرب وآخر المستقلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر...، كتب إلي من المهدية يجيزني في كتابه المسمى بالمعلم في شرح مسلم »[6].

وعلى مؤلفه بنى القاضي عياض كتابه « الإكمال » و« وإيضاح المحصول »، كان عالمًا ذاع صيته في الفقه المالكي وعلم الكلام، ومن أشهر مؤلفاته كتاب « المعلم في شرح مسلم »، إضافة إلى مؤلفات تتعلق بشرح الأحاديث النبوية، وقد ذكر أن ابن تومرت المهدي مؤسس حركة الموحدين كان من بين تلامذته، وكان أحد المشتغلين بإفريقية بتحقيق العلم ورتبة الاجتهاد ودقة النظر، وكان يفرغ إليه في الفتيا في الطب، كما يفرغ إليه الفتيا في الفقه[7].

---

(1) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص91، 92.

(2) ابن حمديس: المصدر السابق، ص17.

(3) المصدر نفسه، ص22 ــ 24.

(4) ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص214.

(5) الدباغ: المصدر السابق، ص203، 204. ابن قنفذ: المصدر السابق، ص277، 278. ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص186، 187.

(6) القاضي عياض: **الغنية**، تحقيق: ماهر جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1882، ص65.

(7) ابن العماد: المصدر السابق، ص186، 187. ابن قنفذ: المصدر السابق، ص277، 278.

المبحث الثالث: مظاهر التواصل الحضاري

أدى خضوع بلاد المغرب للحكم النورماني، وما عرف به النورمان من سياسة الانفتاح عن الأخر، ونشاط حركة انتقال الأفراد وبخاصة الصناع والحرفيين بين صقلية وبلاد المغرب، إلى حدوث تواصل حضاري بين القطرين، كان التأثر النورماني كبيرًا وملمحه في مجال العمران هندسة وزخرفة، والعملة النقدية وما حوته من كتابات وشعارات، وأحول اجتماعية متعددة، إلاّ أن المادة التاريخية التي تتعرض لذلك تبقى قليلة ومقتضبة، لا تسعفنا في رسم صورة متكاملة عن الموضوع.

1 . في مجال الإدارة والحكم والمجتمع:

أبدى النورمان استعدادًا وتقبلاً لثقافة العرب المسلمين في صقلية، خلال فترة حكمهم لبلاد المغرب، خاصة في فترة حكم روجار الثاني (495 ــ 548هــ/ 1101 ــ 1154م)، حيث أبقى هذا الأخير على استعمال اللغة العربية في الإدارة والدواوين والوثائق[1]، واستعان في حكم بلاد افريقية بأهالي المنطقة، وترك لهم حرية الحكم، مع أخذ الرهائن إلى بلاده، وفرض عليهم التحصيل المالي بفرض الجزية، و لم يغير من الوضعية الإدارية والقانونية، وترك للسكان حرية التصرف في ممارسة شعائرهم الدينية.

واستخدم روجار وأتباعه من بعده، المظلة التي كانت مشهورة عند الفاطميين وهي شبه درقة في رأس رمح محكمة الصنعة يمسكها فارس من الفرسان يعرف بها فيقال له صاحب المظلة فيحاذي بها الملك من حيث كانت الشمس ليقيه حرها[2].

وليقترب روجار الثاني من رعاياه بإفريقية أيضا، أضاف إلى ألقابه ملك إفريقية[3]، وبصقلية سمى نفسه المعتز بالله، ولقب حلفاؤه من بعده بألقاب عربية، لإضفاء الشرعية على سلطانهم تجاه رعاياهم، المسلمين فوليام الأول حمل لقب الهادي بأمر الله، وحمل وليام الثاني المستعز بالله، وقد ظهرت هذه الألقاب في مسكوكاتهم، واستخدم النورمان لقب أمير الذي يعتبر أسمى المناصب في الدولة وكان يتقدم على المستشار[4].

ويقابله عند النورمان بمصطلح الأدميرال، وفي عهد روجارالثاني تولى قادة العرب هذا المنصب، ومنهم عبد الرحمن النصراني الذي سمي باسم إغريقي « كريستو دولوس chrislodulas »، الذي تولى قيادة الأسطول والمشاة، وتولى مكانة جورج الأنطاكي، الذي عرف بموهبة في الإدارة، خدم بني زيري، ثم

---

(1) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص60.

(2) علي محمد الزهراني: **الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان بين التسامح والاضطهاد**، ص10.

(3) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص60.

(4) أحمد عزيز: المرجع السابق، ص73 ــ 75.

- TommasoIndelli: Op.cit, P: 7.

فر إلى صقلية، واستعان به روجار الثاني في إدارة شؤون المملكة وقيادة الأسطول، ولقب بأمير أمراء البحر، واستطاع أن يغزو بلاد المغرب، وخدم الدولة النورمانية بما يقارب أربعين سنة بإخلاص، وأطلق عليه روجار الثاني بالشخصية الأولى في المملكة[1].

2 . شعار العملة والصيرفة:

حاول روجار أن يتقرب من رعاياه الجدد في إفريقية كما حدث في صقلية، فاختار النقوشات والكتابات التي تكتب على عملته عبارة يفهم منها من سيحكم إفريقية[2]، وضرب نقودًا عربية الصيغة والوزن والطراز قلد فيها سكة الفاطميين، ورسم في وسطها اسمه وألقابه وشاراته الخاصة، متبعا في ذلك من الملوك المسلمين، ليثبت حسن نواياه تجاه المسلمين الخاضعين لحكمه بعبارات هي رمز عزهم وعماد دينهم، فالإبقاء عليها من خلال العملة يوحي بمكانتهم[3].

والملاحظ أن النورمان عند احتلالهم لصقلية، في عهد ملوك النورمان الثلاثة الأوائل ظلت العملة الفاطمية (الرباعي)، هي العملة الرئيسية والمتداولة، كما سكّوا عملة تشمل على كتابات عربية وشعارات إسلامية مدون عليها بالتاريخ الميلادي والهجري، عرفت باسم طري Tari، وكانت كالرباعي شكلا وقيمة[4].

وهدف النورمان من خلال هذا الحفاظ على العملة الإسلامية ورسم شعاراتها، لطابع التسامح واللين وتهدئة الخواطر واستمالة سكان بلاد المغرب إلى قبول الاحتلال، والمحافظة على الاستقرار الاقتصادي وتقبل نفوذهم في أسواق شمال إفريقيا.

وبعد احتلال المهدية من طرف النورمان ضرب ديناران الأول في عهد روجار الذي لقب بالمعتز بالله، وكتب عليه في الدائرة الأولى الحمد لله حق حمده وكما هو أهله ومستحقه، وفي الدائرة الثانية ضرب بأمر الملك المعظم روجار المعتز بالله بمدينة المهدية سنة: 543هــ / 1148م، وفي الوسط من الوجه الأول (المعتز بالله)، وفي القفا في الدائرة الأولى الحمد لله حق حمده، وفي الدائرة الثانية ضُرِب بأمر الملك المعظم روجارالثاني، وفي الوسط الملك روجار، وبتولي وليام الأول اقتفى أثره أبيه ضرب الدينار بالمهدية، ويعتبر وليام الأول آخر من صاغ نقودا عربية بإفريقية[5].

---

(1) زيغريد هونكة: المرجع السابق، ص414، 415. سليمان داود بن يوسف: المرجع السابق، ص43.

(2) مصطفى الجندي جمعة محمد: المرجع السابق، ص60.

(3) علي محمد الزهراني: **الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان بين التسامح والاضطهاد**، ص7. عبد الوهاب حسن حسني: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، ج1، ص451.

(4) أمين توفيق الطيبي: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية** ، ص128. أحمد عزيز: المرجع السابق، ص76.

(5) عبد الوهاب حسن حسني: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، ج1، ص452، 453.

3 . المحاكاة العمرانية:

اهتم الأمراء الصنهاجيين بالعمارة بالمغرب الأدنى والأوسط وتمثلت بناء المدن وترميمها وبناء القصور إضافة إلى الحصون والتحصينات الدفاعّية، ومن المدن التي بنيت أَشير والقلعة وبجاية، ومنع الزحف الهلالي وظهور النورمان بني زيري المقيمين في المهدية من تشييد أي معلم إضافة إلى ضيق المكان لم يكن ملائما لإقامة أي معلم[1].

واهتم النورمان بالعمران ولهم طراز خاص بهم له سمات تعود إلى زمن استقرارهم بنورمنديا Normandie (فرنسا)[2]، وبعد دخولهم صقلية اهتموا بالبناء والتشييد وتمثلت منشأتهم العمرانية في بناء القصور ومساكن الأفراد، ومن القصور المشهورة التي كانت مستقرا للحكام قصر الفوارة، وقصر العزيزة، وقصر القبة، كما اهتم النورمان ببناء الحمامات والكنائس وزخرفتها وإحاطة المدن بالأسوار والحصون[3].

وإذا حاولنا إبراز مدى التأثير الحضاري المتبادل في المجال العمراني بين بلاد المغرب تحت حكم الصنهاجيين بالخصوص، وصقلية تحت الحكم النورماني، فإن المصادر لا تسعفنا بالمعلومات الكافية عن الموضوع إلا بما نزر، رغم وجود تأثير متبادل لعوامل تم التطرق إليها سابقا ولعل أهمها القرب الجغرافي وتسامح الحكام، خاصة مع الوفدين من العلماء وذوي الخبرة من الصناع والحرفيين.

وقد أشار إبراهيم القادري بوتشيش إلى وجود علاقات حضارية بين بلاد المغرب والنورمان، تعكس التأثير في مجاله العمراني في زمن مبكر حدث أثناء تحركاتهم الأولى وغزوهم للسواحل الأندلسية، وبمرورهم ببلاد المغرب وكان لهم اتصال بسكانها، ودليل ذلك، أن بعض المواقعِ الأثرية تشهد على ذلك الاتصال، فأحد أبواب مدينة أصيلة[4]، ظل يحمل اسم باب المجوس نسبة إلى الجماعات النورمانية التي قدمت إلى هذه المدينة المغربية واحتكت بأهلها[5].

وبعد دخول النورمان صقلية، استولوا على ما ملكه المسلمين بها من قصور وحمامات وفنادق ودكاكين ومساجد، وحافظوا على عمران المدينة فلم تطل أيديهم التخريب لما كان في نيتهم الاستقرار،

---

[1] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص431..

[2] حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص180.

[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص148. إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص269. علي الزهراني: المرجع السابق، ص19.

[4] بلد بالقرب من طنجة ويقال لها (أزيلة)، وهي مدينة كبيرة قديمة عامرة آهلة، كثيرة الخير والخصب، وكان لها مراسي مقصور، وسبب خرابها أن المجوس لما خرجوا من البحر الكبير، أول ما يلقاهم مدينة أصيلة، فيترلون مرساها ويخربون ما قدروا عليه منها، فيجتمع البربر ويحاربونهم، فكانوا معهم على ذلك حتى خلت مع ما كان بين أهل تلك البلاد من الفتن. ينظر: مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص 139. الحميري: المصدر السابق، ص42.

[5] إبراهيم القادري بوتشيش: **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة**، ص160.

وما يدل على عدم التخريب صياغة الكلمة في المصادر الإسلامية (فتحها، تملكها، ملكها)،إلاّ في ما يتعلق بتحويل المسجد الجامع إلى كتدرائية مسيحية مع إضافة تطويرات تتلاءم مع الطقوس المسيحية[1].

ويبدوا تأثر النورمان واضحًا بالانبهار بالحضارة العربية الإسلامية في صقلية التي تغذت من الاتصال الكبير مع بلاد المغرب لفترة سابقة تعود إلى زمن الفتح الإسلامي لها، ومحافظة النورمان عليها اعترافًا منهم بقبول ثقافة المتفوق حضارية والاستفادة منها.

وكان العمران يعكس التأثير العربي الإسلامي الذي ظل بارزًا حتى نهاية القرن 6هـ / 12م، وكانت ما تزال تلك المدن التي حوت مساجد وقصورًا وحمامات ومباني على الطراز الإسلامي، وكانت بلرم تنقسم إلى قسمين القصر والمدينة المسورة التي سماها النورمان المدينة وكلاّ من القصر والمدينة المسورة تضم قصورا ومنشأت عمرانية[2].

ووصف الإدريسي القصر والحصن المحاط به بقوله: « والقصر المذكور من أحدث القصور منعة وأعلاها رفعة...، محدث للملك المعظم روجار مبني بالفصوص الجافية والصخور المنحوتة الضخمة، وقد أحكم نسقه، وأعليت رقفه، وأتقت منائره ومحاريسه، وأتقنت قصور ومجالسه، وشيِّدت بنيانًا ونمقت بأعجب من مباني المدينة »[3]، والمقصود القصر الذي تم بناؤه في عهد روجار الثاني وهو المسمى بقصر قصر الفوارة وقد أمر روجار ببنائه على أرض واقعة على فرسخ من بلرم، وذكر أنه مجموعة مباني تحيط به بركة اصطناعية وضع فيها السمك من كل نوع وكان القصر يحتوي على مجموعة نَوافير تزود القصر بالمياه من الجبال، وتميز بفنه المعماري المُزين بالفسيفساء[4].

---

[1] ابن حوقل: المصدر السابق، ص113، 114. ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص474. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص269. فون شاك: **الفن العربي في إسبانية وصقلية**، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص100.

وهذا ما جعل حسين مؤنس انطلاقًا من تحليله لأراء الباحثين المستشرقين في حضارة النورمان في صقلية، أمثال شالندن وفرديناند لوت وغيرهم، أن الدولة التي أقامها النورمان في صقلية لم تكن إلا بالاسم والرياسة فقط، أما العناصر التي قامت عليها فكانت غير نورمانية وكانت بيزنطية وعربية. ينظر: حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص179.

[2] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص113.

[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص148.

[4] إحسان عباس: **العرب في صقلية**، ص269.

لكن أحمد عزيز يرى بأنه بني في عهد جعفر الكلبي الذي (388 ــ 410هــ / 998 ــ 1019م). ينظر: أحمد عزيز: المرجع السابق، ص112.

ومن القصور النورمانية التي حاكت الطابع العمراني المغربي قصر القبةLa cuba في بلرمو، فقد شيده وليام الثاني (1166 ــ 1189م)، من الحجر الجيري الجيد، والتفاصيل المعمارية لهذا القصر المستطيل الشكل تذكر بقصور بني حماد[1].

ربما تأتي للقرب الجغرافي بينها وبين بلاد الروم ونشاط حركة السفن البحرية فأورد صاحب الاستبصار ذلك بقوله: « ومنها ثغر بلاد الروم فإنها ليس بينها وبين صقلية سوى 3 مجار...، وهي محط سفن الروم ».

وفي وصف قصور بجاية وهندستها والمواد المستعملة بقوله: « فيها الطاقات المشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة المحنية، والمجالس المقرنسة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أسفلها إلى أعلاها »[2].

ويتميز الطابع المعماري لقصر القبة La cubaبارتفاع تجاويف الحائط من أرض القصر إلى سقفه، وتقسم واجهة البناء، وتحيطها حاشية مزخرفة كما هو الحال في مباني الفاطميين بالمهدية[3]، وكان الفاطميون قد اتصل فنهم بالفن الأغلبي وأقروه وواصلوه واعتمدوا على الزخرفة السطحية الرامية إلى تركيز نفوذهم ودعوتهم[4].

وشيّد وليام الأول (1154 ــ 1166م)، أيضا قصرا ثانيا عرف بقصر العزيزية la ziza، وأتم بناؤه ابنه وليام الثاني (1166 ــ 1189م)، وهو بناية مستطيلة الشكل وبه ثلاث منصات من الأقواس المنحنية ذات رؤوس مشوهة في إطار مستطيل الشكل، وعلى الواجهة حاشية مكتوبة منقوشة، وفي الداخل توجد قاعتان كبيرتان أحداهما تعلوا الأخرى، وتحيط بالقاعتين وعلى جوانبها حجرات أصغر حجما وأقل ارتفاعا، وكان بالقاعة في الطابق الأرضي قبو ذو كوى، وكانت القاعة في الطابق الأول مغطاة بالكوى كقصور بني حماد والقبوذ ذي المظلات مقتبس عن الطراز المعماري الصنهاجي[5].

---

[1] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص115، 116.

وفائق بكر الصواق: **بعض مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في جزيرة صقلية**: مجلة الدراسات التاريخية، ع12، دمشق 1983، ص134، 135.

[2] مؤلف مجهول: **الاستبصار**، ص130.

[3] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص115.

[4] الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص432.

[5] أحمد عزيز: المرجع السابق، ص115، 116. فائق بكر الصواق: المرجع السابق، ص134، 135.

وقصور بلاد المغرب والظاهر أن القصور التي بناها العرب المسلمون بما في ذلك المغاربة للنورمان، لم يكن لهم أي سبب للابتعاد عن الطراز القديم المعروف أو تعديله ثم تابعوا الهندسة المعمارية، وفي التفاصيل والزخارف التي ضمت كتابات عربية متشابكة[1].

إلا أن الباحثين أشاروا إلى تأثير ومحاكاة النورمان لعمران بجاية، وما حوته من روائع هندسية وفنية ونقوشات، فكانت قصور زيزة وكوبة شديدي، شديدة الشبه بقصور اللؤلؤة والكوكب وأميمون في بجاية[2].

ويعود هذا التشابه ربما إلى انتقال العمال والصناع إلى صقلية بعد أن رحب بهم ملوك النورمان وخاصةروجار الثاني، أو يعود إلى إشراف المسلمين المتواجدين بصقلية على البناء والتشييد.

والتأثير مماثل في قصور بني حماد بالقلعة (المعاضيد بالمسيلة)، التشييد الأول للحماديين قبل انتقالهم إلى بجاية، فقد أكد بول بلونشي Paul Blanchet بعد دراسة آثارالحماديين ورسم المخططات وتحديد المواقع تشابه معالم القلعة ومعالم صقلية[3].

وامتد التأثير المغربي من البناء والهيكل وزخرفة القصور إلى زخرفة الكنائس الدينية فيورد أحمد عزيز في مؤلفه تاريخ صقلية الإسلامية[4]، أن من بين المظاهر المعمارية المقتبسة عن المعمار في شمال إفريقيا الأعمدة المزخرفة ذات الأطواق البارزة في أعلاها، ويوجد عمودان من هذا القبيل في كنيسة لامرتورانا، وعمودان آخران في متحفِ بلرم.

وصفوة القول أنه ورغم كثرة الصدامات العسكرية، إلا أن ذلك لم يمنع من التواصل الثقافي والحضاري بين الشعوب الإسكندنافية (النورمان) وساكنة بلاد المغرب، تعود جذوره إلى زمن استقرار النورمان بصقلية.

حيث ارتكز على القرب الجغرافي والارتباط الثقافي الوثيق الذي يرجع إلى زمن الفتح الإسلامي، ووجود غالبية سكانية كبيرة من المسلمين، وتقوى هذا التواصل باضطراب وضع صقلية وسقوطها في يد النورمان، فقد أدى ذلك إلى هجرة علمائها وأدبائها إلى بلاد المغرب، مما كان له أثر في تفعيل الحركة العلمية، وبعد انتهاج النورمان سياسة التسامح والاستفادة من خبرات وقدرات المسلمين التي كانت

---

[1] فون شاك : المرجع السابق، ص89 ــ 95.

[2] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص284.رابح بونار: المرجع السابق، ص15.

[3] عمارة علاوة :**الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة والتاريخ**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع9،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، محرم 1429هـ /جانفي2008،ص34.

[4] **تاريخ صقلية الإسلامية**، ص115.

موجودة بصقلية أو التي طلبت اللجوء، من علماء وأدباء كانوا أو صناع أو قادة بحريين، كل هذه العوامل كان لها الأثر البارز في تفعيل التواصل الثقافي والحضاري.

كما تجلت مظاهره في التأثير العلمي، فرغم الأحداث التي عرفتها صقلية، إلا أن الحياة العلمية ازدهرت نتيجة انتقال العلماء والأدباء وانتشار مؤلفاتهم، وتشجيع حكام القطرين على البحث وتقريب العلماء، فكان التأثير في هذا المجال متبادلاً.

وبدا تأثر النورمان بنظم الحكم العربية الإسلامية، وبسك العملة التي حملت كتابات وشعارات إسلامية، وبالبناء والعمران المغربي، هندسة وزخرفة، أبدى النورمان فيه تقبلا لثقافة الآخر، لحد ماتنطبق عليهم مقولة ابن خلدون المغلوب حضاريا مولع بتقليد الغالب، وما يحسب لهم أنهم لم يكونوا معادين لأهل الحضارات بالتخريب ــ بل على العكس من ذلك كله ــ وإن ارتبط غزوهم بالمغنم والمكسب.

ويمكن القول أن النورمان استفادوا من إقامة جسر للتواصل الحضاري، وقبول الطرف الآخر الذي أظهر تفوقا، وهذا ما لا ينطبق مع الشعوب الغازية التي تتفنن في تهميش وأبعاد الخاضع لسيطرتها وسطوتها.


الخاتمة

النورمان ودول الغرب الإسلامي هو ذلك التقارب والاحتكاك الذي حصل بين نورمان صقلية ودول الغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن 5 ـ 6هـ / 11 ـ 12م، حيث أخذت العلاقات خلاله منحيين: الأول طابع الصدام والمواجهة، والثاني طابع التعايش والتواصل الحضاري.

والنورمان أو سكان الشمال موطنهم شمال أوروبا (جزيرة اسكندناوة)، وينقسمون إلى عدة فروع، السويديون والنرويجيون والدانيين والفلنديين، حيث عرفوا بأنهم أمة بحرية اشتهرت بركوب البحر وصناعة السفن، وممارسة الغزو والنهب والسلب، والإغارة السريعة والمفاجئة، والابتعاد عن الأماكن المحصنة المكشوفة، وانطلقوا من موطنهم الأصلي فشنوا غاراتهم على سواحل غرب أوروبا وبلاد الأندلس،حيث تركزت هجماتهم على سواحل الأندلس الجنوبية والغربية، ثم على جنوب إيطاليا، وهذا بعد صراع مع البيزنطيين والبابوية وقد أدى ذلك إلى سيطرتهم على الجهة الشرقية للمتوسط.

وقد أدرك النورمان أهمية موقع صقلية الاستراتيجي في البحر المتوسط بعد استقرارهم في جنوب إيطاليا بالتحكم في تجارة الشعوب التي تقع على ساحل هذا البحر، ودورها في تجارة القوافل بين المغرب ومصر وأوروبا وشمال إفريقيا، وفي السيطرة على البحر الأدرياتيكي.

وقد ساهمت مجموعة من العوامل في سقوط صقلية،ومنها ضعف الحكام الذين تولوا أمر الجزيرة، وسوء سيرتهم بإثارتهم للفتنة بين العرب والبربر من جهة، ومن جهة أخرى سوء معاملة الرعايا وإرهاقهم بالضرائب، وكانت هذه الأسباب هي الدافعة إلى الثورة وتفرق كلمة المسلمين.

وخيانة بعض القادة المسلمين بكشف حقيقة الوضع الداخلي المضطرب داخل الجزيرة، وإظهار مواطن الضعف والتحصين، وانقطاع المدد عنها من بلاد المغرب والمشرق، ولاشتغال كل جبهة بما يخصها من الفتن فكان سقوطها.

وبسقوطها أصبحت بمثابة قاعدة حربية للنورمان، ونقطة انطلاق لشن المزيد من الهجمات، والاستيلاء على مناطق جديدة في حوض المتوسط وشمال إفريقيا، خاصة بعد تحكمهم في المضايق الحيوية بين إفريقية وصقلية، وقد كانت جزر المتوسط مناطق حاجزة تحمي مقدمة ضفاف المتوسط، وأدى سقوطها إلى تعرض سواحل المغرب لغزو النصارى والنورمان.

وبعد هذا ارتمى النورمان في أحضان المسيحية بدعوى من البابوية فكانت بدايتها بانتزاع صقلية، وانخرطوا في صفوف الصليبية، وتمكنوا من توجيه أنظار الصليبيين عن بلاد المغرب إلى بلاد المشرق، وكانوا يريدونها خالصة لهم لوحدهم دون غيرهم، وأنهم سيقومون باحتلالها متى وجدوا في أنفسهم القوة، وتهيأت لهم الظروف، وتطلعوا إلى احتلال بلادالمغرب،مستغلين في ذلك انحسار نفوذ البيزنطيين وتراجع السيادة الإسلامية على البحر المتوسط.

ومقصدهم من الاحتلال الحصول على ثروات وخيرات بلاد المغرب المتنوعة بضمان استمرار تدفقها نحو صقلية، والمحافظة على تواجدهم في السوق المغربية بتسويقهم لمنتجاتهم، والسيطرة على المسالك والمضايق والطرق البحريةالرابطة بين شرقي المتوسط وغربه، وعلى طرق التجارة وبخاصة تجارة البحر المتوسط مع المشرق وتجارة القوافل الصحراوية، ويأتي الدافع الإقتصادي في المقام الأول لتحركهم لغزو بلاد المغرب.

بحث النورمان عن تأييد من المسيحيين فأعلنوا الحرب على البلاد الإسلامية، وكانت بلاد إفريقية إحدى جبهات المواجهة المباشرة تحت حكم بني زيري، بعد أن تهيأت ظروف الغزو باضطراب وضعها السياسي إثر القطيعة المذهبية والسياسية مع الفاطميين، وإرسال قبائل بني هلال وما ألحقته من أضرار، واستغرق بنو زيري وقتًا وجهدًا في مواجهتها، وتوالت سنوات القحط والجفاف، وتبادل أدوار الخيانة التي مثّلها حكام مدن المغرب في الاستعانة بالنورمان ضد بعضهم البعض، كلها ظروف سهلت عملية الغزو والاحتلال وإن تأخر بسبب استنجاد بني زيري بالمرابطين.

وفي الوقت الذي توقفت هجمات النورمان على بلاد المغرب، دخل النورمان في خط مهاجمة جزر البليار إلى جانب القوى المسيحية، وتزامن ذلك وتعرض بلاد الأندلس لهجمات نورمان الشمال (النرويج)، التي جاءت استجابة لنداء البابوية عندما أعلنت الحرب على المسلمين مشرقًا ومغربًا.

ولاحت بوادر الصراع والصدام بين المرابطين ونورمان صقلية بسبب امتداد نفوذ المرابطين البحري إلى الجهة الغربية للمتوسط، وامتلاكهم أسطولاً قويًا حيث شكّل خطرًا على النورمان والقوى المسيحية المتربصة ببلاد الأندلس وبلاد المغرب، ولم يكتف هذا الأسطول بالدفاع والنصرة، وإنما بنشاطه وتحركاته الدائمة في إطار مناورات أوقفت نواياهم عن القيام بأي فعل.

ولما أدرك النورمان ضعف المرابطين شنوا حملة بحرية على سبتة وهي أحد أهم قواعدهم البحرية في بلاد المغرب، وشمل نشاطهم سواحل المغرب الأوسط، تحت حكم بني حماد، حيث تركزت غاراتهم على مدن الساحل الشرقي، أما الجهة الغربية فكانت أكثر أمنًا للمنعة الطبيعية ولوجود تحصينات دفاعية.

حيث لم تحدث أية مواجهة حاسمة بين المرابطين والنورمان، تربص هذا الأخير إلى غاية ضعف المرابطين وتراجع دور أسطولهم واضطراب الوضع السياسي والإقتصادي ببلاد المغرب وقيامهم بمهاجمة مدن الساحل المغربي.

أعاد النورمان هجوماتهم على الساحل المغربي بعد أن تأكدوا من عدم فعالية البحرية المرابطية، وخلو الجهة الشرقية للمغرب الأوسط من الأساطيل، وعدم قدرة بني زيري على المواجهة، مستغلين ظهور الفتنة والانقسام، وحدوث الضائقة الإقتصادية وحاجة سكانها إلى الغذاء، وبإرسال العيون والجواسيس لتقصي

أخبارها، وتمكنوا في ظل هذه الظروف من احتلال طرابلس وقابس، ثم المهدية وأنهوا بذلك حكم دولة بني زيري.

كما كان لبني هلال دور في التصدي للنورمان والدفاع عن مدن وحصون بلاد المغرب عند محاولة النورمان غزوها، ورفضوا الاستعانة بغير المسلمين، وهو ما يدحض التهمة الموجه إليهم القائلة بضعف شعورهم الديني، وتفند كذلك ما ذهبت إليه بعض المستشرقين بتركيزهم على ما خلفته الهجرة الهلالية من آثار، وأنها كانت المسؤولة عن تدمير اقتصاد المغرب بالقول بأن تردي الوضع الإقتصادي لبلاد المغرب يمكن رده إلى تراكم عدة عوامل أدت في النهاية إلى الانحطاط العام لبلاد المغرب ابتداءً من القرن 5هـ / 11م.

ودام استقرار النورمان بالساحل الإفريقي ما يقارب اثنتا عشر سنة،حيث تميزت فترة حكمهم بالهدوء والاستقرار لتركهم هامش كبير من الحرية لأهالي المنطقة في اختيار حكامهم وقضاتهم،وبممارسة شعائرهم الدينية، لكن هذا الهدوء كانمؤقتًا.

وقد ظهرت الانتفاضات والثورات التي عمت سائر مدن الساحل المغربي، بظهور زعامات وطنية ببلاد المغرب، وكان سببها رفض السكان الخضوع لسيطرة النورمان، وتطلعهم نحو التحررِ والانعتاق، وهذا بعد مصادرة أراضيهم وأموالهم وإجبارهم على دفع الإتاوات والضرائب، كما لم ينسوا الإهانة التي لحقتهم باقتياد الحكام والعلماء والرعايا إلى صقلية كرهائن، وتقييد أهاليهم بالطاعة والولاء، وقد تبناها حكام مدن المغرب ولقيت تأييدًا شعبيًا، في ظل انشغال النورمان بمشاكلهم الداخلية بإهمالهم لشؤون الحاميات الموجودة بها وحروبهم ضد البيزنطيين، وما ساعد على نجاح الانتفاضات تأخر الإمدادات للنورمان، وإصرار الأهالي على التحرر، وظهور الموحدين بالمغرب في وقت ضعفت فيه دولة المرابطين بالمغرب واشتد الزحف المسيحي بالأندلس.

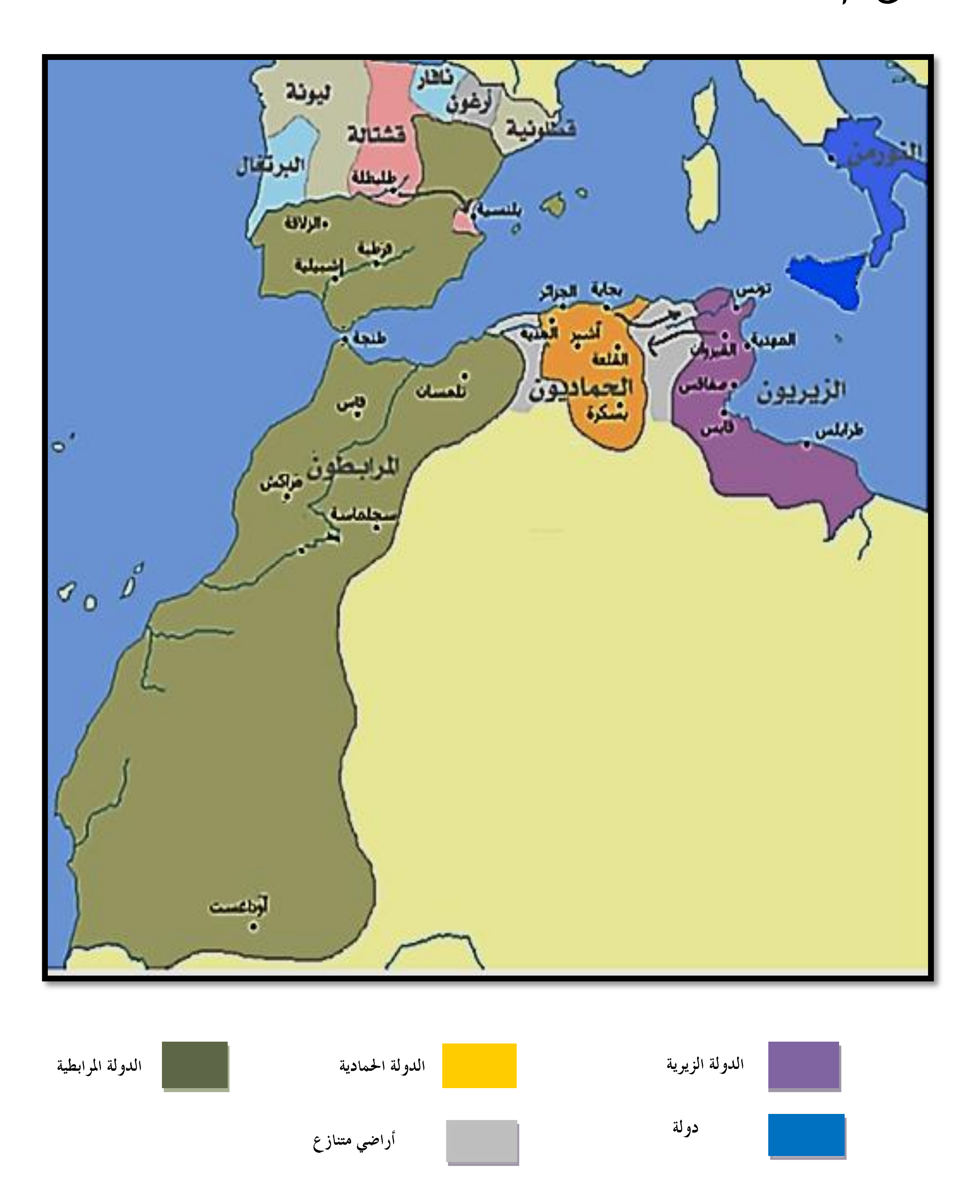
كان لظهور الموحدين في مطلع القرن 6هـ / 12م، بعد نجاحهم في تأسيس دولتهم أثر في نفسية سكانِ المغرب بشحذِ الهمم والالتفاف حولهم، فانتقلت إليهم الوفود بالمبايعة وطلب النصرة ضد النورمان، فلبى الموحدون نداء النجدة بجيش بري وآخر بحري، وبعد جهود مضنية تمكنوا من تحرير المهدية وباقي مناطق المغرب من السيطرة النورمانية.

وترك استقرار النورمان بصقلية وبلاد المغرب أثره الإيجابي في رسم صورٍللعلاقات بين الشعبين في شكل تواصل ثقافي، وذلك في ازدهار الحياة العلمية الذي كان سببها القرب الجغرافي ورحلات العلماء والأدباء بين القطرين، وتشجيع للحركة الفكرية، حيث كان التأثير في هذا المجال متبادلاً وجليًا.

وقد حدث تواصل حضاري برز فيه تأثر النورمان بنظم الحكم والإدارة الإسلامية والعمران والزخرفة، حيث سكوا العملة التي كانت تحمل شعارات إسلامية، وهذا كله يعكس عمق الاحتكاك والتواصل بين الشعبين.

الملاحق

الملحق رقم: 1



بلاد المغرب والأندلس وجنوب أوروبا خلال القرن 5هـ /11م

الملحق رقم: 2

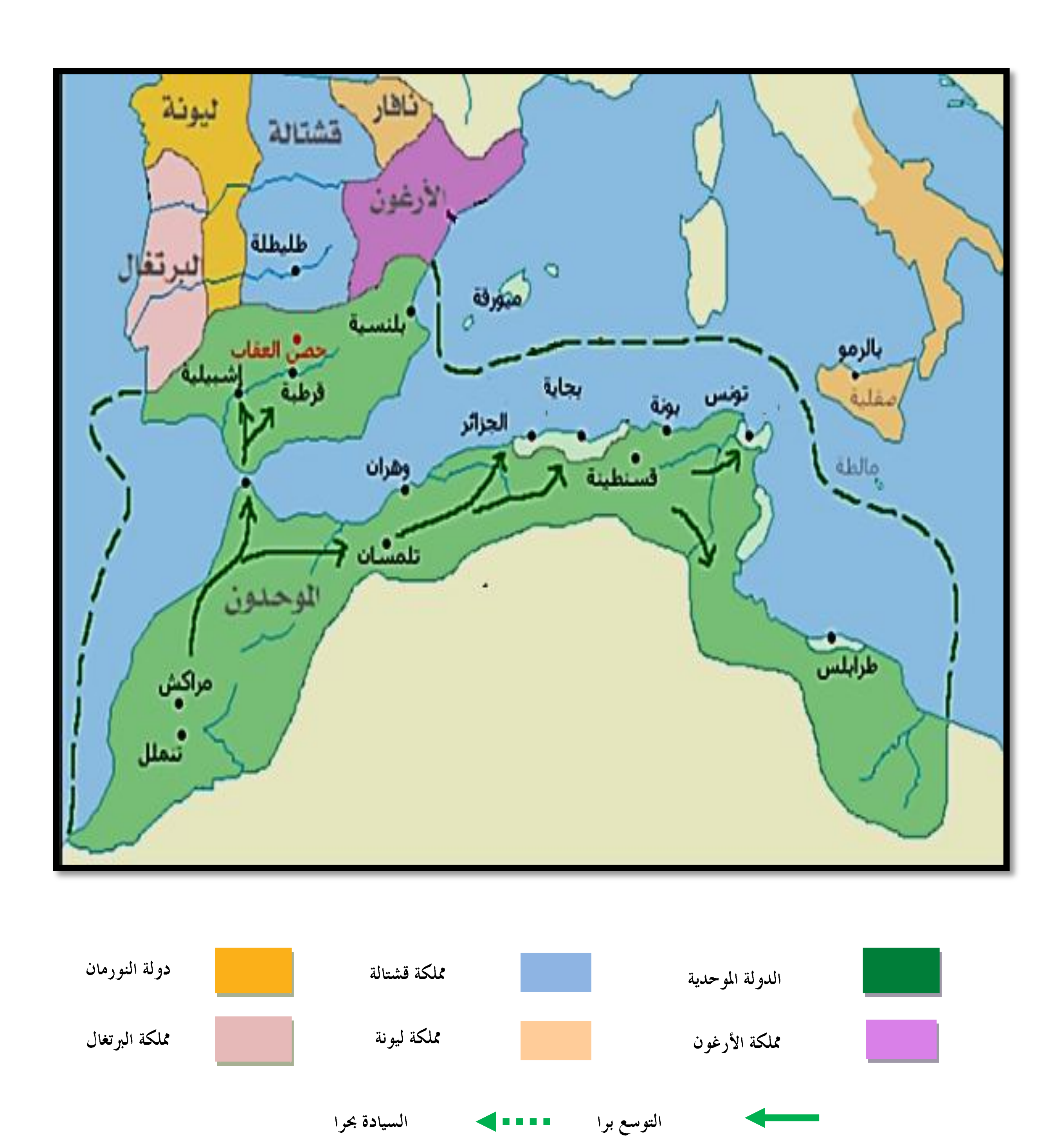
رسالة تتضمن رد الحافظ الفاطمي على رسالة روجار بعد احتلاله لجربة

سنة 529هـ/1135م

« من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحاف لدين الله أمير المؤمنين إلى الملك بجزيرة صقلية وأنكورية وأنطالية وقلورية وسترلو وملف وما إنضاف إلى ذلك ، فقد وفقه الله في مقاصده وأرشده الله إلى العمل بطاعته في مصادره وموارده، سلام على من اتبع الهدى ...أما بعد فإنه عرض بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من حضرتك ففض ختامه وأجتلي وقرئ مضمونه وتلي ووقعت الإصاخة إلى فصوله ...وأما ما ذكرته من افتتاحك الجزيرة المعروفة بجربة لما ذكرته من عدوان أهلها ، وعدو لهم عن طرق الخيرات وسبلها،واجترائهم في الطغيان على أسباب لا يجوز التغافل عن مثلها، واستعمالهم الظلم تمردا، وتماديهم في الغي تباهيا في الباطل وغلوا،يأسا من الجزاء لما إستبطوء، فإن من كانت هذه حالته حقيق أن تكون الرحمة عنه نائية، وخليق أن يأخذه الله من مأمنه أخذ رابية، كما انه من أهل السلامة، سالكا سبيل الاستقامة، ومقبلا على صلاح شأنه، وغير متعد للجانب في سره وإعلانه، تعين أن نوفر من العناية سهمه، ونجزل من العناية نصيبه وقسمه، ويؤمن مما يقله ويزعجه، ويقصده بما يسره ويبهجه، ويصان عن أن يناله مكروه ويحمى من أذى يلم به ويعروه ».

القلقشندي: **صبح الأعشى**،ج6، ص 458، 459.

الملحق رقم:3



تحرير الموحدين لبلاد المغرب من السيطرة النورمانية خلال القرن6هـ/ 12م

الفهارس الفنية

فهرس الأعلام

الأبناء

الآباء

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الشين

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأماكن والبلدان والمعالم

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس القبائل والفرق والشعوب

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الشعر والنظم

الأبيات		القائل	الصفحة
حرف الباء			
تدَرّعتُ صَبري جُنّةً للنوائبِ	فإن لم تُسالم يا زمانُ فحاربِ	ابن حمديس الصقلي	227
عجمتُ حصَاةً لا تلين لعاجمٍ	وَرُضتَ شَمُوسًا لا يذلّ لراكب	//	//
كأنّك لم تقنع لنفسي بغربةٍ	إذا لم أُنَقّب في بِلاد المَغارب	//	//
حرف الدال			
عَشِقتُ صِقِلِّيَةَ يَافِعًا	وَكَانَت كَبَعضِ جِنَانِ الخُلُودِ	عبد الحليم بن عبد الواحد الإفريقي	221
فَمَا قَدَرَ الوَصلُ حَتَى اكتَهَلَت	وَصَارَت جَـــهَنّمُ ذَاتَ الوَقودِ	//	//
حرف الراء			
هذا ابتداءٌ له عند العُلى خبَر	يحكَي فيُصغى إليه الشُّهبُ والبشَرُ	ابن حمديس الصقلي	228
مَن كانَ عنده يُدافِعُ القدَرُ	لم يُردِهِ جِنٌّ ولا بشَرُ	//	227
ليهنك فتحٌ أولغ السيف فيهمُ	ولاح بوجه الدِّين من ذكره بِشرُ	//	123
وَرَمَى عِداهُ بكلّ داهيَةٍ	دهياءَ لا تُبقي ولا تذر	//	227
شهٌ له حينَ يرمي في مناضلةٍ	سهمٌ مواقعه الأحداقُ والتغر	//	228
فسل عنهم الديماس تسمع حديثهم	فهم بالمراضي في جزيرته جزرُ	//	123
كأنه وهو من مَتنِ الصّبا مَثَلٌ	من كلّ قُطرٍ منَ الدنيا له خَبَرُ	//	228
وما قَرَعَ الأسماعَ بالخبرِ الذي	أبى الله إلاّ أن يُكذّبَ بالخُبر	//	//
وأينَ الذي حَدّ المنجّمُ كونَهُ	إذا مَرّ للصُّوامِ عَشرٌ مِنَ الشّهر	//	//
وأصبحَ قولُ المبطين مكذّبًا	ومدّ لكَ الرحمنُ في أمَدِ العُمر	//	//
وخُذ من فتاة الغيد راحًا سَبِيئةً	لها قَدَمُ في السبق من قِدَم العمر	//	227
ما استُحسنَ الدهر حتى زانه حَسَن	وأشرقت في الورى أيامُهُالغرر	//	228
وثَنى الردى عنهُ الردى جزَعًا	وَسَعَت على غيراتهِ غِيرَ	//	227
تَغَنّتقيانُ الوُرْق في الوَرَق الخُضرِ	ففجَّر ينابيع المدام مع الفَجرِ	//	//
وماغنموا إلاّ منىً كذبت لهم	وكان لهم بالقصر عن نيلها قصرُ	//	123
وأَن يُرجعِ الأعلاج بعد علاجها	خزايا على آثارها الذلّ والقهرُ	ابن حمديس الصقلي	123
أبى اللّه إلاّ أن يكون لك النصرُ	وأن يهدم الإيمان مـــا شاده الكفرُ	//	//

كفَى سيفُكَ الإسلامَ عاديةَ الكُفرِ وَصُلتَ على العادينَ بالعزّ والنصر		//	228

حرف اللاّم

بسعدِكَ يبلى غالب لا ييأسف أَنتَ وَلِيُّ الشكرِ فِي كلّ مَا أَبلى		محمد بن شخصين	50
رَمَيتَ بِهِ جَيشَ المَجوسِ عِنَايَةً بتَحصِينِكَ التَّقوَى وَتَأْمِينكَ السُّبُلاَ		//	//
وَلَمَّا أَحَاطَت بِالمحِيطِ جُنودُه فَلَم تَبقَ من شَطِّيهِ عُلوّا وَلَا سَفلاَ		//	//

حرف الميم

رمى الموتُ في عين التّبّصَر بالدّمِ وقال لحسن الصبر بين الحشادُمّ		ابن حمديس الصقلي	229
أظلامٌ لضياءِطَبَقٌ أم على الكافور بالمسكِ خُتِم		//	//
على القائد الأعلى الذي فُلَ عزمه كما فُلَ عن ضرب الطلا حَدُّ مخذم		//	//
أعَلى الهمّ بعثنا كأسنا أم بنجمِ الأفقِ شيطانٌ رُجم		//	//
أرى زَمَنَ الدنُيا يُنُقَلُ أهلها إلى دار أخرى من غنيّومعدم		//	//
أمُدامُ على حَبابٍ تبتسم أم عقيقٌ فوقه دُرٌّ نُظِم		//	//

حرف الياء

ولا تشربن في كبوةِ الكُوب بالفتى كذلك يجري في مدى السكر ما يجري		ابن حمديس الصقلي	227

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة

أ. كتب التاريخ والحوليات:

1 ــ ابن الأثيرعز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630هـ/1232م): **الكامل في التاريخ**، مراجعة وتصحيح محمد يوف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

2 ــ الأمير عبد الله (ت 483هـ / 1090م): **التبيان**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعرف، مصر،1955.

3 ــ ابن أبي دينارأبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت 1110هـ /1698م):**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ.

4 ــ ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ/1326م):**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972 .

5 ــ الباجي المسعودي أبو عبد الله محمد (ت791هـ / 1389م):**الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، ط2، مطبعة أنيبال وشركاؤه، تونس، 1323هـ.

6 ــ البيذق أبو بكر علي الصنهاجي (ت 555هـ / 1160م): **أخبار المهدي ابن تومرت**، تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، طبع وزارة الثقافة الجزائرية في إطار الجزائر عاصمة الثقافة الإسلامية، 2007.

7 ــ ابن حيان القرطبي (ت467هـ/1067م):**المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق: محمود علي المكي، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1994.

ـــــــــــــــ: **المقتبس في أخبار الأندلس**، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ج2، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، د ت.

9 ــ ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت 776هـ/1374م): **كتاب أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط1، دار المكشوف، بيروت، 1956.

ـــــــــــــــ: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيطـ القسم الثالث ــ من كتاب أعمال الأعمال،**تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

ـــــــــــــــ: **الإحاطة في أخبار غرناطة،** تحقيق محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974.

12 ــ ابن خلدون أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هــ/1405م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،** ضبط المتن والحواشي: خليل شحاذة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان، 2000.

13 ــ ابن الدلائي أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت 478هــ /1085م): **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك،** تحقيق: عبد العزيز الأهواني، معهد الإسلامية ، مدريد،د.ت.

14 ــ الدواداري أبي بكر بن عبد الله أيبك (ت 736هــ / 1335م): **كنز الدرر وجامع الغرر،** تحقيق: صلاح الدين المنجد، ج6، القاهرة، 1960.

15 ــ الرشاطي أبو محمد (ت 542هــ / 1147م)، وابن الخراط الإشبيلي (ت 581هــ / 1186م)، **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار،** تحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك ليلا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990.

16 ــ الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حيًا سنة 894هــ /1488م): **تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية،** تحقيق: محمود ماضور،ط2، المكتبة العتيقة،تونس، د.ت.

17 ــ ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك المغربي(ت 685هــ/1268م): **المغرب في حلى المغرب،** تحقيق: شوقي ضيف، ج1، ط4،دار المعارف، القاهرة،1993.

18 ــ السراج الوزيرأبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي (ت 1149هــ/1736م):**الحلل السندسية في الأخبار التونسية،**ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1287هــ.

19 ــ ابن صاحب الصلاةأبو مروان عبد المالك بن محمد بن يحي بن إبراهيم (ت594هــ/ 1197م):**المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين،** ط3، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ــ لبنان، 1987.

20 ــ الصنهاجي أبو عبد الله محمد (ت 628هــ / 1230م): **أخبار ملوك بنو عبيدوسيرهم،** تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، د.ت.

21 ــ ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيا سنة 712هــ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة ، بيروت ــ لبنان، 1983.

22 ــ ابن عميرة أبي المطرف أحمد المخزومي (ت 658هــ / 1260م): **تاريخ ميورقة،** تحقيق: محمد بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1971.

23 ــ ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل: **تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار،** تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي،المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هــ.

24 ــ القاضي النعمان أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت363هــ /974 م): **كتاب افتتاح الدعوة،** مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت، 2005.

25 ــ ابن القطان أبو محمد حسن بن علي الكتامي (كان حيا سنة 650هــ / 1252م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلفمن أخبار الزمان** تحقيق محمد علي مكي، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

26 ــ القزويني أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (ت682هــ/1283م): **أثار البلاد وأخبار العباد،** دار صادر ، بيروت، لبنان،د.ت.

27 ــ ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر (ت 367هــ/977م): **تاريخ افتتاح الأندلس،** تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989.

28 ــ ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت 774هــ/1373م): **البداية والنهاية،** تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1998.

29 ــ ابن الكردبوس أبي مروان عبد الملك بن محمد التوزري (كان حيًا 575هــ / 1179م)، **تاريخ الأندلس،** تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، 1971.

30 ــ مؤلف مجهول (كان حيا سنة 783هــ/1381م): **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،** دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.

31 ــ المراكشي عبد الواحد عبد الله بن علي التميمي (ت581هـ/1185م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان، الكتاب الثالث.د.ت.

32 ــ المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـــ / 1441م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ج2، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

ـــــــــــــ: **اتعاظ الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق: محمد حلمي محمد، ج2، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1971.

34 ــ الناصري أبو العباس أحمد بن خالد (ت 887هـ/1482م):**الاستقصا لدول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

ب. كتب الرحلة والجغرافيا:

36 ــ الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف (ت 560هـ/1165م):**المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مطبعة بريل، ليدن، 1866.

37 ــ الأصطخري أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي (ت 346هـ / 957م): **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1970.

38 ــ البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ / 1094م): **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق جمال طلبة، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، د.ت.

39 ــ التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت717هـ/1317م):**رحلة التجاني**، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.

40 ــ ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي (ت614هـ/ 1217م): **الرحلة**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001.

41 ــ الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ /1228م):**معجم البلدان**، دار صادر بيروت، 1977.

42 ــ الحميري محمد عبد المنعم السبتي (توفي أواخر القرن 9هـ/ 15م):**الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت ــ لبنان،1984.

ــــــــــــــــــ:**صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت،1988.

44 ــ ابن حوقل محمد بن علي أبو القاسم النصيبي (ت350هــ/961م): **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت ــ لبنان، 1992.

45 ــ ابن خردانبه أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 282هــ / 885م): **المسالك والممالك**، مطبعة ليدن، 1889.

46 ــ الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (كان حيًا سنة 541هــ/1154م): **الجغرافيا**، تحقيق: محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، بور سعيد،د.ت.

47 ــ ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك المغربي (ت 685هــ / 1286م):**كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.

48 ــ الصفاقسي محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق: علي الزواوي ومحمد محفوظ، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1988.

49 ــ العبدري محمد البلنسي (ت 720هــ / 1320م): **الرحلة المغربية**، تحقيق أحمد بن جدو، دار الكتب، نشر كلية الآداب الجزائرية، قسنطينة، د.ت.

50 ــ العمري بن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749هــ / 1348م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل سلمان الجبورى، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1971.

51 ــ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732هــ/1332م): **المختصر في أخبار البشر**، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت.

ــــــــــــــ: **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850.

53 ــ القلقشندي أبو العباس احمد بن علي (ت821هــ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

54 ــ مارمول كربخال (كان حيا سنة 979هــ / 1571م) : **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1989.

55 ــ المقديسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت379هــ/989م):**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط1، مكتبة مدولبي، القاهرة، 1991.

56 ــ مؤلف مجهول (كان حيا سنة587هــ/1191م)،**الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986.

57 ــ الوزان أبو علي الحسن بن محمد الفاسي (كان حيًا سنة 957هــ/1550م): **وصف إفريقيا**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005.

58 ــ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (ت 284هــ / 897م):**البلدان**، مطبعة بريل، مدينة ليدن، د.ت.

جـ. كتب التراجم والطبقات:

60 ــ ابن الآبارأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هــ/1260م): **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة ، 1985.

61 ــ ابن بسام الشنتيري أبو الحسن علي بن بسام (ت 542هــ / 1147م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني** ، المجلد الأول، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1997.

62 ــ البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين (ت 1139هــ / 1920): **هدية العارفين**، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، 1955.

63 ــ ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هــ / 1064م): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج2، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982.

64 ــ ابن حمديس عبد الجبار الصقلي (ت547هــ/1153م): **ديوان ابن حمديس**، تصحيح وتقديم: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،د.ت.

65 ــ ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هــ/1283م): **وفياة الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ــ لبنان، 1994.

66 ــ ابن دحية عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الفرج (ت 633هــ/1235م): **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، مراجعة: طه حسين، دار العلم للجميع للنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، 1955.

67 ــ الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت 696هــ / 1296م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،** تحقيق: محمد ماضور، ج3، المكتبة العتيقة بتونس، د.ت.

68 ــ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هــ /1374م): **سير أعلام النبلاء،** تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، 1983.

ـــــــــــــ : **تاريخ الإسلام ووفياة المشاهير والأعلام،** تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

69 ــ الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 476هــ / 1083م): **طبقات الفقهاء،** تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

70 ــ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هــ / 1362م):**الوافي بالوفيات،** تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، 2000.

71 ــ ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد الدمشقي (ت 1089هــ / 1679م):**شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ج6، دار ابن كثير، بيروت، د.ت.

72 ــ أبو العرب التميمي محمد بن أحمد (ت 333هــ / 944م): **كتاب طبقات علماء إفريقية،** ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت ــ لبنان، د.ت.

73 ــ الغبريني أبي العباس أحمد بن أحمد (ت 704هــــ / 1307م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في الماية السابعة ببجاية،** تحقيق: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

74 ــ ابن فرحون أبو الوفا إبراهيم بن نور الدين بن علي اليعمري (ت 799هــ / 1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،** تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1996.

75 ــ ابن قنفذ أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت 810هــ / 1407م): **الوفيات،** تحقيق: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983.

76 ــ القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هــ / 1149م): **ترتيب المدارك،** تعليق: محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الشؤون المغربية والأوقاف، الرباط، د.ت.

ـــــــــــــ : **الغنية،** تحقيق: ماهر جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1882.

78 ــ القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت821هــ/1418م):**نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2،دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980.

79 ــ ابن الكلبي أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204هــ / 818م): **نسب معد واليمن الكبير**، تحقيق: ناجي حسن، ج2، ط1، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1988.

80 ــ المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 453هــ / 1061م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق: البكوش بشير، مراجعة: المطوي محمد العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

81 ــ المقري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هــ/1631م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: عباس إحسان، بيروت، 1981.

82 ــ ابن مكي الصقلي أبي حفص عمر بن خلف (ت 501هــ / 1107م): **تثقيف اللسان وتنقيح الجنان**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1990.

83 ــ النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هــ/1332م):**نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيني،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،د.ت.

د . كتب الفقه والعقيدة:

84 ــ البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت 429هــ / 1037م): **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، تحقيق: محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ت.

85 ــ ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد الظاهري (ت 456هــ / 1064م): **الفصل في الملل والأهواء والنحل**،ج5، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، 1996.

86 ــ الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هــ / 1154م): **الملل والنحل**، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ج1. ط2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1992.

87 ـــ الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي التلمساني (ت 914هـــ/1508م): **المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب،** تخريج: محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

هـ. المصادر الأدبية:

1 ـــ أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني: **معجم مشاهير المغاربة،** المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1995.

2 ـــ سليمان الطيب محمد: **موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية،** دار الفكر العربي، مصر،.1997

3 ـــ العفيفي عبد الحكيم: **موسوعة ألف مدينة إسلامية،** ط1،أوراق شرقية للنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان،.2000

4 ـــ غاربال محمد شفيق وآخرون: **الموسوعة العربية الميسرة،** دار القلم، مؤسسة فرانكولين للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

5 ـــ مؤنس حسين: **موسوعة تاريخ الأندلس،**ج2، ط3، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996.

6 ـــ نجيب زبيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،** تقديم: أحمد ابن سودة، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ـــ لبنان، 1995.

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة

أ. الكتب العربية:

1 ـــ أحمد النائب الأنصاري: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،** منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د.ت.

2 ـــ إحسان عباس: **العرب في صقلية،**ط1،دار الثقافة، بيروت ـــ لبنان، 1975.

3ـــ اختيار أسامة: **الشعر العربي في جزيرة صقليةاتجاهاته وخصائصه الفنية منذ الفتح حتى نهاية الوجود العربي فيها 212 ـــ 647هـــ،** منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، 2008.

4 ـــ إسحاق إبراهيم إسحاق: **هجرات الهلالين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان،** .1996

5 ـــ إسماعيل محمود: **الأغالبة وسياستهم الخارجية 184 ـــ 296هـ**، ط3،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 2000.

6 ـــ أرسلان شكيب: **الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية** ، تحقيق: محمد المهدي الحبابي، ط1،المطبعة الرحمانية ، مصر، 1936.

7 ـــ الأعظمي محمد ضياء الرحمان: **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ط2، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، 2003.

8 ـــ بن تاويت محمد: **تاريخ سبته**، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1982.

9 ـــ بيوض إبراهيم: **الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة**، ط3،دار النهضة العربية، 1986.

10 ـــ البارودي رضوان: **دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب،مصر،2007.

11 ـــ بلحميسي مولاي: **البحر والعرب في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.

12 ـــ البغدادي عبد الوهاب بن علي بن نصر: **شرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله بن زيد القيرواني** ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.

13 ـــ بلغيث محمد الأمين: **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2007.

14 ـــ بوتشيش إبراهيم القادري: **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، ط1،دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت،لبنان، 2006.

ـــــــــــــ:**المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين**، ط1، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1993.

16 ـــ بوربيةرشيد:**الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**،ديوان المطبوعات الجامعية المركز الوطني للدراسات التاريخية،الجزائر، 1999.

ـــــــــــــ: **مدن مندثرة تيهرت، سدراتة، أشير، قلعة بني حماد**، ط1، وزارة الإعلام والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.

ـــــــــــــ: **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984.

19 ــ بوسماحة عبد الحميد: **رحلة بني هلال وخصائصها التاريخية والإجتماعية والإقتصادية**،دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

20 ــ بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط3،دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000.

21 ــ التازي عبد الهادي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، 1987.

22 ــ التليسي خليفة محمد: **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، ط3،الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1997.

23 ــ جودت عبد الكريم: **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجري / 9 ــ 10م**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

24 ــ جلاب حسن:**الدولةالموحدية أثر العقيدة في الأدب**،المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1985.

25 ــ جلول ناجي: **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس، 1999.

26 ــ حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله الشهير بكتاب حلبي (ت 1068هــ / 1657م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

27 ــ حاطوم نور الدين: **تاريخ العصر الوسيط في أوربة**، ج1، ط1،دار الفكر، لبنان، 1986.

28 ــ الحجي علي عبد الرحمان: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ط2، دار القلم، دمشق ــ سوريا، 2008.

29 ــ حركات إبراهيم: **مدخل إلى تاريخ العلوم بالغرب المسلم حتى القرن 9هــ/15م**، ج1، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدارالبيضاء، 2000.

ـــــــــــــــ : **المغرب عبر التاريخ**، ط3،دار الرشاد الحديثة، الدارالبيضاء،المغرب، 1993.

31 ــ حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**، ط 4، دار الجيل مكتبة النهضة المصرية، بيروت، القاهرة، 1996.

32 ــ حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، ط2، مكتبة المنار، تونس، 1981.

33 ــ حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001.

ـــــــــــــــ : **معالم التاريخ الأوربي الوسيط**، دار المعرفة الجامعية، 1999.

35 ـــ حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين،** ط1،مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

36 ـــ حسن محمد إبراهيم: **دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط**، مركز الإسكندرية للكتاب، 1999.

37 ـــ حسان حلاق: **دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت، 1999.

38 ـــ الحفني عبد المنعم: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، ط1،دار الرشاد، 1993.

39 ـــ حمدي عبد المنعم محمد حسين:**التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، .1997

40 ـــ الحويري محمود محمد:**رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية**، دار المعارف، 1981.

41 ـــ الخربوطلي علي حسن: **الإسلام في حوض البحر المتوسط**، ط1،دار العلم للملايين، بيروت، .1970

42 ـــ خضيري أحمد حسن: **علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب**،ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

43 ـــ خلفات مفتاح: **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين(6 ـــ 9هـــ / 12 ـــ 15م)**، ط1،المؤلفات للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، 2016.

44 ـــ خنوف علي: **تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا**،منشورات الأنيس، الجزائر، 2011.

45 ـــ خياطة نهاد: **الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام**، الأوائل، د.ت.

46 ـــ أبو خليل شوقي: **فتح صقليةدراسة في التاريخ والأدب**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، .1980

47 ـــ داود بن يوسف سليمان: **حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي**، مطبعة أبوداود، 1993.

48 ـــ الدوري تقي الدين عارف: **صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط من الفتح الإسلامي إلى الغزو النورمندي**، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

49 ـــ دياب صابر:**دراسات في عالم البحرالمتوسط في العصور الوسطى**،آداب القاهرة بالخرطوم، د.ت.

50 ــ ذنون طه عبد الواحد وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، ط1، درا المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004.

51 ــ رستم سعد: **الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليومــ دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية**، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د.ت.

52 ــ رمضان عبد العظيم: **الصراع بين العرب وأوروبا منذ ظهور الإسلام حتى انتهاء الحروب الصليبية**، دار المعارف،القاهرة،1983.

53 ــ سعد زغلول عبد الحميد:**تاريخ المغرب العربي ــ الفاطميون وبنو زير والصنهاجيون إلى قيام المرابطين**، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1990.

54 ــ سالم عبد العزيز والعبادي أحمد مختار: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1969.

55 ــ سالم عبد العزيز: **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**،مؤسسة شباب الجامعة للنشر والطباعة والتوزيع، الإسكندرية ــ مصر،1984.

56 ــ سليمان الهرفي سلامة محمد:**دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية**، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، د.ت.

57 ــ السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، 2004.

58 ــ السائح حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب**،ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986.

59 ــ السيد أيمن فؤاد **الدولة الفاطمية في مصر في تفسير جديد**،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007.

60 ــ سيمينوفا: **تاريخ مصر الفاطمية**، ترجمة وتحقيق: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001.

61 ــ شحاذة الناظور وآخرون: **مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار الأمل للنشر، عمان ــ الأردن، 1989.

62 ــ شامي يحي: **موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية،** ط1،دار الفكر العربي، بيروت ــ لبنان، 2005.

63 ــ شهاب أحمد نهلة: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،**ط1،دار الكتاب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1971.

64 ــ الشيخ مرسي محمد محمد:**دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي،** مؤسسة الثقافة الجامعية،الإسكندرية، مصر، 1981.

65 ــ أبو ضيف مصطفى: **القبائل العربية في عصر الموحدين وبني مرين:** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

66 ــ طقوش محمد سهيل: **تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام،** ط2، دار النفائس، بيروت ــ لبنان، 2007.

67 ــ الطيبي أمين توفيق: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية،** ط1، دار إقرا للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الجامعية، طرابلس،ليبيا، 1990.

ـــــــــــــــــ : **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس،**ج2، الدار العربية للكتاب، 1997.

69 ــ الصلابي محمد علي محمد: **دولة الموحدين،** دار البيارق، 1998.

ـــــــــــــــــ : **فقه التمكين عند دولة المرابطين،** ط1، دار الوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2006.

71 ــ عاشور سعيد عبد الفتاح: **تاريخ أوربا في العصور الوسطى ــ النظم والحضارة،** ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، .1959

72 ــ العبادي أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،** مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،د.ت.

ـــــــــــــــــ: **في تاريخ المغرب والأندلس،** دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

74 ــ العسيري أحمد معمور:**موجز التاريخ الإسلامي،** ط1،مكتبة الملك فهد بن عبد العزيز، 1996.

75 ــ العربي إسماعيل: **المدن المغربية،**المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

76 ــ العروي عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب،** ج1، ط5،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996.

77 ــ العريني الباز: **تاريخ أوربا العصور الوسطى،** دار النهضة، بيروت، 1986.

78 ــ عبادة عبد الفتاح: **سفن الأسطول الإسلامي أنواعها ومعداتها،**مطبعة الهلال، مصر، 1913.

79 ــ عبود أمحمد وآخرون: **المغرب والأندلس دراسات في التاريخ والأريكيولوجية**،تقديم وتنسيق: محمد الشريف، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان،المغرب، 2006.

80 ــ عبد القادر سميرة يونس: **النورمان والدولة البيبزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي**، ط1، دار الكتاب الجامعي،القاهرة، مصر، 1995.

81 ــ عزيز أحمد: **تاريخ صقلية الإسلامية**، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1980.

82 ــ عصام سالم: **جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجز البليار 79 ــ 685ه/ 708 ــ 1287م**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان،1984.

83 ــ عصمت عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510 ــ 546هــ / 1116 ــ 1151م)**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

84 ــ علي بديوي يوسف: **عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط**، ط1،دار وحي القلم، دمشق، 2010.

85 ــ علي حسين ممدوح حسين: **الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري**، ط1، دار عمار،عمان، 1998.

86 ــ علام عبد الله علي: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف،القاهرة، 1971.

87 ــ عمران محمود سعيد: **حضارة أوربا في العصور الوسطى**،دار المعرفة الجامعية، 1998.

ـــــــــــــــــ : **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، 2004.

ـــــــــــــــــ : **معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى**،دار المعرفة الجامعية،مصر،د.ت.

90 ــ عنان محمد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس**، ط4، **مكتبة الخانجي**، القاهرة، 1997.

91 ــ عوض محمد مؤنس: **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب**، ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، 2000.

92 ــ عويس عبد الحليم: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية ــ القاهرة، 1991.

93 ــ فرح نعيم: **تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى**، منشورات جامعة دمشق، 1995.

94 ــ فيلالي عبد العزيز: **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع،القاهرة، 1999.

95 ــ كحالة عمر رضا: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج2، ط5،مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، 1985.

96 ــ القدوري عبد المجيد: **وقفات في تاريخ المغرب**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، 2001.

97 ــ كمال السيد أبو مصطفى: **بحوث وتاريخ حضارة الأندلس في العصر الإسلامي**، مركز إسكندرية للكتاب، مصر، 1997.

98 ــ لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1981.

99 ــ ماجد عبد المنعم: **ظهور الخلافة في مصروسقوطها**،ط4، دار الفكر العربي، القاهرة،1994.

100 ــ محمد حسين حمدي عبد المنعم: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، 1997.

101 ــ محمد محمد زيتون: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990.

102 ــ محمود النشار محمد: **دراسات في تاريخ إسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى**،ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر،2007.

103 ــ محمود حسن أحمد: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي،القاهرة، د.ت.

104 ــ مراجع عقيلة الغناي: **سقوط دولة الموحدين**، منشورات قايونس، بنغازي، 2008.

105 ــ مزاري توفيق: **النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين**، ط2،جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.

106 ــ مصطفى شاكر:**الأندلس في التاريخ**، دار الاشبيلية، سوريا، 2002.

107 ــ موسى عبرة عبد الله كامل: **الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن**، ط1، دار الأفاق العربية ، القاهرة، مصر،2001.

108 ــ موسى عز الدين أحمد: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983.

ــــــــــــ : **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، د.ت.

ــــــــــــ : **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس** الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983.

111 ــ مؤنس حسين: **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**،ط2، مكتبة مدولبي، 1986.

ــــــــــــ : **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

ــــــــــــ : **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، دار الرشاد، 2004.

ــــــــــــ : **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين**، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ــ مصر، 1992.

115 ــ المدني توفيق أحمد: **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**،مكتبةالاستقامة، تونس، د.ت.

116 ــ المطوي محمد العروسي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، 1982.

117 ــ المنوني محمد: **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،المغرب، 2000.

118 ــ الموسوي نوال تركي موسى: **النشاط الزراعي في صقلية من خلال كتب البلدانيين** ، جامعة الكوفة، كلية الآداب، د.ت.

119 ــ الميلي محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية، 2004.

120 ــ نعنيعي عبد المجيد: **تاريخ الخلافة الإسلامية في الأندلس التاريخ السياسي** ،دار النهضة العربية، بيروت ــ لبنان،د.ت.

121 ــ الهادي محمد الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

122 ــ الهرفي سلامة محمد: **دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين دارسة سياسية وحضارية**،دار الندوة الجديدة ، بيروت ــ لبنان، 1985.

ب. الكتب المترجمة:

125 ـــ ارشيبالد لويس:**القوى البحرية في حوض البحر المتوسط 500 ـــ 1100م**، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،د.ت.

126 ـــ أرنست باكر: **الحروب الصليبية**، ترجمة: الباز العريني، ط2، دار النهضة العربية، د.ت.

127 ـــ أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة: عبد الله عنان، ج1، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة، 1996.

128 ـــ أماري ميخائيل:**المكتبة الصقلية في التاريخ والبلدان والتراجم والمعاجم**، تحقيق: ميخائيل أماري، ليسبك، دار صادر، بيروت، 1857.

129 ـــ أوليفاريمي كونستال: **إسكان الغريب في العالم المتوسطي**، تعريب وتقديم: محمد الطاهر المنصوري،ط1، دار المدار الإسلامي، المملكة المتحدة، 2003.

130 ـــ جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1999.

131 ـــ دوزي رينهارت: **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**،ترجمة: كامل كيلاني،ط1، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1933.

132 ـــ دومينك فاليرين: **بجاية ميناء مغاربي**، ترجمة: علاوة عمارة، ج1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014.

133 ـــ الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م** ، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت ـــ لبنان، 1992.

134 ـــ سرهنك إسماعيل:**حقائق الأخبارعن دول البحار**، ج1، ط1، مطبعة الأميرية،مصر، 1312.

135 ـــ الطالبي محمد: **الدولة الأغلبية 184 ـــ 296هـــ/ 800 ـــ 909م**،ترجمة: المنجد الصيادي مراجعة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، 1995.

136 ـــ فشر هربرت: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة محمد مصفى زيادة ،السيد الباز العريني، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1968.

137 ـــ فون شاك: **الفن العربي في إسبانية وصقلية**،ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1980.

138 ــ فيرو شارل: **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، ترجمة وتحقيق: محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات قازيونس، بنغازي،1994.

139 ــ ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي ، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1987.

140 ــ ل. ج. شيني: **تاريخ العالم الغربي**، ترجمة:مجد الدين حفني ناصف،مراجعة: علي أدهم،دار النهضة العربية، القاهرة،د.ت.

141 ــ لوبون غوستاف: **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1969.

142 ــ موريس كين: **حضارة أوربا في العصور الوسطى**، ترجمة: قاسم عبده قاسم ، ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 1994.

143 ــ نورمان ف كانتور: **التاريخ الوسيط قصة – حضارة البداية والنهاية –**، ترجمة: قاسم عبده قاسم ، ط5،عين للدراسات والبحوث الإنسانية ،مصر، 1997.

144 ــ هونكة زيغريد: **شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي ومراجعة مارون عيسى الخوري، دار الجيل، الطبعة الآمنة، بيروت، 1993.

145 ــ هادريل: **أوروبا في صدر العصور الوسطى**، ترجمة: حياة ناصر الحجي، ط1، مؤسسة الصباح، الكويت، 1979.

146 ــ هنري بيرين: **تاريخ أوربا في العصور الوسطى ــ الحياة الإقتصادية والإجتماعية**، ترجمة: عطية القوصى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1996.

147 ــ وفيق بركات: **فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي**، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1995.

148 ــ ويل ديورانت: **قصة الحضارة** ، ترجمة: زكي نجيب محمود، ج2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968.

149 ــ ياتسيكماوفسكي، **تاريخ القرصنة في العالم**، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008.

150 ــ يوهان هويزنجا: **اضمحلال العصور الوسطى**: ترجمة: عبد العزيز توفيق، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

1 - Alheydis Plassmann, **Die Normannen**, Erobern - Herrschen - Integrieren, Stuttgart, 2008.
2 -Capefigue ,B: **Essai sur des invaisions maritimes des Normands dans les Gaules**, Paris,1823.
3 - Daniel Jouen :**La Conquête de la SicilePériode, 1061-1064**, association normandie -sicile chronique, N°40, Copistes bibliothèque de l'Escurial Espagne, le 12 février 2017.
4 - Decret François **:Les invasions hilaliennes en Ifrîqiya**, Septembre 2000.
5 -Dozya Reinhart: **recherche sur L'Histoire et littérature de L Espagne**, pendant le moyeenage leyden, 18 Gotome.
6 -Ernest Mercier :**Histoire de l'Afrique septentrionale (berbère) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française (1830) tome I**, Paris Ernest Leroux Éditeur28, Rue Bonaparte, 28 . 1888.
7 -ChalondonFedrinand**,Histoire de la domination normande en Italie et en sicile**, 2volumes, Paris,1907.
8 -Geffroy Auguste: **Histoire des Etats Scandinavie**, librairie Hachette, Paris, 1851.
9 - Goitein, S.D.A, **Mediterranean Socity**, California, UAS ,1978, Vol.1.
10 -Guèret-Lafertè**: L'Identité normande dans l'histoire de liNormantd'Aimé du Mont-Cassin** Michèle Université de Rouen Cèrèdl,
11 - CHristiant Marquan: La civilisation normande de Sicile Cliovoyagesculturelles, Février 2016.
12 - Haskins, CH: **the Norman in Eurpsent History**, am bridge Mass, 1915.
13 - Henziwheatan: **Histoire des peuples du Nord**, Pris, 1844.
14 -Hubert Houben**: DIENormannen Verlag C.H Beck München**, 2012, Normannische Ritter auf dem Teppich Centre Guillaume le Conquérant, Bayeux.
15 - Jeannin Pierre, **Histoire des pays scadinaves Que sais je** ,ed, PUF, Paris, 1956.
16 - Martine Cohen-Hadria: **Al-Idrîsî, une vision du monde méditerranéen au XIIe siècle:** journal d'exposition, Mss or, arabe 2221, Édité par Bibliothèque nationale de France [Paris, Site François Mitterrand, Petite galerie, 16 octobre 2001 - 3 janvier 2002].
17 - Musset Lucien: **Les peuples scandinaves au moyen age**, PUF,Paris,1951.
18 - Iván Curto Adrados : **las invasiones Vikingas deinglaterra una PersPectiva Historiografica**, Graduado en Historia por la Universidad Complutense de Madrid (UCM).
19 -Norman Contor: **Medieval Hisotry**, The Macmillan Company, New York, 1964.

21 - Pattou Etienne: **Italie Méridionale Sicile, Royaume de Naples, Pouilles, Calabre Terre Sainte**, Maison de Hauteville, 2005.
22 - Régis Boyer**:Pour présenterles Vikings**,Clio voyages culturelles ,2016 Novembre 1999.
23 - Salvador Alaimo: **Vikingos Boietin del Centro Navaal**,Numero 821, jul, SEP de 2008.
24 -Tacite: **La Germani Traduite par Panckoucke**, Pari, 1982.
25 - Trofimova Olga: **i normanni in inghilterra e in sicilla**, un caPitolo della storla linguistica euroPea, anno conseguimento titolo, 2016 / 2017.
26 - Tommaso Indelli: **I Normanni in Italia**.

رابعًا: الدوريات

أ. الرسائل والأطاريح الجامعية:

1 ـــ أحمد المغربي ريحاب محمد كمال محمد: **التجارة في عصر بني حماد**، رسالة ماجستير،جامعة دمياط، مصر، كلية الآداب، 1436هـــ /2015م.

2 ـــ أمين سيجيني فايزة محمد صالح: **غزو بني هلال وبني سليم للمغرب**،رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1980 ـــ 1981م.

3 ـــ بكاري عبد المالك: **التجارة في عهد بني زيري بافريقية (362 ـــ 543هـــ /972 ـــ 1048م**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، 2006م.

4 ـــ بلحاج ميلود: **الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمان الثاني(206هـــ/ 822 ـــ 854م)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2007 ـــ 2008م.

5 ـــ بلغيث محمد الأمين: **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986 ـــ 1987م.

6 ـــ بن الذيب عيسى: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480 ـــ 540هـــ / 1056 ـــ 1145م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2008 ـــ 2009م.

7 ـــ بن قربة صالح: **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، رسالة دكتوراه في الدور الثالث أثار إسلامية، جامعة الجزائر، معهد العلوم الإجتماعية، دائرة الدراسات التاريخية الآثار، 1982 ـــ 1983م.

8 ـ بن مصطفى إدريس: **العلاقات السياسية والإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الدولة الزيانية**، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2006 ـ 2007م.

9 ـ تومي رشيد: **العلاقات الخارجية لمملكة صقلية في عهد النورمان منذ وفاة الملك روجرالثاني إلى سقوط المملكة (1154 ـ 1195م)**، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2005 ـ 2006م.

ـ ــــــــ : **العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية مابين 1017 ـ 1154م**، رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،معهد التاريخ، 1987 ـ 1988م.

11 ـ حامد زيان: **العلاقات بين صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1973م.

12 ـ الحساني فايزة بنت عبد الله:**تاريخ مدينة سرقوسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها 316 ـ 512هـ/ 928 ـ 1118م**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1429 ـ 1430هـ.

13 ـ دحروج إلهام حسين: **مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية** ، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ، كلية الآداب والدراسات العليا،1421هـ / 2000م.

14 ـ الدليمي صالح انتصار محمد:**التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300 ـ 366هـ / 912 ـ 976م)**، رسالة ماجستير، جامعة الموصل،كلية الآداب، 1426 ـ 2005م.

15 ـ الزهراني علي بن محمد بن سعيد:**الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**، رسالة دكتوراه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامية، جامعة أم القرى ـــمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية،1996م.

16 ـ سالم أبو القاسم محمد غومة: **تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين 451 ـ 668هـ / 1059 ـ 1269م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الفاتح، الجماهرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى،2003 ـ 2004م.

17 ـ عبد القادر علالي وديان بنت محمد: **الحالة الإقتصادية في دولة بني زيري بالمغرب الأدنى**، رسالةماجستير،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة طيبة، المدينة المنورة،2012م.

18 ـــ عبد الكريم فايزي: **التسامح الديني في المجتمع الأندلسي وتأثيره على المنظومة القيمية والعلاقات الإجتماعية في عصر الخلافة والطوائف (316 ـــ 488هـــ / 929 ـــ 1095م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط،جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2018 ـــ 2020م.

19 ـــ عبد الله جبوده مريم محمد: **التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب في العهد الحفصي خلال العهدين الموحدي والحفصي(555 ـــ 980هـــ / 1160 ـــ 1572م)**،رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2008م.

20 ـــ عبد السلام ولد يحيى: **الموانئ والأسطول بالمغرب الأقصى زمن المرابطين والموحدين (426 ـــ 667ه / 1034 ـــ 1268م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تونس، 2015 ـــ 2016.

21 ـــ عبد الكريم عزوق: **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دارسة أثرية)**، أطروحة دكتوراه دولة الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007 ـــ 2008م.

21 ـــ عزي بوخالفة: **تغريبة بني هلال بين التاريخ والرويات الشفوية الهلالية الجزائرية**،رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية اللغات والآداب، 2002 ـــ 2003م.

23 ـــ عشي علي: **التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2 ـــ 10هـــ / 8 ـــ 16م)**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة باتنة، 2016 ـــ 2017م.

24 ـــ علي بن محمد بن سعيد الزهراني: **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية 212 ـــ 484هـــ/ 826 ـــ 1096م**، رسالة دكتوراه في النظم والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،جامعة أم القرى،مكة المكرمة، 1993م.

25 ـــ فاطمة بنت حادي بن يحي الحجي السفياني: **غارات النورمان الدانيين على أراضي دولة الفرنجة وبلاد الأندلس في عصري الإمارة والخلافة**، رسالة ماجستير،جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2001 ـــ 2002م.

26 ـــ القحطاني علي عبد الله: **الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية 368 ـــ 399هـــ/978 ـــ 1009م**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، 1981م.

27 ــ لعيفة عبد الوهاب: **الغزو النورماندي لفرنسا وإسبانيا**،رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة،كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة باتنة، 2013 ــ 2014م.

28 ــ المايني رفيق: **الأسطول العربي منذ فجر الإسلام حتى أواخر عهد المماليك**، رسالة في الدراسات العليا، جامعة بيروت الأمريكية، كلية العلوم والآداب، 1942م.

29 ــ نايف لكحل فارس: **صقلية المنارة العربية الثالثة: دراسة تاريخية للجزيرة أبان الحكم العربي واستيلاء النورمان عليها**،دبلوم الدراسات العليا، قسم التاريخ، معهد الآداب الشرقية، الجامعة اليسوعية.

30 ــ هيصام موسى: **الجيش في العهد الحمادي 405 ــ 547هـ / 1014 ــ 1152م**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2000 ــ 2001م.

ب. المقالات:

1 ــ إبراهيم أحمد سعيد: **إسهامات المقديسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية**، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد المزدوج، 117 ــ 118، جانفي، 2012.

2 ــ إبراهيم زاهر فاطمة محمد: **عبد الرحمان الأوسط في الأندلس**،جامعة الملك عبد العزيز،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،مكة المكرمة، 1979 ــ 1980.

3 ــ أميرة مصطفى أمين يوسف: **العداء بين النورمان والبيزنطيين، وأثره على موقف الأميرين النورمانيينبوهيمندوتانكريد من إمبراطور القسطنطينية، أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى عام 1097م**، جامعة الملك عبد العزيز، قسم التاريخ، فرع كلية البنات.

4 ــ أودياك صالح محمد فياض: **فنون القتال عند المرابطين والموحدين والحفصيين**، كلية الآداب، جامعة اليرموك، مجلة المؤرخ العربي.

5 ــ بوقاعدة البشير: **منظومة التحصينات العسكرية الحمادية الثابتة بين جهود الوقاية ومطامح التوسع والسيطرة**، قضايا تاريخية العدد 6، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، المدرسة العليا للأساتذة ــ بوزريعة، الجزائر، 2017.

6 ــ تومي رشيد: **النورمان والمسلمون في جزيرة صقلية في عهد الكونت روجر(توفي عام 1101م)**،مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 12، ديسمبر 2011.

7 ــ جمعة شيخة: **ملامح النشاط الفلاحي في المجتمع الريفي بإفريقية من الفتح إلى القرن 5هـ، الحياة الثقافية**، العدد 41، ج11، تونس، 1986.

8 ـــ الدوري تقي الدين عارف، **سقوط صقلية في يد النورمان وانتهاء السيادة العربية عليها**، العدد8، مجلة آداب المستنصرية، منشورات كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 1984.

9 ـــ رياض أحمد عبيد الغاني: **هجومات النورمانيين على الأندلس**، منشورات كلية العلوم، المجلد 7، العدد 23السنة السابعة، الجامعة الإسلامية، بغداد، تشرين الأول، 2011.

10 ـــ الزهراني علي بن محمد بن سعيد: **الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان بين التسامح والاضطهاد 444 ـــ 591هـــ/1052 ـــ 1194م**، منشورات كلية الشريعة، جامعة أم القرى.

11 ـــ شلبي عبد الجليل: **حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوروبية**، مجلة الأمة، العدد 27، ربيع الأول 1403هـــ.

12 ـــ علاوة عمارة: **الحفريات الأثرية بالحاضرة الحمادية الأولى بين الذاكرة والتاريخ**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، قسنطينة، العدد 9، جانفي2008.

ـــ ـــــــــــ : **التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 26،رمضان 1429هـــ / سبتمبر2008.

14 ـــ عواد أبو شيخة عودة حسان: **الصراع بين بني زيري والفاطميين وأسبابه الإقتصادية**، منشورات كلية التربية، جامعة عين شمس،سبتمبر 2005.

15 ـــ فائق بكر الصواق: **بعض مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في جزيرة صقلية**: مجلة الدراسات التاريخية، العدد 12، دمشق، 1983.

16 ـــ فوزية كرزازة: **الهلاليون في المغرب الإسلامي بين إشكالية الغزو والهجرة**، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية قسم التاريخ، جامعة معسكر الجزائر.

17 ـــ قدوري الطاهر: **المسالك البحرية في المغرب الوسيط خلال القرنين 5 ـــ 6هـــ**, مجلة التسامح المجلد 2005م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية المجلد 2005م، العدد11، عمان، 30 جوان 2005.

ـــ ـــــــــــ : **الدولة الموحدية وتهيئة المراسي ودور الصناعة**، كلية الآداب، وجدة .

19 ـــ قنبر الياس علي: **بنو مرين قادة الأسطول المرابطي والموحدي 508 ـــ 599هـــ / 1115 ـــ 1202**، كلية التربية، جامعة الموصل، 2010.

20 ـــ القادري بوتشيش إبراهيم: **الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين**، مجلة الاجتهاد، العدد 28، السنة السابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، بيروت، 1995.

21 ــ مصطفى الجندي جمعة محمد: **علاقة نورمان صقلية بالقوى الإسلامية في شمال إفريقية خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي**، حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، كلية التربية، جامعة عين شمس، الحولية الثالثة والعشرون، 1423هـــ /.2002

22 ــ محمد عبد الله المعموري: **الدولة النورماندية في صقلية دراسة في تاريخها السياسي وعلاقاتها الخارجية**، مج1، ع8، منشورات مجلة العلوم الإنسانية ،جامعة بابل، ديسمبر .2011

23 ــ مغازي ممدوح محمد: **غارات نورمان صقلية على مدينة تنيس المصرية548 ــ 573هـــ/ 1154 ــ 1177م**، منشورات مجلة كلية الآداب.جامعة بنها، مصر، 2009، العدد الحادي والعشرون.

24 ــ يحياوي سليم فراس: **الغزو النورماني للساحل الإفريقي (تونس وليبيا) في القرن السادس الهجري**، منشورات كلية التربية الأساسية، العدد 3، جامعةبابل، حزيران 2010.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث:

يتناول موضوع البحث النورمان ودول الغرب الإسلامي خلال القرنين 5 ــ 6هـ / 11 ــ 12م، وهي الفترة التي ارتبطت بقيام دولة النورمان في صقلية، وحكم بني زيري والحماديين للمغرب الأدنى والأوسط، والمرابطين والموحدين للمغرب والأندلس، حيث أخذت العلاقات بين صقلية النورمانية ودول الغرب الإسلامي طابع الصدام والمواجهة، وجانب من التواصل الثقافي تحرك النورمان من موطنهم الأصلي شمال أوروبا، وشنوا غارات على غرب أوروبا وبلاد الأندلس ووصلوا جنوب إيطاليا، واستطاعوا احتلال صقلية وتأسيس دولتهم، رموْا بأبصارهم إلى الساحل الإفريقي ، مستغلين اضطراب أوضاع بني زيري، مقدمين العون للحكام المناوئين لهم ،ما دفع بنو زيري إلى الاستنجاد بالمرابطين، فأحجم النورمان على القيام بأي مبادرة، وفي الوقت الذي تقرر فيه تأجيل الغزو، اتجه النورمان في نشاطهم نحو جزر البليار ، وبامتداد نفوذ المرابطين إلى هذه الجزر، وأصبحوا في خط المواجهة المباشرة معهم، بادر النورمان هجومهم من جديد بعد ان أدركوا تراجع المرابطين، وضعف الدولة الحاكمة في بلاد المغرب، فشنوا هجمات على الساحل المغربي، شملت مدن ساحل المغرب الأوسط تحت حكم الحماديين، وتركزت على الجهات الشرقية منه، وتزامن هذا قيام النورمان بهجمات على مدن الساحل الإفريقي، وكانت المهدية عاصمة بني زيري هدفهم، وتمكنوا من دخولها، وبسقوطها خضعت جميع مدن الساحل المغربي لسلطتهم، ونتيجة لذلك عبر ساكنوا مدن المغرب عن رفضهم للسيطرة النورمانية، فعمت الانتفاضات والثورات مستغلين تغير الظروف، وتمكنوا من تحريرها، وبظهورُ الموحِدين طلب ساكنةُ المهدية وحاكمها الحسن النصرة من الموحدين، فلبىَّ عبد المؤمن ذلك، و فتمكن من تحريرها و باقي مناطق المغرب، ثم قامَ بإصلاحاتٍ إدارية ومالية، ترك استقرار النورمان بصقلية وببلاد المغرب أثره الإيجابي، حيث برز مَلْمَحُهُ في قيام علاقات تواصُلٍ حَضارِي بين الشعبين في أطار التأثير والتأثر، بعيدا عن الصدام والمواجهة.

الكلمات المفتاحية: غارات، النورمان، بني زيري، المغرب الأوسط، الدولة الحمادية، الغزو.

Research Summary:

The subject of the research deals with the Normans and the Countries of the Islamic Maghreb during the 5th-6th centuries Ah /11-12 AD, this is the period associated with the establishment of the Norman state in Sicily. Beni Ziri and the Hamadid ruled the lower and middle Maghreb, and the Almoravids and the Almohads ruled The Magnreb and Andalusia. Relations between Norman Sicily and the Islamic Maghreb countries have taken on the character of clash and confrontation and part of cultural and civilization communication, The Normans moved from their native Northern Europe. They raided western Andalusia and arrived in southern Italy. They were able to conquer Sicily and establish their own state. They focused on the African Coast to achieve goals, Taking advantage of the instability of The Beni Ziri, Helping the anti-government rulers, which led Beni Ziri to appeal to the Almoravids. The Normans were reluctant to take any initiative. By the time the invasion was postponed, the Normans were actively moving towards the Balearic Islands, Allied with the Christian powers, achieving the crusader's targets, And with the influence of the Almoravids extending to these islands, they had become on the front line with them, The Normans launched their offensive again after realizing the decline of the Almoravids, And the weakness of the ruling state in the Maghreb, they launched attacks on the Maghreb coast, including the cities of the central coast of the Maghreb, Under the rule of the Hammadid, it was concentrated on its eastern sides , This coincided with the Normans' attacks on the cities of the Sahel, for which Mahdia, the capital of Beni Ziri, was a target, They were able to enter it, and with its fall, all the cities of the Maghreb coast were under their control, As a result, the inhabitants of the cities of the Maghreb expressed their rejection of Norman domination, spreading uprisings and revolutions, Taking advantage of changing internal and external conditions, they were finally able to liberate Sfax and Tripoli, With the appearance of the Almohads, the residents of Mahdia and its ruler Hassan Bin Ali called for help from the Almohads, and Abdul Momen answered their call, He moved towards Mahdia, managed to liberate it, he completed the opening of the rest of the Maghreb, and then carried out administrative and financial reforms, The stability of the Normans in Sicily and the Maghreb has had a positive impact, its features have emerged in the establishment of civilized relations of communication between the two peoples, in the context of influencing and being influenced, these relations between the two countries have been founded away from clash and confrontation.

Keywords: raids, the Normans, Beni Ziri, Maghreb east, ..Hamadites . invasion.

Résume:
Les Normands et les pays du Maghreb ,au cours des 2siécles 5- 6h /11 -12G,cétait la fondation de l’ etat Normand en Sicile et le régne des ziris et les Béni Hammad au Mghreb oriental et occidental ,Cétait des conflits et des confrontations entre les Normands et les habitants du Maghreb, Le mouvement des Normands sést soldé par des attaques contre l’Andalousie et l’ ouest de l’Europ jusqu én Italie et ont envalri la Sicile et le nord de l’Afrique profitant du désordedre des Ziris Ceux la ont sollicite l’ aide des Almorabids pour r établir l’ordre Cela a poussé les Normands a reporter la conquéte de l’Afrique du nord ,en orientant leurs intérets sur les iles Balayards ,coalisés avec les chrétiens et cést la cinfrontatio avec les Al morabids, Les Normands attaquent de nouveau quand ils constatent le retrait des Almorabids et la décadence de leur régne au Maghreb,occupant ainsi leurs grandes villes et se sont installés du côté oriental,et se sont avanc és sur les côtes ofricaines et occupe la ville de Almahdia les habitants du Maghreb se sont révolte, appuyés par la population de la région,se souléient et libérent Sfax et Tripoli, L’apparition des Almohades, galvanisent les populations et se révoltent contre les Normands grace au soutien de la dynastie de Abdelmoumen Celui-ci conduit une armée bien équiqée et méne la guere contr les Normands et libére Almahdia et tout le territoire du Maghreb en réformant l’administration et les finances il a toléré, l’installation des Normands en Sicile et cela a eu une influence positive pour la région et a eu des échanges diverses entre les deux rives.
Reverso Context : raid, Les Normands , Béni Ziris , Maghreb moyenne , etat Hammad , envahir.